

جَمْعُ مَرْخِطِ الْعَرَبِ

فِي عِصُورِ الْعَرَبِ فِي الزَّاهِرَةِ

الْبَيْعَةِ الْأُولَى

الْعَصْرُ الْحَدِيثِيُّ ، عَصْرُ صَدْرِ الْإِسْلَامِ

تأليف

أحمد زكي صفوت

استاذ اللغة العربية بدار العلوم

الطبعة الأولى

١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م / رقم ٤٩٤

كل الحقوق محفوظة

الطبعة : محمد بن عمران

۵۳۵

تفصیل

تفصیل
۶۶

۵۴ تفصیل

تصدير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمدك اللهم على ما أوليتني من نعمك السابغة ، وآلائك الضافية ، وأصلى
وأسلم على رسولك المجتبي ، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .
• وبعد : فلإمراء أن خطب العرب في عصور ازدهار اللغة - رآة يتجلى فيها
مأجهاهم الله من ذلاقة اللسان ، وعذوبة البيان ، ومعرض يتمثل فيه نتاج قرائهم ،
وثمرات ألبابهم ، في كثير من مناحي القول ، وإنها لتعدّ - بعد القرآن الكريم
والحديث الشريف - مثالا ساميا للبلاغة العربية ، ونموذجا قويا يحتذيه المتأدب
في تقويم قلمه المموّج ، وشحذ لسانه الكليل ، وهي فوق ذلك معين فياض
يستقى منه مؤرخ الأدب العربي ما يعين له من آراء ، ومادة غزيرة يستنبط منها
ما يقفه عليه البحث من فكر .

وقد نظرت فوجدت تلك الخطب مبعثرة متشورة في كتب الأدب والتاريخ ،
لا يؤلف بينها نظام ، ولا يضم أشباتها كتاب ، فإذا ما شئت أن تعرف صورة
الخطابة في عصر من العصور ، أو تترجم لخطيب من خطباء العربية ، ألفت
الطريق أمامك وعرة شائكة ، وأنفقت وقتا مديدا في التنقيب عن خطبه في

والعافية ، حتى أصدر ما اعتزمت إصداره بمد تمام هذا الكتاب إن شاء الله ،
وهو كتاب :

جمهرة رسائل العرب ، في عصور العربية الزاهرة

کی تکمل حلقہ النثر العربی فی تلك العصور، إنه المستعان ، علیه توکلت
والیه أنیب مے

أحمد زکی صفوت

حرر بالقاهرة في ربيع الآخر سنة ١٣٥٢ هـ
يوليو سنة ١٩٣٣ م



فهرس

مآخذ الخطب فى هذا الجزء

-
- الأمالى : لأبى على القالى : الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى
الأغانى : لأبى الفرج الأصبهانى : « الرابع - السابع - الثامن - الحادى
: عشر - الرابع عشر - الخامس عشر
صبح الأعشى لأبى العباس القلقشندى : الجزء الأول - الثانى
نهاية الأرب : لشهاب الدين النويرى : « الثالث - الخامس - السابع
عيون الأخبار : لابن قتيبة الدينورى : المجلد الثانى
الكامل : لأبى العباس المبرد : الجزء الأول - الثانى
العقد الفريد : لابن عبد ربه : « « - الثانى - الثالث
زهر الآداب : لأبى إسحق الحضرى : « «
البيان والتبيين : للجاحظ : « « - الثانى - الثالث
نهج البلاغة : للشريف الرضى : « «
شرح نهج البلاغة : لابن أبى الحديد : المجلد الأول - الثانى - الثالث - الرابع
أمالى السيد المرتضى : الجزء الأول - الثانى
منجم الأمثال : لأبى الفضل الميدانى : « « - «
جهرة الأمثال : لأبى هلال العسكري : « « - «
خزانة الأدب : لعبد القادر البغدادى : « «

تاريخ الأمم والملوك : لأبي جعفر بن : الجزء الثاني - الثالث - الرابع - الخامس -

جرير الطبرى : السادس

تاريخ الكامل : لابن الأثير : الجزء الأول - الثاني - الثالث

مروج الذهب : للمسعودى : » » - الثاني

الإمامة والسياسة : لابن قتيبة : » »

المختصر فى أخبار البشر : لأبى الفداء : » »

معجم البلدان : لياقوت الحموى : » الثامن

سيرة النبی ﷺ : لابن هشام : » الأول - الثاني

السيرة الحلبية : لابن برهان الدين الحلبي : » »

إعجاز القرآن : لأبى بكر الباقلانى :

بلاغات النساء : لابن أبى طاهر طيفور :

شرح العيون ، تشرح رسالة ابن زيدون :

لابن نباتة المصرى :

أنباء نجباء الأبناء : لابن ظفر المسكى :

المحاسن والأضداد : للجاحظ :

الشعر والشعراء : لابن قتيبة :

شرح قصيدة ابن عبدون : لابن بدرون :

بلوغ الأرب : للسيد محمود شكرى : الجزء الأول - الثالث

الألوسى :

مفتاح الأفكار : للشيخ أحمد مفتاح :

البَابُ الْأَوَّلُ

الخطبة الوصائية

في

العصر الحجلي

اصلاح مرثد الخير

بَيْنَ سُبَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ ، وَبَيْنَ مِيثَمِ بْنِ مَثُوبٍ

كان مرثد الخير بن ينكف قبيلاً ، وكان حديباً على عشيرته ، مجباً لصلاحهم ، وكان سُبَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ ^(١) وميثم بن مَثُوبِ بْنِ ذِي رُعَيْنِ تنازعا الشرف ، حتى تشاحنا ، وخيف أن يقع بين حييها شرٌّ ، فیتفانی جذماهما ^(٢) ، فبعث إليهما مرثد ، فأحضرهما ليصلح بينهما ، فقال لهما :

[١] أخو علس ، وعلس هو ذو جدن .

[٢] الجذم : الأصل ، وكذا الجذر

١ - مقال مرثد الخير

إِنَّ التَّخَبُّطَ ^(١) وَأَمْتِطَاءَ الْمَهْجَاجِ ^(٢) ، وَاسْتِحْقَابَ ^(٣) الْأَجَاجِ ، سَيَقِفُكُمْ
عَلَى شَفَا هُوَّةٍ ، فِي تَوَرُّدِهَا ^(٤) بَوَارِ الْأَصِيلَةِ ^(٥) ، وَانْقِطَاعِ الْوَسِيلَةِ ، فَتَلَاَفِيَا
أَمْرَكُمْ قَبْلَ أَنْ تِكَاثَ ^(٦) الْمَهْدِ ، وَانْحِلَالَ الْعَقْدِ ، وَتَشْتَتِ الْأَلْفَةِ ، وَتَبَايُنِ
السُّهُمَةِ ^(٧) ، وَأَنْتُمَا فِي فُسْحَةِ رَافِهِةٍ ^(٨) ، وَقَدَمٍ وَاطِدَةٍ ^(٩) ، وَالْمَوْدَةِ مُثْرِيَةٍ ^(١٠) ،
وَالْبُقْيَا مُعْرِضَةٍ ^(١١) ، فَقَدْ عَرَفْتُمُ أَنْبَاءَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْعَرَبِ : يَمْنُ
عَصَى النَّصِيحِ ، وَخَالَفَ الرَّشِيدَ ، وَأَصْنَعَى إِلَى التَّقَاطُعِ ، وَرَأَيْتُمْ مَا آتَتْ إِلَيْهِ
عَوَاقِبُ سُوءِ سَعْيِهِمْ ، وَكَيْفَ كَانَ صَيُورُ ^(١٢) أُمُورِهِمْ ، فَتَلَاَفُوا الْقُرْحَةَ ^(١٣)
قَبْلَ تَفَاقُمِ الثَّأْيِ ^(١٤) ، وَاسْتِفْحَالَ ^(١٥) الدَّاءِ ، وَاجْتَوَا زِي الدَّوَاءِ ، فَإِنَّهُ إِذَا سُفِكَتِ
الدِّمَاءُ ، اسْتَحْكَمَتِ الشَّخْنَاءُ ، وَإِذَا اسْتَحْكَمَتِ الشَّخْنَاءُ ، تَقَضَّيَتِ ^(١٦) عُرَى
الْإِبْقَاءِ ، وَشَمِلَ ^(١٧) الْبَلَاءُ .

٢ - مقال سبيع بن الحرث

فَقَالَ سَبِيعُ : « أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ عَدَاوَةَ بَنِي الْمَلَاتِ ^(١٨) لَا تُبْرِئُهَا الْأُسَاةُ ^(١٩) ،

[١] التخبط : ركوب الرجل رأسه في الشتر خاصة ، أو السير على غير هدى . [٢] ركب فلاں مهجاج (غير مصروف) ، ووهاج منبأ على الكسر : أى ركب رأسه . [٣] الاستحقاب : استفعال من الحقية أو من الحقاب ، فأما الحقية ، فما يحمل الرجل فيه متاعه من خرج أو غيره ، والحقاب : برجم تشد به المرأة وسطها (والبرجم خيط فيه لونان) ، وهذا مثل : إما أن يكون أراد أنه احتزم بالهجاج أو جعله في وعائه . [٤] التورد : الإشراف على الماء وغيره ، دخله أو لم يدخله . [٥] الأصل . [٦] انتقاس : (والأسكات جمع نكت ، وهو ما نقش من الحبال ليماد ثانية) . [٧] القراية . [٨] ناعمة من الرفاهية . [٩] ثابتة . [١٠] متصلة . [١١] ممكنة قد أمكنت من عرضها ، أى من جنبها وناحيتهما ، يقال قد أعرض لك الطبي فارمه ، أى أمكك من عرصه . [١٢] طاقبة . [١٣] الجرح . (١٤) كالسمى والثرى : الإفساد والجراح والقتل ونحوه . [١٥] اشتداده ، وهو أن يصير مثل الفعل . [١٦] تقطعت . [١٧] من بابى فرح ونصر . [١٨] العلة : الصرة ، وهو الملأت بنو أمهات شتى من رجل واحد ، (والأخفاف : من أمهم واحدة والآباء شتى) . [١٩] جمع آس ، وهو الطبيب .

وَلَا تَشْفِيهَا الرُّقَاةُ ، وَلَا تَسْتَقِيلُ ^(١) بِهَا الْكَفَاةُ ، وَالْحَسَدُ الْكَامِنُ ، هُوَ الدَّاءُ
الْبَاطِنُ ، وَقَدْ عَلِمَ بَنُو أَيْدِنَا هُوَ لَا ، أَنَا لَهُمْ رِذِيَّةٌ ^(٢) إِذَا رَهَبُوا ، وَغَيْثٌ إِذَا
أَجْدَبُوا ، وَعَضُدٌ إِذَا حَارَبُوا ، وَمَفْزَعٌ إِذَا نُكِبُوا ، وَأَنَا وَإِيَاهُمْ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :
إِذَا مَا عَلَوْا قَالُوا أَبُونَا وَأُمْنَا وَلَيْسَ لَهُمْ عَالِينَ أُمَّ وَلَا أَبُ »

٣ — مقال ميثم بن مشوب

فَقَالَ مِيثَمُ : « أَيُّهَا الْمَلِكُ : إِنَّ مَنْ نَفَسَ عَلَى ابْنِ أَبِيهِ الرَّعَامَةَ ، وَجَدَ بِهِ ^(٣)
فِي الْمَقَامَةِ ^(٤) ، وَأُسْتُكْثِرَ لَهُ قَلِيلَ الْكَرَامَةِ ، كَانَ قَرِيفًا ^(٥) بِالْمَلَامَةِ ،
وَمُؤَنَّبًا عَلَى تَرْكِ الْأَسْتِقَامَةِ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَعْتَدُ لَهُمْ بَيْدًا إِلَّا وَقَدْ نَاهَهُمْ مِنَّا
كِفَاؤُهَا ، وَلَا نَذْكُرُ لَهُمْ حَسَنَةً إِلَّا وَقَدْ تَطَلَّعَ مِنَّا إِلَيْهِمْ جَزَاؤُهَا ، وَلَا
يَتَفَيَّأُ لَهُمْ عَلَيْنَا ظِلٌّ نِعْمَةٍ إِلَّا وَقَدْ قُوبِلُوا بِشَرِّهَا ^(٦) ، وَنَحْنُ بَنُو فَخْلٍ
مُقَرَّمٌ ^(٧) ، لَمْ تَقْعُدْ بَنَا الْأُمَّهَاتِ وَلَا بِهِمْ ، وَلَمْ تَنْزِعْنَا أَعْرَاقُ السُّوءِ وَلَا إِيَاهُمْ ،
فَعَلَامَ مَطَّ ^(٨) الْخُدُودِ ، وَخَزَرُ الْعُمُيُونِ ^(٩) وَالْجَحِيفِ ^(١٠) وَالتَّصَمُّرِ ، وَالْبَأْوِ
وَالْتَّنَكُّبُ ؟ أَلِكَثْرَةِ عَدَدٍ ، أَمْ لِفَضْلِ جَلَدٍ ، أَمْ لِعُطُولِ مُعْتَقِدٍ ^(١١) ؟ وَإِنَّا
وَإِيَاهُمْ لَكَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

لَا إِبْنَ عَمِّكَ ، لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبٍ عَنِّي ، وَلَا أَنْتَ دَيَّانِي فَتَخْزُونِي ^(١٢)
وَمَقَاطِعُ الْأُمُورِ ثَلَاثَةٌ : حَرْبٌ مُبِيرَةٌ ^(١٣) ، أَوْ سَلْمٌ قَرِيرَةٌ ، أَوْ مُدَاجَاةٌ وَغَفِيرَةٌ ^(١٤) »

[١] تنهض بها وتحملها . [٢] عون . [٣] عابه . [٤] المجلس . [٥] حليفاً .
[٦] مثلها . [٧] الفرع : السيد ، وأقرمه : جعله قرماً . [٨] مدّة . [٩] الحرر أن
ينظر الرجل إلى أحد عرضيه . يقال إنه ليتحاررني : إذا نظر إليه بؤخر عينه ولم يستقبله بنظره .
[١٠] التكبر ، وكذا البأو . [١١] اعتقد ضيعة ومالا : اقتداهما . [١٢] لا : أراد الله ، لخوف
اللام الحافظة اكتفاء بالتي تليها ، والديان القائم بالأمر ، وتخزوني : تسوسني . [١٣] مهلكة .
[١٤] مسطرة وغفران .

٤ — مقال مرثد الخير

فَقَالَ الْمَلِكُ : « لَا تُنْشِطُوا ^(١) عَقْلَ الشَّوَارِدِ ، وَلَا تُلْقِحُوا الْعُونَ الْقَوَاعِدَ ^(٢) ، وَلَا تُورِّثُوا ^(٣) نِيرَانَ الْأَحْقَادِ ، فَفِيهَا الْمَتْلَفَةُ الْمُسْتَاصِلَةُ ، وَالْجَائِحَةُ ^(٤) وَالْأَلِيلَةُ ^(٥) ، وَعَفَّوْا بِالْحِلْمِ ، أَبْلَادَ ^(٦) الْكَلَمِ ، وَأَنْبِئُوا إِلَى السَّبِيلِ الْأَرْشَدِ ، وَالْمَنْهَجِ الْأَقْصَدِ ، فَإِنَّ الْحَرْبَ تُقْبَلُ بِزَبْرِجٍ ^(٧) الْغُرُورِ ، وَتُدْبَرُ بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ ، ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ :

أَلَا هَلْ أَتَى الْأَقْوَامَ بِذُلَى نَصِيحَةٍ
وَقُلْتُ أَعْلَمَا أَنَّ التَّدَابُرَ غَادَرْتُ
فَلَا تَقْدَحَا زَنْدَ الْمُقْوِقِ وَأَبْقِيَا
وَلَا تَجْنِيَا حَرَبَا تَجْرُ عَلَيْهِمَا
فَإِنَّ جُنَاةَ الْحَرْبِ لِلْحَيْنِ عُرْضَةٌ
حَذَارِ ، فَلَا تَسْتَنْبِثُوهَا ، فَإِنِهَا
فَقَالَا : لَا ، أَيُّهَا الْمَلِكُ . بَلْ نَقْبَلُ نُصْحَكَ ، وَنُطِيعُ أَمْرَكَ ، وَنُطْفِئُ النَّائِرَةَ ^(٨)
وَنَحُلُّ الصُّغَائِنَ ، وَنَثُوبُ إِلَى السَّلَامِ .
(الامالى ١ : ٩٢)

[١] شط العقدة عقدها ، وأنشطها حاما ، والعقل ككثف جمع عقال ، وهو الحل .
[٢] هو مثل ، وأصله في الإيل ، يقال : لقيت الناقة إذا حملت ، وألفحها الفحل ، ثم ضرب ذلك مثلا للحرب إذا ابتدأت ، والعون جمع عون ، وهو الثيب . يقال للحرب عون إذا كان قد قوتل فيها مرة بعد مرة .
[٣] تدكوا . [٤] الاستئصال . [٥] الشكل . [٦] الأبلاد : الآثار ، جمع بلد (كالدويع جمع ندب) . [٧] السحاب الذى تفره الريح . [٨] النابذ . [٩] تفوتهم : تسقيهم الفواق (وهو ما بين الحلبتين) والدعاف : السم أو سم ساعة (وسم ذعاف) والمقشم : المخلوط .
[١٠] هو مثل ، أى لا تخرجوا نبيتها ، وهو ما يخرج من البئر إذا حفرته : يريد لا تثيروا الحرب . وهكشما : مقطوعاً . [١١] العداوة والشقاء .

٥ - طريف بن العاصي والحرث بن ذبيان يتفاخران عند بعض مقاول حمير

اجتمع طريف بن العاصي الدوسي ، والحرث بن ذبيان (وهو أحد المعمرين) عند بعض مقاول ^(١) حمير ، فتفاخرا . فقال الملك للحرث : يا حرث ، ألا تخبرني بالسبب الذي أخرجكم عن قومكم حتى لحقتم بالنمر بن عثمان ؟ فقال : أخبرك أيها الملك . خرج هجينان ^(٢) منا يرعيان غنما لهما ، فتشاولا ^(٣) بسيفيهما ، فأصاب صاحبهم عقب صاحبا ، فعاث ^(٤) فيه السيف ، فنزف ، ^(٥) فمات ، فسألونا أخذ دية صاحبا دية الهجين ، وهي نصف دية الصريح ^(٦) ، فأبى قومي ، وكان لنا ربالة ^(٧) عليهم ، فأيننا إلا دية الصريح ، وأبوا إلا دية الهجين ، فكان أسم هجيننا ذهين بن زبراء ، وأسم صاحبهم عنقش بن مهيضة ، وهي سوداء أيضا ^(٨) ، فتفاقم الأمر بين الحيين ، فقال رجل منا :

خُلو منكم يا قوم لا تُعزِبُنَّهَا ولا تقطعوا أرحامكم بالتدابير ^(٩)
وأدُّوا إلى الأquam عقل ابن عمهم ولا تُرهقوهم سبّة في العشار ^(١٠)
فإن ابن زبراء الذي فاذ لم يكن بدون خليف أو أسيد بن جابر ^(١١)
فإن لم تُعاطوا الحق فالسيف بيننا وبينكم ، والسيف أجور جائر

[١] جمع مقول ، والقول والقليل هو الذي دون الملك الأعظم . [٢] الهجين : عربي ولد من أمة ، أو من أبوه خير من أمه (والمقرب : الذي أمه عربية ، وأبوه ليس بعربي) .
[٣] تضاربا . [٤] أصد . [٥] نزف الرجل إذا سال دمه حتى يصعب . [٦] الصريح الحالمس النسب . [٧] زيادة . [٨] كذا في الأصل ، ولم يتقدم الحكم على شيء بالسواد ، ولعل الأصل : « ذهين بن زبراء وهي سوداء » . [٩] لا تبعدها - وأعرب بعد وأبعد . [١٠] العقل : الدية ، يقال : عقلت فلانا إذا غرمت دينه ، وعقلت عن فلان إذا غرمت عنه دية جبايته . وأرهقته عسرا : كاذبه ذلك . [١١] فاذ يفرد : طات (وفاد يفيد : تبخر) .

تتظافروا^(١) علينا حسداً ، فأجمع ذوو الحِجْجِي منا أن نلحق بأمنع بطن من الأزد ،
لحقنا بالنعم بن عثمان ، فوالله ما فت^(٢) في أعضادنا ، فأبنا عنهم ، ولقد أثارنا^(٣)
ساحبتنا وهم راغمون .

فوثب طريف بن العاصي من مجلسه ، فجلس بإزاء الحرث ، ثم قال :
تالله ما سمعتُ كالיום قولاً أبعد من صواب ، ولا أقرب من خطل^(٤) ،
ولا أجلب اقذع^(٥) ، من قول هذا ؛ والله أيها الملك ما قتلوا بهجيتهم بدجاً^(٦) ، ولا
رقوا به درجاً ، ولا أنطوا^(٧) به عقلاً ، ولا أجتفثوا^(٨) به خشلاً^(٩) ، ولقد
أخرجهم الخوف عن أصلهم ، وأجلاهم عن محلهم ، حتى أستلوا خشونة الإزعاج ،
ولجئوا إلى أضيق الولا^(١٠)ج : فلا وذلاً .

فقال الحرث : أسمع يا طريف ، إني والله ما إخالك كافاً غريب^(١١) لسانك ،
ولا مُنهنها^(١٢) شيرة نروانك ، حتى أسطوبك سَطوَة تكف طماحك ، وترد
جياحك ، وتكبت تترعك^(١٣) ، وتقمع تسرعك .

فقال طريف : مهلاً يا حارث ، لا تعرض لطخمة^(١٤) استناني ، وذرب^(١٥)
سناني ، وغرب شباني ، وميسم^(١٦) سباني ، فتكون كالأظل^(١٧) الموطوء ،
والعجب الموجه^(١٨) .

[١] تظافروا . [٢] أذهن وأضعف . [٣] أثارت : أدركت منه تأري (وأصله اثتأر) . [٤] خطأ .
[٥] الكلام المبيح ، أقذع له إذا أسمعته كلاماً قبيحاً . [٦] البذج : الحروف ، فارسي . [٧] لمة في أعطوا . [٨] صرعوا . [٩] الحشل : شجر المقل (الدوم) وهذه أمثال كلها ، يريد
أنهم لم يثأروا تأره . [١٠] الولا^(١٠)ج الباب ، وجمعه الولج ، وهي أيضاً الواصي والأزقة . [١١] غريب الشيء حده .
[١٢] نهته عن الأمر فنهته كفه وزجره مكف ، والشيرة : الحدة ، والنزوان : الوثوب . [١٣] الترسخ
إلى الشر . [١٤] طخمة السيل دفته ، واستنّ الفرس قس وعدا لمرجه ونشاطه شوطاً أو شوطين ،
والاستنان النشاط ، استنّ الفرس حري في نشاطه على سننه في جهة واحدة . [١٥] الذرب الحدة ،
وكذا العرب . [١٦] المكواة . [١٧] الأظل : أسفل حف العير . [١٨] العجب : أصل الذنب
والموجه المدفوق (من وجأ النيس : دق عروق خصبيه بين حجرين ولم يخرجهما ، شبيهاً بالحصاء) .

فقال الحارث: إياي تخاطب بمثل هذا القول؟ فوالله لو وطئت لك لأسختك^(١)، ولو وهصت^(٢) لك لأوهطت^(٣)، ولو نفخت^(٤) لك لأفدتك .

فقال طريف متمثلاً :

وَإِنْ كَلَامَ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ لَسَكَ النَّبْلُ تَهْوِي لَيْسَ فِيهَا نِصَالُهَا
أَمَّا وَالْأَصْنَامُ الْمُحْجُوبَةُ ، وَالْأَنْصَابُ^(٥) الْمَنْصُوبَةُ ، لَنْ لَمْ تَرْبِعْ عَلَى ظَلَمِكَ^(٦) ،
وَتَقِفْ عِنْدَ قَدْرِكَ ، لَأَدْعَنَّ حَزَنَكَ سَهْلاً ، وَغَمْرَكَ ضَحْلاً^(٧) ، وَصَفَاكَ^(٨) وَحْلاً .
فقال الحارث : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ رُمْتُ ذَلِكَ لَمُرُغْتَ بِالْحَضِيضِ^(٩) ، وَأَغْصِضْتَ^(١٠)
بِالْجَرِيضِ^(١١) ، وَضَاقَتْ عَلَيْكَ الرَّحَابُ ، وَتَقَطَّعَتْ بِكَ الْأَسْبَابُ ، وَلَأَلْقَيْتَ^(١٢)
لَتَى^(١٣) تَهَادَاهُ الرِّوَامِسُ^(١٤) ، بِالسَّهْمِ الطَّامِسِ .^(١٥)

فقال طريف : دون ما ناجت^(١٦)ك به نفسك ، مُقَارَعَةً أَبْطَالَ ، وَحِيَاضُ^(١٧)
أَهْوَالَ ، وَحَفْزَةً^(١٨) إِنْجَمَالَ ، يُنَمِّعُ مَعَهُ تَطَامُنُ الْإِمْهَالِ .
فقال الملك : إِيهًا^(١٩) عنكما ، فما رأيت كاليوم مقال رجلين لم يَقْصِبَا^(٢٠) ،
وَلَمْ يَشْلُبَا^(٢١) ، وَلَمْ يَلْمُصُوا^(٢٢) ، وَلَمْ يَقْفُوا^(٢٣) . (الأمالي ١ : ٧٣)

[١] أساخه : جعله يسبح (أو يسوخ في الأرض) أي يفوس . [٢] كسرتك .
[٣] صرعاك صرعة لا تقوم منها . [٤] نفحه بسيفه : تناوله . [٥] الأنصاب : حجارة كانت
حول السكبة تنصب فيهل عليها ويذبح لغير الله تعالى ، وقيل الأنصاب حجارة نصبت وعبدت من دون الله
جمع نصب ، وقيل النصب جمع نصاب . [٦] ربع يربع : كف ، وظلع ظلماً غمز في مشيه ، واربع على
ظلمك أي إلك ضعيف فاته هما لا تطيقه وكف . [٧] الفمر : الماء الكثير ، والصحل : الماء القليل
(وكذا الضحاح) . [٨] الصفا جمع : صفاة وهي الحجر الصلد الضخم أو الصفا بمعنى الصفو .
[٩] أسفل الجبل . [١٠] الجريض : الفصصة من الجرض ، وهو الريق ينفس به يقال جرض بريقه
يجرض اشله بالجهد على هم وحزن ، وفي المثل : حال الجريض دون القريس ، يضرب للأمر يقدر عليه أخيراً
حين لا ينفع . قاله جوشن الكلابي حين منعه أبوه من الشمر ففرض حزناً حتى أشرف ، فرق له وقال
انطق بما أحببت ، فقال ذلك . [١١] اللقي : الملقى المطروح . [١٢] الروامس : الرياح التي ترمس
أي تدفن . [١٣] المستوى من الأرض ، والطامس : الدارس (كالطاسم) . [١٤] الحفر : الدفع .
[١٥] إيهًا : كلمة زجر بمعنى حسبك (وإيه . أمر . كلمة استزادة واستنطاق) . [١٦] لم يشتما .
قصبه يقصبه إذا وقع فيه وأصله القطع . [١٧] ثلبه : طابه . [١٨] لصاه : قذفه . [١٩] قماه :
قذفه بأمر عظيم .

٦ — منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين

لَمَّا أَسَنَّ أَبُو بَرَاءَ : عامر بن مالك بن جعفر بن مُلَاعِبِ الْأَسِنَّةِ ، تنازع في
الرِّياسة عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر ، وَعَلَقْمَةُ بْنُ عَلَاثَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ
الْأَحْوَصِ بْنِ جَعْفَرٍ .

فَقَالَ عَلَقْمَةُ : كَانَتْ لَجْدَى الْأَحْوَصِ ، وَإِنَّمَا صَارَتْ لِعَمِكَ بِسَبَبِهِ ، وَقَدْ
قَعَدَ عَمِكَ عَنْهَا ، وَأَنَا اسْتَرْجَعْتُهَا ، فَأَنَا أَوْلَى بِهَا مِنْكَ ، فَشَرِيَّ ^(١) الشَّرُّ بَيْنَهُمَا ،
وَمَسَارًا إِلَى الْمَنَافَرَةِ . فَقَالَ عَلَقْمَةُ : إِنْ شِئْتَ نَافَرْتُكَ ، فَقَالَ عَامِرٌ قَدْ شِئْتُ .
وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَكْرُمُ مِنْكَ حَسَبًا ^(٢) ، وَأُثْبِتُ مِنْكَ نَسَبًا ، وَأُطَوِّلُ مِنْكَ قَصَبًا ^(٣) .
فَقَالَ عَلَقْمَةُ : وَاللَّهِ لَا أَنَا خَيْرُ مِنْكَ لَيْلًا وَنَهَارًا ، فَقَالَ عَامِرٌ : وَاللَّهِ لَا أَنَا أَحَبُّ
إِلَى نِسَائِكَ أَنْ أَصْبِحَ فِيهِنَّ مِنْكَ ، أَنَا أَنْحَرُ مِنْكَ لِلْقَاحِ ^(٤) ، وَخَيْرُ مِنْكَ فِي
الصَّبَاحِ ، وَأَطْعَمُ مِنْكَ فِي السَّنَةِ الشَّيَاحَ ^(٥) .

فَقَالَ عَلَقْمَةُ : أَنَا خَيْرُ مِنْكَ أَثَرًا ، وَأَحَدُ مِنْكَ بَصَرًا ، وَأَعَزُّ مِنْكَ نَفَرًا ،
وَأَشْرَفُ مِنْكَ ذِكْرًا . فَقَالَ عَامِرٌ : لَيْسَ لِبَنِي الْأَحْوَصِ فَضْلٌ عَلَى بَنِي مَالِكٍ فِي
الْعَدَدِ ، وَبَصَرِي نَاقِصٌ ، وَبَصْرُكَ صَحِيحٌ ، وَلَكِنِّي أَنَا فَرَكْتُ ، إِنِّي أَسْمَى مِنْكَ
سُمَّةً ^(٦) ، وَأُطَوِّلُ مِنْكَ قِمَّةً ، وَأَحْسَنُ مِنْكَ لِمَةً ^(٧) ، وَأَجْعَدُ مِنْكَ مُجَّةً ^(٨) ،

[١] استطار . [٢] الحسب : ما تده من مفاخر آبائك ، أو الشرف الثابت في الآباء أو الكرم
أو الشرف في الفعل أو الفعل الصالح . [٣] القصب : عظام اليدين والرجلين ونحوهما كناية عن طول
قامته . [٤] الابل : واحدتها لقوح . [٥] الشياح : القعط . [٦] السمة : القرابة ،
ويروى أنا أشرف منك أمة ، أى أكثر قوما . [٧] اللمة : للشعر الخاوز شحمة الأذن .
[٨] مجتع شعر الرأس

وَأَسْرَعُ مِنْكَ رَحْمَةً ، وَأَبْعَدُ مِنْكَ هِمَّةً . فَقَالَ عُلْقَمَةُ : أَنْتَ رَجُلٌ جَسِيمٌ ، وَأَنَا رَجُلٌ قَضِيفٌ ^(١) ، وَأَنْتَ جَمِيلٌ ، وَأَنَا قَبِيحٌ ، وَلَكِنِّي أَنَا فَرَكُ بَابَائِي وَأَعْمَامِي . فَقَالَ عَامِرُ : أَبَاؤُكَ أَعْمَامِي ، وَلَمْ أَكُنْ لِأَنَا فَرَكُ بِهِمْ ، وَلَكِنِّي أَنَا فَرَكُ ، أَنَا خَيْرٌ مِنْكَ عَقَبًا ، وَأَطْعَمُ مِنْكَ جَدًّا . فَقَالَ عُلْقَمَةُ : قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ لَكَ عَقَبًا ، وَقَدْ أَطْعَمْتَ طَيْبًا ، وَلَكِنِّي أَنَا فَرَكُ ، إِنِّي خَيْرٌ مِنْكَ ، وَأُولَى بِالْخَيْرَاتِ مِنْكَ .

فَخَرَجَتْ أُمُّ عَامِرٍ - وَكَانَتْ تَسْمَعُ كَلَامَهُمَا - فَقَالَتْ : يَا عَامِرُ نَافِرُهُ ، أَيَكُمَا أُولَى بِالْخَيْرَاتِ . قَالَ عَامِرُ : إِنِّي وَاللَّهِ لَأَرْكَبُ مِنْكَ فِي الْحُمَاةِ ، وَأَقْتُلُ مِنْكَ لِلْحُمَاةِ ^(٢) ، وَخَيْرٌ مِنْكَ لِلْمَوَالِي وَالْمَوْلَاةِ . فَقَالَ لَهُ عُلْقَمَةُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَكَبَرٌ ، وَإِنَّكَ لَفَاجِرٌ ، وَإِنِّي لَوْلَدٌ ، وَإِنَّكَ لِعَاقِرٌ ^(٣) ، وَإِنِّي لَعَفٌّ ، وَإِنَّكَ لِعَاهِرٌ ، وَإِنِّي لَوَفِيٌّ ، وَإِنَّكَ لِعَادِرٌ ، فَقِيمٌ تُفَاخِرُنِي يَا عَامِرُ ؟ فَقَالَ عَامِرُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَنْزَلُ مِنْكَ لِلْقَفَرَةِ ^(٤) ، وَأَنْحَرُ مِنْكَ لِلْبَكْرَةِ ^(٥) ، وَأَطْعَمُ مِنْكَ لِلْهَبْرَةِ ^(٦) ، وَأَطْعَمُ مِنْكَ لِلنُّغْرَةِ . فَقَالَ عُلْقَمَةُ : وَاللَّهِ إِنَّكَ لَكَلِيلُ الْبَصَرِ ، نَسَكِدُ النَّظَرَ ، وَثَابُ عَلَى جَارَاتِكَ بِالسَّحَرِ .

فَقَالَ بَنُو خَالِدِ بْنِ جَعْفَرٍ - وَكَانُوا يَدُورُونَ مَعَ بَنِي الْأَحْوَصِ عَلَى بَنِي مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ - لَنْ تُطِيقَ عَامِرًا ، وَلَكِنْ قُلْ لَهُ أَنَا فَرَكُ بِخَيْرِنَا وَأَقْرَبْنَا إِلَى الْخَيْرَاتِ . فَقَالَ لَهُ عُلْقَمَةُ هَذَا الْقَوْلُ ، فَقَالَ عَامِرُ : عَيْرٌ ^(٧) وَتَيْسٌ ، وَتَيْسٌ وَعَيْرٌ . فَذَهَبَتْ مِنْهَا . نَعَمْ ، عَلَى مِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ إِلَى مِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ يُعْطَاهَا الْحَكَمَ ، أَيُّنَا نَقَرُ

[١] نحيف من القطف ، وهو النحافة . [٢] جمع كمي ، وهو الشجاع . [٣] رجل عامر لم يولد له ولد . [٤] القفرة : القفر . الحلاء من الأرض . [٥] البكرة : الفتية من الإبل . [٦] الهبرة : قطعة مجتمعة من اللحم . هبرة قطعة قطعاً كباراً ، وهبر له من اللحم هبرة قطع قطعاً . [٧] العير : الحمار وغلب على الوحشي ، وهو أقوى من التيس ، أي مثلي وإياك كالعير والتيس ، أر على الأقل كالتييس والعنز إذ التيس أقوى على النطاح من العنز ، وفي المثل : « كان عنزا فاستتبس » أي صار نهسا . يضرب للذليل الضعيف بصير عزيزاً توباً .

عليه صاحبه أخرجهما ، ففعلوا ذلك ، ووضعوا بها رهنًا من أبنائهم على يدى رجل يُقال له خزيمة بن عمرو بن الوحيد ، فسمى « الضمين » .

وخرج علقمة ومن معه من بنى خالد ، وخرج عامر فيمن معه من بنى مالك ، وجعلوا منافرتهم إلى أبى سفيان بن حرب بن أمية ، فلم يقل بينهما شيئًا ، وكره ذلك لهما وحال عشيرتهما ، وقال أتما كركبتى البعير الأذرم^(١) ، قالاً : فأينا اليمين ؟ قال كلا كما عين ، وأبى أن يقضى بينهما . فانطلقا إلى أبى جهل بن هشام فأبى أن يحكم بينهما - وقد كانت العرب تنحاز إلى قريش - فأتيا عيينة بن حصن بن حذيفة ، فأبى أن يقول بينهما شيئًا ، فأتيا غيلان بن سلمة الثقفى ، فردّهما إلى حرمة بن الأشعر المرمى ، فردّهما إلى هرم بن قطبة بن سنان الفزارى ، فانطلقا حتى نزلا به ، وقد ساقا الإبل معهما حتى أشدت وأربعت ، لا يأتیان أحداً إلا هاب أن يقضى بينهما ، فقال هرم : لعمرى لأحكم بينكما ثم لأفصلن ، فأعطيانى موثقاً أطمئن إليه أن ترضيا بما أقول ، وتسلما لما قضيت بينكما ، وأمرهما بالانصراف ، ووعدهما ذلك اليوم من قابل ، فانصرفا ، حتى إذا بلغ الأجل خرجا إليه ، وأقام القوم عنده أياماً .

فأرسل هرم إلى عامر فأتاه سرّاً لا يعلم به علقمة ، فقال يا عامر : قد كنت أرى لك رأياً ، وأن فىك خيراً ، وما حبستك هذه الأيام إلا لتصرف عن صاحبك ، أتنافر رجلاً لا تفخر أنت وقومك إلا بأبائه ! فما الذى أنت به خير منه ؟ فقال عامر : نشدتك الله والرحم أن لا تفضل على علقمة ، فوالله لئن

[١] درم المظم : واره اللحم حتى لم ين له حجم ، وامرأة درماه لانسبين كموبها ومرافقها ، وكل ماغطاء اللحم واللحم وخى حجمه فند درم .

فعلت لا أقْلِحُ بعدها أبداً . هذه ناصيتي فاجزُزها واحتكم في مالي ، فإن كنت لا بد فاعلا ، فسوّ بيني وبينه ، قال : انصرف ، فسوف أرى رأيي . فخرج عامر وهو لا يشك أنه ينقره ^(١) عليه ، ثم أرسل إلى علقمة سرّاً لا يعلم به عامر ، فأتاه ، وقال له مثل ما قال لعامر ، فرد عليه علقمة بما رد به عامر ، وانصرف وهو لا يشك أنه سيفضّل عليه عامراً . ثم إن هرما أرسل إلى بنيه وبنى أبيه : إني قائل غداً بين هذين الرجلين مقالة ، فإذا فعلت فليطرد بعضكم عشرين جزائر ، فلينجرها عن علقمة ، ويطرد بعضكم عشرين جزائر ، ينجرها عن عامر ، وفرقوا بين الناس لا تكون لهم جماعة ، وأصبح هرم فجلس مجلسه ، وأقبل الناس ، وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا ، فقام هرم فقال : يا بني جعفر ، قد تحاكمتما عندي ، وأنتما كركبتا البعير الأدرم : تقمان إلى الأرض معا ، وليس فيكما أحد إلا وفيه ماليس في صاحبه ، وكلاكما سيد كريم ، وعمد بنو هرم وبنو أخيه إلى تلك الجزر ، فنحروها حيث أمرهم هرم ، وفرقوا الناس ، ولم يفضل هرم أحداً منهما على صاحبه ، وكره أن يفعل ، وهما ابنا عم ، فيجلب بذلك عداوة ، ويوقع بين الحيين شرا .

(الأعاني ١٥ : ٥١ ، وصح الأعشى ١ : ٣٨٢ ، وشرح الديون ١٠٦ ، والعمدة ١ : ٢٨)

أشراف العرب بين يدي كسرى

قال كسرى ^(٢) للنعمان بن المنذر يوماً : هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة ؟ قال نعم ، قال فبأي شيء ؟ قال من كانت له ثلاثة آباء متواليّة رؤساء ، ثم انصل ذلك بكامل الرابع ، فالبيت من قبيلته فيه ، ويدنس إليه ، قال فاطلب ذلك ، فطلبه فلم يصبه إلا في آل حذيفة ابن بدر ، وآل حاجب بن زُرارة ، وآل ذي الجدين ، وآل الأشعث بن قيس بن كندة ،

[١] أنقره عليه ونقره عليه : قضى له عليه بالعلبة .

[٢] • وكسرى أبو شروان حكم من سنة ٥٣١ إلى ٥٧٨ ميلادية .

فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائهم ، وأُتِقد لهم الحكم والعدول ، وقال : ليتكلم كل منكم بماثر قومه وليصدق ، فكان حذيفة بن بدر الفزاري أول متكلم ، وكان السن القوم ، فقال :

٧ - مقال حذيفة بن بدر الفزاري

« قد علمت العرب أن فينا الشرف الأقدم ، والأعز الأعظم ، ومأثرة^(١) للصنيع الأكرم ، فقال من حواه : ولم ذاك يا أخا فزارة ؟ فقال : ألسنا الدعائم التي لا ترام ، والعز الذي لا يضام ، قيل صدقت ، ثم قام شاعرهم فقال :

فَزَارَةُ بَيْتِ الْعِزِّ ، وَالْعِزُّ فِيهِمْ	فَزَارَةُ قَيْسٍ ، حَسْبُ قَيْسٍ نِضَالُهَا
لَهَا الْعِزَّةُ الْقَعَسَاءُ وَالْحَسْبُ الَّذِي	بَنَاهُ لِقَيْسٍ فِي الْقَدِيمِ رِجَالُهَا
فَهِيَّاتٍ قَدْ أَعْيَا الْقُرُونُ الَّتِي مَضَتْ	مَآثِرُ قَيْسٍ مَجْدُهَا وَفَعَالُهَا
وَهَلْ أَحَدٌ إِنْ هَزَّ يَوْمًا بِكَفِّهِ	إِلَى الشَّمْسِ فِي مَجْرَى النُّجُومِ يَنَالُهَا
فَإِنْ يَصْنُحُوا يَصْلُحْ لِذَلِكَ جَمِيعُهَا	وَإِنْ يَفْسُدُوا يَفْسُدْ مِنَ النَّاسِ حَالُهَا

٨ - مقال الأشعث الكندي

ثم قام الأشعث الكندي - وإنما أذن له أن يقوم قبل ربيعة وتميم لقربته من النعمان بن المنذر - فقال : قد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر ، وزحفها الأكبر ، وإنا أغنياء الكرمات ، ومعبدن المكرمات ، قالوا : ولم يا أخا كندة ؟ قال : لأننا ورثنا ملك كندة ، فاستظللنا بأفيائه^(٢) ، وأتقلدنا منكبيه الأعظم ، وتوسطننا بمحبوحيه الأكرم ، ثم قام شاعرهم فقال :

إِذَا قَسَتْ أَيْبَاتُ الرِّجَالِ بَيْتِنَا وَجَدْتَ لَنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ يَفَاخِرُ

[١] المأثرة بالفتح والضم : المكربة المتوارثة . [٢] جمع في ، وهو ما كان شمساً ويندعه الظل .

فَنَ قَالَ كَلَّا ، أَوْ أَتَانَا بِمُخْطَئَةٍ يُنَافِرُنَا فِيهَا فَتَحَنُّ نَخَاطِرُ
تَعَالَوْا قَفُّوا كَيْ يَعْلَمَ النَّاسُ أَيُّنَا لَهُ الْفَضْلُ فِيمَا أَوْرَثَهُ الْأَكْبَرُ

٩ - مقال بسطام الشيباني

ثُمَّ قَامَ بِسُطَّامُ الشَّيْبَانِيُّ ، فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتَ الْعَرَبُ أَنَا بِنَاءُ بَيْتِهَا الَّذِي
لَا يَزُولُ ، وَمَنْعَرِسُ عِزِّهَا الَّذِي لَا يَحُولُ ، قَالُوا وَلَمْ يَأْخُشِ شَيْبَانٌ ؟ قَالَ لِأَنَا
أَذْرَكُهُمْ لِلثَّارِ ، وَأَضْرِبُهُمْ لِلْمَلِكِ الْجَبَّارِ ، وَأَفُومُهُمْ لِلْحَكَمِ ، وَالذُّهُمُ لِلْخَجِيمِ ،
ثُمَّ قَامَ شَاعِرُهُمْ ، فَقَالَ :

لَعَمْرِي بِسُطَّامٍ أَحَقُّ بِفَضْلِهَا	وَأَوَّلُ بَيْتِ الْمَنْزَرِ عِزُّ الْقَبَائِلِ
فَسَائِلُ - أُبَيْتِ اللَّعْنِ - عَنْ عِزِّ قَوْمِهَا	إِذَا جَدَّ يَوْمَ الْفَخْرِ كُلُّ مُنَاقِلِ ^(١)
أَلَسْنَا أَعَزَّ النَّاسِ قَوْمًا وَنُصْرَةً	وَأَضْرِبُهُمْ لِلْكَبْشِ بَيْنَ الْقَبَائِلِ ^(٢)
وَقَائِعُ غُرٍّ كُلُّهَا رَبْعِيَّةٌ	تَذِلُّ لَهَا عِزًّا رِقَابُ الْمَحَافِلِ
إِذَا ذُكِرَتْ لَمْ يَنْكُرِ النَّاسُ فَضْلَهَا	وَعَادَ بِهَا مِنْ شَرِّهَا كُلُّ وَائِلِ ^(٣)
وَلِإِنَّا مُلُوكُ النَّاسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ	إِذَا نَزَلَتْ بِالنَّاسِ إِحْدَى الزَّلَازِلِ

١٠ - مقال حاجب بن زرارة

ثُمَّ قَامَ حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ التَّمِيمِيُّ ، فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتَ مَعَدُّ أَنَا فِرْعَ^(٤) دِعَامَتِهَا ،
وَقَادَةُ رَحْفَتِهَا ، قَالُوا : وَلَمْ ذَاكَ يَا أَخَا بَنِي تَمِيمٍ ، قَالَ : لِأَنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ عَدِيدًا ،
وَأَنْجَبُهُمْ طُرًّا وَلَيْسِدًا ، وَأَنَا أَعْطَاهُمُ لِلْجَزِيلِ ، وَأَتَحَمَّلُهُمْ لِلنَّقِيلِ ، ثُمَّ قَامَ
شَاعِرُهُمْ ، فَقَالَ :

[١] أُبَيْتِ اللَّعْنِ : تَحِيَّةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، أَيْ أُبَيْتُ أَنْ تَأْتِيَ أَمْرًا تَلْعَنُ عَلَيْهِ . وَالْمُنَاقِلَةُ وَالْمُنَاقِلُ : أَنْ تَحْدُثَ
آخِرُ وَيَحْدُثُكَ . [٢] الْكَبْشُ : سَيِّدُ الْقَوْمِ وَفَائِدُهُمْ . [٣] لَاجِيءٌ ، مَنْ وَأَلَّ لِيَالِيَهُ يَذِلُّ وَأَلَّا .
[٤] فِرْعَ كُلِّ شَيْءٍ : أَعْلَاهُ .

لقد علمت أبناء خندف أننا لنا العز قديما في الخطوب الأوائل ^(١)
 وأنا كرام أهل مجد وثروة وعز قديم ليس بالمتضائل
 فكم فيهم من سيد وابن سيد أغر نجيب ذى فعال ونائل ^(٢)
 فسائل (أيتت اللعن) عنا فانا دعائم هذا الناس عند الجلائل ^(٣)

١١ — مقال قيس بن عاصم السعدى

ثم قام قيس بن عاصم السعدى ، فقال : لقد علم هؤلاء أنا أرفعهم فى
 المكرمات دعائم ، وأثبتهم فى النائبات مقاديم ، قالوا : ولم ذاك يا أخا بنى سعد ؟
 قال : لأننا أذر كهم للشار ، وأمنعهم للجار ، وأنا لا ننك كل ^(٤) إذا حملنا ،
 ولا نرام إذا حملنا ، ثم قام شاعرهم فقال :

لقد علمت قيس وخندف أننا وجل تميم والجميع الذى ترى ^(٥)
 بأننا حماد فى الأمور وأنا الشرف الضخم المراكب فى الندى
 وأنا ليوث الناس فى كل مأزق إذا جز بالبيض الجماجم والطلا ^(٦)
 فن ذا يوم الفخر يعدل عاصما وقيسا إذا مرت ألوف إلى العلا
 فهيهات قد أعياء الجميع فمالهم وقاءوا يوم الفخر مسعاة من سعى
 فقال كسرى حينئذ : ليس منهم إلا سيد يصلح لموضعه ، وأسنى حياءهم ،
 وأعظم صلاتهم ، وكرم ما بهم .
 (صح الأعرشى ١ : ٣٧٧)

[١] خندف : هو أم مدركة وطابخة وقعة أبناء الياس بن مصر بن تزار بن معد بن عدنان .

[٢] الاعمال : اسم الفعل الحسن ، والكرم . [٣] أى الأمور الجلائل جمع جليلة .

[٤] لا تكس ولا نجين . [٥] قيس بن صيلان بن مصر . [٦] الطلا : جمع طليعة ،

وهى العنق .

وفود العرب على كسرى

قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين ، فذكروا من ملوكهم وبلادهم ، فافتخر النعمان بالعرب ، وفضلهم على جميع الأمم ، لا يستثنى فارس ولا غيرها ، فقال كسرى - وأخذته عزّة الملك - يا نعمان ، لقد فكرت في أمر العرب وغيرهم من الأمم ، ونظرت في حالة من يقدّم على من وفود الأمم ، فوجدت للروم حظاً في اجتماع ألفتها ، وعظم سلطانها ، وكثرة مدائنها ، ووثيق بنيائها ، وأن لها ديناً يبين حلالها وحرامها ، ويردّ سفهيها ، ويقيم جاهلها ، ورأيت الهند نخوا من ذلك في حكمتها وطبها ، مع كثرة أنهار بلادها وثمارها ، وعجيب صناعتها ، وطيب أسجارها ، ودقيق حسابها ، وكثرة عددها ، وكذلك الصين في اجتماعها ، وكثرة صناعات أيديها ، وفروسياتها وهمتها في آلة الحرب ، وصناعة الحديد ، وأن لها ملوكاً يجمعها ، والترك والخزر على ما بهم من سوء الحال في المعاش ، وقلة الرّيف ^(١) والثمار والحصون ، وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس ، لهم ملوك تضمّ قواصمهم ، وتدبر أمرهم ، ولم أر للعرب شيئاً من خصال الخير في أمر دين ولا دنيا ، ولا حزم ولا قوّة ، ومع أن مما يدلّ على مهانتها وذلتها ، وصفر همتها تحيّلتهم ^(٢) التي هم بها مع الوحوش النافرة ، والطير الحائرة ، يقتلون أولادهم من الفاقة ، ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة ، قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذاتها ، فأفضل طعام ظفّر به ناعمهم لحوم الابل ، التي يعافها كثير من السباع ، لنقائها ، وسوء طعمها ، وخوف دائها ، وإن قرى أحدهم ضيقاً عدّها مكربة ، وإن أطعم أكلة عدّها غنيمة ، تنطق بذلك أشعارهم ، وتفتخر بذلك رجالهم ، ما خلا هذه النوحية التي أسس جدّي اجتماعها ، وشدّ مملكتها ، ومنعها من عدوّها ، فجري لها ذلك إلى يومنا هذا ، وإن لها مع ذلك آثاراً وأبوساً ^(٣) ، وقرى وحصوناً ، وأموراً تشبه بعض أمور الناس - يعني اليمن - ثم لا أراكم تستكينون على ما بكم من الدّلة والقِلّة والفاقة والبؤس حتى تفتخروا وتريدوا أن

[١] الرّيف : أرض فيها زرع وخصب ، والسّعة في المأكل والمشرب . [٢] حل المكان وبه يحل الكسبر والغنم . [٣] الدرع . . .

تنزلوا فوق مراتب الناس ، قال النعمان : أصلح الله الملك . حُقَّ^(١) لأمة الملك منها أن يسمو فضلها ، ويعظم خطبها ، وتعلو درجتها ، إلا أن عندي جواباً في كل ما نطق به الملك ، في غير ردّ عليه ، ولا تكذيب له ، فإن أمتنى من غضبه نطق به ، قال كسرى : قل فأنت آمن .

١٢ — خطبة النعمان بن المنذر

قال النعمان : أما أمتك أيها الملك ، فليست تتنازع في الفضل ، أو وضعها الذي هي به : من عقولها وأحلامها ، وبسطة محلها ، وبجُبُوحَة عزّها ، وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك . وأما الأمم التي ذكرت ، فأى أمة تقرّئها بالعرب إلا فضلتها . قال كسرى بماذا ؟ قال النعمان : بعزّها ، ومنعتها ، وحسن وجوهها ، وبأسها ، وسخائها ، وحكمة أسنتها ، وشدة عقولها ، وأنفتها ، ووفائها . فأما عزّها ومنعتها ، فإنها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوّخوا البلاد ، ووطّدوا الملك ، وقادوا الجند ، لم يطمع فيهم طامع ، ولم ينلهم نائل ، حصونهم ظهور خيلهم ، ومهادهم الأرض ، وسقوفهم السماء ، وجنتهم السيوف ، وعدتهم الصبر ، إذ غيرها من الأمم إنما عزّها الحجارة والطين وجزائر البحور .

وأما حسن وجوهها وألوانها ، فقد يُعرَفُ فضلهم في ذلك على غيرهم : من الهند المنحرفة ، والصين المنحرفة ، والترک المشوّهة ، والروم المقتشّرة .

وأما أنسابها وأحسابها ، فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيراً من أولها ، حتى إن أحدهم ليُسأل عن ورائه أيّه دُنْيَا^(٢) ، فلا ينسبّه ولا يعرفه ، وليس أحد من العرب إلا يسمى آباءه أبا فاباً ، حاطوا بذلك

[١] حق لك أن تفعل كذا وحققت أن تفعله بمعنى . [٢] هو ابن عمي دياً بضم الدال وكسرهما مع الذوين ، وكسرهما لا توين : أى لما .

أَحْسَابَهُمْ ، وَحَفِظُوا بِهِ أَنْسَابَهُمْ ، فَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ فِي غَيْرِ قَوْمِهِ ، وَلَا يَنْتَسِبُ إِلَى غَيْرِ نَسَبِهِ ، وَلَا يُدْعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ .

وَأَمَّا سَخَاؤُهَا ، فَإِنْ أَدْنَاهُمْ رَجُلًا ، الَّذِي تَكُونُ عِنْدَهُ الْبَكْرَةُ وَالثَّابُ^(١) ، عَلَيْهَا بَلَاغُهُ^(٢) فِي حُمُولِهِ^(٣) وَشَبَعِهِ وَرِيَّةٍ ، فَيَطْرُقُهُ الطَّارِقُ ، الَّذِي يَكْتَفِي بِالْفِلْذَةِ^(٤) ، وَيَحْتَزِي بِالشَّرْبَةِ ، فَيَعْقِرُهَا لَهُ ، وَيَرْضَى أَنْ يَخْرُجَ عَنْ دُنْيَاهُ كُلِّهَا فِيمَا يَكْسِبُهُ حَسَنُ الْأُحْدُوثَةِ وَطِيبُ الذِّكْرِ .

وَأَمَّا حِكْمَةُ أَلْسِنَتِهِمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَاهُمْ فِي أَشْعَارِهِمْ وَرَوْنَقِ كَلَامِهِمْ ، وَحَسَنَهُ وَوزَنَهُ وَقَوَافِيهِ ، مَعَ مَعْرِفَتِهِمُ الْأَشْيَاءَ ، وَضَرْبِهِمُ لِلْأَمْثَالِ ، وَإِبْلَاغِهِمْ فِي الصِّفَاتِ ، مَا لَيْسَ لَشَيْءٍ مِنَ أَلْسِنَةِ الْأَجْنَاسِ ، ثُمَّ خِيَلَهُمْ أَفْضَلُ الْخَيْلِ ، وَنَسَاؤُهُمْ أَغْفَ النِّسَاءِ ، وَلِبَاسُهُمْ أَفْضَلُ اللَّبَاسِ ، وَمَعَادِنُهُمُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ ، وَحَجَارَةُ جِبَالِهِمُ الْجَزْعُ^(٥) ، وَمَطَايَاهُمُ الَّتِي لَا يَبْلُغُ عَلَى مِثْلِهَا سَفَرٌ ، وَلَا يَقْطَعُ بِمِثْلِهَا بِلَدٌ قَفَرٌ .

وَأَمَّا دِينُهَا وَشَرِيعَتُهَا ، فَإِنَّهُمْ مَتَمَسِكُونَ بِهِ ، حَتَّى يَبْلُغَ أَحَدُهُمْ مِنْ نَسَبِهِ بَيْتَهُ أَنْ لَهُمْ أَشْهَرًا حَرَمًا ، وَبِلَدًا مُحَرَّمًا ، وَبَيْتًا مَحْجُوجًا ، يَنْسُكُونَ فِيهِ مَنَاسِكَهُمْ ، وَيَذْبَحُونَ فِيهِ ذَبَائِحَهُمْ ، فَيَلْقَى الرَّجُلُ قَاتِلَ أَبِيهِ أَوْ أَخِيهِ ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَخْذِ ثَارِهِ ، وَإِدْرَاكِ رَغْمِهِ^(٦) مِنْهُ ، فَيَحْجُزُهُ كَرَمُهُ ، وَيَمْنَعُهُ دِينُهُ عَنْ تَنَاوُلِهِ بِأَذَى .

[١] الناقة : المسنة . [٢] البلاغ : السكمانية . [٣] المول والأحمال جمع حمل . [٤] القطعة

من الشيء . [٥] الجرع ويكسر الحرف ليماني الصبي ، فيه سواد وبياض ، تشبه به العيون . [٦] الدل .

وأما وفاؤها ، فإن أحدهم يَلْحَظُ اللحظة ، وَيُؤَمِّئُ الإيماءة ، فهي وَلَتْ^(١) وعقدة ، لا يَحُلُّهَا إِلَّا خروج نَفْسِهِ ، وإن أحدهم يرفع عوداً من الأرض فيكون رَهْنًا بِدَيْنِهِ ، فَلَا يَغْلُقُ^(٢) رَهْنُهُ ، وَلَا تُخْفَرُ^(٣) ذِمَّتُهُ ، وإن أحدهم ليلبسه أن رجلاً استجار به ، وعسى أن يكون نائياً عن داره ، فيصاب ، فلا يرضى حتى يُفْنِيَ تلك القبيلة التي أصابته ، أو تَفْنِيَ قبيلته ، لما أَخْفَرَ من جواره ، وإنه ليلجأ إليهم المجرم المُخْدِتُ ، من غير معرفة ولا قرابة ، فتكون أنفسهم دون نفسه ، وأموالهم دون ماله .

وأما قولك أيها الملك يَتَذَوَّنْ أولادهم ، فَإِنَّمَا يفعلُه من يفعلُه منهم بالإِناث أنفة من العار ، وَغَيْرَة من الأزواج .

وأما قولك إن أفضل طعامهم لحوم الإبل - عَلَى ما وصفت منها - فما تركوا ما دونها إلا احتقاراً لها ، فَعَمَدُوا إِلَى أَجْلَاهَا وَأَفْضَلَهَا ، فكانت مراكبهم وطعامهم ، مع أنها أَكْثَرُ البهائم شحوماً ، وَأَطْيَبُهَا لحوماً ، وَأَرْقَاهَا ألباناً ، وأقلها غائلة^(٤) ، وأحلاها مَغْضَةً ، وإنه لا شئ من اللُّحْمَانِ يُعَالِجُ مَا يُعَالِجُ به لحمها إلا أَسْتَبَانَ فَضْلُهَا عَلَيْهِ

وأما تحاربهم وأكل بعضهم بعضاً ، وتركهم الانقيادَ لرجل يسوسهم ويجمعهم ، فَإِنَّمَا يفعل ذلك من يفعلُه من الأُمِّ إِذَا أَنْسَتْ من نفسها ضَعْفًا ، وتخوفت شُؤْضَ عَدُوِّهَا إِلَيْهَا بِالزحف ، وإنه إِنَّمَا يكون في المملكة العظيمة أهل بيت واحد ، يُعْرِفُ فَضْلَهُمْ عَلَى سائر غيرهم ، فَيَلْقُونُ إِلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ ،

[١] عهد . [٢] غلق الزمن : استحققه المرتين ، وذلك إِذَا لم يفتك في الوقت المشروط .

[٣] خفر به وأخفزه : نقض عهده وغدره . [٤] شراً :

وينقادون لهم بأزمتههم ، وأما العرب فإن ذلك كثير فيهم ، حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكاً أجمعين ، مع أنفتهم من أداء الخراج والوطث^(١) بالعسف .
وأما اليمن التي وصفها الملك ، فإنما أتى جدّ الملك إليها الذي^(٢) أتاه ، عند غلبة الحبش له ، على ملك مُتْسِقٍ ، وأمر مجتمعة ، فأُتاه مسلوباً طريداً مستصرخاً ، ولولا ما وُتِرَ به من يايه من العرب ، لمال إلى مجال ، ولوجد من يجيد الطعان ، وينغضب للأحرار من غلبة العبيد الأشرار .

فمجب كسرى لما أجابه النعمان به ، وقال : إنك لاهل لموضعك من الرياسة في أهل إقليمك ، ثم كساه من كسوته ، وسرّحه إلى موضعه من الحيرة .
فلما قدم النعمان الحيرة ، وفى نفسه ما فيها مما سمع من كسرى ، من تنقص العرب ، وتهجين^(٣) أمرهم ، بعث إلى أكتّم بن صيّف ، وحاجب بن زُرارة التميميين ، وإلى الحرث بن عباد ، وقيس بن مسعود البكرين ، وإلى خالد ابن جعفر ، وعنقة بن غلانة ، وعامر بن الطفيل العامريين ، وإلى عمرو بن الشريد السلمي ، وعمرو بن معديكرب الزبيدي ، والحارث بن ظالم الماري .
فلما قدموا عليه في الخورنق ، قال لهم : قد عرفتكم هذه الأعاجم ، وقُرب جوار العرب منها ، وقد سمعت من كسرى مقالات ، تخوّفت أن يكون لها غور ، أو يكون إنما أظهرها الأمر أراد أن يتخذ به العرب خوفاً ، كبعض طماطمته^(٤) ، في تأديتهم الخراج إليه^(٥) ، كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله ، فاقصص عليهم مقالات

[١] الوطث : العرب الشديد بالرجل على الأرض . [٢] هو سيف بن ذي يزن . [٣] تبيع واستهجن ، والهجة من الكلام ما يهينه . [٤] رحن طمطم وطمطمى « بكسر الطاءين » وطمطمز « ندمهما » : في لسانه عجمة . [٥] كان الفرس ينفون عرب الحيرة من دفع الأتوة مقابل أن يقوموا بحماهم من كل عارة من نواحيهم .

كسرى ، وما ردّ عليه ، فقالوا: أيها الملك ، وفقك الله ! ما أحسن ما رددت ! وأبلغ ما حججته به ! فرنا بأمرك ، وادعنا إلى ماشئت . قال : إنما أنا رجل منكم ، وإنما ملكت وعزّزت بمكانكم ، وما يتخوّف من ناحيتكم ، وليس شيء أحبّ إلىّ مما سدّد الله به أمركم ، وأصلح به شأنكم ، وأدام به عزّكم ، والرأى أن تسيروا بجماعتكم أيها الرهط ، وتنطلقوا إلى كسرى ، فإذا دخلتم نطق كلّ رجل منكم بما حضره ، ليعلم أن العرب على غير ما ظنّ ، أو حدّثته نفسه . ولا ينطق رجل منكم بما يغضبه ، فإنه ملك عظيم السلطان ، كثير الأعوان ، متّرف ، معجّب بنفسه ، ولا تنخلوا^(١) له انخزال الخاضع الذليل ، وليكن أمرٌ بين ذلك ، تظهر به وثاقة حلومكم ، وفُضْلُ منزلاتكم ، وعظيم أخطاركم ، وليكن أوّل من يبدأ منكم بالكلام أكثم بن صيفي ، ثمّ تتابعوا على الأمر من منازلكم التي وضعتكم بها ، فإنما دعاني إلى التقدمة إليكم ، علمي بميل كلّ رجل منكم إلى التقدم قبل صاحبه ، فلا يكون ذلك منكم ، فيجِدَ في آدابكم مطّعنا ، فإنه ملك متّرف ، وقادر مُسَاط ، ثم دعاهم بما في خزائنه من طرائف حلال الملوك ، كل رجل منهم خلة ، وعمّامة عمامة ، وخِثْمَةٌ يافوّة ، وأمر لكلّ رجل منهم بنجبية مَهْرِيَّة^(٢) وفرس نجبية ، وكتب معهم كتابا : « أما بعد : فإن الملك ألقى إلى من أمر العرب ما قد علم ، وأجبت به بما قد فهم ، مما أحببت أن يكون منه على علم ، ولا يتلجّج في نفسه أن أمة من الأمم انتى احتجرت دونه بمملكته ، وحمّت ما يليها بفضل قوّتها ، تبلغها في شيء من الأمور ، التي يتعزّز بها ذوو الحزم والقوّة والتدبير والمكيدة ، وقد أوفدت أيها

[١] الانخزال : مشية في تناقل . [٢] النجبية : البعير والمرس إذا كانا كرتين عتيقيين ، والمهريّة :

نسبة إلى مهرة بن حيدان ، حتى تنسب إليه الأيل النجبية .

الملك رهطاً من العرب ، لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم ،
فليسمع الملك ، وليغمض عن جفاء إن ظهر من منطقهم ، واكرمني بإكرامهم ،
وتعجيل سراحهم ، وقد نسبتهم في أسفل كتابي هذا إلى عشائهم .

نخرج القوم في أهبتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن ، فدفعوا إليه كتاب
النعمان فقرأه ، وأمر بأنزلهم إلى أن يجلس لهم مجلساً يسمع منهم ، فلما أن كان
بعد ذلك بأيام ، أمر مرازبته ^(١) ووجوه أهل مملكته ، فحضرُوا وجلسوا على
كراسي ، عن يمينه وشماله ، ثم دعا بهم على الأولاد ^(٢) والمراتب التي وصفهم النعمان
بها في كتابه ، وأقام الترجمان ^(٣) أيؤدى إليه كلامهم ، ثم أذن لهم في الكلام .

١٣ — خطبة أكرم بن صيفي

فقام أكرم بن صيفي فقال :

« إن أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها ، وأفضل الملوك أعمها نفعا ،
وخير الأزمنة أخصبها ، وأفضل الخطباء أصدقها ، الصدق منجاة ، والكذب
مهوأة ، والشر حاجة ^(١) ، والحزم مرء كعب صعب ، والعجز مركب وطيء ، آفة
الرأي الهوى ، والعجز مفتاح الفقر ، وخبر الأمور العسير ، حسن الظن ورطه ،
وسوء الظن عسيرة ، إصلاح فساد الرؤية خير من إصلاح فساد الراعي ، من
فسدت بطائفة كان كالغاص بالماء ، شر البلاد بلاد لا أمير بها ، شر الملوك من
خافه البريء ، المرء يعجز ^(٥) لا المَحالة ^(٦) ، أفضل الأولاد البررة ، خير الأعوان

[١] جن موزمان ، بفتح الميم وضم الراء ، هو الرئيس من الفرس . [٢] النناع وانتواي ،
مصدر والى . [٣] ترجان : بفتح الجاء وضم الحيم وضمها وفتحها . [٤] أي أصله اللجاجة ،
وهي تماحك الخصمين وتماديهما . [٥] من باني ضرب وسبع . [٦] المحالة : الخيلة .

من لم يُراء بالنصيحة ، أحق الجنود بالنصر من حَسُنَتْ سريرته ، يكفيك من الزاد ما بَلَغَكَ المَجَلَّ ، حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعُهُ ، الصَّمْتُ حُكْمٌ ^(١) وَقَلِيلٌ فاعله ، البلاغة الإيجاز ، مَنْ شَدَّدَ نَفَرًا ، وَمَنْ تَرَخَى تَأَلَّفَ .

فتعجب كسرى من أكرم ، ثم قال : وَيُحَكِّمُ ^(٢) يَا أَكْثَمُ مَا أَحْكَمَكَ وَأَوْثَقَ كَلَامَكَ ! لولا وَضْعُكَ كَلَامَكَ في غير موضعه . قال أكرم : الصدق ينبيء عنك لا الوعيد . قال كسرى : لو لم يكن للعرب غيرك لكفى . قال أكرم : رب قول أَنفَذْ مِنْ صَوَل .

١٤ — خطبة حاجب بن زرارة

ثم قام حاجب بن زرارة التميمي فقال :

« وَرَى ^(٣) زَنْدَكَ ، وَعَلَتْ يَدُكَ ، وَهَيْبَ سُلْطَانِكَ ، إِنَّ الْعَرَبَ أُمَّةٌ قَدْ غَلُظَتْ أَكْبَادُهَا ، وَاسْتَحْصَدَتْ ^(٤) مِرَّتَهَا ، وَمُنِعَتْ دِرَّتَهَا ^(٥) ، وَهِيَ لَكَ وَامِقَةٌ مَا تَأَلَّفَتْهَا ، مُسْتَرْسَلَةٌ مَا لَا يَنْتَهَا ، سَامِعَةٌ مَا سَامَحَتْهَا ، وَهِيَ الْعَلَقَمُ مَرَارَةٌ ، وَالصَّابُ ^(٦) غَضَاضَةٌ ^(٧) ، وَالْعَسَلُ حَلَاوَةٌ ، وَالْمَاءُ الزُّلَالُ ^(٨) سَلَاسَةٌ ^(٩) ، نَحْنُ وَفُودُهَا إِلَيْكَ ، وَالْأَسْنَتُهَا لَدَيْكَ ، ذَمُّنَا مُحْفُوظَةٌ ، وَأَحْسَابُنَا مَمْنُوعَةٌ ، وَعَشَائِرُنَا فِينَا سَامِعَةٌ مَطِيعَةٌ ، إِنْ تَوَيْبٌ لَكَ حَامِدِينَ خَيْرًا ، فَلَكَ بِذَلِكَ عَمُومٌ تَحْمَدَتْنَا ، وَإِنْ نَذَمٌ لَمْ تُخَصَّ بِالذَّمِّ دُونَهَا . »

[١] الحكم : الحكمة (وآتيناه الحكم صبيًا) . [٢] ويح : كلمة رحمة ، (وويل : كلمة عذاب) ، وقيل هما بمعنى واحد . [٣] ورى الزند بفتح الزاء وكسرها وريا ورية فهو وار وورى : خرجت ناره . وأوريت ووريت واستوريت ، والرند : العود الذي يقدر به البارجمه زناد وأزند وأزناد . [٤] استحصد الجبل : استحكم ، والمرة : طاقة الجبل ، والنوة : العقل . كناية عن قوتهم . [٥] الدرة : الابن كالدر . [٦] عصارة : شجر مر . [٧] هي احتمال السكره . والدلة والمنقصة . [٨] ماء زلال : سريع المر في الحلق بارد عذب صاف سهل سلس . [٩] سهولة . السلس السهل الابن المنقاد .

قال كسرى : يا حاجب ، ما أشبه حجر التلأل بألوان صخرها ، قال حاجب : بل زفير الأسد بصواتها ، قال كسرى : وذلك .

١٥ — خطبة الحارث بن عباد

ثم قام الحارث بن عباد البكرى ، فقال :

دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظها ، وعلو سناها ، من طال رشاؤه^(١) ،
كثُرَ متحُّه^(٢) ، ومن ذهب ماله ، قلَّ منحه . تناقل الأقاويل يُعرف اللب ،
وهذا مقام سيؤجف^(٣) بما ينطق به الركب ، وتعرف به كنه حالنا العجم^(٤)
والعرب ، ونحن جيرانك الأدنون ، وأعوانك المعينون ، خيولنا جمّة ، وجيوشنا
نفمة ، إن استنجدتنا فغير رُبُض^(٥) ، وإن استطرقتنا^(٦) فغير جهُض^(٧) ، وإن
طلبتنا فغير غُمُض^(٧) ، لا ننتنى لدُعر ، ولا نَنَمَكُرُ لدهر ، رماحنا طوال ،
وأعمارنا قصار .

قال كسرى : أنفـس عزيزة ، وأمة ضعيفة ، قال الحارث : أيها الملك وأنى
يكون لضعيف عزّة ، أو لصغير مرّة ! قال كسرى : لو قصّر عمرُك ، لم تَسْتَوِلِ
على لسانك نفْسُك . قال الحارث : أيها الملك إن الفارس إذا حمل نفسه على

[١] الرشاء : الجبل . [٢] المتج : نزع الماء من البئر . [٣] وجف الفرس والبعير عدا ، وأوجفته : أعديته . يقال : أوجف فأعجف (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) أى ما أعلتم .
[٤] يقال : رجل ربض عن الخاحات لا ينهض فيها ، وهو هنا جمع ربوض بالفتح من ربضت الشاة
كبركت الناقة أى لا تنقاص من نصرتك ولا تهجم . [٥] استطرقته خلا : طلبه منه ليغرب في ليله ، هذا
هو الأصل ، والمراد استعنت بنا . [٦] أجهضت الناقة والمرأة ولدها أسقطته ناقص الخلق ، والسقط :
حميض ، وجمه جهض ، أى أن فلما إذا ضرب الباقى (تكحها) لم تأت بجهض بل تنجح ، والمراد أنه
إن استنجد بهم أثمر ذلك الاستنجاد ولم يجب . [٧] من الغمض ، وهو النوم ، يقال ما غمضت ،
ولا أغمضت ، ولا اغتمضت ، فالوصف من الأول غامض ، والمبالغة غموض ، والجمع غمض أى فلا نام
عن نصرتك .

الكتيبة مُعَرِّراً بِنَفْسِهِ عَلَى الْمَوْتِ ، فَهِيَ مَنِيَّةٌ اسْتَقْبَلَهَا ، وَجَنَانٌ اسْتَدْبَرَهَا ،
والعرب تعلم أَنِّي أَبْعَثُ الْحَرْبَ قُدُماً ^(١) ، وَأَحْبِسُهَا وَهِيَ تَصَرِّفُ بِهَا ، حَتَّى إِذَا
جَاشَتْ نَارُهَا ، وَسَمِعَتْ لُظَاهَا ، وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا ، جَعَلْتُ مَقَادِمَهَا رُمْحِي ،
وَبَرَقَهَا سِيفِي ، وَرَعَنْدَهَا زَبِيرِي ، وَلَمْ أَقْصِرْ عَنْ خَوْضِ خَضْخَضِهَا ^(٢) ، حَتَّى
أَنْغَمَسَ فِي غَمَرَاتِ لُجَجِهَا ، وَأَكُونَ قُلُوكَا لِفِرْسَانِي إِلَى مُجْبُوحَةِ كِبَشِهَا ^(٣) ،
فَاسْتَمَطَرَهَا دِمَاءً ، وَأَتْرُكُ مُحَامَتَهَا جَزَرَ ^(٤) السَّبَّاحِ وَكُلَّ نَسْرِ قَشْعَمٍ ^(٥) . ثُمَّ قَالَ
كَسْرَى لِمَنْ حَضَرَهُ مِنَ الْعَرَبِ : أَكْذَلِكَ هُوَ ؟ قَالُوا : فَعَالَهُ أَنْ تَنْطِقَ مِنْ لِسَانِهِ .
قَالَ كَسْرَى : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَفْدًا أَحْشَدَ ، وَلَا شَهُودًا أَوْفَدَ .

١٦ — خطبة عمرو بن الشريد

ثُمَّ قَامَ عَمْرُو بْنُ الشَّرِيدِ السَّلَمِيُّ ، فَقَالَ :

« أَيُّهَا الْمَلِكُ ، نَعِمَ بِالْك ! وَدَامَ فِي السَّرُورِ حَالُكَ ! إِنْ عَاقَبَةُ الْكَلَامِ مُتَدَبِّرَةٌ ،
وَأَشْكَالُ الْأُمُورِ مُعْتَبِرَةٌ ، وَفِي كَثِيرِ ثِقَلَةٍ ، وَفِي قَلِيلِ بُلْغَةٍ ، وَفِي الْمُلُوكِ سَوْرَةٌ ^(٦) الْعِزِّ ،
وَهَذَا مَنْ نَطِيقُ لَهُ مَا بَعْدَهُ ، شَرُفَ فِيهِ مَنْ شَرُفَ ، وَخَمَلَ فِيهِ مَنْ خَمَلَ ، لَمْ نَأْتِ لِضِيْمِكَ ،
وَلَمْ نَقِدْ لِسَخْطِكَ ، وَلَمْ تَتَعَرَّضْ لِرِفْدِكَ ^(٧) إِنْ فِي أَمْوَالِنَا مُنْتَقَدًا ^(٨) ، وَعَلَى عِزِّنَا
مُعْتَمِدًا ، إِنْ أَوْزَيْنَا ^(٩) نَارًا أَثْقَبْنَا ، وَإِنْ أَوْدَ ^(١٠) دَهْرُ بِنَا اعْتَدَلْنَا ، إِلَّا أَنَا مَعَ هَذَا
لِجَوَارِكَ حَافِظُونَ ، وَلِمَنْ رَامَكَ كَاخُونٌ ، حَتَّى يُحْمَدَ الصَّدْرُ ^(١١) وَيُسْتَطَابُ الْخَبْرُ » .

[١] القدم : المضى أمام أمام ، وهو يمضي القدم : إذا مضى في الحرب . والقدم : المقدام الشجاع . وفي الحديث « طوبى لعبد مغر قدم في سبيل الله » . [٢] الخضاخض : تنط أسود رقيق تهناً به الابل الحرب (ولعله خضاخضها) بضم الحاء ، والخضاخض : المكان الكثير الماء . [٣] سيد القوم وقائدهم . [٤] أى قطعا . [٥] مسن . [٦] سورة الجند أثره وعلامته ، وسورة السلطان : سطوته (والسورة المنزلة) بالصم . [٧] الرشد : العطاء . [٨] أثقذ الدرهم قبضها . [٩] أوقدنا . [١٠] اعوج . [١١] الرجوع .

قال كسرى : ما يقوم قصدُ منطِقِك بإفراطك ، وَلَا مَدْحُكَ بِذَمِّكَ ، قال عمرو : كفى بقليل قصدي هاديا ، وبأيسر إفراطى مُخْبِرا ، وَلَمْ يُلَمْ مَنْ غَرَبَتْ نفسه عما يعلم ، وَرَضِيَ مِنَ الْقَصْدِ بِمَا بَلَغَ . قال كسرى : ما كلُّ ما يعرف المرء ينطق به . اجلس .

١٧ — خطبة خالد بن جعفر الكلابي

ثمَّ قام خالد بن جعفر الكلابي فقال :

« أَحْضَرَ اللَّهُ الْمَلِكَ إِسْعَادًا ، وَأَرْشَدَهُ إِرْشَادًا ، إِنَّ لِكُلِّ مَنْطِقٍ فُرْصَةً ، وَلِكُلِّ حَاجَةٍ غُصَّةٌ ، وَعَىُّ الْمَنْطِقِ أَشَدُّ مِنْ عَىِّ الشُّكُوتِ ، وَعِثَارُ الْقَوْلِ أَنْكَأُ ^(١) مِنْ عِثَارِ الْوَعْتِ ^(٢) . وما فُرْصَةُ الْمَنْطِقِ عِنْدَنَا إِلَّا بِمَا نَهْوَى ، وَغُصَّةُ الْمَنْطِقِ بِمَا لَأَنهَوَى غَيْرُ مُسْتَسَاغَةٍ ^(٣) ، وَتَرَكِي مَا أَعْلَمُ مِنْ نَفْسِي ، وَيُعْلَمُ مِنْ سَمْعِي أَنَّنِي لَهُ مُطِيقٌ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ تَكْلَفِي مَا أَتَخَوَّفُ وَيَتَخَوَّفُ مِنِّي ، وَقَدْ أَوْفَدَنَا إِلَيْكَ مَلِكُنَا النِّعْمَانُ ، وَهُوَ لَكَ مِنْ خَيْرِ الْأَعْوَانِ ، وَنِعَمَ حَامِلُ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ ، أَنْفُسَنَا بِالطَّاعَةِ لَكَ بِاخُوعَةٍ ^(٤) ، وَرِقَابَنَا بِالنَّصِيحَةِ خَاضِعَةً ، وَأَيْدِيَنَا لَكَ بِالْوَفَاءِ رَهِينَةً . »

قال له كسرى : نطقت بعقل ، وَسَمَرْتَ بِفَضْلِ ، وَعَلَوْتَ بِثَبَلٍ .

١٨ — خطبة علقمة بن علاثة العامري

ثمَّ قام علقمة بن علاثة العامري فقال :

« نَهَجَتْ ^(٥) لَكَ سَبِيلُ الرِّشَادِ ، وَخَضَعَتْ لَكَ رِقَابُ الْعِبَادِ ، إِنْ لِلْأَقَاوِيلِ

[١] نَكَأَ الْعَدُوَّ وَنَكَاهُ نَكَايَةً : قَتَلَ وَجَرَحَ ، وَأَنْكَأَ : أَيْ أَشَدَّ نَكَابَةً وَقَهْرًا . [٢] الْوَعْتُ : الْمَكَانُ الْمَهْلُ الدَّهْسُ تَغْيِبُ فِيهِ الْأَقْدَامُ وَالطَّرِيقُ الْعَسْرُ . [٣] أَسَاغَ الْعَصَا ابْتَلَعَهَا ، وَسَاغَ الشَّرَابُ : سَهَلَ مَدْخَلُهُ فِي الْحَلْقِ . [٤] خَاضِعَةٌ وَمَقَرَّةٌ ، يَجْعُ بِالْحَقِّ أَقْرَبُهُ وَخَصَعَ لَهُ . [٥] وَضَعَتْ .

مناهج ، وَلِلآرَاءِ مَوَاجٍ ^(١) ، وَلِلْعَوِيصِ مَخَارِجُ ، وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ ، وَأَفْضَلُ
الطَّلَبِ أَنْجَحُهُ ، إِنَّا وَإِنْ كَانَتْ الْحُبَّةُ أَحْضَرْتَنَا ، وَالْوَفَادَةُ قَرَّبَتْنا ، فَلَيْسَ مَنْ
حَضَرَكَ مِنَّا بِأَفْضَلٍ مِّمَّنْ عَزَبَ عَنْكَ ، بَلْ لَوْ قَسَيْتَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ، وَعَلِمْتَ
مِنْهُمْ مَا عَلِمْنَا ، لَوَجَدْتَ لَهُ فِي آبَائِهِ دُنْيَا ، أُنْدَادًا وَأَكْفَاءَ ، كُلَّهُمْ إِلَى الْفَضْلِ
مَنْسُوبٌ ، وَبِالشَّرَفِ وَالسُّؤْدُدِ ^(٢) مُوصُوفٌ ، وَبِالرَّأْيِ الْفَاضِلِ وَالْأَدَبِ الْنَافِذِ ^(٣)
مَعْرُوفٌ ، يَحْمِي حِمَاهُ ، وَيُرْوِي نَدَامَاهُ ^(٤) ، وَيَذُودُ أَعْدَاءَهُ ، لَا تَحْمُدُ ^(٥) نَارَهُ ،
وَلَا يَحْتَرِزُ مِنْهُ جَارَهُ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ : مَنْ يَبْلُغُ الْعَرَبُ يَعْرِفُ فَضْلَهُمْ ، فَاصْطَنَعَ ^(٦)
الْعَرَبُ ، فَإِنَّهَا الْجِبَالُ الرَّوَاسِي عِزًّا ، وَالْبَحُورُ الزَّوَاخِرُ طُمِيًّا ^(٧) ، وَالنُّجُومُ الزَّوَاهِرُ
شَرَفًا ، وَالْحَصَى عِدَدًا ، فَإِنْ تَعْرِفَ لَهُمْ فَضْلَهُمْ يَعِزُّوكَ ، وَإِنْ تَسْتَصْرِخَهُمْ ^(٨)
لَا يَخْذُلُوكَ .

قال كسرى - وَخَشِيَ أَنْ يَأْتِيَ مِنْهُ كَلَامٌ يَحْمِلُهُ عَلَى السَّخَطِ عَلَيْهِ - حَسْبُكَ
أَبْلَغْتَ وَأَحْسَنْتَ !

١٩ - خطبة قيس بن مسعود الشيباني

ثُمَّ قَامَ قَيْسُ بْنُ مَسْعُودٍ الشَّيْبَانِيُّ ، فَقَالَ :

« أَطَابَ اللَّهُ بِكَ الْمَرَاشِدَ ! وَجَنَّبَكَ الْمَصَائِبَ ! وَوَقَّاكَ مَكْرُوهَ الشَّصَائِبِ ^(٩) !

[١] مداخل جمع موالج : كجلس ، ولج يلج ولوجا ولجة . [٢] السؤدد بفتح الدال والسؤدد بضمها
والسود والسيادة . [٣] الظاهر أثره . [٤] ندأى : جمع ندمان ، وهو النديم ، وجمع النديم ندماء ،
وناداه : جالسه على الشراب (ندمان بمعنى منادم مصروف ، لأن مؤنثه ندمانة ، أما ندمان بمعنى ندم
فلا يصرف لأن مؤنثه ندى

كل فـلات فزواتاه فعلى غير وصف النديم بالندمان)

[٥] خد : كصر وسبع . [٦] اختر واصطف . [٧] طمى الماء يطمى طميا علا ، والنبت طال
والبحر امتلا ، وهمنه علت . [٨] تستنجد بهم . [٩] جمع شصبة ، وهى الشدة

مَا أَحَقَّنَا - إِذْ أَتَيْتَاكَ - بِإِسْمَاعِكَ مَا لَا يُحَقِّقُ صَدْرُكَ ، وَلَا يَزِرُ لَنَا حَقْدًا فِي قَلْبِكَ ! لَمْ نَقْدَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ لِمَسَامَاةٍ ، وَلَمْ نَنْتَسِبْ لِمَعَادَاةٍ ، وَلَكِنْ لَتَعْلَمَ أَنْتَ وَرَعِيَّتَكَ وَمَنْ حَضَرَكَ مِنْ وَفُودِ الْأُمَمِ ، أَنَا فِي الْمَنْطِقِ غَيْرُ مُتَحَجِّمِينَ ، وَفِي النَّاسِ غَيْرُ مُقَصِّرِينَ ، إِنْ جُورِينَا فغَيْرُ مُسْبِقِينَ ، وَإِنْ سُومِينَا فغَيْرُ مُغْلُوبِينَ »

قَالَ كَسْرَى : غَيْرَ أَنْكُمْ إِذَا عَاهَدْتُمْ غَيْرَ وَافِينَ (وَهُوَ يُعَرِّضُ بِهِ فِي تَرْكِهِ الْوَفَاءَ بِضِمَانِهِ السَّوَادَ ^(١)) قَالَ قَيْسٌ : أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا كُنْتُ فِي ذَلِكَ إِلَّا كَوَافٍ غُدِرَ بِهِ ، أَوْ كَخَافِرٍ أَخْفَرَ بِذِمَّتِهِ قَالَ كَسْرَى : مَا يَكُونُ لضعيف ضِمَانٍ ، وَلَا لَدَايِلِ خَفَاةٍ . قَالَ قَيْسٌ : أَيُّهَا الْمَلِكُ : مَا أَنَا فِيمَا أَخْفَرَ مِنْ ذِمَّتِي أَحَقُّ بِالْإِزَامِي الْعَارِ مِنْكَ فِيمَا قَتَلَ مِنْ رَعِيَّتِكَ ، وَأَنْتُهِكَ مِنْ حَرَمَتِكَ ، قَالَ كَسْرَى : ذَلِكَ لِأَنَّ مِنْ أَتَمَنِ الْخَاةِ ^(٢) ، وَأَسْتَنْجِدَ الْأُمَمَةَ ، نَالَهُ مِنَ الْخَطَا مَا نَالَنِي ، وَلَيْسَ كُلُّ النَّاسِ سَوَاءً ، كَيْفَ رَأَيْتَ حَاجِبَ بْنَ زُرَّارَةَ ، لَمْ يُحْكِمْ قَوَاهُ ، فَيُبْرِمَ ، وَيَعْهَدُ فَيُؤْفِي ، وَيَعِدُّ فَيُنْجِزُ ، قَالَ وَمَا أَحَقُّهُ بِذَلِكَ ، وَمَا رَأَيْتُهُ إِلَّا لِي ، قَالَ كَسْرَى : الْقَوْمُ يُزِلُّ ^(٣) فَأَفْضَلُهَا أَشَدُّهَا

٢٠ خطبة عامر بن الطفيل العامري

ثُمَّ قَامَ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ الْعَامِرِيُّ فَقَالَ :

« كَثُرَ فَنُونُ الْمَنْطِقِ ، وَلَبَسَ الْقَوْلُ أَعْمَى مِنْ حَنْدِسٍ ^(٤) الظُّلُمَاءُ ، وَإِنَّمَا الْفَخْرُ فِي الْفَعَالِ ، وَالْعَجْزُ فِي النَّجْدَةِ ، وَالسُّودَدُ مَطَاوَعَةُ الْقُدْرَةِ ^(٥) ، وَمَا أَعْلَمَكَ بِقُدْرَتِنَا ، وَأَبْصَرَكَ بِفَضْلِنَا ، وَبِالْحَرَى ^(٦) إِنْ أَدَاكَ ^(٧) الْأَيَّامُ ، وَثَابَتَ الْأَحْلَامُ

[١] أَيْ سَوَادُ الْعِرَاقِ . [٢] الْحَاةُ وَالْحَوَنَةُ : جَمْعُ خَائِنٍ . [٣] الْبَازِلُ : الْجَلُّ فِي السَّنَةِ النَّاسِئَةِ ، وَالرَّجُلُ الْكَامِلُ فِي تَجْرِبَتِهِ جَمْعُ بَزَلٍ وَبَزَلٌ . [٤] الْإِيلُ الْمَظْلَمُ وَالظُّلْمَةُ . [٥] أَيْ أَنْ يَأْتِيَ الْمَرْءَ مَهِيئَةً عَلَيْهِ ، فَإِنْ ذَلِكَ يَبْلُغُهُ السُّودُ . [٦] خَلِيقٌ وَجَدِيرٌ . [٧] نَصَرْتَنَا .

أَنْ تَحْدِثَ لَنَا أُمُورًا لَهَا أَعْلَامٌ^(١) . قَالَ كَسْرَى : وَمَا تِلْكَ الْأَعْلَامُ ، قَالَ مُجْتَمَعٌ^(٢) الْأَحْيَاءُ مِنْ رَبِيعَةٍ وَمُضَرٍ ، عَلَى أَمْرِ يَذْكُرُ . قَالَ كَسْرَى : وَمَا الْأَمْرُ الَّذِي يَذْكُرُ ؟ قَالَ مَا لِي عِلْمٌ بِأَكْثَرِ مِمَّا خَبَّرَنِي بِهِ مَخْبَرٌ ، قَالَ كَسْرَى مَتَى تَسْكَاهَنْتَ يَا بَنَ الطَّفِيلِ ؟ قَالَ : لَسْتُ بِكَاهِنٍ ، وَلَكِنِّي بِالرَّمْحِ طَاعِنٌ ، قَالَ كَسْرَى : فَإِنْ أَتَاكَ آتٌ مِنْ جِهَةِ عَيْنِكَ الْعَوْرَاءِ ، مَا أَنْتَ صَانِعٌ ؟ قَالَ : مَا هَيَّيْتِي فِي قَفَايَ بِدُونِ هَيَّيْتِي فِي وَجْهِهِ ، وَمَا أَذْهَبَ عَيْنِي عَيْتٌ^(٣) ، وَلَكِن مَطَاوَعَةَ الْعَبَثِ .

٢١ - خطبة عمرو بن معديكرب الزبيدي

ثُمَّ قَامَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرْبِ الزُّبَيْدِيِّ ، فَقَالَ :
« إِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ : قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ ، فَبِلَاغِ الْمَنْطِقِ الصَّوَابِ ، وَمِلَاكِ
النُّجْمَةِ^(٤) الْارْتِيَادِ ، وَغَفْوِ الرَّأْيِ خَيْرٌ مِنْ اسْتِكْرَاهِ الْفِكْرَةِ ، وَتَوْقِيفِ الْخُبْرَةِ
خَيْرٌ مِنْ أَعْتِسَافِ الْخَيْرَةِ ، فَأَجْتَبَيْدُ^(٥) طَاعَتَنَا بِلَفْظِكَ ، وَاسْتَظْمَ بَادِرَتَنَا
بِحِلْمِكَ ، وَالْآنَ لَنَا كَنَفُكَ يَسْلُسُ لَكَ قِيَادَنَا ، فَإِنَّا أَنَاسٌ لَمْ يُوقَسْ^(٦) صَفَاتُنَا قِرَاعُ
مَنَاقِيرِ^(٧) مَنْ أَرَادَ لَنَا قَضَا^(٨) ، وَلَكِنْ مَنَعْنَا حِمَانًا مِنْ كُلِّ مَنْ رَامَ لَنَا هَضْمًا » .

٢٢ خطبة الحارث بن ظالم المري

ثُمَّ قَامَ الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمِ الْمُرِيِّ ، فَقَالَ :
« إِنْ مِنْ آفَةِ الْمَنْطِقِ الْكَذِبُ ، وَمِنْ لُؤْمِ الْأَخْلَاقِ الْمَلَقُ ، وَمِنْ خَطَلِ
الرَّأْيِ خِيفَةُ الْمَلِكِ الْمُسَلِّطِ ، فَإِنْ أَعْلَمْنَاكَ أَنَّ مُوَاجَهَتَنَا لَكَ عَنْ أَتِّلَافٍ ، وَأَنْقِيَادَنَا »

[١] أى مشهورة . [٢] اجتماع . [٣] الإفساد . [٤] النجمة : طلب الكلأ في موضعه .
[٥] اجتذب . [٦] الوقس : انتشار الجرب في البدن ، والتوقيس : الإجراب ، أى لم يتخذه
صفاتها وبؤثر فيها . [٧] جمع مقار ، وهو حديدة كالقاس ، فر بها . [٨] أصله الأكل
بأطراف الأسنان .

لك عن تصّافٍ ، فما أنت لقبول ذلك منا بخليق ، ولا للاعتماد عليه بحقيق ،
ولكن الوفاء بالعهود ، وإحكام وثّ العقود ، والأمر بيننا وبينك معتدل ، ما لم
يأت من قبيلك ميل أو زلل .

قال كسرى : من أنت ؟ قال الحرث بن ظالم ، قال إن في أسماء آبائك لدليلاً
على قلة وفائك ، وأن تكون أولى بالغدر ، وأقرب من الوزر . قال الحارث : إن
في الحقّ مغضبةً ، والسروّ التغافل^(١) ، وإن يستوجب أحدُ الحلم إلامع القدرة ،
فلتُشبه أفعالك مجلسك ، قال كسرى : هذا فتى القوم .

ثم قال كسرى : قد فهمت ما نطقت به خطبائكم ، وتفنّن فيه متكلموكم ،
ولولا أنى أعلم أن الأدب لم يُثَقَّفْ أوْدَمَ ، ولم يُحْكَمْ أمركم ، وأنه ليس لكم ملك
يجمعكم ، فتنتطقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة ، فنطقتم بما استولى على
ألسنتكم ، وغلب على طباعكم ، لم أُجِزْ لكم كثيراً مما تكلمتم به ، وإنى لأكره
أن أُجِبَّه وفودى ، أو أُخْنِقَ صدورهم ، والذي أحب من إصلاح مُدَبِّرِكُمْ ،
وتألّف شواذكم ، والإعذار إلى الله فيما بينى وبينكم ، وقد قبلت ما كان في منطقكم
من صواب ، وصفحتم عما كان فيه من خلل ، فانصرفوا إلى ملككم ، فأحسنوا
موازرتة ، والتزموا طاعته ، واردعوا سفهاءكم ، وأقيموا أوْدَمَ ، وأحسنوا أدبهم ،
فإن في ذلك صلاح العامة .

(العقد المريد ١ : ١٠١)



وفود العرب

يعزون سلامة ذا فائش بابن له مات

نشأ لسلامة ذى فائش ابنٌ كَأَ كُلِّ أَبْنَاءِ الْقَاوِلِ ، وَكَانَ مَسْرُورًا بِهِ ، يَرْشُّهُ لِمَوْضِعِهِ ،
فَرَكِبَ ذَاتَ يَوْمٍ فَرَسًا صَعْبًا ، فَكَبَا بِهِ ، فَوَقَمَهُ^(١) ، فَجَزَعَ عَلَيْهِ أَبُوهُ جَزَعًا شَدِيدًا ، وَامْتَنَعَ
مِنَ الطَّعَامِ ، وَاحْتَجَبَ عَنِ النَّاسِ ، وَاجْتَمَعَتْ وَفُودُ الْعَرَبِ بِيَابِهِ لِيَعْزُوهُ ، فَلَامَهُ نَصْحَاؤُهُ فِي
إِفْرَاطِ جَزَعِهِ ، فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ فَقَامَ خُطْبَاؤُهُمْ يَوْمَئِذٍ^(٢) ، وَكَانَ فِي الْقَوْمِ الْمَلَبَّبُ بْنُ عَوْفٍ ،
وَجُمَادَةُ بْنُ أَفْلَحٍ ، فَقَامَ الْمَلَبَّبُ فَقَالَ :

٢٣ - خطبة الملبب بن عوف

أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ الدُّنْيَا تَجُودُ لَتَسْلُبُ ، وَتَعْطَى لَتَأْخُذَ ، وَتَجْمَعُ لَتُشْتَتَّ ،
وَتُحْلَى لَتُمِرَّ ، وَتَزْرَعُ الْأَحْزَانُ فِي الْقُلُوبِ ، بِمَا تَفْجَأُ بِهِ مِنْ اسْتِرْدَادِ الْمَوْهُوبِ ،
وَكُلِّ مَصِيبَةٍ تَخْطَأُ أَتَكَ جَالَ^(٣) ، مَا لَمْ تُدْزِنْ الْأَجَلَ ، وَتَقْطَعَ الْأَمَلَ ، وَإِنْ حَادِثًا
أَلَمَّ بِكَ ، فَاسْتَبِدَّ^(٤) بِأَقْلُكَ ، وَصَفَحَ عَنْ أَكْثَرِكَ ، لِمَنْ أَجَلَ النِّعَمِ عَلَيْكَ ، وَقَدْ
تَنَاهَتْ إِلَيْكَ أَنْبَاءُ مِنْ رُزْيٍ فَصَبَرَ ، وَأُصِيبَ فَاعْتَفَرَ ، إِذْ كَانَ شَوْئِي^(٥) فِيمَا
يُرْتَقَبُ وَيُنْخَذَرُ ، فَاسْتَشْعِرِ الْيَأْسَ مِمَّا فَاتَ ، إِذْ كَانَ ارْتِجَاعُهُ مُمْتَنِعًا ، وَمَرَامُهُ
مُسْتَضْعَبًا ، فَلَيْشَىءٌ مِمَّا ضُرِبَتْ الْأَسَى ، وَفَزِعَ أُولُو الْأَلْبَابِ إِلَى حِسْنِ الْعِزَاءِ .

٢٤ - خطبة جعادة بن أفلح

وَقَامَ جُمَادَةُ فَقَالَ : « أَيُّهَا الْمَلِكُ ، لَا تُشْعِرْ قَلْبَكَ الْجَزَعَ عَلَى مَا فَاتَ ، فَيَغْفُلَ

[١] وقس عنه : كسرهما . [٢] أساء تأسيه عزاءه ، وأصله : أن يقول له لك أسوة بفلان
وفلان . [٣] الجلل العظيم والحقير وهو هنا بالمعنى الثاني . [٤] البدة بالضم : النصيب ، واستبد به :
جمله نصيبه . [٥] الشوى : الهين اليسير ورذال المال .

ذهنك عن الاستعداد لما يأتي ، وَتَاضِلْ عَوَارِضَ الْحَزَنِ بِالْأُنْفَةِ عَنْ مَضَاهَاةٍ (١)
أَفْعَالِ أَهْلِ وَهْيٍ (٢) الْعُقُولِ ، فَإِنَّ الْعِزَّاءَ لِحُزْمَاءِ الرِّجَالِ ، وَالْجَزْعَ لِرَبَّاتِ
الْحِجَالِ (٣) ، وَلَوْ كَانَ الْجَزْعُ يَرُدُّ فَائِتًا ، أَوْ يُخَيِّ تَالِفًا ، لَكَانَ فَعْلًا دَنِئًا ،
فَكَيْفَ وَهُوَ مَجَانِبٌ لِأَخْلَاقِ ذَوِي الْأَلْبَابِ ، فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ أَيَّهَا الْمَلِكُ عَمَّا
يَتَهَافَتُ (٤) فِيهِ الْأَرْدَلُونَ ، وَصْنِ قَدْرَكَ عَمَّا يَرْكَبُهُ الْمُخْسُوسُونَ ، وَكُنْ عَلَى ثِقَةٍ أَنْ
طَمَعَكَ فِيمَا اسْتَبَدَّتْ بِهِ الْأَيَّامُ ، ضِلَّةً كَأَحْلَامِ النَّيَّامِ . (الأمل ٢ : ١٠١)

٢٥ ... أَكْثَمُ بْنُ صَيْفَى يَعِزَّى عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ عَنْ أَخِيهِ

وَعِزَّى أَكْثَمُ بْنُ صَيْفَى عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ مَلِكَ الْعَرَبِ عَنْ أَخِيهِ فَقَالَ لَهُ :
« إِنَّ أَهْلَ هَذِهِ الدَّارِ سَفَرٌ لَا يَحْمِلُونَ عَقْدَ الرَّحَالِ إِلَّا فِي غَيْرِهَا ، وَقَدْ أَتَاكَ
مَا لَيْسَ بِمَرْدُودٍ عَنْكَ ، وَارْتَحَلَ عَنْكَ مَا لَيْسَ بِرَاجِعٍ إِلَيْكَ ، وَأَقَامَ مَعَكَ مَنْ
سَيَظُنُّ عَنْكَ وَيَدْعُوكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، فَأَمْسِ عِظَةً ، وَشَهِدْ عَدْلًا ،
جَمَعَكَ بِنَفْسِهِ ، وَأَبْقَى لَكَ وَعَلَيْكَ حِكْمَتُهُ ؛ وَالْيَوْمُ غَنِيمَةٌ ، وَصَدِيقُ أَتَاكَ وَلَمْ تَأْتِهِ ،
طَالَتْ عَلَيْكَ غَيْبَتُهُ ، وَاسْتَسْرَعَ عَنْكَ رَحِلَتُهُ ؛ وَغَدٌ لَا تَدْرِي مِنْ أَهْلِهِ ، وَسَيَأْتِيكَ
إِنْ وَجَدَكَ ، فَمَا أَحْسَنَ الشُّكْرِ لِلْمَنْعَمِ ، وَالتَّسْلِيمِ لِلْقَادِرِ ، وَقَدْ مَضَتْ لَنَا أَصُولُ
نَحْنُ فُرُوعُهَا ، فَمَا بَقَاءُ الْفُرُوعِ بَعْدَ أَصُولِهَا ، وَاعْلَمْ أَنَّ أَكْثَمَ مِنَ الْمَصِيبَةِ سُوءُ
الْخَلْفِ مِنْهَا ، وَخَيْرٌ مِنَ الْخَيْرِ مَعْطِيهِ ، وَشَرٌّ مِنَ الشَّرِّ فَاعِلُهُ .

(العقد المربد ٢ : ٣٥ ، نهاية الأرب ٥ : ١٦٤)

٢٦ - خطبة عبد المطلب بن هاشم

يَهْنَى سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ بِاسْتِرْدَادِ مَلِكِهِ مِنَ الْحَبْشَةِ

لَمَّا ظَفَرَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ بِالْحَبْشَةِ ، أَتَتْهُ وَفُودُ الْعَرَبِ وَأَشْرَافُهَا وَشِعْرَاؤُهَا

[١] مشاكلة . [٢] ضنف . [٣] والحجاء جمع حجلة (بفتحين) ، وهي القبة وموضع يزين
بالستور ، ولثياب للعروس . [٤] التهافت : التتابع .

تهنئة وتمدحه ، ومنهم وفد قريش ، وفيهم عبد المطلب بن هاشم ، فاستأذنه في الكلام فأذن له ، فقال :

« إن الله تعالى - أيها الملك - أحلك محلاً رفيعاً ، صعباً منيعاً ، باذخاً^(١) شائخاً ، وأنبئك منبتاً طابت أرومته^(٢) ، وعزت جرت ثومته^(٣) ، وثبت أصله ، وبسق^(٤) فرعه ، في أكرم معدن ، وأطيب موطن ، فأنت - أييت اللعن - رأس العرب وربيعها الذي به تُخصب ، وملكها الذي به تنقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومَعْقِلُهَا^(٥) الذي إليه يلجأ العباد ، سلفك خير سلف ، وأنت لنا بعدهم خير خلف ، ولن يهلك من أنت خلفه ، وإن يَحْمِلَ من أنت سلفه ، نحن أيها الملك أهل حرَم الله وذمته ، وسدنة بيته ، أشخصنا إليك الذي أبهجك بكشف الكرب الذي قدَحَنَّا^(٦) ، فنحن وفد التهنئة ، لا وفد المِرْزَةِ^(٧) » .

(العقد المريد ١ : ١٠٧ ، وأبناء نجباء الأبناء ص ١١)

٢٧ - خطبة هاشم بن عبد مناف

يحث قريشاً على إكرام زوار بيت الله الحرام

كَانَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ يَقُومُ أَوَّلَ نَهَارِ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ فَيُسْنِدُ ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ مِنْ تَلْقَاءِ بَابِهَا ، فَيَخْطُبُ قَرِيشًا ، فيقول :

« يا معشر قريش ، أنتم سادة العرب ، أحسنها وجوهاً ، وأعظمها أحلاماً ، وأوسطها^(٨) أنساباً ، وأقربها أرحاماً ، يا معشر قريش ، أنتم جيران بيت الله ، أكرمكم بولايته ، وخصكم بجواره ، دون بني إسماعيل ، وحفظ منكم أحسن ما حفظ .

[١] طالياً من بدخ بذخا : كفرح . [٢] أرومة : بالعصم والفتح أى أصل . [٣] أصله أيضاً .
[٤] علا وطال . [٥] المنجأ . [٦] أقلنا . [٧] رزأه ماله : يجعل وعلم أصاب منه شيئاً
رزأه ، كارتزأه ماله ، ورزأه رزأاً ومرزئة أصاب منه خيراً . أى لسنا وافدين للعداء . [٨] خيرهم :
الوسط من كل شيء أعذله (قال أوسطهم وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) .

جارٌّ من جاره ، فأكرموا ضيفه ، وزوّار بيته ، فإنهم يأتونكم شعفاً ^(١) غُبراً من كل بلد ، فوَرَبَّ هذه البنية ^(٢) ، لو كان لي مال يحمل ذلك لكفيتكموه ، ألا وإنني مخرج من طيبٍ مالي وحلاله ، ما لم يُقَطَّع فيه رَحِمٌ ، ولم يؤخذ بظلم ، ولم يدخل فيه حرام ، فواضعُهُ ، فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل ، وأسألكم بحُرْمَةِ هذا البيت ألا يُخرج رجل منكم من ماله ، إكرامة زوّار بيت الله ومعونتهم إلا طيباً ، لم يؤخذ ظالماً ، ولم يُقَطَّع فيه رَحِمٌ ، ولم يغتصب .

(شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ : ٤٥٨)

٢٨ - خطبة كعب بن لؤى

وخطب كعب بن لؤى (وهو الجد السابع للنبي صلى الله عليه وسلم) فقال: « اسمعوا وعُوا ، وتعلموا تعلموا ، وتفهموا تفهموا ، ليل ساجٍ ^(٣) ، ونهار صاجٍ ^(٤) ، والأرض مهاد ، والجبال أوتاد ، والأولون كالآخرين ، كل ذلك إلى بلاء ، فصلوا أرحامكم ، وأصلحوا أحوالكم ، فهل رأيتم من هلك رجع ، أو ميتاً نُشِر ، الدار أمامكم ، والظن خلاف ما تقولون ، زينوا حرمكم وعظموه ، وتمسكوا به ولا تفارقوه ، فسيأتي له نبيٌّ عظيم ، وسيخرج منه نبي كريم ، ثم قال :

نهارٌ وليلٌ واختلافٌ حواديثٍ	سواها علينا خلوها ومريرها
يثوبانٍ بالأحداثِ حتى تأوبا	وبالنعم الضافي علينا ستورها ^(٥)
صُروفٌ وأنباءٌ تقلبُ أهلها	لها عقدٌ ما يستحيلُ مريرها
على غفلةٍ يأتي النبيُّ محمدٌ	فيخبرُ أخباراً صدوقاً خبيرها

[١] جمع أشت : وهو ملبد الشعر مغبره [٢] الكعبة : (والبنية بكسر الباء وضمة هاء وسكون النون ما بنيت) . [٣] الساجي الساكن والدائم . [٤] لعله ضاج من ضج القوم صاحوا وأجلبوا . [٥] التأوب الرجوع .

نَمْ قَالَ :

يَا لَيْتَنِي شَهِدْتُ خَوَاءَ دَعْوَتِهِ حِينَ الْعَشِيرَةِ تَبْغِي الْحَقَّ خِذْلَانَا (١)

(صح الأعراس ١ : ٢١١)

٢٩ — تساؤل عامر بن الظرب وحممة بن رافع

عند أحد ملوك حمير

اجتمع عامر بن الظرب العدواني ، وحممة بن رافع الدوسي عند ملك من ملوك حمير ، فقال : تساءلنا حتى أسمع ما تقولان . قال عامر لحممة : أين تحب أن تكون أياديك ؟ قال : عند ذى الرثية (٢) العديم ، وذى الخلعة (٣) الكريم ، والمعسر الغريم ، والمستضعف المهضيم . قال من أحق الناس بالملك ؟ قال : الفقير المحتال ، والضعيف الصوال ، والعي القوال . قال فمن أحق الناس بالمنع ؟ قال : المريض الكاند (٤) ، والمستعيد (٥) الحاسد ، والمُلهِف الواجد . قال فمن أجدر الناس بالصنيعة ؟ قال : من إذا أعطى شكر ، وإذا منع عذر ، وإذا موطِّل صبر ، وإذا قدَّم العهد ذكَّر . قال : من أكرم الناس عشرة ؟ قال : من إن قُرب منعه ، وإن بعد مدح ، وإن ظلم صفح ، وإن ضويق سمح ، قال : من ألام الناس ؟ قال : من إذا سأل خضع ، وإذا سُئل منع ، وإذا ملك كنع (٦) ، ظاهره جشع (٧) ، وباطنه طبع (٨) . قال : من أحلم الناس ؟ قال : من عفا إذا قدر ، وأجل إذا امتصر ، ولم تُطغِه عزّة الظفر . قال : من أخزم الناس ؟ قال : من أخذ رقاب الأمور بيديه ، وجعل العواقب نُصبَ عينيه ، ونبذ التهيّب

[١] فحوى الكلام وخوؤه مناه ومذهبه . [٢] الرثية وجمع المفاصل واليدين والرجلين

(الرومانزم) . [٣] الخلعة الحاجة . [٤] الكاند الذى يكفر النعمة والسكود الكفور : (إن

الانسان لربه لكود) . [٥] المستعيد والمستعير المستعطي . [٦] تنقبض . تنكع جلده إذا تنقبض

أى ممسك بخيل . [٧] الجشع : أسوأ الحرص . [٨] الدنس .

دَبَّرَ أَذْنِيهِ^(١) . قال : فمن أخرج الناس ؟ قال : من ركب الخطار^(٢) ، واعتسف^(٣) العِثَارَ ، وأسرع في البِدَارِ ، قبل الاقتدار . قال : فمن أجود الناس ؟ قال : من بذل المجهود ، ولم يَأْسَ على المعهود . قال فمن أبلغ الناس ؟ قال : من جَلَّى المعنى المَزِيزَ^(٤) باللفظ الوجيز ، وَطَبَّقَ^(٥) المَفْصِلَ قبل التحزير . قال : فمن أنعم الناس عيشاً ؟ قال : من تَحَلَّى بالعِفاف ، ورضى بالكفاف ، وَتَجَاوَزَ ما يَخَافُ إلى ما لا يَخَافُ . قال : فمن أشقى الناس ؟ قال : من حسد على النعم ، وتسخط على الْقِسَمِ ، واستشعر الندم ، على فوت ما لم يُحِثِّمْ . قال : من أغنى الناس ؟ قال : من استشعر اليأس ، وأبدى التَّجَمُّلَ للناس ، واستكثر قليل النعم ، وَلَمْ يَسْخَطْ على القسم . قال : فمن أحكم الناس ؟ قال : من صَمَتَ فَادَّكَرَ ، ونظر فاعتبر ، وَوَعِظَ فازدجر . قال : من أجهل الناس ؟ قال : من رأى الخُرْقَ مَغْنَمًا ، والتجاوز مَغْرَمًا .
(الأما إلى ٢ : ٢٨٠)

٣٠ — خطبة قس بن ساعدة الإيادي

خطب قُسَّ بن ساعدة الإيادي بسوق عُكَاظَ ، فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : اسْمَعُوا وَعُوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكلٌّ ما هُوَ آتٍ آتٍ ، لَيْلٌ دَاجٍ^(٦) ، وَنَهَارٌ سَاجٍ ، وسماء ذات أبراج ، وَنَجْمٌ تَزْهَرُ^(٧) ، وَبَحَارٌ تَزْخَرُ^(٨) ، وَجِبَالٌ مَرُوسَةٌ ، وَأَرْضٌ مُدْحَاةٌ^(٩) ، وَأَنْهَارٌ مُجْرَاةٌ ، إِنْ فِي السَّمَاءِ لَخَبْرًا ، وَإِنْ فِي الْأَرْضِ لَعِبْرًا ، مَا بَالُ النَّاسِ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ ، أَرْضُوا فَأَقَامُوا ، أَمْ تَرَ كُفْرًا فَنَامُوا ؟ يَقْسِمُ قُسٌّ بِاللَّهِ قَسْمًا لَا إِثْمَ فِيهِ : إِنْ لَلَّهِ دِينًا هُوَ أَرْضِي لَهُ ، وَأَفْضَلُ

[١] جعلت الشيء دبر أدنى : إذا لم أَلَمْتُ إليه . [٢] جمع خطر ، وهو الإشراف على الهلاك .

[٣] الاعتساف : ركوب الطريق على غير هداية وركوب الأمر على غير معرفة . [٤] الصعب .

[٥] النطيق : أن يصيب السيف الفاصل فيفصلها لا يحاوزها . [٦] مظلم . [٧] تنوء وتلاوأ .

[٨] تفتيء وترتفع . [٩] مدحوة : أي مبسوطة ، وإنما قال مدحاة مراعاة السجع .

من دينكم الذى أنتم عليه ، إنكم لتأتون من الأمر منكراً . وَيُرْوَى أَنَّ قِسا أَنشأ
بعد ذلك يقول :

فى الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضى الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضى إلى ولا من الباقين غابر^(١)
أيقنت أنى لا محالة حيث صار القوم صائر

(صبح الأعشى ١ : ٢١٢ ، إيجاز القرآن ١٢٤ ، البيان والنبين ١ : ١٦٨ ،
الأغانى ١٤ : ٤٠ ، المعمد الفريد ٢ : ١٥٦ ، وجمع الأمانات للميداني ١ : ٧٤)

٣١ - خطبة المأمون الحارثي

قعد المأمون الحارثي فى نادى قومه ، فنظر إلى السماء والنجوم ، ثم أفكر
طويلاً ، ثم قال : «أرعوْنى أسماعكم ، وأصغُواْ إلى قلوبكم ، يَبْلُغُ الوَعظُ مِنْكُمْ حيث
أريد ، طَمَحَ^(٢) بالأهواء الأشرُّ ، وَرَانَ^(٣) على القلوب الكدر ، وطنطنخ^(٤) الجهلُ
النظر ، إن فيما ترى لَمُتَبَرِّاً لمن أعتبر ، أرض موضوعة ، وسماء مرفوعة ، وشمس
تَطْلُعُ وتَغْرُبُ ، ونجوم تسرى فتعزُبُ ، وقر تُطلعه النحور ، وتمحقه أديار
الشهور ، وعاجز مُثَرٍ ، وَحَوْلٌ^(٥) مُكْدٍ ، وشاب مُخْتَضِرٌ^(٦) ، وَيَقَنَ قد غَبَرُ ،
وَراحلون لا يثوبون ، وموقوفون لا يُفَرِّطُونَ^(٧) ، وَمَطَرٌ يرسل بِقَدَرٍ ، فيحيى
البشر ، وَيُورِقُ الشجر ، وَيُطْلِعُ الثمر ، وينبت الزهر ، وماء يَتَفَجَّرُ ، من الصخر

[١] مقيم . [٢] ارتفع وعلا وذهب . [٣] غلب . [٤] أظلم . [٥] رجل حوله :
شديد الاحتياج ، وأكدى : لم ينح ، وأصله من أكدى إذا حفر فصادف الكدية (بضم الكاف) وهي
الصفاء العظيمة الشديدة . [٦] الذى يموت حدثاً ، وهو مأخوذ من الحضرة كأنه حصد أخضر ، واليقن
الشيخ الكبير . [٧] يقدمون .

الْأَبَرَّ^(١) ، فيصدع المدّر ، عن أفنان الخضر ، فيُخَيّ الأنام ، وَيُشْبِع السَّوَامَ ، وَيُنْمِي الْأَنْعَامَ ، إن في ذلك لَأَوْضَح الدَّلَائِل على المدبر المقدر ، الباري المصور ، يَأْيِهَا الْعُقُول النَافِرَة ، وَالْقُلُوب الثَّائِرَة^(٢) ، أَنِّي تُؤَفِّكُونَ ، وعن أي سبيل تَعْمَهُونَ ، وفي أي حَيْرَة تهيمون ، وإلى أي غَايَة تُؤَفِّضُونَ^(٣) ، لو كُشِفَتِ الْإِغْطِيَة عن الْقُلُوب ، وَتَجَلَّتِ الْغِشَاوَة عن الْعَيُون ، لَصَرَّحَ الشَّك عن الْيَقِين ، وَأَفَاق مِنْ نَشْوَة الْجَهَالَة ، مَنْ أَسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَة . (الْأَمْالِي ١ : ٢٦٦)

٣٢ - خطبة هاني بن قبيصة الشيباني

قَالَ هَانِي بْنُ قَبِيصَةَ الشَّيْبَانِي يُحَرِّضُ قَوْمَهُ يَوْمَ ذِي قَارٍ^(١) :
« يَا مَعْشَرَ بَكْرٍ ، هَالِكٌ مَعْدُورٌ ، خَيْرٌ مِنْ نَاجٍ فَرُورٌ ، إِنَّ الْحَذَرَ لَا يُنْجِي مِنَ الْقَدَرِ ، وَإِنَّ الصَّبْرَ مِنْ أَسْبَابِ الظَّفَرِ ، الْمَنِيَّةُ وَلَا الدَّيْنِيَّةُ ، اسْتِقْبَالُ الْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ اسْتِدْبَارِهِ ، الطَّعْنُ فِي ثَغْرِ^(٢) النُّحُورِ ، أَكْرَمُ مِنْهُ فِي الْأَنْجَازِ وَالظُّهُورِ ، يَا آلَ بَكْرٍ ، قَاتِلُوا فَمَا لِمَنَايَا مِنْ بُدٍّ » . (الْأَمْالِي ١ : ٩٢)

٣٣ - خطبة عمرو بن كلثوم

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّهُ لَا يَخْبِرُ عَنْ فَضْلِ الْمَرْءِ أَصْدَقُ مِنْ تَرْكِهِ تَرْكِيَّةَ نَفْسِهِ ، وَلَا يَعْبِرُ عَنْهُ فِي تَرْكِيَّةِ أَصْحَابِهِ أَصْدَقُ مِنْ اعْتِمَادِهِ إِيَّاهُمْ بِرَغْبَتِهِ ، وَائْتِمَانِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى حُرْمَتِهِ . (الْبَيَانُ وَالتَّبْيِينُ ٢ : ٦٩)

[١] الصلب . [٢] الثائرة النافرة ، نارت نوراً بفتح الدون ، ونوارا بفتحها وكسرهما ، فرت .

[٣] تضرعون . [٤] كان من أعظم أيام العرب وأبلغها في توهين أمر الأعاجم ، وهو يوم لبي

شيبان ، وكان أبرويز أغزاهم جيشاً ، فظفر بنو شيبان ، وهو أول يوم انتصرت فيه العرب من العجم .

[٥] جمع ثغرة بالضم : وهي ثغرة النحر بين الزقوتين (والثغرة بالفتح : كل عورة مفتحة) .

٣٤ — خطبة أبي طالب

في زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة

خطب أبو طالب حين زواج النبي صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة فقال :
« الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم ، وذرية إسماعيل ، وجعل لنا بلداً
حراماً ، وبيتاً محجوجاً ، وجعلنا الحُكَّامَ عَلَى النَّاسِ ، ثم إن محمد بن عبد الله ابن
أخي مَنْ لَا يُوازَنُ به فتى من قريش إلا رَجَّحَ عليه: برّاً وفضلاً، وكرماً وعقلاً ،
ومجداً ونُبلاً ^(١) ، وإن كَانَ في المال قُلٌّ ^(٢) ، فإنما المال ظل زائل ، وعارية ^(٣)
مُسْتَرْجَعَةٌ ، وله في خديجة بنت خويلد رغبةٌ ، ولها فيه مثلُ ذلك ، وما أُحِبِّتُمْ
من الصَّدَاقِ فعلى » .

(صح الأعشى ١ : ٢١٣ ، وإعجاز القرآن ١٢٦ ، وتهذيب الكامل ١ : ٤ ، والسيرة الحلبية ١ : ١٣٣)

٣٥ — حديث بعض مقاول حمير مع ابنه

وما دار بينه وبينهما من المسألة حين كبرت سنه

كَانَ لِرَجُلٍ مِنْ مَقَاوِلِ حَمِيرِ ابْنَانِ ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا عَمْرُو ، وَالْآخَرُ رِبِيعَةٌ . وَكَانَا
قَدْ بَرَعَا فِي الْأَدَبِ وَالْعِلْمِ ، فَلَمَّا بَلَغَ الشَّيْخَ أَقْصَى عَمْرُهُ ، وَأَشْفَى ^(١) عَلَى
الْفَنَاءِ ، دَعَاهُمَا لِتَبْلُو ^(٢) عَقُولَهُمَا ، وَيَعْرِفَ مَبْلَغَ عِلْمِهِمَا ، فَلَمَّا حَضَرَا . قَالَ لِعَمْرُو
— وَكَانَ الْأَكْبَرُ — أَخْبِرْنِي عَنْ أَحَبِّ الرِّجَالِ إِلَيْكَ ، وَأَكْرَمِهِمْ عَلَيْكَ . قَالَ :
« السَّيِّدُ الْجَوَادُ ، الْقَلِيلُ الْإِنْدَادُ ، الْمَاجِدُ الْأَجْدَادُ ، الرَّاسِي الْأَوْتَادُ ، الرَّفِيعُ
الْعِمَادُ ، الْعَظِيمُ الرَّمَادُ ، الْكَثِيرُ الْحُسَادُ ، الْبَاسِلُ الذَّوَادُ ^(٣) ، الصَّادِرُ الْوَرَادُ »
قَالَ مَا تَقُولُ يَا رِبِيعَةُ ؟ قَالَ : مَا أَحْسَنَ مَا وَصَفَ ! وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ ،

[١] دكاء ونجابة . [٢] قلة . [٣] ما يستعار ، مشددة وقد تخف . [٤] أشفى عليه :

أشرف . [٥] ليخبر . [٦] من زاد عنه إذا دفع .

قال ومن يكون بعد هذا ؟ قال : « السيد الكريم ، المانع للحريم ، المفضل الحليم ، القمقام ^(١) الزعيم ، الذى إن هم فعل ، وإن سُئِلَ بذل .

قال أخبرنى يا عمرو بأبغض الرجال إليك . قال : البرم ^(٢) اللثيم ، المستخذى ^(٣) للخصيم ، المبطن ^(٤) النهم ، العي أنبكم ، الذى إن سئل منع ، وإن هُدِّدَ خضع ، وإن طلب جشع ^(٥) . قال ما تقول يا ربيعة ؟ قال : غيره أبغض إلىَّ منه . قال : ومن هو ؟ قال : النثوم الكذوب ، الفاحش الغضوب ، الرغيب عند الطعام ، الجبان عند الصدام .

قال أخبرنى يا عمرو : أى النساء أحب إليك ؟ قال : الحرّة كوّلة ^(٦) اللفاء ^(٧) ، الممكورة ^(٨) الجيذاء ، التى يشفى السقيم كلامها ، ويبرى الوصب ^(٩) إلمامها ، التى إن أحسنت إليها شكرت ، وإن أسأت إليها صبرت ، وإن استعبتتها ^(١٠) أغتبت ، الفاترة الطرف ، الطفلة ^(١١) الكف ، العميمة الرذف . قال : ما تقول يا ربيعة ؟ قال : نعت فأحسن ! وغيرها أحب إلىَّ منها . قال : ومن هى ؟ قال : « الفتانة العينية ، الأسيلة ^(١٢) الخدين ، الكاعب ^(١٣) الثدين ، الرذاح ^(١٤) الوركين ، الشاكرة للقليل ، المساعدة للحليل ^(١٥) ، الرخيمة ^(١٦) الكلام ، الجماء ^(١٧) العظام ، الكريمة الأخوال والأعمام ، المذبذبة اللثام ^(١٨) ،

[١] السيد (ويضم) . [٢] البرم : من لا يدخل مع القوم فى السر . [٣] الخاضع المستكين ، والخصيم الخاصم . [٤] من همه بطنه ، أو الرغيب لا ينتهى من الأكل . [٥] الجشع : أسوأ الحرص . [٦] المرتجة الأرداف . [٧] الملتفة الجسم . [٨] اللطوية الخلق من النساء والمستديرة السابقين ، والجيذاء من الجيد بالتحريك وهو طول الرقبة ، أو دقتها مع طول . [٩] المريض . [١٠] استعته طلب إليه العتي (الرضا) وأعته أعطاه العتي . [١١] الناعمة . [١٢] الأسيل من الحدود الطويل المسترسل . [١٣] كعب الثدى نهى . [١٤] الثبيلة المعجيرة الضخمة الوركين . [١٥] الزوج . [١٦] الآية الكلام . [١٧] التى ليس لعظامها حجم . [١٨] المراد موضع اللثام فهو على رذف مضاف .

قال : فأى النساء إليك أبغض يا عمرو ؟ قال : القَتَّانَةُ ^(١) الكذوب ،
الظاهرة العيوب ، الطَوَّافَةُ ^(٢) المهْبُوب ^(٣) ، العابسة القُطُوب ، السَّبَّابة ^(٤) الوَثُوب ،
التي إن ائتمنها زوجها خاتمة ، وإن لان لها أهانتة ، وإن أرضاها أغضبتة ، وإن
أطاعها عصته ، قال : ماتقول ياربعة ؟ قال : بئس والله المرأة ذكر ! وغيرها
أبغض إلى منها . قال : وأيتهن التي هي أبغض إليك من هذه ؟ قال : السِّلِيْطَةُ ^(٥)
اللسان ، المؤذية للجيران ، الناطقة بالبهتان ، التي وجهها عابس ، وزوجها
من خيرها آيس ، التي إن عاتبها زوجها وَتَرَّتْهُ ^(٦) ، وإن ناطقها انتهرته . قال
ربيعة : وغيرها أبغض إلى منها . قال : ومن هي ؟ قال : التي شقى صاحبها ، وَخَزَى
خاطبها ، وافتضح أقاربها . قال : ومن صاحبها ؟ قال : مثلها في خصالها كلها ،
لا تصلح إلا له ، ولا يصلح إلا لها . قال : فصفه لى . قال : الكَفُور غير
الشَّكُور ، اللثيم الفَجُور ، العَبُوس الكالِح ^(٧) ، الحرون الجامح ، الرَّاْضَى
بالهوان ، المختال المَنان ، الضعيف الجنان ، الجَمْدُ ^(٨) البنان ، القَتُول غير الفَعُول ،
الملول غير الوَصُول ، الذي لا يَرِغُ ^(٩) عن المحارم ، ولا يرتدع عن المظالم .
قال أخبرني يا عمرو : أى الخيل أحب إليك عند الشدائد ، إذا التقى الأقران
للتجالد ؟ قال : الجواد الأنيق ، الحصان العتيق ، الكَفَيْت ^(١٠) العَرِيق ،
الشديد الوثيق ، الذي يفوت إذا هرب ، وَيَلْحَقُ إذا طلب . قال : نعم الفرس
والله نعمت ! قال فما تقول ياربعة ؟ قال : غيره أحب إلى منه . قال : وما هو ؟
قال : الحصان الجَوَاد ، السِّلِس القَيَاد ، الشَّهْم الفَوَاد ، الصَّبُور إذا سرى ،
السابق إذا جرى .

[١] النماة . [٢] الكثيرة الانتباه والهبوب والريح المثيرة للغبار . [٣] الطويلة .
[٤] أحفظته وأغضبتة . [٥] كالج : تكسر و عبوس . [٦] كناية عن البخل .
[٧] ورع : كورث كف . [٨] السريع .

قَالَ : فَأَيُّ الْخَيْلِ أَبْغَضُ إِلَيْكَ يَا عَمْرُو ؟ قَالَ : الْجَمُوحُ الطَّمُوحُ ، النَّسْكُولُ ^(١) ،
الْأَنُوحُ ^(٢) ، الصَّنُولُ ^(٣) الضَّعِيفُ ، الْمَلُولُ الْعَنِيفُ ، الَّذِي إِنْ جَارِيَتِهِ سَبَقَتْهُ ،
وَإِنْ طَلَبَتْهُ أَدْرَكَتَهُ . قَالَ : مَا تَقُولُ يَا رِبِيعَةُ ؟ قَالَ : غَيْرُهُ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْهُ . قَالَ :
وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : الْبَطِيُّ ، الثَّقِيلُ ، الْحَرُونَ الْكَذِيلُ ، الَّذِي إِنْ ضَرَبْتَهُ قَصَّ ،
وَإِنْ دَنَوْتَ مِنْهُ شَمَسَ ^(٤) ، يَدْرِكُهُ الطَّالِبُ ، وَيَفُوتُهُ الْهَارِبُ ، وَيَقْطَعُ
بِالصَّاحِبِ . قَالَ رِبِيعَةُ : وَغَيْرُهُ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْهُ . قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : الْجَبُوحُ
الْحَبُوطُ ^(٥) ، الرَّكُوزُ الْخَرُوطُ ^(٦) ، الشَّعْوُسُ الضَّرُّوطُ ^(٧) ، الْقَطُوفُ ^(٨) فِي
الصَّعُودِ وَالْهَبُوطِ ، الَّذِي لَا يُسَلِّمُ الصَّاحِبُ ، وَلَا يَنْجُو مِنَ الطَّالِبِ .

قَالَ : أَخْبِرْنِي يَا عَمْرُو أَيُّ الْعَيْشِ أَلْذُّ ؟ قَالَ : عَيْشٌ فِي كِرَامَةٍ ، وَنَعِيمٌ وَسَلَامَةٌ ،
وَاعْتِبَاقُ ^(٩) مُدَامَةٍ . قَالَ : مَا تَقُولُ يَا رِبِيعَةُ ؟ قَالَ : نِعَمَ الْعَيْشِ وَاللَّهُ وَصَفَ !
وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ . قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : عَيْشٌ فِي أَمْنٍ وَنَعِيمٍ ، وَعِزٍّ وَغِنَى
عَمِيمٍ ، فِي ظِلِّ نَجَاحٍ ، وَسَلَامَةٍ مَسَاءً وَصَبَاحٍ ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ . قَالَ :
وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : غِنَى دَائِمٍ ، وَعَيْشٌ سَالِمٍ ، وَظِلٌّ نَاعِمٍ .

قَالَ : فَمَا أَحَبُّ السِّيَوفِ إِلَيْكَ يَا عَمْرُو ؟ قَالَ : الصَّقِيلُ الْحُسَامُ ، الْبَاتِرُ
الْمِجْدَامُ ^(١٠) ، الْمَاضِي السَّطَامُ ^(١١) الْمُرْهَفُ ^(١٢) الصَّمْصَامُ ^(١٣) ، الَّذِي إِنْ هَزَزْتَهُ
لَمْ يَكْتَبُ ^(١٤) ، وَإِذَا ضَرَبْتَ بِهِ لَمْ يَنْبُ ^(١٥) . قَالَ : مَا تَقُولُ يَا رِبِيعَةُ ؟ قَالَ :

[١] النِّسْكُولُ : الَّذِي يَنْسُكِلُ عَنْ قَرْنِهِ . [٢] الْكَثِيرُ الزَّحِيرُ . [٣] كَثِيرُ الصَّنَائِلِ : وَصَائِلُ
الْفَرَسِ صِهْلُهُ . [٤] شَمَسَ الْفَرَسُ ، مَنَعَ ظَهْرَهُ : فَهُوَ شَامِسٌ وَشَمُوسٌ . [٥] الْكَثِيرُ الْخَبُوطِ :
وَهُوَ السَّيْرُ عَلَى غَيْرِ هَدًى . [٦] الْخَرُوطُ الدَّابَّةُ الْجَوْحُ تَجْتَذِبُ رَسْمَهَا مِنْ يَدٍ مُمْسِكِهَا ثُمَّ تَمُتُّ .
[٧] الْكَثِيرُ الضَّرَاطِ . [٨] قَطَفَتِ الدَّابَّةُ : ضَاقَتْ مَشْيَهَا ، هِيَ قَطُوفٌ . [٩] اعْتَبَقَ : شَرِبَ
الْفُوقَ وَهُوَ مَا يَشْرَبُ بِالْشَيْءِ وَالْمُدَامَةُ الْحَرُّ كَالْمَدَامِ . [١٠] مِنَ الْجَدَمِ : وَهُوَ انْقَطَعَ . [١١] الْحَدُّ .
[١٢] رَهَفَ السِّيفُ ، وَأَرْهَفَهُ رَفَقَهُ . [١٣] السِّيفُ لَا يَنْبُثُ كَالصَّمْصَامَةِ . [١٤] لَمْ يَكْتَبْ .
[١٥] لَمْ يَكِلْ عَنْ الْفَرِيَةِ .

نعم السيف نعت ! وغيره أحبُّ إلى . قال وما هو ؟ قال : الحسام القاطع ، ذو الرُّونق اللامع ، الظمآن الجائع ، الذى إن هزرتَه هَتَكَ ^(١) ، وإذا ضربت به بَتَكَ ^(٢) . قال : فما أبغض السيوف إليك يا عمرو ؟ قال : الفُطَّار ^(٣) الكَهَام ^(٤) ، الذى إن ضرب به لم يقطع ، وإن دُجِح به لم يَنْخَع ^(٥) . قال : فما تقول يا ربعة ؟ قال : بئس السيف والله ذكر ! وغيره أبغض إلىَّ منه . قال : وما هو ؟ قال : الطَّبِيعُ ^(٦) الدَّدَانُ ^(٧) ، المِعْضَدُ ^(٨) المَهَانُ .

قال : فأخبرنى يا عمرو : أى الرِّمَاح أحبُّ إليك عند المِرَّاس ، إذا أعتكر البَّاس ، وأُشْتَجَرَ الدَّعَاس ^(٩) ؟ قال : أحبها إلىَّ المَارِنُ ^(١٠) المُثَقَّفُ ، المُقَوِّمُ المَخْطَفُ ^(١١) ، الذى إذا هزرتَه لم ينمطف ، وإذا طعنت به لم ينقصف . قال : ما تقول يا ربعة ؟ قال : « نِعَمَ الرِّمَح نعت ! وغيره أحبُّ إلىَّ منه . قال وما هو ؟ قال : الذَّابِلُ ^(١٢) العَسَّالُ ، المُقَوِّمُ النَّسَّالُ ، الماضى إذا هزرتَه ، النافذ إذا همزته . قال : فأخبرنى يا عمرو عن أبغض الرِّمَاح إليك . قال : الأعْصَلُ ^(١٣) عند الطعان ، المثلَّم السَّنَانُ ، الذى إذا هزرتَه انمطف ، وإذا طعنت به انقصف . قال : ما تقول يا ربعة ؟ قال : بئس الرِّمَح ذكر ! وغيره أبغض إلىَّ منه . قال : وما هو ؟ قال : الضَّعِيفُ المَهْزِرُ ^(١٤) ، اليا بَس الكَزْ ^(١٥) ، الذى إذا أكرهته انحطم ، وإذا طعنت به انقصم . قال انصرفا ، الآن طاب لى الموت » . (الأمل ١ : ١٥٢)

[١] مرَّق . [٢] قطع . [٣] الذى لا يقطع ، وهو مع ذلك حديث الطبع . [٤] سيف كهام كليل . [٥] لم يبلغ النخاع . [٦] من الطمع أى الصدا . [٧] الذى لا يقطع . [٨] القصير الذى يتهن فى قطع الشعر وغيرها . [٩] الطعان : دعه إذا طعنه . [١٠] المارن : ما لان من الرمح ، والمثقف : المسوى بالثقاف ، وهو ما تسوى به الرماح . [١١] الحطف بفم فسكون الصر ، وإخطاف الحشى انطواؤه ، ومنه فرس مخطف الحشى أى ضامره ، ورجل مخطف كذلك ورمح مخطف أى دقيق . [١٢] قنا ذابل : أى دقيق لاصق بالليط (بكسر اللام ، والليطة : قشر الفأنة) ، والنسال : الشديد الاضطراب إذا هزرتَه ومنه العسلان بالتحريك ، وهو عدو فيه اضطراب ، والنسلان قريب منه . [١٣] المتوى : الموج . [١٤] مهزه كنهه : دفعه . [١٥] الكزازة : اليبس والانباض كرهوه كز .

٣٦ — قيس بن خفاف البرجمي وحاتم طيء

أتى أبو جُبَيْل قيس بن خُفَّاف البرُجُمي حاتم طيء، في دماء حملها عن قومه، فأسلموه^(١) فيها، وعجز عنها، فقالَ والله لآتين من يحملها عني، وكان شريفاً شاعراً، فلما قدم عليه قالَ : « إنه وقعت بين قومي دماء فتواكلوها، وإني حملتها في مالي وأملي، فَقَدَّمْتُ مالي، وكنتُ أُملي، فَإِنْ تَحْمِلُهَا فرب حق قد قضيته، وهم قد كفيتَه، وإن حال دون ذلك حائل لم أذم يومك، ولم أياس من غدك. ثم أنشأ يقول :

حملت دماءً للبراجم جَجَّةً	فجئتك لما أسلمتني البراجم ^(٢)
وقالوا (سفاها) لم حملت دماءنا	فقلت لهم يكفي الحمالة حاتم ^(٣)
مستى آتته فيها يقل لي مرحباً	وأهلاً وسهلاً أخطأتك الأشائم ^(٤)
فيحملها عني، وإن شئت زادني	زيادة من حنت إليه المسكارم
يعيش الندى ما عاش حاتم طيء	فإن مات قامت للسقاء مآتم
ينادين مات الجود معك فلا نرى	محبياً له ما حام في الجو حاتم
وقال رجال أنهب العام ماله	فقلت لهم إني بذلك عالم ^(٥)
ولكنه يعطي من أموال طيء	إذا جلف المال الحقوق اللوازم ^(٦)
فيُعْطِي التي فيها الغنى وكأنه	لتصغيره تلك العطية جارم ^(٧)
• بذلك أوصاه عدِي وحشرج	وسعدته وعبد الله تلك القماقم ^(٨)

[١] خذلوه . [٢] الراحم من تميم . [٣] السفاه : السفه . والحمالة : الدية يحملها قوم عن قوم . [٤] الأشائم : ضد الأيامن . [٥] أنهب المال : حمله نهبا يفار عليه . [٦] أي جرده واتقته . [٧] جرم الرجل (بفتحين) : أذنب كأجرم . [٨] جمع قمام وهو السيد .

فقال له حاتم : إن كنت لأحب أن يأتيني مثلك من قومك ، هذا برّ باعى^(١) من الغارة على بنى تميم ، نخذه وافراً ، فإن وفى بالحمالة ، وإلاً أكملتها لك ، وهو مائتا بعير سوى بنيتها وفصّالها ، مع أنى لأحب أن تؤيس قومك بأموالهم ، فضحك أبو جُبَيْل وقال : لكم ما أخذتم منا ، ولنا ما أخذنا منكم ، وأى بعير دفعته إلى ، ليس ذنبه في يد صاحبه ، فأنت منه برىء ، فدفعتها إليه وزاده مائة بعير ، فأخذها وانصرف راجعاً إلى قومه . فقال حاتم في ذلك :

أَتَانِي الْبُرْجِيُّ أَبُو جُبَيْلٍ	لَهُمْ فِي حَمَالَتِهِ طَوِيلٌ
فَقُلْتُ لَهُ خُذِ الْمِرْبَاعَ رَهْوَاً	فَإِنِّي لَسْتُ أَرْضَى بِالْقَلِيلِ ^(٢)
عَلَى حَالٍ ، وَلَا عَوَّدْتُ نَفْسِي	عَلَى عِلَاتِهَا عِلَلُ الْبَخِيلِ
نَخَذَهَا إِنِّهَا مَائَتَا بَعِيرٍ	سُورِي النَّابِ الرِّذِيَّةَ وَالْفَصِيلِ ^(٣)
فَلَا مَنِّ عَلَيْكَ بِهَا ، فَإِنِّي	رَأَيْتُ الْمَنَّ يُزْرِي بِالْجَزِيلِ
فَأَبِ الْبَرْجِيِّ وَمَا عَلَيْهِ	مِنْ أَعْبَاءِ الْحَمَالَةِ مِنْ فَتِيلِ
يَجُرُّ الذَّيْلَ يَنْقُضُ مَذْرُوءَهُ	خَفِيفَ الظَّهْرِ مِنْ حِمْلٍ ثَقِيلِ ^(٤)

(ديل الأملى ٢٢ ، والأغانى ٧ : ١٤٥)



[١] الرابع : ربع الغنينة ، وكان يختص به قائد الغارة وفارسها . [٢] يقال : آتاك به رهوا أى آتاك به عمواً سهلاً لا احتباس فيه . [٣] الناقة المسنة ، والرذية : مؤنث الردى ، وهو الضعيف من كل شيء ومن أثقله المرض . [٤] الذروان : أطراف الألية بلا واحد أو هو المذرى ، ومن الرأس ناحيته ، ويقال جاء يفض مذرويه . أى باغيا متهددا .

الوصايا

٣٧ - وصية أوس بن حارثة لابنه مالك

عاش الأوس بن حارثة دهرًا ، وليس له ولد إلا مالك ؛ وكان لأخيه الخزرج خمسة : عمرو ، وعوف ، وجثم ، والحريث ، وكعب فلما حضره الموت . قال له قومه قد كنا نأمرك بالتزويج في شبابك ، فلم تزوج حتى حضر الموت ، فقال الأوس : « لم يهلك هالك ، ترك مثل مالك ، وإن كان الخزرج ذا عدد ، وليس لمالك ولد ، فاعل الذي استخرج العذق ^(١) من الجريمة ^(٢) ، والنار من الوثيمة ^(٣) ، أن يجعل لمالك نسلا ، ورجالا بسلا ^(٤) ، يمالك ، المنية ولا الدنية ، والعتاب قبل العقاب ، والتجلد لا التبلد ، وأعلم أن القبر خير من الفقر ، وشر شارب المشت ^(٥) ، وأقبح طاعم المقتف ^(٦) ، وذهب البصر خير من كثير من النظر ، ومن كرم الكريم ، الدفاع عن الحريم ، ومن قل ذل ، ومن أمر ^(٧) فل ، وخير ما الغنى القناعة ، وشر الفقر الضراعة ، والدهر يومان ، فيوم لك ، ويوم عليك ، فإذا كان لك فلا تبطر ، وإذا كان عليك فاصبر ، فكلاهما سينحسر ^(٨) ، فإنما تعز ^(٩)

[١] العذق : النحلة يحملها والعنق (بكسر العين) القوم منها . [٢] النواة . [٣] الوثيمة : الحارة ، وثمة : كسره ودقه . ووثم الفرس الأرض : رجها بجوارحه . (ومن أيمان العرب لا والذي أخرج العنق من الجريمة . والنار من الوثيمة ، وقولهم : لا والذي شقهن خسا من واحدة يعنون الأصابع ، وقولهم : لا والذي أخرج قاذبة من قوب يعنون فرخا من بيضة . لا والذي وجهي زمم بيته (بالتحريك) أى قصده وحده . [٤] شجعانا : جمع باسل . [٥] المستصى : اشتف ما فى الإلناء شربه كله . واشتف إذا شرب الشفافة (بالضم) ، وهى البقية تبقى فى الإلواء . [٦] الآخذ بعجلة ، ومنه سعى القفاب وهو من يسرق الدراهم بين أصابعه . [٧] أمر كفرح أمرا وأمره : كثر وتم فهو أمر (وأمره الله وأمره كنصره كثره : وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها . أى كثرتنا . [٨] ينحسر [٩] تملب . عزه يعز : كنصره عزاً ، وعز يعز كضرب عزاً وعزة صار عزيزاً .

من ترى ويعزك من لا ترى ، ولو كان الموت يُشترى ، لسلم منه أهل الدنيا ، ولكن الناس فيه مستوون ، الشريف الأبلج ، واللئيم المعلنج^(١) ، والموت المُفِيتُ ، خير من أن يقال لك هَيِّت^(٢) ، وكيف بالسلامة ، لمن ليست له إقامة ، وشر من المصيبة سوء الخلف ، وكل مجموع إلى تلف ، حيّاك إلهك .
(الأماي ١ : ١٠٢ ، وشرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٤)

٣٨ - وصية ذي الإصبع العدواني لابنه أسيد

لما اخْتَضِرَ^(٣) ذو الإصبع دعا ابنه أسيداً ، فقال له : يا بني إن أباك قد فني وهو حي ، وعاش حتى سئم العيش ، وإني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغت ، فاحفظ عني . ألن جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وأبسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك ، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم ، يُكْرِمُكَ كبارهم ، ويكبر على مودتك صغارهم ، واسمح بمالك ، وأحم حرّيك ، وأعزّ جارك ، وأعزّ من استعان بك ، وأكرم ضيفك ، وأسرع النهضة في الصريح^(٤) ، فإن لك أجلاً لا يعدوك ، وصن وجهك عن مسألة أحد شيئاً ، فبذلك يتم مؤذذك .
(الأماي ٣ : ٦)

٣٩ - وصية أكرم بن صيفي لبنيه ورهطه

وصّى أكرم بن صيفي بنيه ورهطه ، فقال : « يا بني تميم لا يفوتنكم وعظي إن فاتكم الدهر بنفسي ، إن بين حيزومي^(٥) وصدري لكلاماً لا أجديله مواقع إلا أسمعكم ، ولا مقارراً إلا قلوبكم ، فتلقوه بأسماع مصغية ، وقلوب واعية ،

[١] التماهي في الدناءة والؤم . [٢] الأحمق الضعيف . [٣] حضره الموت . [٤] أي في وقت الصريح وهو نداء المستغيث . [٥] الحيزوم : وسط الصدر وما يضم عليه الحزام .

تَحْمَدُوا مَغْبَتَهُ ، الهوى يقظان ، والعقل راقد ، والشهوات مُطْلَقَةٌ ، والحزم معقول ^(١) والنفس مهملة ، والروية مُقَيَّدَةٌ ، ومن جهة التواني وترك الروية ، يتلف الحزم ، ولن يعدم المشاور مُرْشِدًا ، والمُسْتَبَدُّ برأيه موقوف على مَدَاحِضٍ ^(٢) الزلل ، ومن سمع شمع به ، ومصارع الرجال تحت بروق الطَّمْع ، ولو اعتُبرت مواقع المحن ما وُجِدَتْ إِلَّا فِي مَقَاتِلِ الْكِرَام ، وعلى الاعتبار طريق الرشاد ، ومن سلك الجَدَد ^(٣) أَمِنَ العثار ، ولن يعدم الحسود أن يُتْعِبَ قلبه ، وَيَشْغَلَ فِكْرَهُ ، وَيُورَثَ ^(٤) غِيظَهُ ، ولا تجاوز مَضَرَّتَهُ نَفْسَهُ .

يا بنى تميم : الصبر على جَرَعِ الحلم أعذب من جَنَى ثمر الندامة ، ومن جعل عِرْضَهُ دُونَ مَالِهِ اسْتَهْدَفَ لِلذم ، وَكَلَّمَ الْمَسَانَ أَنْكِي' مِنْ كَلَمِ السَّنَان ، والكلمة مرهونة ما لم تَنْجُمَ مِنَ الْفَم ، فَإِذَا نَجَمَتْ فَهِيَ أَسَدٌ مُحَرَّبٌ ^(٥) ، أَوْ نَارٌ تَلَهَّبُ ، ورأى الناصح اللبيب دليل لا يجوز ، ونفاذ الرأي فى الحرب ، أجدى من الطعن والضرب » .
(شرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٥ ، وشرح العيون ١٥)

٤٠ — نصيحة أكرم بن صيفى لقومه

ونصح قومه فقال : « أَقْلُوا الْخِلَافَ عَلَى أُمْرَائِكُمْ ، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل ، والمرء يعجز لا محالة ، يا قوم تثبتوا فَإِنْ أَحْزَمَ الْفَرِيقَيْنِ الرَّكِيْنُ ^(٦) وَرَبُّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا ^(٧) ، وَاتَّرَرُوا لِلْحَرْبِ ، وَادَّرِعُوا اللَّيْلَ ، فَإِنَّهُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ ، ولا جماعة لمن اختلف » .
(الأغاني ١٥ : ٧٠)

[١] محبوس . [٢] جمع مدحمة ، وهى المذلة . [٣] الأرض المستوية . [٤] يوقد .
[٥] : التحريب : التحريش والتحديد ، والمحرَّبُ والمُحَرَّبُ الأَسَدُ . [٦] الرزين . [٧] بطنا .

٤١ — وصية عمرو بن كلثوم لبنيه

أوصى عمرو بن كلثوم التَّغْلِي ، فقال : يَا بَنِيَّ إِنِّي قَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْعَمْرِ مَا لَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ مِنْ آبَائِي وَأَجْدَادِي ، وَلَا بَدٌّ مِنْ أَمْرِ مُقْتَبِلٍ ، وَأَنْ يَنْزِلَ بِي مَا نَزَلَ بِالْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ ، وَالْأُمَهَاتِ وَالْأَوْلَادِ ، فَاحْفَظُوا عَنِّي مَا أَوْصَيْكُمْ بِهِ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا عَيَّرْتُ رَجُلًا قَطُّ أَمْرًا إِلَّا عُيِّرَ بِي مِثْلُهُ ، إِنْ حَقًّا خُفَا ، وَإِنْ بَاطِلًا فَبَاطِلًا ، وَمَنْ سَبَّ سُبًّا ، فَكَفُّوا عَنِ الشَّتْمِ فَإِنَّهُ أَسْلَمَ لِأَعْرَاضِكُمْ ، وَصَلُّوا أَرْحَامَكُمْ ، تَعْمُرُوا دَارَكُمْ ، وَأَكْرَمُوا جَارَكُمْ يَحْسُنْ ثَنَاؤُكُمْ ، وَزَوَّجُوا بَنَاتِ الْعَمِّ بَنِي الْعَمِّ ، فَإِنْ تَعَدَّيْتُمْ بِهِنَ إِلَى الْغُرَبَاءِ ، فَلَا تَأْلُوا بِهِنَ الْإِكْفَاءَ ، وَأَبْعَدُوا بِيُوتِ النِّسَاءِ مِنْ بِيُوتِ الرِّجَالِ ، فَإِنَّهُ أَغْضُّ لِلْبَصْرِ ، وَأَعْفَى لِلذِّكْرِ ، وَمَتَى كَانَتْ الْمَعَايِنَةُ وَاللِّقَاءُ ، فَفِي ذَلِكَ دَاءٌ مِنَ الْأَدْوَاءِ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَغَارُ لغيرِهِ ، كَمَا يَغَارُ لِنَفْسِهِ ، وَقُلْ مَنْ أَنْتَهَكَ حَرَمَةَ لغيرِهِ إِلَّا أَنْتَهَيْتَ حَرَمَتَهُ ، وَأَمْنَعُوا الْقَرِيبَ مِنْ ظَلَمِ الْغَرِيبِ ، فَإِنَّكَ تَذِلُّ عَلَى قَرِيبِكَ ، وَلَا يَحِلُّ بِكَ ذِلُّ غَرِيبِكَ ، وَإِذَا تَنَازَعْتُمْ فِي الدِّمَاءِ فَلَا يَكُنْ حَقُّكُمْ لِلِقَاءِ ، فَرُبَّ رَجُلٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ ، وَوَدَّ خَيْرٌ مِنْ خَلْفٍ ، وَإِذَا اخْتَدَّعْتُمْ فَعَمُوا ، وَإِذَا حَدَّثْتُمْ فَأَوْجِزُوا ، فَإِنْ مَعَ الْإِكْثَارِ يَكُونُ الْإِهْذَارُ^(١) ، وَمَوْتَ عَاجِلٌ خَيْرٌ مِنْ ضَنْئِ آجِلٍ ، وَمَا بِكَيْتٍ مِنْ زَمَانٍ إِلَّا دَهَانِي بَعْدَهُ زَمَانٌ ، وَرَبَّمَا شَجَانِي مَنْ لَمْ يَكُنْ أَمْرُهُ عَنَانِي ، وَمَا عَجِبْتُ مِنْ أُحْدُوْثَةٍ إِلَّا رَأَيْتُ بَعْدَهَا أُعْجُوبَةً ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ أَشْجَعَ الْقَوْمِ الْعَطُوفُ ، وَخَيْرُ الْمَوْتِ تَحْتَ ظِلَالِ السِّيُوفِ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا رُويَةَ لَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَلَا فِيمَنْ إِذَا عُوتِبَ لَمْ يُعْتَبَ^(٢) ، وَمَنْ

الناس من لا يُرْجى خيره ، ولا يخاف شره ، فَبَكَوْهُ ^(١) خير من دَرَّه ،
وعقوقه خير من بَرَّه ، ولا تُبَرِّحوا في حُبكم ، فإنه من بَرَّح في حب ، آَلَ ذلك إلى
قبيح بغض ، وكم قد زارنى إنسان وزرته ، فانتقلب الدهر بنا فَبُرَّتْهُ ^(٢) ، واعلموا
أن الحكيم سليم ، وأن السيف كلیم ، إني لم أمت ولكن هَرِمْتُ ، ودخلتني ذلة
فسكت ، وضعف قلبى فَأَهْتَرْتُ ^(٣) ، سامكم ربكم وحياكم .

(شرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٥)

٤٢ - وصية الحرث بن كعب لبنيه

وأوصى الحرث بن كعب بنيه فقال :

« يا بَنِيَّ قَدْ أَتَتْ عَلَى مِائَةٍ وَسِتُونَ سَنَةً ، مَا صَاحَتْ يَمِينِي غَادِرٌ ، وَلَا
قَنِعْتُ لِنَفْسِي بِخُلَّةٍ ^(١) فَاجِرٌ ، وَلَا صَبَوْتُ بِابْنَةِ عَمٍّ وَلَا كَنَنَةٍ ^(٢) ، وَلَا بُحْتُ
لصَدِيقٍ بَسَرٌ ، وَلَا طَرَحْتُ عَنْ مُوسِمَةِ قِنَاعَا ، وَلَا بَقِيَ عَلَى دِينِ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ
- وروى : على دين شعيب - من العرب غیری وغير تميم بن مرة ، وأسد بن
خُزَيْمَةَ ، فموتوا على شریعتی ، واحفظوا وصیتی ، وإلهکم فاتقوا ، يَكْفِكم مَا أَهَمَّكم ،
ويصلح لكم حالکم ، وإيَّاكم ومَعْصِيَتِهِ ، فَيُحِلَّ بكم الدَّمَارَ ، وَيُوحِشَ مِنْكم الدِّيارَ ،
كونوا جميعاً ولا تفرَّقوا ، فتكونوا شِيعَةً ، وَبُزُّوا قَبْلَ ^(٣) أَنْ تُبَزُّوا ، فموت في عزٍّ
خير من حياة في ذلٍّ وعجزٍ ، وكل ما هو كائن كائنٌ ، وكل جمع إلى تباين ، والدهر

[١] بكأث الدابة بكأثاً قل لبنيها . [٢] باره : حرته . [٣] اغتر بالفهم ذهاب العقل من كبر أو
مرض أو حزن وقد اهتردهم بهت بفتح التاء شاد وقيل اهتر بالباء للمجهول . [٤] الخلة : الصداقة المختصة لا خلل
فيها تكون في عفاف وفي دعاة (والخلة أيضا الصديق للذكر والأنثى والواحد والجمع) . [٥] السكنة :
امرأة الابن أو الأخ جمعه كثنان . [٦] بزّه : سلبه ، وفي المثل من عزّ برّ ، أى من غاب سلب .

صَرَفَان، صَرَف بلاء، وصَرَف رخاء، واليوم يومان، يوم حَبْرَة، ويوم عَبْرَة،
والناس رجلان، رجل لك، ورجل عليك، زوَّجوا النساء الأكفاء، وإلَّا
فانتظروا بهن القضاء، وليكن أطيب طيبهن الماء، وإياكم وَالْوَرَهَاء^(١)، فإنها
أدوأُ الداء، وإن وَلدها إلى أفن^(٢) يكون، لا راحة لقاطع القرابة، وإذا اختلف
القوم أمكنوا عدوهم، وآفة العدو اختلاف الكلمة، والتفضل بالحسنة، يقي
السيئة، والمكافأة بالسيئة دخول فيها، وعمل السوء يزيل النعماء، وقطيعة الرحم تورث
الهم، وانتهاك الحرمة، يزيل النعمة، وعقوق الوالدين يُعَقِّب النكد، ويخرب
البلد، وَيَحَقِّق العدد، والإسراف في النصيحة، هو الفضيحة، والحقد يمنع الرِّفْد،
ولزوم الخطيئة، يعقب البلية، وسوء الدعة، يقطع أسباب المنفعة، والضغائن
تدعو إلى التباين، يا بَنِي، إني قد أَكلت مع أقوام وشربت، فذهبوا وَغَبَرَتْ،
وَكَأَنِّي بِهِمْ قَدْ لَحِقْتُ، ثم قال :

أَكَلْتُ شَبَابِي فَأَفْنِيهِ	وَأَبْلَيْتُ بَعْدَ دَهْوَرٍ دَهْوَرًا
ثَلَاثَةُ أَهْلِينَ صَاحِبَتِهِمْ	فِيَادُوا وَأَصْبَحْتَ شَيْخًا كَبِيرًا
قَلِيلَ الطَّعَامِ، عَسِيرَ الْقِيَامِ	قَدْ تَرَكْتُ الدَّهْرَ خَطْوِي قَصِيرًا
أَيَّيتُ أَرَاغِي نَجُومَ السَّمَاءِ	أَقْلَبُ أَمْرِي بَطُونًا ظَهْرًا

(شرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٤)



[١] المَاء : من وره كفرح : حتى فهو أورره .

[٢] ضعف الرأي والعقل .

الباب الثاني

الخطبة الأولى الوصايا

في

عصر صدر الإسلام

خطبة النبي صلى الله عليه وسلم

٤٣ - أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« إِنَّ الرَّأْيَ (١) لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ ، وَاللَّهُ لَوْ كَذَبَتْ النَّاسُ جَمِيعًا مَا كَذَبَتْكُمْ ، وَلَوْ غَرَزْتُ النَّاسَ جَمِيعًا مَا غَرَزْتُكُمْ ، وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لِرَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ خَاصَّةٌ ، وَإِلَى النَّاسِ كَافَّةٌ ، وَاللَّهُ لَتَمُوتُنَّ سَيِّئًا تَنَامُونَ ، وَلَتُبْعَثُنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ ، وَلَتُحَاسَبُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ ، وَلَتُجْزَوْنَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا ، وَبِالسُّوءِ سُوءًا ، وَإِنَّهَا لَجَنَّةٌ أَبَدًا ، أَوْ لِنَارٍ أَبَدًا » .

(السيرة الخلبية ١ : ٢٧٢ ، والسنن لابن الأثير ٢ : ٢٧)

٤٤ خطبته يوم فتح مكة

وقف على باب الكعبة ثم قال : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، صَدَق وَعْدَهُ ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، أَلَا كُلُّ مَأْثُورَةٍ ^(١) أَوْ دَمٍ أَوْ مَالٍ يُدْعَى ، فهو تحت قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ ، إِلَّا سِدَانَةُ ^(٢) الْبَيْتِ ، وَسِقَايَةُ الْحَاجِّ ، أَلَا وَقَتْلُ الْخَطَا مِثْلُ الْعَمْدِ بالسُّوْطِ وَالْعَصَا ، فِيهِمَا الدِّينَةُ مُغْلَظَةٌ ، مِنْهَا أَرْبَعُونَ خَلِيفَةً ^(٣) فِي بَطُونِهَا أَوْلَادُهَا ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنْ اللَّهُ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَتَعَظَّمَهَا ^(٤) بِالْآبَاءِ ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تَرَابٍ ، ثُمَّ تَلَا : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) الْآيَةُ . يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ (أَوْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ) مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟ قَالُوا خَبِرَا ، أَخَ كَرِيمٍ ، وَإِنْ أَخَ كَرِيمٍ ، قَالَ : اذْهَبُوا فَإِنَّهُمُ الطُّلُقَاءُ .

(تاريخ الطبري ٣ : ١٢٠ ، وإعجاز القرآن ص ١١٢ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٢١ ،

وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٣)

٤٥ — خطبة له عليه الصلاة والسلام

« أَيُّهَا النَّاسُ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا قَدْ كُتِبَ ، وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا قَدْ وَجَبَ ، وَكَأَنَّ الَّذِي نُشَيِّعُ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفَرُهُ ، عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ، نَبِؤُهُمْ أَجْدَانَهُمْ ، وَنَأْكُلُ مِنْ تَرَائِمِهِمْ . كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ ، وَنَسِينَا كُلَّ وَاعِظَةٍ ، وَأَمَرْنَا كُلَّ جَائِحَةٍ ^(٥) ، طُوبَى ^(٦) لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عِيُوبِ النَّاسِ ، طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ مَالًا أَكْتَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ ، وَجَالَسَ أَهْلَ الْفَقْرِ وَالْحِكْمَةِ ، وَخَالَطَ أَهْلَ

[١] المكرمة . [٢] خدمه الكعبة . [٣] الحلقه : الحامل من الياق . [٤] تعظم : تكبر .

[٥] الجوح : الإهلاك والاستئصال كلاجتيح . [٦] مؤث أظيب ، والمسنى والمير وشجرة و

الجنة أو الجنة .

الذل والمسكنة ، طُوبَى لِمَنْ زَكَتْ وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ ، وَطَابَتْ سَرِيرَتُهُ ،
وَعَزَلْ عَنْ النَّاسِ شَرَّهُ ، طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ
قَوْلِهِ ، وَوَسِعَتُهُ السَّنَةُ ، وَلَمْ تَسْتَهْوِهِ الْبِدْعَةُ . (صحح الأعرشي ١ : ٢١٣)

٤٦ — خطبة له عليه الصلاة والسلام

« أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ ، تَوَبُّوا إِلَى رَبِّكُمْ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا ، وَتَبَادِرُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ
قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا ، وَصَلُّوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ لَهُ ، وَكَثْرَةِ الضَّدَقَةِ
فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، تُرْزَقُوا وَتُؤْجَرُوا وَتُنْصَرُوا ، وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ — عَزَّ وَجَلَّ — قَدْ
اقْتَرَضَ عَلَيْكُمْ الْجُمُعَةَ ، فِي مَقَامِي هَذَا ، فِي عَامِي هَذَا ، فِي شَهْرِي هَذَا ، إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ ، حَيَاتِي وَمَنْ بَعْدَ مَوْتِي ، فَمَنْ تَرَكَهَا وَلَهُ إِمَامٌ ، فَلَا جَمَعَ اللَّهُ لَهُ شَمْلَهُ ، وَلَا
بَارَكَ لَهُ فِي أَمْرِهِ ، أَلَا وَلَا حَجَّ لَهُ ، أَلَا وَلَا صَوْمَ لَهُ ، أَلَا وَلَا صَدَقَةَ لَهُ ، أَلَا وَلَا
بِرَّ لَهُ ، أَلَا وَلَا يَوْمُ أَعْرَابِيٍّ مُهَاجِرٍ ، أَلَا وَلَا يَوْمُ فَاجِرٍ مُؤْمِنًا ، إِلَّا أَنْ يَقْهَرَهُ
سُلْطَانٌ يَخَافُ سَيْفَهُ أَوْ سَوْطَهُ » . (إعجاز القرآن ص ١١٠)

٤٧ — خطبة له عليه الصلاة والسلام

« إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَسَيِّئَاتِ
أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، قَدْ أَفْلَحَ
مَنْ زَيَّنَّهُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ ، وَأَدْخَلَهُ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْكُفْرِ ، وَاخْتَارَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ مِنْ
أَحَادِيثِ النَّاسِ ، إِنَّهُ أَصْدَقُ الْحَدِيثِ وَأَبْلَغُهُ ، أَحِبُّوا مَنْ أَحَبَّ اللَّهُ ، وَأَحِبُّوا اللَّهَ
مِنْ كُلِّ قَلُوبِكُمْ ، وَلَا تَمَلُّوا كَلَامَ اللَّهِ وَذِكْرَهُ ، وَلَا تَقْسُوا عَلَيْهِ قُلُوبَكُمْ ، اعْبُدُوا اللَّهَ

وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ^(١) ، وَصَدَّقُوا صَالِحَ مَا تَعْمَلُونَ
بِأَفْوَاهِكُمْ ، وَتَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ بَيْنَكُمْ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

(إيجاز القرآن ص ١١٠)

٤٨ — خطبة له عليه الصلاة والسلام

ومن خطبه أيضا أنه خطب بعد العصر فقال :

« أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ خُلُوءَةٌ ، أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَظَرْتُ كَيْفَ
تَعْمَلُونَ ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا ، وَاتَّقُوا النَّسَاءَ ، أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ
الْحَقَّ إِذَا عَلِمَهُ . . . ولم يزل يخطب حتى لم يبق من الشمس إلا حمرة على أطراف
السَّعَفِ فَقَالَ : إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا فِيهَا مَضَى إِلَّا كَمَا تَقَى مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا
فِيهَا مَضَى . » (إيجاز القرآن ص ١١٣)

٤٩ — خطبته بالخيف

وخطب بالخيف من منى فقال :

« أَنْصَرَّ ^(٢) اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها ، ثُمَّ أَذَاهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا ، فَرُبَّ
حَامِلٍ فَقَّهٍ لَا فَقَّهَ لَهُ ، وَرُبَّ حَامِلٍ فَقَّهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهَ مِنْهُ ، ثَلَاثٌ لَا يَنْغِلُ ^(٣)
عَلَيْهِنَّ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ : إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ ، وَالنَّصِيحَةُ لِأُولَى الْأَمْرِ ، وَلِزُومُ
الْجَمَاعَةِ ، إِنَّ دَعْوَتَهُمْ تَكُونُ مِنْ وَرَائِهِ ، وَمَنْ كَانَ هُمُ الْآخِرَةَ جَمَعَ اللَّهُ شِمْلَهُ ،
وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَأَتَمَّتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ ، وَمَنْ كَانَ هُمُ الدُّنْيَا فَرَّقَ اللَّهُ أَمْرَهُ ،
وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ . »

(إيجاز القرآن ص ١١٢)

[١] التقاة : التقوى . [٢] من النصرة والنصارة ، وهى الحسن .

[٣] غل صدره يغل كصرب غلا ، وهو الحقد والضغن .

٥٠ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

« أيها الناس ، إن لكم مَمَآلِمَ ^(١) فانتبهوا إلى مَمَآلِكُمْ ، وإن لكم نِهَآيَةً فانتبهوا إلى نِهَآيَتِكُمْ ، فإن العبد بين مخافتين ، أَجَلٍ قد مضى لا يدري ما الله فاعِلٌ فيه ، وَأَجَلٍ باقٍ لا يدري ما الله قَاضٍ فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الممات ، فوالذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيده ما بعد الموت من مُسْتَعْتَبٍ ^(٢) ، ولا بعد الدنيا من دارٍ إلا الجنةُ أو النار .
(تهذيب الكامل ١ : ٥ ، إيجاز القرآن ١١٠ ، البيان والتبيين ١ : ١٦٥ ، عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٣١)

٥١ - أول خطبة خطبها بالمدينة

حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

« أما بعد أيها الناس فَقَدَمُوا لأنفسكم ، تَعْلَمُنَّ والله لَيُصْعَقَنَّ أَحَدُكُمْ ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم يقولن له ربه وليس له ترهجان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولي فبلغك ، وآيتك مالا ، وأفضلت عليك ، فما قدّمت لنفسك ؟ فلينظرن يميناً وشمالاً ، فلا يرى شيئاً ، ثم لينظرن قُدَامَهُ فلا يرى غير جَهَنَّمَ ، فن استطاع أن يقي وجهَهُ من النار ، ولو بِشِقٍّ من تمرٍ فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإن بها تُجْزَى الحسنةُ عَشْرَ أمثالها إلى سبعمائة ضِعْفٍ ^(٣) ،
والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته . (سيرة ابن هشام ١ : ٣٠٠)

[١] جمع معلم كذهب ، وهو الأثر يستدل به على الطريق ، والمراد حدود الشريعة المطهرة .
[٢] استعته أعطاه العتي (وهي الرضا والصفح) وطلب إليه العتي .
[٣] ضعف الشيء مثله وضعفاه مثلاه ، أو الضعيف المثل إلى ما زاد ، ويقال لك ضعفه يريدون مثليه .
وثلاثة أمثاله لأنه زيادة غير محصورة .

٥٢ — خطبته في أول جمعة جمعها بالمدينة

« الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأشهد به ولا أكفره
وأعادي من يكفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً
عبده ورسوله ، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فطرة من الرسل ، وقلة من
العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنو من الساعة ، وقرب من
الأجل ، من يطع الله ورسوله فقد رشده ^(١) ، ومن يعصهما فقد غوى وفرط ،
وصل ضللاً بعيداً . وأوصيكم بتقوى الله ، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن
يحفظة على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله ، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ،
ولا أفضل من ذلك نصيحة . ولا أفضل من ذلك ذكر ، وإن تقوى الله لمن
عمل به على وجل وخافه من ربه . عونٌ صادق على ما تبغون من أمر الآخرة .
ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية ، لا ينوى بذلك إلا
وجه الله . يكن له ذكر في عاجل أمره . وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء
إلى ما قدم ، وما كان من سوى ذلك يؤذ لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم
الله نفسه ، والله رءوف بالعباد . والذي صدق قوله ، وأنجز وعده لا خلف
لذلك ، فإنه يقول عز وجل : « مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ، وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ » .
فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله ، في السر والعلانية ، فإنه من يتقى الله يكفر عنه
سيئاته ، ويعظم له أجراً ، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً ، وإن تقوى الله
يوقى مقتته ، ويوقى عقوبته ، ويوقى سُخْطَهُ ، وإن تقوى الله يُدَيِّضِ الوجوه ،
ويرضى الرب ، ويرفع الدرجة ، خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله ، قد

علمكم الله كتابه ، وَنَهَجَ لَكُمْ سَبِيلَهُ ، ليعلم الذين صدقوا وَيَعْلَمَ الكاذِبِينَ ، فَأَحْسِنُوا كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ، وَعَادُوا أَعْدَاءَهُ ، وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَسَمَا كُمْ الْمُسْلِمِينَ ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَأَكْثَرُوا ذِكْرَ اللَّهِ ، وَأَعْمَلُوا مَا بَعْدَ الْيَوْمِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يُصْلِحْ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ يَكْفِهِ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ يَقْضِي عَلَى النَّاسِ ، وَلَا يَقْضُونَ عَلَيْهِ ، وَيَمْلِكُ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ . (تاريخ الطبري ٢ : ٢٥٥)

٥٣ خطبته في حجة الوداع

« الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلِّلْ فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحثكم على طاعته ، وأُستفتح^(١) بالذي هو خير ، أما بعد : أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم ، فإنني لا أدرى لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا . أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، إلى أن تلقوا ربكم ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا . ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد ! فمن كانت عنده أمانةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ أئتمنه عليها ، وإن ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول رباً أبداً به ربا عى العباس بن عبد المطلب ، وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب^(٢) ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السِّدَّانة والسَّقَاية ، وَالْعَمْدُ

[١] . الاستفتاح : الافتتاح والاستنصار . [٢] وكان مسترضعاً في بني ليث فقتلته بنو هذيل .

قَوَد^(١) ، وَشَبَّهَ الْعَمْدَ مَا قُتِلَ بِالْعَصَا وَالْحَجَرِ وَفِيهِ مِائَةٌ بَعِيرٌ ، فَمَنْ زَادَ ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَتَّبِعُ أَنْ يُعْبَدَ فِي أَرْضِكُمْ هَذِهِ ، وَلَكِنَّهُ^(٢) قَدْ رَضِيَ أَنْ يَطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تُحَقِّرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّمَا النَّسِيءُ^(٣) زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِلُونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، وَإِنْ الزَّمَانُ قَدْ أُسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَإِنْ عِدَّةُ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ ، يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ ، وَوَاحِدٌ فَرْدٌ : ذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ ، وَالْمَحَرَّمُ ، وَرَجَبٌ^(٤) الَّذِي بَيْنَ مُجَادَى وَشَعْبَانَ ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟
اللَّهُمَّ اشْهَد !

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ لِنَسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ ، لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَلَا يُؤْطَيْنَ فَرَشَكُمْ غَيْرَكُمْ ، وَلَا يُدْخِلُنَّ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ بَيْوتَكُمْ إِلَّا بِإِذْنِكُمْ ،

[١] القود : القصاص ، أى من قتل عمدا يقتل . [٢] رواية الكامل لابن الأثير : «إن الشيطان قد يتبس أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه يطاع فيما سوى ذلك ، وقد رضى بما تحمرون من أعمالكم » . [٣] أى تأخير حرمة شهر إلى آخر ، وذلك أن العرب في الجاهلية كانوا إذا جاء شهر حرام ، وهم عاربون أحلوه ، وحرّموا مكانه شهراً آخر فيحلون المحرم ، ويحرمون صفرًا ، فإن احتاجوا أحلوه وحرّموا ربيعاً الأول ، وهكذا حتى استدار التحريم على شهور السنة كلها ، وكانوا يعتدون في التحريم بمجرد العدد لا خصوصية الأشهر المألوفة ، وأول من أحدث ذلك حنادة بن عوف السكاني كان يقوم على جبل في الموسم فينادي : إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ، ثم ينادي في القائل : إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم . فحرموه — زيادة في الكفر ، أى كفر آخر ضمّوه إلى كفرهم . ليواطئوا أى يوافقوا عِدَّةَ الأشهر الأربعة المحرّمة ، وكانوا ربما زادوا في عدد الشهور بأن يجعلوها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليقتسع لهم الوقت ويجعلوا أربعة أشهر من السنة حراماً أيضاً ، ولذا نسب على العدد المبين في الكتاب والسنة ، وكان وقت حجهم يختلف من أجل ذلك ، وكان في السنة التاسعة التى حج فيها أبو بكر بالناس في ذى القعدة ، وفي حجة الوداع في ذى الحجة ، وهو الذى كان على عهد إبراهيم الخليل ومن قبله من الأنبياء ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام « إن الزمان قد استدار . . . الخ » — راجع تفسير الألوسي ج ٣ ص ٣٠٥ [٤] قالوا في تلبية رجب وشعبان رجباً للتبليغ .

وَلَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ ، فَإِنْ فَعَلَنْ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَعْضُلُوهُنَّ ^(١) وَتَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرَّحٍ ، فَإِنْ انْتَهَيْنِ وَأَطَعْنَكُمْ فَعَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَإِنَّمَا النَّسَاءُ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ ^(٢) لَا يَمْلِكُنَّ أَنْ يَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا ، أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ ، وَأَسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النَّسَاءِ ، وَاسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْرًا ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد !

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ، وَلَا يَحِلُّ لِمَرِيٍّ مَالُ أَخِيهِ إِلَّا عَنْ طَيِّبِ نَفْسٍ مِنْهُ ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد ! فَلَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كَفَارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ، فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ ، كِتَابَ اللَّهِ ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد !

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنْ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، كُلُّكُمْ لِآدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ ، أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ ، وَلَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجْمِي فَضْلٌ إِلَّا بِالْتَّقْوَى ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد ! قَالُوا نَعَمْ . قَالَ فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ اللَّهُ قَدْ قَسَمَ لِكُلِّ وَارِثٍ نَصِيبَهُ مِنَ الْمِيرَاثِ ، وَلَا يَجُوزُ لِوَارِثٍ وَصِيَّةٌ ، وَلَا يَجُوزُ وَصِيَّةٌ فِي أَكْثَرِ مِنَ الثَّلَاثِ ، وَالْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ ^(٣) ، مَنْ أَدْعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يَقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ ^(٤) ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

(البيان والتبيين ٢ : ١٥ ، العقد المفريد ٢ : ١٣٠ ، إنجار القرآن ١١١ ، شرح ابن أبي الحديد ٤١ : ٤ ، تاريخ الطبري ٣ : ١٦٨ ، الكامل لابن الأثير ٢ : ١٤٦ ، سيرة ابن هشام ٢ : ٣٩٠)

[١] العسل : الخيس والنصيبي . [٢] جمع عاتية من عنا ، أي خضع وذلل ، والعاني : الأسير . [٣] وللعاهر : أي الراي ، أي لاحق له في النسب ولا حظ له في الولد ، وإنما هو لصاحب الفراش ، أي لصاحب أم أولاد وهو زوجها أو مولاها ، وهو كقوله الآخر : له التراب ، أي لاشيء له .

[٤] الصرف : التوبة والعادل العدية ، وقيل الصرف القيمة والعادل للثل ، وأصله في العدية يقال : لم يقبلوا منهم صرمًا ولا عدلاً ، أي لم يأخذوا منهم دية ولم يقتلوا بقتيلهم رجلاً واحداً ، أي طلبوا منهم أكثر من ذلك ، ثم جعل بعد في كل شيء حتى صار مثلاً فيمن لم يؤخذ منه الذي يجب عليه وألزم أكثر منه .

٥٤ - خطبته في مرض موته

عن الفضل بن عباس قال : جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت إليه فوجدته مَوْعُوكًا قد عَصَبَ رأسه ، فقال خذ يدي يا فضل ، فأخذت يده حتى جلس على المنبر ، ثم قال ناد في الناس ، فاجتمعوا إليه ، فقال :

« أما بعد : أيها الناس فإنني أحمدُ إليكم الله الذي لا إلهَ إلا هو ، وإنه قد دنا مني خُفُوقٌ ^(١) من بين أظهركم ، فمن كنتُ جلدتُ له ظهرًا ، فهذا ظهري فَلْيَسْتَقِدْ ^(٢) منه ، ومن كنتُ شتمتُ له عرضًا . فهذا عِرْضِي فَلْيَسْتَقِدْ منه ، ومن أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه ، ولا يَخْشَ الشَّخْصَاءَ مِنْ قِبَلِي ، فإنها ليست من شأني ، ألا وإنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ مَنْ أَخَذَ مِنِّي حَقًّا إِنْ كَانَ لَهُ ، أَوْ حَلَّانِي فَلَقِيتُ رَبِّي وَأَنَا طَيِّبُ النَّفْسِ ، وقد أرى أن هذا غير مُغْنٍ عَنِّي حتى أَقُومَ فيكم مراراً » .

ثم نزل فصلى الظهر ، ثم رجع فجلس على المنبر فعاد لمقاتله الأولى ، فادعى عليه رجل بثلاثة دراهم ، فأعطاه عِوضَهَا ، ثم قال : « أيها الناس ، من كان عنده شيء فَلْيُؤَدِّهِ وَلَا يَظَلْ فُضُوحُ الدُّنْيَا ، ألا وإن فُضُوحَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ فُضُوحِ الْآخِرَةِ » ثم صلى على أصحابِ أُحُدٍ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ ، ثم قال : « إن عبداً خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده ، فبكي أبو بكر ، وقال : فدينك بأنفسنا وآبائنا .

(تاريخ الطبري ٢ : ١٩١ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٥٤) .

[١] خفق النجم يخفق خفوقاً غاب والطائر طار والابل أكثره . [٢] فليقتصم (من القود) وهو القصاص ، أماد القاتل بالقتيل قتله به ، واستنقاد المالك سألُه أن يقيّد القاتل بالقتيل .

خطب يوم السقيفة

لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة فقالوا نُؤَلِّى هذا الأمر بعد محمد عليه الصلاة والسلام سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ ، وأخرجوا سعداً إليهم وهو مريض ، فلما اجتمعوا قال لابنه أو بعض بني عمه ، إني لا أقدر لشكواي أن أسمع القوم كلهم كلامي ، ولكن تَلَقَّ مني قولي فَأَسْمِعْهُمْهُ ، فكان يتكلم ويحفظ الرجل قوله : فيرفع صوته ، فيسمع أصحابه :

٥٥ - خطبة سعد بن عبادَةَ

فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« يا معشر الأنصار ، لكم سابقةٌ في الدين ، وفضيلةٌ في الإسلام ، ليست لقبيلة من العرب ، إنَّ محمداً عليه الصلاة والسلام لَبِثَ بِضْعَ عَشْرَةِ سَنَةٍ في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن ، وَخَلَعَ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْتَانِ ، فَمَا آمَنَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا رَجَالٌ قَلِيلٌ ، وما كانوا يقدرُونَ على أن يمنعوا رسول الله ﷺ ، ولا أن يُعْزُوا دينه ، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيماً مُثْمَوْا به ، حتى إذا أراد بكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة ، وَخَصَّكُمْ بالنعمة ، فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله ، وَالْمَنْعَ لَهُ ولأصحابه ، وَالْإِعْزَازَ لَهُ ولدينه ، وَالْجِهَادَ لِأَعْدَائِهِ ، فكنتم أشدَّ الناس على عدوِّه من غيركم ، حتى استقامت العرب لأمر الله طَوْعًا وَكَرْهًا ، وأعطى الْبَعِيدُ الْمَقَادَةَ صَاحِرًا دَاخِرًا ^(١) ، حتى أُنْخِنَ ^(٢) الله عزَّ وجلَّ لرسوله بكم الأرض ، ودانت بأسيا فكم لَهُ الْعَرَبُ ، وتوفاه الله وهو عنكم راضٍ ، وبكم قَرِيرٌ عَيْنٍ ، أَسْتَبِيدُوا بهذا الأمر دون الناس ، فإنه لكم دون الناس »

[١] صاغرا ذليلا : من دخر كنع وفرح دخورا ودخرا بالتحريك .

[٢] 'أُنْخِنَ' فلانا : أوهنه ، والمراد أخضع .

فأجابوه بأجمعهم أن قد وفقت في الرأي ، وأصبحت في القول ، وإن نعدو ما رأيت ، ثوليك هذا الأمر ، وأتى عمر الخبـر ، فأقبل إلى أبي بكر فقال : « أما علمت أن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ، يريدون أن يولوا هذا الأمر سعد بن عبادة ؟ وأحسنهم مقالة من يقول : منّا أميرٌ ومن فريش أميرٌ » ففضيا مسرعين نحوهم . فلقيا أبا عبيدة بن الجراح فتماشوا إليهم ثلاثتهم ، فجاءوا وهم مجتمعون فقال عمر : أتيناكم وقد كنت زويت ^(١) كلاما أردت أن أقوم به فيهم ، فلما أن دفعت إليهم ذهبت لأبتدى المنطق . فقال لى أبو بكر : رويدا حتى أتكلم ، ثم انطق بعد بما أحييت ، فنطق . فقال عمر : فما شئ كنت أردت أن أقوله إلا وقد أتى به أو زاد عليه .

٥٦ — خطبة أبي بكر رضى الله عنه

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« إن الله بعث محمدا رسولا إلى خلقه ، وشهيدا على أمته ، ليعبدوا الله ويوحّدوه ، وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ، ويزعمون أنها لهم عنده شافعة ، ولهم نافعة . وإنما هى من حَجَرٍ منحوت ، وخَشَبٍ منجور ^(٢) ، ثم قرأ : « وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ، وَيَقُولُونَ هُوَ ذَا شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَقَالُوا مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى » فمَظَمَ على العرب أن يتركوا دين آبائهم ، نَحَصَ الله المهاجرين الأولين من قومِهِ بتصديقِهِ ، والإيمانِ به ، والمؤاساة لَهُ ، والصبر معه ، على شِدَّةِ أذى قومِهِم لهم ، وتكذيبِهِم إِيَّاهُمْ .

[١] زوام يزويه جمعه ، والمراد أعددت . ورواية العبد العريد (٢ : ٢٠٤) زورت كلاما يرمى به زور النـبى ، حسه وقومـه ، والمراد أيضا هيأت وأعددت . [٢] النحر : نحت الخشب .

وكلُّ الناس لهم مخالفٌ زارٍ^(١) عليهم ، فلم يَسْتَوْحِشُوا لِقَلَّةِ عَدَدِهِمْ ، وَشَنَفَ^(٢) الناس لهم ، وَإِجْمَاعِ قَوْمِهِمْ عَلَيْهِمْ ، فَهُمْ أَوَّلُ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ ، وَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ ، وَهُمْ أَوْلِيَاؤُهُ وَعَشِيرَتُهُ ، وَأَحَقُّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَلَا يَنَازِعُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا ظَالِمٌ ، وَأَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَنْ لَا يُنْكَرُ فَضْلُهُمْ فِي الدِّينِ ، وَلَا سَابِقَتُهُمْ الْعَظِيمَةُ فِي الْإِسْلَامِ ، رَضِيَكُمْ اللَّهُ أَنْصَارًا لِدِينِهِ وَرَسُولِهِ ، وَجَعَلَ إِلَيْكُمْ هِجْرَتَهُ وَفِيكُمْ جَلَّةُ أَرْوَاجِهِ وَأَصْحَابُهُ ، فَيَسِ بِعَدِّ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ عِنْدَنَا بِمَنْزِلَتِكُمْ ، فَنَحْنُ الْأَمْرَاءُ ، وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ ، لَا تُفْتَاتُونَ بِمَشُورَةٍ وَلَا تُقْضَى دُونَكُمْ الْأُمُورُ »

« هذه رواية الطبري لتلك الخطبة ، وأوردها غيره بنص آخر ، وهاكه »

٥٧ — نص آخر لخطبة أبي بكر يوم السقيفة

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : نحن المهاجرون ، أوَّلُ الناس إسلامًا ، وَأَكْرَمُهُمْ أَحْسَابًا ، وَأَوْسَطُهُمْ دَارًا ، وَأَحْسَنُهُمْ وَجُوهًا ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ وَلَادَةً فِي الْعَرَبِ ، وَأَمْسَهُمْ رَحِمًا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَسَامَنَا قَبْلَكُمْ ، وَقَدَّمْنَا فِي الْقُرْآنِ عَلَيْكُمْ ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ » فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار ، إِخْوَانُنَا فِي الدِّينِ ، وَشُرَكَائُنَا فِي الْفِيءِ^(٣) . وَأَنْصَارُنَا عَلَى الْعَدُوِّ ، أَوْيَتُمْ وَوَأَسَيْتُمْ ، جُزَاؤُكُمْ اللَّهُ خَيْرًا ، فَنَحْنُ الْأَمْرَاءُ ، وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ ، لَا تَدِينُ الْعَرَبُ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ فَرِيشٍ ، فَلَا تَنْفَسُوا^(٤) عَلَى إِخْوَانِكُمْ مَا مَنَحَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ . »

(العقد الفريد ٢ : ١٣٠ — ٢٠٤ ، عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٣٣ ، البيان والتبيين ٣ : ١٤٧)

[١] زرى عليه زراية عابه . [٢] شنف له كمرح أبعسه وتكره فهو شنف .

[٣] العيبة والحراج . [٤] نفس عليه بحير (كمرح) حسده ، ونفس عليه الشيء عاصيته لم يره أهلاه .

٥٨ - خطبة الحباب بن المنذر

ثم قام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال :

« يا معشر الأنصار : املكوا عليكم أمركم ، فإن الناس في فيئكم وفي ظلكم ، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم ، ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم ، أنتم أهل العز والثروة ، وأولو العدد والمنعة والتجربة ، وذوو البأس والنجدة ، وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون ، ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم ، وينتقض عليكم أمركم ، فإن أبي هوألاء إلا ماسمعتم ، فإنا أمير ومنهم أمير .

٥٩ - خطبة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

فقال عمر : « هيهات لا يجتمع اثنان في قرن ^(١) ، والله لا ترضى العرب أن يؤمرؤكم ونبئها من غيركم ، ولكن العرب لا تمتنع أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم ، وتولى أمورهم منهم ، ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة ، والسلطان المبين ، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ، ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل ، أو متجانب ^(٢) لا ثم ، أو متورط في هلكة ؟ »

٦٠ - خطبة أخرى للحباب بن المنذر

فقام الحباب بن المنذر ، فقال :

« يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه ، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ، فإن أبوا عليكم ما سألتوه ، فأجلوهم عن هذه البلاد ، وتولوا عليهم هذه الأمور ، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم ،

فإنه بأسيا فكم دان لهذا الدين من دان ، ممن لم يكن يدين ؛ أنا جُذيلها
المُحَكَّك ، وَعُذَيْقُهَا المُرَجَّب ^(١) ، أما والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة ^(٢) .

فقال عمر : إذن يقتلك الله ، قال : بل إياك يقتل ، فقال أبو عبيدة :
يا معشر الأنصار : إنكم أول من نصر وآزر ، فلا تكونوا أول من بدّل وغير .

٦١ — خطبة بشير بن سعد

فقام بشير بن سعد - أبو النعمان بن بشير - فقال :
« يا معشر الأنصار ، إنا والله لئن كنّا أولى فضيلة في جهاد المشركين ،
وسابقة في هذا الدين ، ما أردنا به إلا رضا ربنا ، وطاعة نبينا ، والكدح لأنفسنا ،
فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك ، ولا نبتغي به من الدنيا عَرَضًا ، فإن
الله وليّ المِنَّةِ علينا بذلك ، ألا إن محمدًا صلى الله عليه وسلم من قريش ، وقومهُ
أحقّ به وأولى ، وإيم الله لا يراني الله أنزعهم هذا الأمر أبدًا ، فاتقوا الله ولا
تخالفوه ولا تنازعوه » .

فقال أبو بكر : هذا عمر ، وهذا أبو عبيدة ، فأَيُّهما شئتم فبايعوا ، فقالا
لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك ، فإنك أفضل المهاجرين ، وثاني اثنين إذ هما
في الغار ، وخليفة رسول الله على الصلاة ، والصلاة أفضل دين المسلمين ، فمن ذا
ينبغي له أن يتقدّمك ، أو يتولى هذا الأمر عليك ، أبسط يدك نبايعك ، وقام
الناس إليه فبايعوه .
(تاريخ الطبري ٢٠٧ : ٣ ، والكامل لابن الأثير ١٥٨ : ٢)

[١] الجذيل : تصغير الجذل (بالكسر) ، وهو أصل الشجرة ، وعود ينصب للإبل الجري ليجتكم به وتدرس ،
والمحكك الذي تنحكك به ، والعذيق تصغير العذيق (بالفتح) ، وهو النخلة ، والمرجب الذي جعل له رجة ، وهي
دعامة تبني حولها من الحجارة ، وذلك إذا كانت النخلة كريمة وطالت تخوفوا عليها أن تنقر من الرياح
العواصف ، والتصغير هنا يراد به التكبير والتعظيم ، وهو مثل ، والمراد أنه رجل يستشفي برأيه وعقله
[٢] الجذعة : الشابة الفتية ، يريد الحروب والعمارات .

خطب أبي بكر الصديق

رضي الله عنه

٦٢ - خطبته يوم قبض الرسول صلى الله عليه وسلم

دخل أبو بكر الصديق رضوان الله عليه ، على النبي عليه الصلاة والسلام وهو مُسَجَّى^(١) بثوب ، فكشف عنه الثوب ، وقال :

« بأبي أنت وأُمي ! طِبْتَ حَيًّا ، وَطِبْتَ مَيِّتًا ! وَانْقَطَعَ لِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ النَّبِيِّينَ ، فَمَظُمَتَ عَنِ الصِّفَةِ ، وَجَلَلْتَ عَنِ الْبُكَاءِ ، وَخَصَصْتَ حَتَّى صَرْتَ مَسْأَلَةً^(٢) ، وَعَمَمْتَ حَتَّى صَرْنَا فِيكَ سَوَاءً^(٣) ، وَلَوْلَا أَنْ مَوْتِكَ كَانَ اخْتِيَارًا مِنْكَ^(٤) ، لَجُدْنَا لِمَوْتِكَ بِالْأَنْفُسِ ، وَلَوْلَا أَنَّكَ نَهَيْتَ عَنِ الْبُكَاءِ ، لَأَنفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّعُونِ^(٥) ، فَأَمَّا مَا لَا نَسْتَطِيعُ نَفْيَهُ عَنَّا ، فَكَمَدُ وَإِدْنَانِ^(٦) ، يَتَخَالَفَانِ وَلَا يَبْرَحَانِ . اللَّهُمَّ فَأَبْلِغْهُ عَنَّا السَّلَامَ ، اذْكُرْنَا يَا مُحَمَّدُ عِنْدَ رَبِّكَ ، وَانْكُنْ مِنْ بَالِكَ ، فَلَوْلَا مَا خَلَقْتَ مِنَ السَّكِينَةِ لَمْ نُقِمْ لِمَا خَلَقْتَ مِنَ الْوَحْشَةِ ، اللَّهُمَّ أَبْلِغْ نَبِيَّكَ عَنَّا ، وَاحْفَظْهُ فِينَا ! »

ثم خرج إلى الناس وهم في شديد غمراتهم ، وعظيم سكراتهم ، فخطب خطبة قال فيها : « أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا

[١] تمجبة الميت : تطيبه . [٢] خمس التي : من باب قد خصوراً فهو خاص : خلاف عم ، مثل اخص . (وكلا الفعلين يستعمل متدياً ولازماً) ، والمعنى إليك يا رسول الله قد صرت بموتك مسالة للباس ، فإنك مع ما اخصصت به من مناقب السوة قد نزل بك الموت ، فللعباد فيك أسوة حسنة .

[٣] أي عمت مصيبتك جميع المسلمين فصرنا نحن وقرايك سواء في الحزن عليك والفرح لفقدك .

[٤] يشير إلى قوله عليه السلام : « لَمْ يَقْبِضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ يَخِيرُ » قالت عائشة : فسمعه وقد شخص بصره ، وهو يقول : « فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى » فعلمت أنه خير ، فعلمت أنه لا يختارنا إذن ، وقلت هو الذي كان يحدثنا وهو صحيح . [٥] جمع شأن ، وهو مجرى الدمع إلى العين .

[٦] دنف المريض كعرج ، وأدنف : نمل ، والشمس : دنت للغروب واصفرت .

عبده ورسوله ، وأشهد أن الكتاب كما نزل ، وأن الدين كما شرع ، وأن الحديث كما حَدَّث ، وأن القول كما قال ، وأن الله هو الحق المبين ... في كلام طويل ، ثم قال : أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت ، وإن الله قد تقدّم إليكم في أمره ، فلا تدعوه جزأً ، وإن الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم ، وقبضه إلى ثوابه ، وخلف فيكم كتابه . وسنة نبيه ، فمن أخذ بهما عرف ، ومن فرق بينهما أنكر . يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط^(١) ، ولا يشفعنكم^(٢) الشيطان بموت نبيكم ، ولا يفتننكم عن دينكم ، فعاجلوه بالذي تُعجزونه ، ولا تستنظروه فيلحق بكم»
(زهر الآداب ١ : ٣٥)

٦٣ — خطبته بعد البيعة

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« أيها الناس : إني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتوني على حق فأعينوني ، وإن رأيتوني على باطل فسدّدوني ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم . فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم ، ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى أخذ الحق له ، وأضعفكم عندي القوي حتى أخذ الحق منه ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . »

(العقد المرید ٢ : ١٣٠ ، وإعجاز القرآن ص ١١٥ ، وصيوان الاخبار م ٢ : ٢٣٤ ، وتهذيب الكامل ١ : ٦ ، تاريخ الطبري ٣ : ٢٠٣ ، ابن أبي الحديد م ٢ : ٨ ، وم ٤ : ١٦٧ ، سيرة ابن هشام ٢ : ٤٣٠)

٦٤ — خطبة أخرى له بعد البيعة

وقال الطبري : نادى منادى أبي بكر من بعد الغد من متوفى رسول الله

صلى الله عليه وسلم لِيَتِمَّ بَعَثُ أُسَامَةَ : أَلَا لَا يَبْقَيْنَ بِالْمَدِينَةِ أَحَدٌ مِنْ جُنْدِ أُسَامَةَ إِلَّا خَرَجَ إِلَى عَسْكَرِهِ ، وَقَامَ فِي النَّاسِ ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :
 « يَا أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّمَا أَنَا مِثْلُكُمْ ، وَإِنِّي لَا أَدْرِي لِمَلِكُمْ سَتَكُلُّوْنِي مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطِيقُ . إِنْ اللَّهُ اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَعَصَمَهُ مِنَ الْآفَاتِ ، وَإِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ ، وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ ، فَإِنْ أَسْتَقَمْتَ فَتَابِعُونِي ، وَإِنْ زِغْتَ فَقَوِّمُونِي ، وَإِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبِضَ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلَمَةٍ ^(١) ضَرْبَةِ سَوْطٍ فَمَا دُونَهَا ، أَلَا وَإِنْ لِي شَيْطَانًا ^(٢) يَعتَرِينِي ، فَإِذَا غَضِبْتَ فَاجْتَنِبُونِي ، لَا أُؤَثِّرُ فِي أَشْعَارِكُمْ وَأَبْشَارِكُمْ ^(٣) ، أَلَا وَإِنِّكُمْ تَعْدُونَ وَتَرْوَحُونَ فِي أَجَلٍ قَدْ غُيِّبَ عَنْكُمْ عِلْمُهُ ، فَإِنْ أَسْتَعْطَمَ الْأَيُّمِيُّ هَذَا الْأَجَلَ إِلَّا وَأَنْتُمْ فِي عَمَلٍ صَالِحٍ فَافْعَلُوا ، وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَسَابِقُوا فِي مَهَلٍ آجَالِكُمْ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تُسَلِّمَ آجَالُكُمْ إِلَى انْقِطَاعِ الْأَعْمَالِ ، فَإِنْ قَوْمًا نَسُوا آجَالَهُمْ ، وَجَعَلُوا أَعْمَالَهُمْ لغيرِهِمْ ، فَإِيَّاكُمْ أَنْ تَكُونُوا أَمْثَلَهُمْ ، الْجِدُّ الْجِدُّ ، وَالْوَحَا ^(٤) الْوَحَا ، وَالنَّجَاءُ ^(٥) النَّجَاءُ ، فَإِنْ وَرَاءَكُمْ طَالِبًا حَشِيئًا ^(٦) ، أَجَلًا مَرَّةً سَرِيعًا ، أَحْذَرُوا الْمَوْتَ ، وَأَعْتَبَرُوا بِالْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَانِ ، وَلَا تَغْبِطُوا ^(٧) الْأَحْيَاءَ إِلَّا بِمَا تَغْبِطُونَ بِهِ الْأَمْوَاتَ » .

(تاريخ الطبري ٣ : ٢١١ ، وشرح ابن أبي الحديد ٤ : ص ١٦٧)

[١] الظلامة . [٢] قال ابن الحديد : وأراد بالشیطان العصب ، ولم يرد أن له شيطاناً من مردة الجن يعتریه إذا غضب ، ولو كان له شیطان من الجن يعتاده وينوبه لكان في عداد المصروعين من الجن . وما ادعى أحد على أبي بكر هذا لامن أوليائه ولامن أعدائه . [٣] أبشار جمع بشر ، وهو جمع بشرة وهي ظاهر الجلد . [٤] العجلة والإسراع ، وحى وتوحى : أسرع ، وورحاه : مجله . [٥] الإسراع أيضاً . [٦] شبطه : تمنى مثل حله من غدر أن يريد زوال نعمته عنه .

٦٥ - خطبة أخرى

قال الطبرى : وقام أيضاً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« إن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه ، فأريدوا الله
بأعمالكم ، واعلموا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتموها ، وحفظ
ظفر^(١) ثم به ، وضرائب أديتموها ، وسلف قدمتموه ، من أيام فانية لأخرى باقية ، حين
فقركم وحاجتكم ، اعتبروا عباد الله بمن مات منكم ، وتفكروا فيمن كان قبلكم . أين
كانوا أمس ؟ وأين هم اليوم ؟ أين الجبارون ؟ وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة
في مواطن الحروب ؟ قد تضعض بهم الدهر ، وصاروا رميماً ، قد تركت عليهم
القالات^(٢) الخبيثات ، وإنما الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ، وأين الملوك
الذين أثاروا الأرض وعمروها ؟ قد بعدوا ، ونسى ذكرهم ، وصاروا كالأشياء ، ألا وإن
الله قد أبقى عليهم التبعات ، وقطع عنهم الشهوات ، ومضوا والأعمال أعمالهم ،
والدنيا دنيا غيرهم ، وبقينا خلفاً من بعدهم ، فإن نحن اعتبرنا بهم نجوئنا ، وإن
أغتررنا كنا مثلهم ، أين الوضاء^(٣) الحسنة وجوههم ، المعجبون بشبابهم ؟ صاروا
تراباً ، وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم ، أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط ،
وجعلوا فيها الأعاجيب ؟ قد تركوها لمن خلفهم ، فتلك مساكنهم خاوية ، وهم
في ظلمات القبور ، هل تحس منهم من أحد ، أو تسمع لهم ركزاً^(٤) ؟ أين من
تعرفون من أبنائكم وإخوانكم ؟ قد انتهت بهم آجالهم ، فوردوا على ما قدموا ،
فخلوا عليه ، وأقاموا للشقوة وللسمادة فيما بعد الموت ، ألا إن الله لا شريك له

[١] القول : في الخير ، والقال والقليل والقاله : في الشر . [٢] الوضاء جمع وضى . وهو الحسن
والنظيف ، وهو أيضاً وضاء بضم الواو وتشديد الضاد ، وجمعه وضاءون . [٣] الصوت الحى .

ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيراً ، ولا يصرف عنه به سوءاً
إلا بطاعته واتباع أمره ، واعلموا أنكم عبيد مدينون ، وأن ما عنده لا يُدرك
إلا بطاعته ، أما وإنه لا خيرَ بخيرٍ بعده النارُ ، ولا شرَّ بِشَرِّ بعده الجنةُ .
(تاريخ الطبري ٣ : ٣١١ ، وشرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٦٧)

٦٦ — خطبة له

ومن خطبه : « حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ، ثم قال :
« إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك ، فرفع الناس رءوسهم ، فقال :
مالكُم يا مشر الناس ؟ إنكم لطمعون عجائون ، إن من الملوك من إذا ملك زهدَهُ
الله فيما في يده ، ورغبةً فيما في يَدَيْ غيره ، وانتقصه شطراً أجله ، وأشرب قلبه
الإشفاق ، فهو يحسُدُ على القليل ، ويتسخط^(١) الكثير ، ويسأم الرخاء ، وتنقطع
عنه لذة البهاء ، لا يستعمل العبرة . ولا يسكنُ إلى الثقة ، فهو كالدرهم القسبي^(٢) ،
والسراب الخادع ، جذل الظاهر ، حزين الباطن ، فإذا وجبت^(٣) نفسه ،
ونضب عمره ، وضحا ظله^(٤) ، حاسبه الله فأشدَّ حسابه ، وأفلَّ عفوهُ . ألا إن
الفقراء هم المرحومون ، وخير الملوك من آمن بالله ، وحكم بكتاب الله وسنة نبيه
صلى الله عليه وسلم ، وإنكم اليوم على خلافة نبوة ، ومفرق محجة ، وسرور
بمدي مُلكاً عضوياً^(٥) ، وأمة شعاعاً^(٦) ، ودماً مُفاحاً^(٧) فإن كانت للباطل
تروة^(٨) ، ولأهل الحق جولة ، يعفوها الأثر ، وتموت السنن ، فالزموا المساجد ،

[١] تسخط عطاءه : استقله ولم يقم منه موقفاً . [٢] الزائف . [٣] مات ووجبت الشمس
عابت ، والعين غارت . [٤] مات أيضاً . [٥] العضوض : ما يعص عليه ، وملاك عضوض فيه
عسف وظلم . [٦] شعرة . [٧] أفاقه : أراقه . [٨] وثمة .

واستشيروا القرآن ، والزموا الجماعة ، وليكن الإبرام بعد التشاور ، والصَّفقة بعد طول التناظر ، أَى بلاد خَرَشَنَة ^(١) إن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أدناها .

(عيون الأخبار م ٢ ص ٢٣٣ ، والبيان والنبين ٢ : ٢١ ، والعقد الفريد ٢ : ١٣١ ، وصح الأعشى ١ : ٢١٣ ، وزهر الآداب ١ : ٣٩) .

٦٧ — خطبة له

وخطب أيضاً فقال :

« الحمد لله ، أحمدُه ، وأسْتَعِينُهُ ، وأسْتَغْفِرُهُ ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأستهدى الله بالهدى ، وأعوذ به من الضلالة والردى ، ومن الشك والعمى ، من يهد الله فهو المهتدى ، ومن يضلِّلْ فلن تجد له وليا مرشداً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، يُعزُّ من يشاء ، ويذلُّ مَنْ يشاء بيده الخير ، وهو على كلِّ شئ قدير ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدِّين كله ، ولو كره المشركون ، إلى الناس كافة ، رحمة لهم ، وحجة عليهم ، والناس حينئذ على شَرِّ حال في ظلمات الجاهلية ، دينهم بدعة ، ودعوتهم فِرْيَة ، فأعزَّ الله الدين بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وألَّفَ بين قلوبكم أيها المؤمنون ، فأصبحتُم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ، فأطيعوا الله ورسوله ، فإنه قال عزَّ وجل : « مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا » .

أما بعد أيها الناس : إني أوصيكم بتقوى الله العظيم في كلِّ أمر ، وعلى كلِّ حال ، ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم ، فإنه ليس فيما دون الصدق من

[٢] خوشنة : بلد بالروم ، والمراد بلاد الروم .

الحديث خير، مَنْ يَكْذِبْ يَفْجُرْ ، وَمَنْ يَفْجُرْ يَهْلِكْ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفَخْرَ ، وَمَاخِرُ
 مِنْ خَلْقٍ مِنَ التُّرَابِ ، وَإِلَى التُّرَابِ يَعُودُ ؟ هُوَ الْيَوْمَ حَيٌّ ، وَغَدًا مَيِّتٌ ، فَاعْمَلُوا
 وَعُدُّوا أَنْفُسَكُمْ فِي الْمَوْتِ ، وَمَا أَشْكَلَكُمْ عَلَيْكُمْ فَرَدُّوا عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ ، وَقَدِمُوا
 لِأَنْفُسِكُمْ خَيْرًا تَجِدُوهُ مُحْضَرًا ، فَإِنَّهُ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : « يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ
 مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوْذَلُ أَنْ يُرَدَّ بِهَا وَيُنْفَخُ أَمَدًا
 بَعِيدًا ، وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ » . فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَرَاقِبُوهُ ،
 وَأَعْتَبُوا بِمَنْ مَضَى قَبْلَكُمْ ، وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ لِقَاءِ رَبِّكُمْ ، وَالْجَزَاءُ بِأَعْمَالِكُمْ :
 صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا ، إِلَّا مَا غَفَرَ اللَّهُ ، إِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ؛ فَأَنْفُسَكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، وَالْمُسْتَعَانَ
 اللَّهُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » . إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ ، أَفْضَلَ
 مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ ، وَزَكَّنَا بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، وَأَلْحَقْنَا بِهِ ، وَأَحْشُرْنَا فِي
 زُمرَتِهِ ، وَأُورِدْنَا حَوْضَهُ ، اللَّهُمَّ أَعِزَّنَا عَلَى طَاعَتِكَ ، وَانصِرْنَا عَلَى عَدُوِّكَ .

(العقد الفريد ٢ : ١٣١)

٦٨ - خطبة له

وخطب أيضاً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
 « أوصيكم بتقوى الله ، وَأَنْ تُثْنُوا عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَأَنْ تَحْلِطُوا الرِّغْبَةَ
 بِالرَّهْبَةِ ، وَتَجْمَعُوا الْإِلْحَافَ بِالْمَسْأَلَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ أَثْنَى عَلَى زَكَرِيَّا وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ فَقَالَ :
 « إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ » .
 ثُمَّ أَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ ارْتَهَنَ بِحَقِّهِ أَنْفُسَكُمْ ، وَأَخَذَ عَلَى ذَلِكَ مَوَاقِفَكُمْ ،
 وَعَوَّضَكُمْ بِالْقَلِيلِ الْفَانِي الْكَثِيرَ الْبَاقِي ، وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ فِيكُمْ لَا تَفْنَى عِجَابُهُ ،

وَلَا يُطْفَأُ نوره ، فَثِقُوا بِقوله ، وَانْتَصِحُوا^(١) كتابه ، واستبصروا فيه ليوم
الظلمة ، فإنه خلقكم لعبادته ، وَوَكَل بِكُمْ الْكِرَام الْكَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ^(٢) .

(العقد الفريد ٢ : ١٣١ ، وعيون الأخبار م ٢ ص ٢٣٢)

٦٩ — خطبة له في ندب الناس لفتح الشام

وَخُطِبَ يَنْدُبُ النَّاسَ لِفَتْحِ الشَّامِ ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى رَسُولِهِ ، وَقَالَ :
« أَلَا إِنَّ لِكُلِّ أَمْرٍ جَوَامِعَ ، فَمَنْ بَلَغَهَا فَهِيَ حَسْبُهُ ، وَمَنْ عَمِلَ اللَّهُ كِفَاهَهُ
اللَّهُ ، عَلَيْهِمُ بِالْجِدِّ وَالْقَصْدِ ، فَإِنَّ الْقَصْدَ أَبْلَغُ ، أَلَا إِنَّهُ لَا دِينَ لِأَحَدٍ لَا إِيمَانَ لَهُ ،
وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حِسْبَةَ لَهُ ، وَلَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ ، أَلَا وَإِنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ
الثَّوَابِ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، كَمَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحِبَّ أَنْ يُخَصَّ بِهِ ، هِيَ
التَّجَارَةُ الَّتِي دَلَّ اللَّهُ عَلَيْهَا ، وَنَجَّى بِهَا مِنَ الْخِزْيِ ، وَأَلْحَقَ بِهَا الْكِرَامَةَ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ »
(تاريخ الطبري ٤ : ٣٠)

٧٠ — خطبة له في الأنصار

. وَوَصَلَ إِلَيْهِ مَالٌ مِنَ الْبَحْرَيْنِ ، فَسَاوَى فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ ، فَغَضِبَتْ الْأَنْصَارُ ،
وَقَالُوا لَهُ فَضَّلْنَا ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقْتُمْ ، إِنْ أُرِدْتُمْ أَنْ أَفْضَلَ لَكُمْ صَارَ مَا عَمِلْتُمُوهُ لِلدُّنْيَا ،
وَإِنْ صَبَرْتُمْ كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا عَمَلْنَا إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى وَانْصَرَفُوا ،
فَرَفَّقَ أَبُو بَكْرٍ الْمَنْزِبَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ :
« يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ : إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَقُولُوا إِنَّا آوَيْنَاكُمْ فِي ظِلِّ آلِنَا ، وَشَاطَرْنَاكُمْ
فِي أَمْوَالِنَا ، وَنَصَرْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا ، قَلْتُمْ ، وَإِنْ لَكُمْ مِنَ الْفَضْلِ مَا لَا يُحْصِيهِ الْعَدَدُ ،

[١] انتصح فلان : قبل النصيحة ، يقال : انتصحني فلان لك ناصح . [٢] ورد عقب ذلك « ثم
اعلموا عباد الله أنكم تكدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه . . . الخ » مما أورده ابن جرير
الطبري في الخطبة التي أسلفنا ذكرها من ٦٨

وإن طال به الأمد ، فنحن وأنتم كما قال طُفَيْلُ الغَنَوِيِّ :

جزى الله عنا جعفرًا حين أُرِيقَتْ بنا نَعْلُنَا في الواطئين فزَلَّتْ
أَبْوَا أَنْ يَمْلُكُونَا ، ولو أَنَّ أَمْنًا تُلَاقِي الذي يَلْقَوْنَ مِنَّا لَمَلَّتْ
هُمْ أَسْكَنُونَا فِي ظِلَالِ يَبُوتِهِمْ ظِلَالِ يَبُوتِ أَدْفَاتِ وَأُظْلَلَّتْ

(زهير الآداب ١ : ٣٩)

وصاياہ

٧١ — وصيته لأسامة بن زيد

وأوصى أسامة بن زيد وجيشه حين سَيَّرَهُ إِلَى ابْنِي^(١) ، فقال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : قِفُوا أَوْصِيَكُمْ بِعَشْرٍ فَاحْفَظُوهَا عَنِّي : لَا تَخُونُوا ، وَلَا تَغْلُوا^(٢)
وَلَا تَغْدُرُوا^(٣) ، وَلَا تَمْلُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا طِفْلًا صَغِيرًا ، وَلَا شَبَحًا كَبِيرًا وَلَا امْرَأَةً ،
وَلَا تَقْعُرُوا^(٤) نَخْلًا ، وَلَا تَحْرِقُوهُ ، وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرَةً مُشْمَرَةً ، وَلَا تَذْبَحُوا شَاةً
وَلَا بَقْرَةً وَلَا بَعِيرًا إِلَّا لِمَا كَلَّةٌ^(٥) ، وَسَوْفَ تَمْرُثُونَ بِأَقْوَامٍ قَدْ فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ فِي
الصَّوَامِعِ ، فَدَعُوهُمْ وَمَا فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ ، وَسَوْفَ تَقْدَمُونَ عَلَى قَوْمٍ يَأْتُونَكُمْ بِأَنِيَّةٍ
فِيهَا أَلْوَانُ الطَّعَامِ ، فَإِذَا أَكَلْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ ، فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ،
وَتَلْقَوْنَ أَقْوَامًا قَدْ فَخَصُوا أَوْسَاطَ رءُسِهِمْ ، وَتَرَكُوا حَوْلَهَا مِثْلَ الْعَصَائِبِ ،
فَاخْفِقُوهُمْ^(٦) بِالسَّيْفِ خَفَقًا ، ائِدْفَعُوا بِاسْمِ اللَّهِ^(٧) » .

(تاريخ الطبري ٣ : ٢١٣ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٦٢)

[١] موضع بقرب مؤتة بمشارق الشام قتل فيه والده زيد بن حارثة . [٢] غلّ يغلّ كنصر : حان

كأغلّ ، وغلّ صدره يغلّ كضرب غليلا وغلا حقد . [٣] غدوره وغدر به كنصر وضرب وسمع .

[٤] قعر النحلة : كنع فاتمرت قدامها من أصلها فسقطت . [٥] المأكلة ما أكل .

[٦] خفقه ضربه بشيء عريض . [٧] وأورد العقد الفريد هذه الوصية وذكر أنها وصية من

٧٢ — وصيته لعمر بن العاص والوليد بن عقبة

وشيع عمرو بن العاص والوليد بن عقبة مَبْعَثَهُمَا عَلَى الصَّدَقَةِ ، وَأَوْصَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِوَصِيَّةٍ وَاحِدَةٍ :

« اتَّقِ اللَّهَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ، وَيُعْظِمِ لَهُ أَجْرًا ، فَإِنْ تَقَوَّى اللَّهُ خَيْرَ مَا تَوَاصَى بِهِ عِبَادُ اللَّهِ ، إِنَّكَ فِي سَبِيلٍ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، لَا يَسْمَعُ فِيهِ إِلَّا ذِهَانٌ^(١) وَالتَّفَرُّيْطُ وَالْغَفْلَةُ عَمَّا فِيهِ قَوَامُ دِينِكُمْ ، وَعَصْمَةُ أَمْرِكُمْ فَلَاتَنْ ، وَلَا تَفْتُرْ . »
(تاريخ الطبري ٤ : ٢٩)

٧٣ — وصيته لخالد بن الوليد

وقال لخالد بن الوليد : « سر على بركة الله ، فإذا دخلت أرض العدو ، فكن بعيداً من الحملة ، فإنني لا آمن عليك الجولة ، وأستظهر بالزاد ، وسر بالأدلاء ، ولا تقاتل بمجروح ، فإن بعضه ليس منه ، واحترس من البيات ، فإن في العرب غيرة ، وأقلل من الكلام ، فإن مالك ما وُعِيَ عنك ، وافبل من الناس علانيتهم ، وكلهم إلى الله في سريرتهم ، وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه . »
(العقد المرید ١ : ٤٠)

٧٤ — وصيته ليزيد بن أبي سفيان

ووصى يزيد بن أبي سفيان حين وجهه لفتح الشام :
« إني قد وليتك لِأَبْلُوكَ وَأَجْرَبَكَ وَأَخْرَجَكَ ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ رَدَدْتُكَ إِلَى عَمَلِكَ وَزِدْتُكَ ، وَإِنْ أَسَأْتَ عَزَلْتُكَ ، فَعَمَلِكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّهُ يَرَى مِنْ بَاطِنِكَ

[١] الأذهان : الدامنة والنش .

مثل الذى يَرَى من ظاهرك ، وإن أولى الناس بالله أشدهم تولياً له ، وأقرب الناس من الله أشدهم تقرباً إليه بعمله ، وقد وليتك عمل خالد ^(١) فإياك وعِيبَةُ ^(٢) الجاهلية ، فإن الله يُبْغِضُهَا وَيُبْغِضُ أَهْلَهَا ، وإذا قَدِمْتَ عَلَى جُنْدِكَ فَأَحْسِنْ مُصَحَّبَتَهُمْ ، وابدأهم بالخير ، وَعِدْهُمْ إِيَّاه ، وإذا وعظتهم فأوجِزْ ، فإن كثير الكلام يُذَسِّى بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَأَصْلِحْ نَفْسَكَ يَصْلُحْ لَكَ النَّاسُ ، وَصَلِّ الصَّلَوَاتِ لِأَوْقَاتِهَا بِإِتِمَامِ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَالتَّخَشُّعِ فِيهَا ، وإذا قَدِمَ عَلَيْكَ رُسُلُ عَدُوِّكَ فَأَكْرِمْهُمْ وَأَقِلِّ لُبَّتَهُمْ حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به ، ولا تُرِيْهِمْ ^(٣) فَيَرَوْا خَلَاكَ ، ويعلموا عِلْمَكَ ، وأنزلهم فى ثروة عسكرك ، وامنع من قِبَلِكَ من محادثتهم ، وكن أنت المتولَّى لِكَلَامِهِمْ ، ولا تجعل سرك لعلايتك ، فيختلط أمرك ، وإذا استشرت فاصْدُقْ الْحَدِيثَ تُصَدِّقْ الْمَشُورَةَ ، ولا تَخْزِنْ عَنِ الْمَشِيرِ خَبْرَكَ ، فَتُؤْتَى مِنْ قِبَلِ نَفْسِكَ ، واشْمُرْ بِاللَّيْلِ فِي أَصْحَابِكَ تَنَاتِكَ الْأَخْبَارَ ، وتنكشِفْ عِنْدَكَ الْأَسْتَارَ ، وَأَكْثِرْ حَرَسَكَ وَبَدِّدْهُمْ فِي عَسْكَرِكَ ، وَأَكْثِرْ مَفَاجَأَتِهِمْ فِي مُحَارَسِهِمْ بغير علم منهم بك ، فمن وجدته غَفَلَ عَنْ مُحَرَّسِهِ ، فَأَحْسِنْ أَدَبَهُ وَعَاقِبَهُ فِي غَيْرِ إِفْرَاطٍ ، وَعَقِّبْ ^(٤) بَيْنَهُم بِاللَّيْلِ ، واجعل النَّوْبَةَ الْأُولَى أَطْوَلَ مِنَ الْآخِرَةِ ، فَإِنَّهَا أَيْسَرُهَا لِقَرَبِهَا مِنَ النَّهَارِ ، ولا تَخَفْ مِنَ عَقُوبَةِ الْمُسْتَحَقِّ ، ولا تَلْجِئْ فِيهَا ، ولا تُسْرِعْ إِلَيْهَا ، ولا تَتَّخِذْ لَهَا مُدْقِعًا ^(٥) ، ولا تَغْفُلْ عَنْ أَهْلِ عَسْكَرِكَ فَتُفْسِدَهُ ، ولا تَجَسَّسْ عَلَيْهِمْ فَتَفْضَحَهُمْ ، ولا

[١] هو خالد بن سعيد بن العاص ، وكان أبو بكر سيره إلى الشام أولاً ثم عرله . [٢] العيبة : الكبر والفخر ، وفى الحديث : (إن الله قد وضع عنكم عيبة الجاهلية) يعنى الكبر . [٣] من الريث وهو الإبطاء . [٤] عقبه تعقباً : جاء بعقبه . [٥] لا تتخذ : من خذاً تتخذون كنصر وخذى يخذى كرضى إذ استرضى ، والمدقع : الهارب أو أشد المزلزى هزاً ، أى ولا تضعف ، ولا تحين أمام تنفيذ العقوبة وهو مقابل لقوله : ولا تسرع إليها .

يكشِف الناس عن أسرارهم ، واكتفِ بعلايتهم ، ولا تجالس العيَّائين
وجالس أهل الصدق والوفاء ، واصدُقِ اللّقاء ، ولا تجبُنْ فيجبُنْ الناس ، واجتنب
الغُلُول^(١) ، فإنه يقربُ الفقر ، ويدفع النصر ، وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم
في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له . (تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ١٩٦)

٧٥ — وصيته لعمر رضى الله عنهما عند موته

« إني مستخلفك من بعدى ، وموصيك بتقوى الله ، إن لله عملاً بالليل
لا يقبله بالنهار ، وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنه لا تقبل نافلة حتى تؤدّى
الفرِيضة ، فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في
الدنيا و ثقله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلاً ، وإنما
خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم ،
وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً ، إن الله ذكر أهل الجنة
فذكرهم بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا ذكرتهم قلت إني أخاف
ألا أكون من هؤلاء ، وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ولم يذكر
حسناتهم ، فإذا ذكرتهم قلت إني لأرجو ألا أكون من هؤلاء ، وذكر آية
الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغباً راهباً ، ولا يتمنى على الله غير الحق ،
ولا يُلْقى بيده إلى التهلكة ، فإذا حفظت وصيتي فلا يكن غائب أحب إليك
من الموت وهو آتيك ، وإن ضيعت وصيتي فلا يكن غائب أبغض إليك من
الموت ولست بمعجز الله . »

(البيان والبيان ٢ : ٢٢ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٠٨ ، والعقد الفريد ١ : ٢٩٨)

٧٦ — كلامه لعبد الرحمن بن عوف في علته التي مات فيها

وقال عبد الرحمن بن عوف :

دخلت يوماً على أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، في علته التي مات فيها ، فقلت له : أراك بارئاً يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «أما إني على ذلك لشديد الوجع ، ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشدَّ علىَّ من وجعي ، إني ولَّيتُ أموركم خيركم في نفسي ، فكلَّكم ورِّمَ أنْفُه أن يكون له الأمرُ من دونه ، والله لَتَتَّخِذَنَّ نَضَائِدَ^(١) الدِّيَاجِ وستور الحرير ، وتَأْلُمَنَّ النومَ على الصوف الأذْرَبِيِّ^(٢) ، كما يَأْلُمُ أَحَدُكُمْ النومَ على حَسَكِ السَّعْدَانِ^(٣) ، والذي نفسي بيده ، لَأَنْ يُقَدَّمَ أَحَدُكُمْ فَتَضْرِبَ عنقه في غير حَدِّ خَيْرٍ له من أن يَخُوضَ غَمَرَاتِ الدُّنْيَا ، يا هادى الطريق جُرْتُ إِنَّمَا هُوَ وَاللَّهُ الْفَجْرُ أَوْ الْبُجْرُ^(٤) » .

فقلت خفض عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن هذا يَهْمِيضُكَ^(٥) إلى ما بك ، فوالله ما زِلْتُ صَالِحاً مُصْلِحاً ، لَا تَأْسَى عَلَى شَيْءٍ فَاتَكَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا ، وَلَقَدْ تَخَلَّيْتُ بِالْأَمْرِ وَحْدَكَ فَمَا رَأَيْتُ إِلَّا خَيْراً .

(تهذيب الكامل ٦: ١ ، وإيجاز القرآن ١١٦ ، والعمد المريد ٢: ٢٠٨ ، وتاريخ الطبرى ٤: ٥٢)

[١] جمع نضيدة ، وهى الوسادة وما ينضد من المتاع . [٢] نسبة إلى أدريجان .

[٣] نبت كثير الحسك تأكله الإبل فتسمن عليه ويمدوها غذاء لايوجد في غيره ، وى المثل : مرعى

ولا كل سعدان . [٤] الأمر والأمر العظيم . يقول : إن انتظرت حتى يعي لك الفجر والطريق أبصرت فصدك ، وإن خبطت الظلما ، وركبت المشواء هجما بك على المكروه ، وضرب ذلك مثلاً لغمرات الدنيا

وتحبيروا أهلها . [٥] هاس العظم : كسره بعد الجبور .

خطب عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

٧٧ - خطبته حين ولي الخلافة

لما استخلف عمر رضى الله عنه صعد المنبر فقال : « إني قائل كلمات فأمنوا عليهن » فكان أول منطق نطق به حين استخلف . قال :
« إنما مثل العرب مثل جمل أنف^(١) اتبع قائده ، فلينظر قائده حيث يقوده
وأما أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق » .

(تاريخ الطبرى ٤ : ٥٤ ، والسكامل لابن الأثير ٢ : ٢٠٨)

٧٨ - خطبة أخرى

وقال ابن قتيبة فى عيون الأخبار : لما ولى عمر صعد المنبر فقال :
« ما كان الله ليرانى أرى نفسى أهلاً لمجلس أبى بكر ، ثم نزل عن مجلسه
مرّقه فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « اقرءوا القرآن تعرّفوا به ، واعملوا به
تكونوا من أهله ، إنه لم يبلغ حقّ ذى حقّ أن يطاع فى معصية الله ، ألا وإنى
أنزلت نفسى من مال الله بمنزلة والى اليتيم ، إن أستغنيت عفت ، وإن افتقرت
أكلت بالمعروف ، تقرّم^(٢) البهمة^(٣) الأعراية ، القضم لا الخضم^(٤) .

(عيون الأخبار م ٢ ص ٢٣٤ ، والمقد الفريد ٢ : ١٣٢)

[١] أنف البعير : الشئ الذى منه من البرة فهو أنف وآنف ، وفى الحديث : « المؤمن كالجلل الأنف إن قيد افتاد ، وإن استنبح على صخرة استناخ » وذلك لاوجع الذى به فهو دلول مفاد .
[٢] تقرّم الصبيّ أكل أكلا ضعيفاً ، وذلك فى أول أكله . [٣] البهمة أولاد البأن والمعز والبقر .
[٤] القضم : الأكل بأطراف الأسنان والخضم الأكل بأقصى الأضراس .

٧٩ - خطبة له

وذكر الطبري أنه خطب فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم ذكر الناس بالله عز وجل واليوم الآخر ، ثم قال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : إني قد وليت عليكم ، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم ، وأقواكم عليكم ، وأشدكم استضلاعاً^(١) بما ينوب من مهمم أموركم ، ما توليت ذلك منكم ، ولكني عمرٌ مُهمٌّ مُحزنٌ انتظارٌ موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف أخذها ، ووضعها أين أضعها ، وبالسير فيكم كيف أسير ، فربى الاستعان ، فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتأنيده .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٥ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٣ ص ١٢٤)

٨٠ - خطبة له

ثم خطب فقال :

« إن الله عز وجل قد ولاني أمركم ، وقد علمت أنفع ما بحضرتكم لكم ، وإني أسأل الله أن يعينني عليه ، وأن يحرسني عنده كما حرسني عند غيره ، وأن يُلهمني العدل في قسمكم كالذي أمرني به ، وإني امرؤ مسلم وعبد ضعيف ، إلا ما أعان الله عز وجل ، وإن يغير الذي وليت من خلافتكم من خلق شيئاً إن شاء الله ، إنما العظمة لله عز وجل ، وليس للعباد منها شيء ، فلا يقولن أحد منكم إن عمر تغير منذ ولي ، أعقل الحق من نفسي ، وأتقدم وأبين لكم أمري ، فأيا رجل كانت له حاجة ، أو ظلم مظلمة . أوعتبت علينا في خلق فليؤذني ، فإنما أنا رجل منكم ، فعليكم بتقوى الله في سركم وعلا نيتكم وحرُماتكم وأعراضكم ، وأعطوا الحق من

[١] الذي في كتب اللغة « اضطلاع » يقال هو مضطلع بهذا الأمر ، أي قوى عليه .

أنفسكم ، ولا يحمل بعضكم بعضاً على أن تحاكموا إلى ، فإنه ليس بيني وبين أحد من الناس هَوَادَةٌ ، وأنا حبيب إلى صلاحكم ، عزيز على عنتكم ، وأنتم أناسٌ عامَّتكم حَضَر في بلاد الله ، وأهل بلد لا زرع فيه ولا ضَرع ، إلا ما جاء الله به إليه ، وإن الله عز وجل قد وعدكم كرامة كثيرة ، وأنا مستول عن أمانتي وما أنا فيه ، ومُطَّلَع على ما بحضرتي بنفسى إن شاء الله ، لا أَكِلُهُ إلى أحد ، ولا أستطيع ما بَعْدَ منه إلا بالأمناء وأهل النصيح منكم للعامة ، ولست أجعل أمانتي إلى أحد سواهم إن شاء الله . (تاريخ الطبرى ٢٦٥ : ٢٦٠ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٣ : ١٢٤)

٨١ — خطبة أخرى

وقال ابن عبد ربه : وخطب إذ ولي الخلافة : صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي دَائِعٌ فَأُمِّنُوا ، اللَّهُمَّ إِنِّي غَلِيظٌ فَلْيَنِّ لِأَهْلِ طَاعَتِكَ ، بِمَوَافَقَةِ الْحَقِّ ، ابْتِغَاءً وَجْهَكَ وَالْدارَ الْآخِرَةَ ، وَارْزُقْنِي الْغِلْظَةَ وَالشَّدَّةَ عَلَى أَعْدَائِكَ ، وَأَهْلِ الدَّعَاةِ ^(١) وَالنِّفَاقِ ، مَنْ غَيْرَ ظَلَمَ مِنِّي لَهُمْ ، وَلَا اعْتَدَاءَ عَلَيْهِمْ ، اللَّهُمَّ إِنِّي شَحِيحٌ ، فَسَخِّنِي فِي نَوَائِبِ الْمَعْرُوفِ ، قَصْداً مَنْ غَيْرَ سَرَفٍ وَلَا تَبْذِيرٍ وَلَا رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ ، وَاجْعَلْنِي أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَكَ وَالْدارَ الْآخِرَةَ ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي خَفْضَ الْجَنَاحِ ، وَلَيْنَ الْجَانِبِ لِلْمُؤْمِنِينَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي كَثِيرُ الْغَفْلَةِ وَالنِّسيانِ ، فَالْهِمْنِي ذِكْرَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَذِكْرَ الْمَوْتِ فِي كُلِّ حِينٍ ، اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ عَنِ الْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ ، فَارْزُقْنِي النِّشَاطَ فِيهَا ، وَالْقُوَّةَ عَلَيْهَا ، بِالْنيةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي لَا تَكُونُ إِلَّا بِعَزَّتِكَ

وتوفيقك ، اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوى ، وذكر المقام بين يديك ، والحياة منك ، وارزقني الخشوع فيما يرضيك عنى ، والمحاسبة لنفسى ، وإصلاح الساعات ، والحذر من الشبهات ، اللهم ارزقنى التفكير والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك ، والفهم له ، والمعرفة بمعانيه ، والنظر فى عجائبه ، والعمل بذلك ما بقيت ، إنك على

(العقد الفريد ٢ : ١٢٣)

كل شىء قدير .

٨٢ - خطبة له

وخطب أيضاً ، فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ :
« أيها الناس ، إن بعض الطمع فقر ، وإن بعض اليأس غنى ، وإنكم تجمعون ما لا تأكلون ، وتأملون ما لا تدركون ، وأنتم مؤجلون فى دار غرور ، كنتم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤخذون بالوحي ، فمن أمر شيئاً أخذ بسريره ، ومن أعلن شيئاً أخذ بعلايته ، فأظهرنا لنا أحسن أخلاقكم ، والله أعلم بالسرائر ، فإنه من أظهر لنا قبيحاً وزعم أن سريره حسنة لم نصدقه ، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسناً ، واعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق ، فأنفقوا خيراً لأنفسكم ، ومن يؤق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . أيها الناس أطيعوا أمثواكم ، وأصلحوا أموركم ، واتقوا الله ربكم ، ولا تلبسوا نساءكم القباطى^(١) فإنه إن لم يشف فيه يصف . أيها الناس : إني لو ددت أن أنجو كفافاً لالى ولا على ، وإني لأرجو إن عمرت فيكم يسيراً أو كثيراً أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله ، وأن لا يبقى أحد من المسلمين وإن كان فى بيته إلا أتاه حقه ونصيبه من مال الله

[١] القباطى (بضم الأول وتشديد الآخر ، أو القباطى بفتح الأول وتخفيف الآخر) ثياب كتان بيض رقيق كانت تعمل فى مصر جمع قبطية (بضم القاف نسبة إلى القبط على غير قياس وقد تكسر) وشفت الثوب يشف رق حكي ما تحته ، ونوله : فإنه يصف أى ما تحته من أجزاء البدن ويحددها لرقته وطرارته .

وإن لم يُعْمَلْ إليه نفسه ، ولم يُنْصَبْ إليه بدنه ، وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله ، وَلَقَلَّيْلٌ فِي رَفَقٍ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ فِي عَنَفٍ ، وَالْقَتْلُ حَتْفٌ مِنَ الْحَتُوفِ ، يَصِيبُ الْبَرَّ وَالْفَاجِرَ ، وَالشَّهِيدَ مِنْ أَحْتَسَبَ نَفْسَهُ ، وَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ بَعِيرًا فَلْيَعْمِدْ إِلَى الطَّوِيلِ الْعَظِيمِ فَلْيَضْرِبْهُ بِعَصَا ، فَإِنْ وَجَدَهُ حَدِيدَ الْفُؤَادِ فَلْيَشْتَرِهِ » .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ٣ : ص ١٢٥)

٨٣ - خطبة له

وخطب أيضا فقال :

« إِنْ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ قَدْ اسْتَوْجِبَ عَلَيْكَ الشُّكْرَ ، وَاتَّخَذَ عَلَيْكَ الْحُجْبَ فِيمَا آتَاكَ مِنْ كَرَامَةِ الْآخِرَةِ وَالْدُنْيَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ مِنْكُمْ لَهُ ، وَلَا رَغْبَةَ مِنْكُمْ فِيهِ إِلَيْهِ ، نَخْلُقُكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا ، لِنَفْسِهِ وَعِبَادَتِهِ ، وَكَأَنَّ قَادِرًا أَنْ يَجْعَلَ لَكُمْ لَأَهْوَنَ خَلْقِهِ عَلَيْهِ ، فَجَعَلَ لَكُمْ عَامَّةَ خَلْقِهِ ، وَلَمْ يَجْعَلْكُمْ لَشَيْءٍ غَيْرِهِ ، وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ، وَحَمَلَكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ، نَمَّ جَعَلْنَا لَكُمْ سَمْعًا وَبَصَرًا ، وَمَنْ نَعِمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ نِعْمَ عَمَّ بِهَا نَبِيَّ آدَمَ ، وَمِنْهَا نِعْمَ اخْتَصَّ بِهَا أَهْلَ دِينِكُمْ ، ثُمَّ صَارَتْ تِلْكَ النِّعَمُ خَوَاصُّهَا وَعَوَامُّهَا فِي دَوْلَتِكُمْ وَزَمَانِكُمْ وَطَبَقَتِكُمْ ، وَابْتَغِ مِنْ تِلْكَ النِّعَمِ نِعْمَةً وَصَلَتْ إِلَى أَمْرٍ ، خَاصَّةً إِلَّا لَوْ قَسِمَ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْهَا بَيْنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ أَتَعْبَهُمْ شُكْرُهَا ، وَفَدَّحَهُمْ حَقُّهَا إِلَّا بِعَوْنِ اللَّهِ مَعَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَأَنْتُمْ مُسْتَخْلَفُونَ فِي الْأَرْضِ ، قَاهِرُونَ لِأَهْلِهَا ، قَدْ نَصَرَ اللَّهُ دِينَكُمْ ، فَلَمْ تَصْبِحْ أُمَّةٌ مُخَالَفَةٌ لِدِينِكُمْ إِلَّا أُمَّتَانِ ، أُمَّةٌ مُسْتَعْبِدَةٌ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ . يَتَجَرَّوْنَ لَكُمْ ، تَسْتَصِفُونَ ^(١) مَعَايِشَهُمْ وَكَدَائِحَهُمْ وَرَشَحَ جَبَاهِهِمْ ، عَلَيْهِمُ الْمَثُونَةُ

[١] استصنى الشيء : أخذ منه صفوه .

ولكم المنفعة ، وأمة تنتظر وقائع الله وَسَطَوَاتِهِ في كل يوم وليلة ، قد ملأ الله
فلوبهم رعباً ، فليس لهم معقلٌ يلجئون إليه ، ولا مهرب يتقون به ، قد دَهَمَتْهُمْ
جنود الله عز وجل . ونزلت بساحتهم مع رفاغة ^(١) العيش ، واستفاضة المال ،
وتتابع البعوث ، وسدَّ الشغور بإذن الله في العافية الجليلة العامة ، التي لم تكن هذه
الأمة على أحسن منها مذكَانَ الإسلام ، والله المحمود مع الفتوح العظام في كل
بلد ، فإعسى أن يبلغ مع هذا شكرُ الشاكرين ، ودِكرُ الذاكرين ، واجتهادُ
المجتهدين ، مع هذه النعم التي لا يحصى عددها ، ولا يقدر قدرها ، ولا يستطيع
أداء حقها ، إلا بعون الله ورحمته ولطفه ، فنسأل الله الذي لا إله إلا هو ، الذي
بإلانا هذا ، أن يرزقنا العمل بطاعته ، والمصارعة إلى مرضاته ، فاذكروا عباد الله
بلاء الله عندكم ، واستتموا نعمة الله عليكم ، وفي مجالسكم مثنى وفُرَادَى ، فإن الله
عز وجل قال موسى : « أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظَّالِمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ
بِأَيَّامِ اللَّهِ » وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم : « وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ
مُسْتَظْعِنُونَ فِي الْأَرْضِ » فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا
على شعبة من الحق تؤمنون بها ، وتستريحون إليها ، مع المعرفة بالله ودينه ، وترجون
بها الخير فيما بعد الموت ، لكان ذلك ، ولكنكم كنتم أشد الناس معيشة ، وأعظم
الناس بالله جهالة ، فلو كان هذا الذي ابتلاكم به لم يكن معه حظ في دنياكم ،
عبر أنه ثقة لكم في آخرتكم ، التي إليها المَعَادُ وَالْمُنْقَابُ ، وأنتم من جهد المعيشة
على ما كنتم عليه ، كنتم أحرىء أن تشحوا على نصيبكم منه ، وأن تُظهِرُوهُ على

[١] رفع عينه ككرم رفاة : اتسع ، والرفاغة والرفاغة : سعة العيش والخصب والسعة .

غيره ، فَبَلَّهَ ^(١) ما أنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا ، وكرامة الآخرة ، أولمن شاء أن يجمع له ذلك منكم ، فأذكرم الله الحائل بينكم وبين قلوبكم ، إلّا ما عرفتم حق الله فَعَمِلْتُمْ له ، وَقَسَرْتُمْ أنفسكم على طاعته ، وجمعت مع السرور بالنعم خوفاً لزوالها ولا تتقالتها ، ووجلاً من تحوّلها ، فإنه لا شيء أسلب للنعمة من كفرانها ، وإن الشكر أمن للغير ، ونماء للنعمة ، واستجلاب للزيادة ، وهذا الله على من أمركم ونهيكم واجب . (تاريخ الطبري ٥ : ٢٧ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٣ ص ١٢٥)

٨٤ - خطبة له

وخطب أيضاً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« أيها الناس : من أراد أن يسأل عن القرآن ، فليأت أبي بن كعب . ومن أراد أن يسأل عن الفرائض ، فليأت زيد بن ثابت ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني . فإن الله جعلني له خازناً وقاسماً ، إني بادئ بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمعطيهم ، ثم المهاجرين الأولين ، الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، أنا وأصحابي ، ثم بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ، ثم من أسرع إلى الهجرة أسرع إليه العطاء ، ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء ، فلا يلومن رجل إلا من أخ راحلته ، إني قد بقيت فيكم بعد صاحبي ، فابتليت بكم ، وابتليت بي ، وإني لن يحضرني من أموركم شيء فأكله إلى غير أهل الجزاء والأمانة ، فلئن أحسنوا لأحسنن إليهم ، ولئن أساءوا لأنككن بهم » . (العقد الفريد ٢ : ١٣٢)

[١] بله : اسم فعل بمعنى دع واترك ، فما بعدها منصوب ، ومصدر بمعنى الترك ، فما بعدها مجرور بالاضافة ، واسم مرادف لكيف فما بعدها مرفوع بالابتداء .

٨٥ - خطبة له

وخطب أيضاً فقال :

« الحمد لله الذي أعزَّنَا بالإسلام ، وأكرمنا بالإيمان ورَحَّمنا بنبيه صلى الله عليه وسلم ، فهدانا به من الضلالة ، وجمعنا به من الشتات ، وآلَّف بين قلوبنا ، ونصرنا على عدونا ، ومكَّن لنا في البلاد ، وجعلنا به إخواناً متحابين ، فاحمدوا الله على هذه النعمة ، واسألوه المزيد فيها والشكر عليها ، فإن الله قد صدَّقكم الوعد ، بالنصر على من خالفكم ، وإياكم والعمل بالمعاصي ، وكُفِّرَ النعمة ، فقلما كفر قوم بنعمة ، ولم يَنْزِعُوا إلى التوبة ، إِلَّا سُلِبُوا عِزُّهُمْ ، وَسُلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ ، أيها الناس : إن الله قد أعزَّ دعوة هذه الأمة ، وجمع كلمتها ، وأظهر فلجها ^(١) ونصرها وشرفها فاحمدوه عباد الله على نعمه ، وشكروهم على آلائه ، جعلنا الله وإياكم من الشاكرين »
(المعتمد الفريد ٢ : ١٣٢)

٨٦ - خطبة له

وخطب أيضاً فقال :

« أيها الناس : إنه أتى عَلَى حِينٍ ، وَأَنَا أَحْسَبُ أَنَّ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ إِنَّمَا يريد به الله وما عنده ، ألا وإنه قد خُيِّلَ إِلَى أَنْ أَقْوَامًا يَقْرءون القرآن يريدون به ما عند الناس ، ألا فأريدوا الله بقراءتكم ، وأريدوه بأعمالكم ، فَإِنَّمَا كُنَّا نَعْرِفُكُمْ إِذَ الْوَحْيِ يَنْزِلُ ، وَإِذَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهَرِنَا ، فَقَدْ رُفِعَ الْوَحْيُ ، وَذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّمَا أَعْرِفُكُمْ بِمَا أَقُولُ لَكُمْ ، ألا فمن أظهر لنا خبراً ظَنَنَّا به خيراً ، وأثنينا به عليه ، ومن أظهر لنا شراً ظَنَنَّا به شراً ، وأبغضناه

عليه ، أَقْدَعُوا^(١) هذه النفوس عن شهواتها ، فَإِنِهَا طُلَعَةً^(٢) وَإِنكُمْ إِلَّا تَقْدَعُوهَا
تَنْزَعُ بِكُمْ إِلَى شَرٍّ غَايَةٍ ، إِنَّ هَذَا الْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ^(٣) ، وَإِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ
وَبِئْسَ^(٤) ، وَتَرَكُ الْخَطِيئَةَ خَيْرَ مَنْ مَعَالِجَةِ التَّوْبَةِ ، وَرَبُّ نَظَرَةٍ زَرَعَتْ شَهْوَةً ،
وَشَهْوَةً سَاعَةً أَوْرَثَتْ حَزَنًا طَوِيلًا .

وفى رواية صاحب العقد : « أَلَا وَإِنِّي إِنَّمَا أَبْعَثُ عُمَّالِي لِيَعْلَمُوَكُمْ دِينَكُمْ
وَسُنَّتَكُمْ ، وَلَا أَبْعَثُهُمْ لِيَضْرِبُوا ظَهْرَكُمْ ، وَيَأْخُذُوا أَمْوَالَكُمْ ، أَلَا مِنْ رَأْيِهِ شَيْءٌ
مِنْ ذَلِكَ فَلْيَرْفَعَهُ إِلَى ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَقْصِنُكُمْ مِنْهُ ، فَقَامَ عَمْرُو بْنُ
الْعَاصِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتَ عَامِلًا مِنْ عُمَّالِكَ ، فَأَدَّبَ رَجُلًا
مِنْ رَعِيَّتِكَ فَضْرِبَهُ ، أَتَقْصُهُ مِنْهُ ؟ قَالَ نَعَمْ ، وَالَّذِي نَفْسُ عَمْرِ بْنِ يَدِهِ لَا أَقْصِنُهُ مِنْهُ ،
فَقَدْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْصُ مِنْ نَفْسِهِ^(٥) » .

(الإبان والبيان ٣ : ٧١ ، وصيحه الأعشى ١ : ٢١٤ ، والعقد الفريد ٢ : ١٣٢)

٨٧ — خطبته عام الرَّمَادَةِ

وخطب عام الرَّمَادَةِ^(٦) بالعباس رحمه الله :

حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ، ثم قال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ
إِلَيْكَ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ وَبَقِيَةِ آبَائِهِ وَكِبَارِ رَجَالِهِ ، فَإِنَّكَ تَقُولُ :
(وَقَوْلُكَ الْحَقُّ) « وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ تَحْتَهُ

[١] قدعه كنعنه : كفه . [٢] نفس طاعة : تكثر التطلع إلى الشيء . [٣] حميد العاقبة .
[٤] وخيم العاقبة . [٥] انظر خطبته صلى الله عليه وسلم رقم ٥٤ ص ٦٠ [٦] في السنة الثامنة
عشرة أصابت الناس مجاعة شديدة بالمدينة وما حولها فكانت تسوق إذا رحمت تراباً كالرماد ، فسمى ذلك العام
عام الرَّمَادَةِ (الطبري ٤ : ٢٢٣)

كَتَرُ لَهْمًا ، وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا » فحفظتهما لصلاح أبيهما ، فاحفظ اللهم نبيك في عمه ، اللهم اغفر لنا إنك كنت غفاراً ، اللهم أنت الراعى لا تُهمل الضالّة ، ولا تدع الكسيرة بمضيعة ، اللهم قد ضرع الصغير ورق الكبير ، وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم السر وأخفى ، اللهم أغثهم بغياك ، قبل أن يَقْنَطُوا فَيَهْلِكُوا ، فإنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون «
فما برحوا حتى علّقوا الحذاء ، وقلّصوا المآزر ، وطفق الناس بالعباس يقولون :
« هنيئاً لك يا ساق الحرمين » . (العقد الفريد : ١٣٢)

ندب الناس لقتال فارس

كان المثنى بن حارثة الشيباني أمير جيش العراق قدم على أبي بكر بالمدينة يستمده فأنفاه مريضاً ، ووصى أبو بكر عمر بالمبادرة إلى إرسال الجيوش معه ، فكان أول ما عمل به عمر ، أن ندب الناس مع المثنى إلى أهل فارس ، قبل صلاة الفجر ، من الليلة التي مات فيها أبو بكر - وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم ، وأثقلها عليهم لشدة سلطانهم ، وشوكتهم ، وعزهم ، وقهرهم الأمم - وجعل يندبهم ثلاثة أيام فلا ينتدب أحد إلى فارس ، فلما كان اليوم الرابع عاد فنذب الناس إلى العراق ، فكان أول من ندب أبو عبيد بن مسعود الثقفي - والد المختار - وتتابع الناس ، وتكلم المثنى بن حارثة فقال :

٨٨ - خطبة المثنى بن حارثة الشيباني

« أيها الناس : لا يعظمنّ عليكم هذا الوجه ، فانا قد تبجّجنا^(١) ريف فارس ، وغلبناهم على خير شقّ السواد ، وشاطرناهم ونلنا منهم ، واجترأنا من قبلنا عليهم ، ولها إن شاء الله ما بعدها » .

[١] تبجج : تمكن في المقام والحلول كبحجج ، والدار توسطها .

٨٩ - خطبة عمر رضى الله عنه

وقام عمر في الناس فقال :

« إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النُّجعة ^(١) ، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك ، أين الطُّرَّاء ^(٢) المهاجرون عن موعود الله ، سيروا في الأرض التي وعدهم الله في الكتاب أن يورثكموها ، فإنه قال : « لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ » والله مُظهر دينه ، وَمُعِزُّ ناصِرِهِ ، وَمُوَلِّي أَهْلِهِ موارِيث الأُمم ، أين عباد الله الصالحون . . . ؟ فلما اجتمع له البعث أَمَرَ عليهم أولهم انتداباً ^(٣) وهو أبو عبيد وقال له : « اسمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشركهم في الأمر ، ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين فإنها الحرب ، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المَكِيث ^(٤) الذي يعرف الفرصة والكف » .

(تاريخ الطبري ٤ : ٦٠ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢١١)

٩٠ - خطبة له وقد شيع جيش سعد بن أبي وقاص

وشيع جيش سعد بن أبي وقاص ، حين وجهه لحرب العراق ، فقام في الناس خطيباً فقال :

« إن الله تعالى إنما ضرب لكم الأمثال ، وصَرَفَ لكم الأقوال ، لِيُخَيِّبَ بها القلوب ، فَإِنَّ القلوب ميتة في صدورها حتى يُحْيِيها الله ، من علم شيئاً فلينتفع به ، وإنَّ للعدل أماراتٍ وتبشيرٍ ، فأما الأمارات : فالحياء ، والسخاء ، والهيئ ، واللين . وأما التبشير : فالرحمة ، وقد جعل الله لكل أمر باباً ، وَيَسِّرَ لكل باب مفتاحاً . فباب العدل الاعتبار ، ومفتاحه الزهد ، والاعتبار ذكر الموت بتذكر الأموات ،

[١] طلب السكّاء في موضعه . [٢] جمع طارىء من طرأ عليهم كمنع أنام من مكان أو خرج عليهم منه فجأة . [٣] نذب القوم إلى الأمر : دعاهم وحشهم ، وانتدبوا إليه أسرعوا . [٤] الرزين .

والاستعداد له بتقديم الأعمال ، والزهد أخذ الحق من كل أحد قبّله حق ،
وتأدية الحق إلى كل أحد له حق ، ولا تُصانع في ذلك أحداً ، واكتف بما
يكفيه من الكفاف ، فإن من لم يكفه الكفاف ، لم يُغنّه شيء ، إني بينكم وبين
الله ، وليس بيني وبينه أحد ، وإن الله قد ألزمني دفع الدماء عنه ، فأنهوا شكاتكم
إلينا ، فمن لم يستطع ، فإلى من يُبَلِّغُنَاها ، نأخذ له الحق غير مُتَعَتِع .

(تاريخ الطبري ٤ : ٨٥)

٩١ - خطبته وقد بلغه أن قوماً يفضلونه على أبي بكر

و بلغه أن قوماً يفضلونه على أبي بكر الصديق ، فوثب مُغَضِباً حتى صعد
المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
« أيها الناس : إني سأخبركم عنى وعن أبي بكر ، إنه لما توفى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ، ومنعت شاتها وبعيرها ، فأجمع رأينا كلنا
أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن قلنا له يا خليفة رسول الله : إن رسول الله كان
يقاتل العرب بالوحي والملائكة ، يُمدّه الله بهم ، وقد انقطع ذلك اليوم ، فالزم
بيتك ومسجدك ، فإنه لا طاقة لك بقتال العرب ، فقال أبو بكر : أوكلكم رأيي
على هذا ؟ فقلنا نعم ، فقال : والله لأن أخرج من السماء ، فتخطفني الطير ، أحب
إليّ من أن يكون رأيي هذا ، ثم صعد المنبر ، فحمد الله وكبرّه ، وصلى على نبيه
صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل على الناس فقال :

« أيها الناس : من كان يعبد محمداً ، فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله
فإن الله حي لا يموت ، أيها الناس : أأن أكثر أعداؤكم ، وقل عددكم ، ركب
الشیطان منكم هذا المركب ؟ والله ليُظهِرَنَّ الله هذا الدين على الأديان كلها ، ولو

كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، قَوْلُهُ الْحَقُّ ، وَوَعْدُهُ الصَّدَق ، بَلْ تَقْذِفْ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ
فَيَذِمُّهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ، وَكَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَعَ
الصَّابِرِينَ ، وَاللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ : لَوْ مَذَّبُونِي عِقَالًا ^(١) لَجَاهَدْتَهُمْ عَلَيْهِ ، وَاسْتَعْنَتْ
عَلَيْهِمْ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ مُعِينٍ » ثُمَّ نَزَلَ . (تهذيب الكمال ١ : ٨)

وصاياه

٩٢ - وصيته للمجاهدين

كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عِنْدَ عَقْدِ الْأُلُويَةِ :
« بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ ، وَعَلَى عَوْنِ اللَّهِ ، امْضُوا بِتَأْيِيدِ اللَّهِ ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ ، وَلِزُومِ الْحَقِّ وَالصَّبْرِ ، فَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ كُفْرٍ بِاللَّهِ ، وَلَا تَعْتَدُوا
إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ، وَلَا تَجَبُّنُوا عِنْدَ الْإِقَاءِ ، وَلَا تَتَمَلَّؤُوا عِنْدَ الْقُدْرَةِ ، وَلَا تُسْرِفُوا
عِنْدَ الظُّهُورِ ^(٢) ، وَلَا تَقْتُلُوا هَرِمًا وَلَا أُمْرَأَةً وَلَا وَلِيدًا ، وَتَوَقَّوْا قَتْلَهُمْ إِذَا التَّقَى
الزَّحْفَانِ ، وَعِنْدَ شَنْ ^(٣) الْغَارَاتِ » . (العقد الفريد ١ : ٤٠)

٩٣ - وصيته لسعد بن أبي وقاص

وَصَّى سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ حِينَ أَمَّرَهُ عَلَى حَرْبِ الْعِرَاقِ فَقَالَ :
« يَا سَعْدُ سَعْدُ بْنُ وَهَيْبٍ ، لَا يَغْرُنْكَ مِنَ اللَّهِ أَنْ قِيلَ خَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَمْحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ
وَلَكِنَّهُ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ نَسَبٌ إِلَّا طَاعَتُهُ ،

[١] الْعُقَالُ : زَكَاةُ عَامٍ مِنَ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ ، أَوْ الْمَرَادُ بِهِ الْحُلُوفُ مَبَالِغَةُ فِي الشَّدَدِ . [٢] الْعَلَبَةُ .

[٣] شَنْ الدَّارَةِ عَلَيْهِمْ : صَبَّهَا مِنْ كُلِّ وَجْهٍ .

فالناس شَرِيفُهُمْ وَوَضِيعُهُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ سَوَاءٌ ، اللَّهُ رَبُّهُمْ وَهُمْ عِبَادُهُ ، يَتَفَاضِلُونَ بِالْعَافِيَةِ ، وَيَدْرِكُونَ مَا عِنْدَهُ بِالطَّاعَةِ ، فَاَنْظُرِ الْأَمْرَ الَّذِي رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ مِنْذُ بُعِثَ إِلَى أَنْ فَارَقْنَا فَأَلْزَمَهُ ، فَإِنَّهُ الْأَمْرُ ، هَذِهِ عَظَمَتِي إِيَّاكَ إِنْ تَرَكْتَهَا وَرَغِبْتَ عَنْهَا حَبِطَ عَمَلُكَ ، وَكُنْتَ مِنَ الْخَاسِرِينَ .

(تاريخ الطبرى ٤ : ٨٤ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢٠)

٩٤ — وصيته لسعد بن أبي وقاص أيضا

ولما أراد أن يسرّحه دعاه فقال :

« إني قد وليتك حرب العراق ، فاحفظ وصيتي ، فإنك تقدم على أمر شديد كريبه ، لَا يُخَلِّصُ مِنْهُ إِلَّا الْحَقُّ ، فَمَوِّدُ نَفْسِكَ وَمَنْ مَعَكَ الْخَيْرَ وَأَسْتَفْتِخْ بِهِ ، وَأَعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَادَةٍ عِتَادًا ^(١) ، فَعِتَادُ الْخَيْرِ الصَّبْرُ ، فَالصَّبْرُ الصَّبْرُ عَلَى مَا أَصَابَكَ أَوْ نَابَكَ ، يَجْتَمِعُ لَكَ خَشْيَةُ اللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ خَشْيَةَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ فِي أَمْرَيْنِ : فِي طَاعَتِهِ ، وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ ، وَإِنَّمَا أَطَاعَهُ مَنْ أَطَاعَهُ بِبُغْضِ الدُّنْيَا وَحُبِّ الْآخِرَةِ ، وَعِصَاهُ مِنْ عِصَاهِ بِحُبِّ الدُّنْيَا وَبُغْضِ الْآخِرَةِ ، وَلِلْقُلُوبِ حَقَائِقُ يُنْشِئُهَا اللَّهُ إِنْشَاءً ، مِنْهَا السِّرُّ ، وَمِنْهَا الْعِلَانِيَةُ . فَأَمَّا الْعِلَانِيَةُ فَأَنْ يَكُونَ حَامِدُهُ وَذَاؤُهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، وَأَمَّا السِّرُّ فَيَعْرِفُ بِظُهُورِ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ وَبِمَحَبَّةِ النَّاسِ ، فَلَا تَزْهَدْ فِي التَّحَبُّبِ ، فَإِنَّ النَّبِيِّينَ قَدْ سَأَلُوا مُحَبَّتَهُمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا حَبَّبَهُ ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا أَبْغَضَهُ ، فَاعْتَبِرْ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِمَنْزِلَتِكَ عِنْدَ النَّاسِ مِمَّنْ يَشْرَعُ مَعَكَ فِي أَمْرِكَ .

(تاريخ الطبرى ٤ : ٨٥)

٩٥ — وصية أخرى كتبها إلى سعد بن أبي وقاص

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضى الله عنهما ومن معه من الأجناد :

« أما بعد : فَإِنِ آمُرُكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْأَجْنَادِ بِتَقْوَى اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، فَإِن تَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ الْعُدَّةِ عَلَى الْعَدُوِّ ، وَأَقْوَى الْمَسْكِيَّةِ فِي الْحَرْبِ ، وَآمُرُكَ وَمَنْ مَعَكَ أَنْ تَكُونُوا أَشَدَّ احْتِرَاسًا مِنَ الْمَعَاصِي مِنْكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ ، فَإِن ذُنُوبَ الْجَيْشِ أَخَوْفُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ ، وَأَنْتُمْ يَنْصُرُ الْمَسَامُونَ بِمَعْصِيَةِ عَدُوِّهِمْ اللَّهُ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ لَنَا بِهِمْ قُوَّةٌ ، لِأَنْ عَدَدَنَا لَيْسَ كَعَدَدِهِمْ ، وَلَا عُدَّتُنَا كَعُدَّتِهِمْ ، فَإِنِ اسْتَوَيْنَا فِي الْمَعْصِيَةِ ، كَانَ لَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا فِي الْقُوَّةِ ، وَإِلَّا نُنْصِرُ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِنَا لَمْ نَغْلِبْهُمْ بِقُوَّتِنَا ، فَاعْمَلُوا أَنْ عَلَيْكُمْ فِي سِيرِكُمْ حَفَظَةٌ مِنَ اللَّهِ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ، فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ وَلَا تَعْمَلُوا بِمَعَاصِي اللَّهِ وَأَنْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَا تَقُولُوا إِنَّ عَدُوَّنَا شَرٌّ مِنَّا ، فَلَنْ يُسَلِّطَ عَلَيْنَا ، فَرُبَّ قَوْمٍ سُلِّطَ عَلَيْهِمْ شَرٌّ مِنْهُمْ كَمَا سُلِّطَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ (لَمَّا عَمَلُوا بِمَسَاخِطِ اللَّهِ) كُفَّارُ الْمَجُوسِ ، فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَوْنَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، كَمَا تَسْأَلُونَهُ النَّصَرَ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى ذَلِكَ لَنَا وَلَكُمْ ، وَتَرَفَّقُ بِالْمَسَامِينَ فِي مَسِيرِهِمْ ، وَلَا تَجَشَّمْهُمْ مَسِيرًا يُتَعَبُهُمْ ، وَلَا تُقَصِّرْ بِهِمْ عَنْ مَنْزِلٍ يَرْفُقُ بِهِمْ ، حَتَّى يَبْلُغُوا عَدُوَّهُمْ (وَالسَّفَرُ لَمْ يَنْقُصْ قُوَّتَهُمْ) فَإِنَّهُمْ سَاطِرُونَ إِلَى عَدُوِّ مُقِيمٍ ، حَامِي الْأَنْفُسِ وَالْكَرْبَاعِ ^(١) ، وَأَقِمْ بَيْنَ مَعَكَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً ، حَتَّى تَكُونَ لَهُمْ رَاحَةً يُحْيُونَ فِيهَا

[١] الكرواع من كل شئ طرفه واسم يجمع الخيل .

أَنفُسَهُمْ ، وَيَرْمُونَ ^(١) أَسْلِحَتَهُمْ وَأَمْتَعَتَهُمْ ، وَنَحَّ مِنْهُمْ عَنْ قُرَى أَهْلِ الصَّلْحِ وَالذِّمَّةِ ، فَلَا يَدْخُلُهَا مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا مَنْ تَشَقَّ بِدِينِهِ ، وَلَا يَرْزَأُ ^(٢) أَحَدًا مِنْ أَهْلِهَا شَيْئًا ، فَإِنْ لَهُمْ حُرْمَةٌ وَذِمَّةٌ ابْتَلَيْتُمْ بِالْوَفَاءِ بِهَا ، كَمَا ابْتُلُوا بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا ، فَمَا صَبَرُوا لَكُمْ فَتَوَلَّوْهُمْ خَيْرًا ، وَلَا تَسْتَنْصِرُوا عَلَى أَهْلِ الْحَرْبِ بِظُلْمِ أَهْلِ الصَّلْحِ ، وَإِذَا وَطِئْتَ أَرْضَ الْعَدُوِّ فَأَذْكُ ^(٣) الْعَيُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، وَلَا يَخْشَى عَلَيْكَ أَمْرُهُمْ ، وَلِيَكُنْ عِنْدَكَ مِنَ الْعَرَبِ ، أَوْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ تَطْمَئِنُّ إِلَى نَصَحِهِ وَصَدَقِهِ ، فَإِنَّ الْكَذُوبَ لَا يَنْفَعُكَ خَبْرُهُ ، وَإِنْ صَدَقَكَ فِي بَعْضِهِ ، وَالْغَاشِ عَيْنُكَ عَلَيْكَ ، وَلَيْسَ عَيْنًا لَكَ ، وَلِيَكُنْ مِنْكَ عِنْدَ دَنُوكَ مِنْ أَرْضِ الْعَدُوِّ أَنْ تُكْثِرَ الطَّلَاعُ ، وَتَبُثَّ السَّرَايَا ^(٤) بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، فَتَقْطَعَ السَّرَايَا أَمْدَادَهُمْ وَمَرَافِقَهُمْ ، وَتَتَّبِعَ الطَّلَاعُ عَوْرَاتِهِمْ ، وَتَنْقُ ^(٥) لِلطَّلَاعِ أَهْلَ الرِّأْيِ وَالْبَاسِ مِنْ أَصْحَابِكَ ، وَتُخَيِّرَ لَهُمْ سَوَاقِ الْخَيْلِ ، فَإِنْ لَقُوا عَدُوًّا كَانَ أَوَّلُ مَا تَلْقَاهُمُ الْقُوَّةُ مِنْ رَأْيِكَ ، وَاجْعَلْ أَمْرَ السَّرَايَا إِلَى أَهْلِ الْجِهَادِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْجِلَادِ ، وَلَا تُخَصِّصْ بِهَا أَحَدًا بِهَوًى ، فَتَضِيعَ مِنْ رَأْيِكَ وَأَمْرِكَ ، أَكْثَرَ مِمَّا حَاطَتْ بِهِ أَهْلُ خَاصَّتِكَ ، وَلَا تَبْعَثْ طَلِيعَةً ، وَلَا سَرِيَّةً ، فِي وَجْهِ تَخَوُّفٍ فِيهِ غَلَبَةٌ ، أَوْ ضِيعَةٌ وَنِكَايَةٌ ، فَإِذَا عَايَنْتَ الْعَدُوَّ ، فَاضْمَمْ إِلَيْكَ أَقَاصِيكَ وَطَلَاعَكَ وَسَرَايَاكَ ، وَاجْمَعْ إِلَيْكَ مَكِيدَتَكَ وَقُوَّتَكَ ، ثُمَّ لَا تَعَايِلْهُمْ الْمَنَاجِزَةَ ، مَا لَمْ يَسْتَكْرِهْكَ قِتَالُ ، حَتَّى تُبْصِرَ عَوْرَةَ عَدُوِّكَ وَمَقَاتِلَهُ ، وَتَعْرِفَ الْأَرْضَ كُلَّهَا كَعَرَفَةِ أَهْلِهَا ، فَتَصْنَعْ بِعَدُوِّكَ ، كَصَنْعِهِ بِكَ ، ثُمَّ أَذْكُ أَحْرَاسَكَ عَلَى عَسْكَرِكَ ، وَتَيْقُظَ مِنَ الْبَيَّاتِ جُهْدَكَ ، وَلَا تُؤَوِّقَنِي

[١] رَمَاهُ يَرْمِيهِ : أَصْلَحَهُ . [٢] رَزَاهُ مَالُهُ : أَصَابَ مِنْهُ شَيْئًا . [٣] أَذْكِي عَلَيْهِ الْعَيُونَ : إِذَا أُرْسِلَ عَلَيْهِ الطَّلَاعُ . [٤] جَمْعُ سَرِيَّةٍ ، وَهِيَ مِنْ حِمَاةِ أَنْفُسٍ إِلَى ثَلَاثَةِ أَوْ أَرْبَعَةِ مَائَةٍ . [٥] تَنْقَاهُ وَاتَّقَاهُ : اخْتَارَهُ .

بأسير ليس له عَقْدٌ^(١) إِلَّا ضَرَبْتَ عُنُقَهُ ، اِثْرَهِبَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكَ ، وَاللَّهُ
وَلِيَّ أَمْرِكَ وَمَنْ مَعَكَ ، وَوَلِيَ النَّصْرَ لَكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

(العقد المريد ١ : ٤٠)

٩٦ — وصيته للخليفة من بعده

وأوصى الخليفة من بعده ، فقال :

« أوصيك بتقوى الله لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً ، أن
تَعْرِفَ لَهُمْ سَابِقَتَهُمْ ، وأوصيك بالأنصار خيراً ، فاقبل من محسنهم ، وتجاوز عن
مسيئتهم ، وأوصيك بأهل الأمصار خيراً ، فإنهم رِذَاءُ الْعَدُوِّ ، وَجُبَاةُ النَّفْسِ ،
لَا تَحْمِلُ فِيهِمْ ، إِلَّا عَنْ فَضْلٍ مِنْهُمْ ، وأوصيك بأهل البادية خيراً ، فإنهم أصل
العرب ، ومادة الإسلام ، أن تأخذ من حواشي أموال أغنيائهم ، فتردَّ على
فقرائهم ، وأوصيك بأهل الذمة خيراً ، أن تقاتل من ورأئهم ، ولا تكلفهم فوق
طاقتهم ، إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعاً ، أو عن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ، وأوصيك
بتقوى الله وشدة الحذر منه ، وَخَافَةَ مَقْتِهِ ، أَنْ يَطْلُعَ مِنْكَ عَلَى رِيَّةٍ ، وأوصيك
أَنْ تَخْشَى اللَّهَ فِي النَّاسِ ، وَتَخْشَى النَّاسَ فِي اللَّهِ ، وأوصيك بالعدل في الرعية ،
والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ، ولا تُؤَثِّرْ غِنْيَهُمْ عَلَى فَقِيرِهِمْ ، فَإِنْ ذَلِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ
سَلَامَةً لِقَلْبِكَ ، وَحِطًّا لَوِزْرِكَ ، وخير في عاقبة أَمْرِكَ ، حَتَّى تُفْضِيَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى
مَنْ يَعْرِفُ سِرِّرَتَكَ ، وَيَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ قَلْبِكَ ، وَأَمْرِكَ أَنْ تَسْتَدَّ فِي أَمْرِ اللَّهِ ،
وَفِي حُدُودِهِ وَمَعَاصِيهِ ، عَلَى قَرِيبِ النَّاسِ وَبَعِيدِهِمْ ، ثُمَّ لَا تَأْخُذُكَ فِي أَحَدٍ رَأْفَةٌ
حَتَّى تَنْتَهِكَ مِنْهُ ، مِثْلَ مَا أَنْتَهَكَ مِنْ حَرَمَةِ اللَّهِ ، وَاجْعَلِ النَّاسَ عِنْدَكَ سَوَاءً ،

لا تبالي على من وجب الحق ، ثم لا تأخذك في الله لومة لائم ، وإياك والآخرة والمحابة فيما ولأك الله ، مما أفاء الله على المؤمنين ، فتجور وتظلم ، وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك ، وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة ، فإن اقترفت لذنباك عدلاً وعفة عما بسط الله لك ، اقترفت به إيماناً ورضواناً ، وإن غلبك الهوى ، اقترفت به سخط الله ، وأوصيك ألا ترخص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة ، وقد أوصيتك وحضضتك ونصحتك ، فابتغ بذلك وجه الله والدار الآخرة ، واخترت من دلائلك ما كنت دالاً عليه نفسي وولدي ، فإن عملت بالذي وعظمتك ، وانتهيت إلى الذي أمرت به ، أخذت به نصيباً وافراً ، وحفظاً وافياً ، وإن لم تقبل ذلك ، ولم يهّمك ، ولم تنزل معاهم الأمور عند الذي يرضى الله به عنك ، يكن ذلك بك انتقاصاً ، ورأيك فيه مدخولاً ، لأن الأهواء مشتركة ، ورأس كل خطيئة إبليس ، وهو داع إلى كل هلكة ، وقد أضلّ القرون السالفة قبلك ، فأوردتهم النار ، ولبئس الثمن أن يكون حظ امرئ موالاة عدو الله الداعي إلى معاصيه ، ثم اركب الحق وخض إليه الغمرات ، وكن راعظاً لنفسك ، أنشدك الله لما ترخمت على جماعة المسلمين ، فأجللت كبيرهم ، ورحمت صغيرهم ، ووقرت عالمهم ، ولا تضربهم فيذلّوا ، ولا تستأثر عليهم بالفيء فتبغضهم ، ولا تحرمهم عطاياهم عند محالها فتفقروهم ، ولا تجمروهم^(١) في البعوث ، فتقطع نسلهم ، ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم ، ولا تغلق بابك دونهم ، فيأكل قوتهم ضعيفهم . هذه وصيتي إياك ، وأشهد الله عليك ، وأقرأ عليك السلام .

(البيان والتبيين ٢ : ٢٢)

[١] جر الجيش : حبسهم في أرض العدو ولم يقطعهم .

خطب يوم الشورى

بعد دفن عمر اجتمع أهل الشورى ، وهم : عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص ، وطلحة بن عبيد الله - وكان طلحة عائباً - فبدأ عبد الرحمن بن عوف بالكلام ، فقال :

٩٧ - خطبة عبد الرحمن بن عوف

« يا هؤلاء ، إن عندى رأياً ، وإن لكم نظراً ، فاسمعوا تعلموا ، وأجيبوا تفقهوا ، فإن حايياً ^(١) خير من زاهق ^(٢) ، وإن جرعة من شراب ^(٣) بارد ، أنفع من عذب موب ^(٤) ، أنتم أئمة يهتدى بكم ، وعلماء يصدر ^(٥) إليكم ، فلا تفلأوا المدى بالاختلاف بينكم ، ولا تغمدوا السيوف عن أعدائكم ، فتوتروا ^(٦) ثأركم ، وتؤاوتوا ^(٧) أعمالكم ، لكل أجل كتاب ، ولكل بيت إمام ، بأمره يقومون ، وبنيه يرعون ^(٨) ، قلدوا أمركم واحداً منكم ، تمشوا الهوينى ، وتلحقوا الطلب ، لولا فتنة عمياء ، وضلالة حياء ، يقول أهلها ما يرون ، وتخلد لهم الحبوة كرى ^(٩) ، ماعدت نياتكم ممرفكم ، ولا أعمالكم نياتكم ، احذروا نصيحة الهوى ، ولسان الفرقة ، فإن الحيلة فى المنطق أبلغ من السيوف فى السكلم ، علّقوا أمركم رخب الذراع فيما حلّ ، مأمون الغيب فيما نزل ، رضىً منكم وكلكم رضىً ، ومقتراً ^(١٠) »

[١] الخابى من السهام : ما يزحف إلى الهدف . [٢] السهم الزاهق : ما جاوز الهدف .
[٣] الشراب والشراب والشراب : ما يشرب . [٤] أصله موبى مسهل عن موبى .
[٥] يرجع . [٦] قال فى اللسان : « دل الأزهرى : هو من الوتر (الثأر) يقال : وثرث فلاناً إذا أصبه بوتر ، وأوترته أوجدته ذلك (أى أظفرت به) ، أوجدت فلاناً مطلوبه أى أظفرت به) قال : والثأر هاهنا العدو لأنه موضع الثأر ، والمعنى : لا توجدوا عدوكم الوترى أمسكم »
[٧] أنه : حقه يألته وآله نفسه . [٨] ورع يرع : كورث من الورع ، وهو التقوى
[٩] رمل يضل فيه السالك ، والداهية . [١٠] مختاراً .

منكم وكلكم متتعي ، لا تطيعوا مفسدا يتنصّح ^(١) ، ولا تخالفوا مرشدا ينتصر ،
أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم .
ثم تكلم عثمان بن عفان ، فقال :

٩٨ — خطبة عثمان بن عفان

« الحمد لله الذي اتخذ محمداً نبيا ، وبعثه رسولا ، صدّقه وعدّه ، ووهب له نصره ، على كلّ من بعد نَسَبًا ، أو قرب رَجْمًا صلى الله عليه وسلم ، جعلنا الله له تابعين ، وبأمره مُهْتَدِينَ ، فهو لنا نور ، ونحن بأمره تقوم عند تفرُّق الأهواء ، ومجادلة الأعداء ، جعلنا الله بفضلِه أئمةً ، وبطاعته أمراء ، لا يخرج أمرنا منا ، ولا يَدْخُلُ علينا غيرنا ، إلا من سَفِهَ الحَقَّ ، ونكِلَ عن القصد ، وأحرِبَ بها يا بن عوف أن تُتْرَكَ ، وأجدر بها أن تكون ، إن خولف أمرُك ، وتُرك دعاؤُك ، فأنا أوّل مجيب لك ، وداع إليك ، وكفيل بما أقول زعيم ، وأستغفر الله لي ولكم .
ثم تكلم الزبير بن العوام بعده فقال :

٩٩ — خطبة الزبير بن العوام

« أما بعد : فإن داعي الله لا يُجْهَلُ ، وحجبه لا يُخْذَل ، عند تفرُّق الأهواء ، ولِيّ الأعناق ، ولن يقصر عما قلت إلا غويّ ، ولن يترك مَدْعوتَ إليه إلا شقي ، لولا حدود الله فرضت ، وفرائض الله حَدَّتْ ، تُراح ^(٢) على أهلها ، وتحيا لامتوت ، لكان الموت من الإمارة نَجاةً ، والفرار من الولاية عِصْمَةً ، ولكن الله علينا إجابة الدعوة ، وإظهار السنة ، لثلاث مئة عُمِّيَّة ^(٣) ، ولا نَعْمَى عَمَى الجاهلية ،

[١] تنصّح : تشبه بالنصحاء . [٢] أراح - فقه عليه : رده عليه .

[٣] العمية : الكبير أو الضلال .

فأنا مجيبك إلى ما دعوت ، ومعينك على ما أمرت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ،
وأستغفر الله لي ولكم .

١٠٠ — خطبة سعد بن أبي وقاص

ثم تكلم سعد بن أبي وقاص فقال :

« الحمد لله بديئاً ^(١) كان ، وآخرآ يعود ، أحمده لما نَجَّاني من الضلالة ،
وبصَّرَني من الغواية ، فبهُدَى الله فازَ من نَجَا ، وبرحمته أفلح من زكا ، وبمحمد
ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم أنارت الطرق ، واستقامت السبل ، وظهر كلُّ
حق ، ومات كل باطل ، إياكم أيها النفرُ وقول الزور ، وأمنيَّة أهل الغرور ، فقد
سلبت الأمانى قوماً قبلكم ، ورثوا ما ورثتم ، ونالوا ما نالتم فاتخذهم الله عدوا ،
ولعنهم لعنا كبيراً ، قال الله عز وجل : « لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ
عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، كَانُوا
لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُذْكَرٍ فَعَلُوهُ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ » إني نكبت ^(٢) قرني ،
فأخذت سهمي الفالج ^(٣) ، وأخذت لطلحة بن عبيد الله ما ارتضيت لنفسى ، فأنا
به كفيل ، وبما أعطيتُ عنه زعيم ، والأمر إليك يا بن عوف بجهد النفس ،
وقصد النصح ، وعلى الله قصد السبيل ، وإليه الرجوع ، وأستغفر الله لي ولكم ،
وأعوذ بالله من مخالفتكم .

١٠١ — خطبة علي بن أبي طالب

ثم تكلم علي بن أبي طالب فقال :

« الحمد لله الذي بعث محمداً منا نبياً ، وبعثه إلينا رسولاً ، فنحن بيت النبوة ،

ومعدين الحكمة، وأمان أهل الأرض، ونجاة لمن طُلب، لنا حق إن نُعطه
 نأخذه، وإن مُنمَّه نركب أعجاز الإبل، ولو طال الشرى، لو عهد إلينا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عهداً لأنفذنا عهده، ولو قال لنا قولاً لجادلنا عليه حتى نموت،
 لن يسرع أحد قبلى إلى دعوة حق، وصلة رحم، ولا حول ولا قوة إلا بالله،
 اسمعوا كلامي، وعُوا منطق، عسى أن ترَوْا هذا الأمر من بعد هذا المجمع،
 اُذتَضَى^(١) فيه السيوف، وتُحان فيه العهود، حتى تكونوا جماعة، ويكون
 بعضكم أئمة لأهل الضلالة، وشيعة لأهل الجهالة، ثم أنشأ يقول :

فإن تك جاسم^(٢) هلكت فإني بما فعلت بنو عبد بن ضنم
 مُطيع في الهواجر كل عيٍ بصيرٌ بالنوى من كل نجم
 (تاريخ الطبرى ٥ : ٣٨ ، والكامل لابن الأثير ٣ : ٣٦)

خطب عثمان بن عفان

رضى الله عنه

١٠٢ — خطبته حين بايعه أهل الشورى

روى الطبرى قال : « لما بايع أهل الشورى عثمان خرج وهو أشدهم
 كآبةً ، فأتى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخطب الناس ، فحمد الله وأثنى
 عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال :
 « إنكم في دار قُلَمَة^(٣) ، وفي بقية أعمار ، فبادرُوا آجالكم بخير ما تقدرُونَ
 عليه ، فلقد أُتِيتُمْ ، صَبَّحْتُمْ أو مُسَّيْتُمْ ، ألا وإن الدنيا طُوِيَتْ على الغرور ، فلا

[١] نسل . [٢] بنو جاسم حتى قديم . [٣] أى اقلاع ، ومنزلاً منزل قُلَمَة « يتسكن اللام
 وضماً ونحوها » أى ليس بمستوطن أو لا تملكه أو لا تدرى متى تتحول عنه .

تَعْرِفُكُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرُّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ، اَعْتَبُوا بِمَنْ مَضَى ثُمَّ جِدُّوا وَلَا تَغْفُلُوا ، فَإِنَّهُ لَا يُغْفَلُ عَنْكُمْ ، أَيْنَ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا وَإِخْوَانُهَا الَّذِينَ آثَرُوهَا وَعَمَرُوهَا ، وَمُتَّعُوا بِهَا طَوِيلًا ، أَلَمْ تَلْفِظْهُمْ ؟ أَرْمُوا بِالدُّنْيَا حَيْثُ رَمَى اللَّهُ بِهَا ، وَاطْلُبُوا الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ ضَرَبَ لَهَا مَثَلًا ، وَالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : (وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ، الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) . وَأَقْبَلَ النَّاسُ بِيَا يَعُونَهُ .

(تاريخ الطبرى ٥ : ٤٣)

١٠٣ — خطبته بعد البيعة

وَقَالَ أَيْضًا : خُطِبَ عُمَانُ النَّاسِ بَعْدَ مَا بُويعَ ، فَقَالَ : « أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي قَدْ حُمِّلْتُ وَقَدْ قَبِلْتُ ، أَلَا وَإِنِّي مُتَّبِعٌ ، وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ ، أَلَا وَإِن لَكُمْ عَلَيَّ بَعْدَ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا : اتِّبَاعَ مَنْ كَانَ قَبْلِي فِيمَا اجْتَمَعْتُمْ عَلَيْهِ وَسُنَّتُمْ ، وَسُنَّةَ سُنَّةِ أَهْلِ الْخَيْرِ فِيمَا لَمْ تَسُنُّوا عَنْ مَلَأٍ ، وَالْكَفَّ عَنْكُمْ إِلَّا فِيمَا اسْتَوْجِبْتُمْ ، أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ قَدْ شُهِيتَتْ إِلَى النَّاسِ ، وَمَالُ إِلَيْهَا كَثِيرٌ مِنْهُمْ ، فَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الدُّنْيَا ، وَلَا تَتَّقُوا بِهَا ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِثِقَةٍ ، وَاعْلَمُوا أَنَّهَا غَيْرُ تَارِكَةٍ إِلَّا مَنْ تَرَكَهَا » . (تاريخ الطبرى ٥ : ١٤٩)

١٠٤ — خطبة أخرى

وَقَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ : لَمَّا وَلِيَ عُمَانُ صَعْدَ الْمَنْبَرِ ، فَجَلَسَ عَلَى ذُرْوَتِهِ ، فَرَمَاهُ النَّاسُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَقَالَ :

« إِنْ أَوَّلَ تَرْكَبٍ صَعِبَ ، وَإِنْ مَعَ الْيَوْمِ أَيَّامًا ، وَمَا كُنَّا خُطْبَاءً ، وَإِذْ نَعِشْ لَكُمْ تَأْتِيَكُمُ الْخُطْبَةُ عَلَى وَجْهِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » .

(عيون الأخبار م ٢ ص ٢٣٥ ، والعمد الفريد ٢ : ١٣٣)

فإنكم مجتلبون بهذا الأمر إن قتلتموني دماً » فانصرفوا عنه ، وآذنوه بالحرب .
(تاريخ الطبري ٥ : ١٢١ ، والكمال لابن الأثير ٣ : ٨٤)

١٠٨ - خطبته وقد اشتد عليه الحصار

ولما اشتد الحصار عليه أرسل إلى عليّ وطلحة والزبير فحضروا ، فأشرف عليهم ، فقال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : اجلسوا ، فجلسوا : المحاربُ والمسلمُ ، فقال لهم يَأْهْلُ الْمَدِينَةِ ، أَسْتَوْدِعُكُمْ اللَّهَ ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَحْسِنَ عَلَيْكُمْ الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِي ، ثُمَّ قَالَ أُنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ دَعَوْتُمْ اللَّهَ عِنْدَ مُصَابِ عَمْرٍو أَنْ يَخْتَارَ لَكُمْ ، وَيَجْمَعَكُمْ عَلَى خَيْرِكُمْ ؟ أَتَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْتَجِبْ لَكُمْ ، وَهُتِمَ عَلَيْهِ ، وَأَنْتُمْ أَهْلُ حَقِّهِ ؟ أَمْ تَقُولُونَ هَإِنِ عَلَى اللَّهِ دِينُهُ ، فَلَمْ يَبَالِ مَنْ وَلَّى ، وَالَّذِينَ لَمْ يَتَفَرَّقْ أَهْلُهُ يَوْمَئِذٍ ؟ أَمْ تَقُولُونَ لَمْ يَكُنْ أَخْذٌ عَنْ مَشُورَةٍ ، إِنَّمَا كَانَ مَكَابِرَةً ، فَوَكَّلَ اللَّهُ الْأُمَّةَ إِذْ عَصَتْهُ ، وَلَمْ يَشَاوِرُوا فِي الْإِمَامَةِ ، أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَعْلَمْ عَاقِبَةَ أَمْرِي ؟ أُنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ أَتَعْلَمُونَ لِي مِنْ سَابِقَةِ خَيْرٍ ، وَقَدَّمَ خَيْرٌ ، قَدَّمَ اللَّهُ لِي يَحِقُّ عَلَى كُلِّ مَنْ جَاءَ بَعْدِي أَنْ يَعْرِفُوا لِي فَضْلَهَا ؟ فَهَلَا لَا تَقْتُلُونِي ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ إِلَّا قَتْلُ ثَلَاثَةٍ : رَجُلٍ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ ، أَوْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ ، أَوْ قَتَلَ نَفْسًا بَغَيْرِ حَقٍّ ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قَتَلْتُمُونِي وَضَعْتُمْ السَّيْفَ عَلَى رِقَابِكُمْ ، ثُمَّ لَمْ يَرْفَعْ اللَّهُ عَنْكُمْ الْاِخْتِلَافَ أَبَدًا » . (تاريخ الكامل لابن الأثير ٣ : ٨٤)

١٠٩ - آخر خطبة خطبها عثمان

« إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ الدُّنْيَا لِتَطْلُبُوا بِهَا الْآخِرَةَ ، وَلَمْ يُعْطِكُمْ وَهَآءِ الْآخِرَةَ كَنْزُوا إِلَيْهَا ، إِنَّ الدُّنْيَا تَفْنَى وَالْآخِرَةُ تَبْقَى ، فَلَا تُبْطِرَنَّكُمْ الْفَانِيَّةُ ، وَلَا تَشْغَلَنَّكُمْ عَنِ الْبَاقِيَةِ ، فَأَثَرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَنْقُطَةٌ ، وَإِنَّ الْمَصِيرَ إِلَى اللَّهِ ،

١٠٥ - خطبته حين نقم عليه الناس

وخطب حين نقم الناس عليه ما تقوموا ، فقال :

« إن لكل نبي آفة ، وإن لكل نعمة عاهة ، في هذا الدين عيَّابون ظَنَّانون ، يظهرون لكم ما تحبون ، وَبُسِرُوتَ ما تكرهون ، يقولون لكم ونقولون ، طَغَامٌ ^(١) . بل النعمان ، يتبعون أول ناعق ، أَحَبُّ مَوَارِدِهِمُ إِلَيْهِمُ النَّازِحُ ^(٢) ، لقد أفررتهم لابن الخطاب بأكثر مما تَقِمَّتُمْ عَلَيَّ ، ولكنه وَقَسَكُمْ ^(٣) وَقَعَكُمْ ^(٤) ، وزجركم زجر البعاع المخزَّمة ^(٥) ، والله إني لأُرب ناصراً ، وأعز نفراً . وَأَقْنُ - إن قلت هلم - أن تجاب دعوتي من عمر ، هل تفقدون من حقوقكم سبئاً ، فما لي لا أفعل في الحق ما أساء ؟ إذن فلم كنت إماماً ؟ »

(بحار القرآن ص ١١٨ ، صبح الأعشى ١ : ٢١٤ ، البيان والبيان ١ : ٢٠٠)

١٠٦ - خطبته التي نزع فيها ، وأعطى الناس من نفسه التوبة

حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

« أما بعد أيها الناس : فوالله ما عاب من عاب منكم شيئاً أجهله ، وما جئت شيئاً إلا وأنا أعرفه ، ولكنني مَنَنْتُ نَفْسِي وَكَذَّبْتُني ، وَضَلَّ عَنِّي رَشْدِي ، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (مَنْ زَلَّ فَلْيَتُوبْ ، وَمَنْ أَخْطَأَ فَلْيَتُوبْ ، وَلَا يَتِمَادَى فِي الْهَلَاكَةِ ، إِنْ مَنْ تَمَادَى فِي الْجَوْرِ ، كَانَ أَبْعَدَ مِنَ الطَّرِيقِ) فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ اتَعَزَّ ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا فَعَلْتُ ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ، فَنَلِ نَزَعَ

[١] أوعاد الناس الواحد والجمع به سواء ، أو به أحده كسجاية . [٢] الموردين : الذي نزع ماؤه ، أي عاص وقلَّ أر بعد . [٣] وقم الدابة : يجذب عائلها ، ووقعه : قهره وأدله ، أوردته : أفتح الرد وحرته أسد الحزن . [٤] قعه : صرعه بالقبضة وتهره وأدله . [٥] خرم البعير : حمل في حاب محرمه الحزامه والطير كلها محرومة ومحرومة لأن وتوات أثرها منقوبة ، وكذا العلم .

وتاب ، فإذا نزلت فليأتني أشرفكم ، فليُرُونِي رأيهم ، فوالله لئن رَدَّني الحق عبداً، لَأَسْتَتِنَ بسنة العبد ، وَلَآذِلَّانَ ذُلَّ العبد ، وَلَآ كَوْنَنَ كالمرفوق ، إِن مُلَّاك صَبَرَ ، وَإِن عَتِيقَ شَكَرَ ، وما عن الله مذهب إلا إليه ، فلا يَعْجِزَنَّ عنكم خيارُكم أَن يَدْنُوا إِلَيَّ ، لئن أَبَت يميني لتتابعنني شمالي .

(تاريخ الطبرى ٥ : ١١١ ، والكامل لان الأمير ٣ : ٨٠)

١٠٧ — خطبته في الرد على الثوار

وقال يرد على النوار :

« الحمد لله ، أحمدده ، وأستعينه ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ، أما بعد : فإنكم لم تعدلوا في المنطق ، ولم تُنصِفُوا في القضاء ، أما قولاكم تخلع نفسك ، فلا أنزع قيصاً قَصَّيْهِ اللهُ عزَّ وجلَّ ، وأكرمني به ، وخصني به على غيري ، ولكني أتوب وأنزع ، ولا أعود لشيء عابه المسلمون ، فإنني وألله الفقير إلى الله ، الخائف منه . »

قالوا : إن هذا لو كان أول حَدَثٍ أحدثته ثم تبت منه ، ولم تُقِمْ عليه ،

لكان علينا أن نقبل منك ، وأن ننصرف عنك إلى آخر ما قالوا .

فقال عثمان : « أما أن أتبرأ من الإمارة ، فأن تصلبوني أحبُّ إليَّ من أن

أتبرأ من أمر الله عزَّ وجلَّ وخلافته ، وأما قولاكم تقتاتلون من دوني ، فإنني لا آمرُ أحداً بقتالكم ، فمن قاتل دوني فإنما قاتل بغير أمري ، ولعمري لو كنت أريد قتالكم ، لقد كنت كتبت إلى الأجناد ، فقادوا الجنود ، وبعثوا الرجال ، أو لحقت ببعض أطرافى بمصر أو عراق ، فالله الله في أنفسكم ، فأبقوا عليها ، إن لم تبقوا على ،

اتقوا الله جلَّ وعزَّ ، فإن تقواه جُنة من بأسه ، ووسيلة عنده ، واحذروا من الله الغيَر ، والزموا جماعتكم ، لا تصيروا أحزاباً ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخواناً . (تاريخ الطبري ٥ : ١٢٦ ، ١٤٩)

خطب الوفود

١١٠ — خطبة عطار د بن حاجب بن زرارة

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع للهجرة عطار د بن حاجب ابن زرارة، في أشرف من بنى تميم، فلما دخل الوفد المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء الحُجرات : أن اخرج إلينا يا محمد ، فأذى ذلك من صياحهم رسول الله ﷺ فخرج إليهم ، فقالوا يا محمد ، جئناك لنفاخرك ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا ، قال نعم ، قد أذنت لخطيبكم فليقل ، فقام إليه عطار د فقال :

« الحمد لله الذي له علينا الفضلُ ، وهو أهله ، الذي جعلنا ملوكاً ، ووهب لنا أموالاً عظيماً ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق ، وأكثره عدداً ، وأيسره عُدَّةً ، فمن مثَلنا في الناس ، ألسنا براء وس الناس وأولى فضلهم؟ فمن يفاخرنا فليعدِّدْ مثِلَ ما عدَدنا ، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكننا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، وإنا نعرف بذلك ، أقول هذا الآن لتأثونا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا ، ثم جلس . »

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن الشَّماس ، قم فأجب

الرجل في خطبته ، فقام ثابت فقال :

١١١ - خطبة ثابت بن قيس بن الشماس

« الحمد لله الذي ، السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرميّه علمه ، ولم يك شيء قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً ، واصطفى من خير خلقه رسولاً ، أكرمهم نسباً ، وأصدقهم حديثاً ، وأفضلهم حسباً ، فأنزل عليه كتابه ، وأتمنه على خلقه ، فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان ، فأمن برسول الله ﷺ المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرم الناس أنساباً ، وأحسن الناس وجوهاً ، وخير الناس فعلاً ، ثم كان أول الخلق استجابة لله ، حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن ، فنحن أنصار الله ، ووزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً ، وكان قتله علينا يسيراً ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله المؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم . »

ثم قالوا يا محمد : ائذن لشاعرنا ، فقال نعم ، فقام الزبرقان بن بدر ، فأنشد قصيدة في الفخر ، وبعث النبي ﷺ إلى حسان بن ثابت فردّ عليه ، فقال الأقرع بن حابس التيمي : إن هذا الرجل لمؤتّى له ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، وأصواتهم أعلى من أصواتنا ، فلما فرغ القوم أساموا ، وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأحسن جوائزهم .

(تاريخ الطبري ٣ : ١٥٠ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٣٩ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٣)

١١٢ - عمرو بن الأهتم والزبرقان بن بدر

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسأل رسول الله ﷺ عمرو بن الأهتم عن الزبرقان بن بدر^(١) فقال عمرو :

« مطاع في أذنيه ^(١) ، شديد المعارضة ^(٢) ، مانع لما وراء ظهره » فقال الزبرقان :
 « والله يا رسول الله ، إنه ليعلم مني أكثر مما قال ، ولكنه حسدني شرفي »
 فقال عمرو : « أما لئن قال ما قال ، فوالله ما علمته إلا ضيق الصدر ، زمر ^(٣)
 المروءة ^(٤) ، أحق الوالد ، لثيم الخال ، حديث الغني » فلما رأى أنه خالف قوله
 الآخر قوله الأول ورأى الإنكار في عين رسول الله ﷺ ، قال يا رسول الله :
 رضيت ، فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت أقبح ما علمت ، وما كذبت
 في الأولى ، ولقد صدقت في الأخرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند
 ذلك : « إن من البيان لسحرا » .

(البيان والدين ١ : ٣١ ، والعقد المريد ١ : ١١٧ ، ومجمع الأمال للعبداني ١ : ٥)

١١٣ - خطبة طهفة بن أبي زهير النهدي

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما قدمت وفود العرب على النبي ﷺ قام طهفة بن أبي زهير النهدي فقال :
 « يا رسول الله أتيناك من غوري ^(١) تهامة بأكوار الميس ، ترمي بنا العيس ^(٢)
 نستحلب الصببر ^(٣) ، ونستجلب الخبير ^(٤) ، ونستعضد ^(٥) البرير ^(٦) ، ونستحيل
 الرهأم ^(٧) ، ونستحيل الجهام ^(٨) ، من أرض غائلة النطاء ^(٩) ، غليظة الوطاء ،

[١] أي في الأذنين منه أي الأفريين ، وأصله أدين حدث نونه لإصافته إلى الصمير .
 [٢] المعارضة : قوة الكلام وتنقيحه والرأي الجيد . [٣] قليل الروءة . [٤] الأمور : كل
 ما انحدر معرباً عن تهامة ، والأكوار جمع : كور بالضم ، وهو الرجل أو بأدائه ، والميس : شجر عظام ،
 أي بالأكوار المصنوعة منه . [٥] العيس جمع عيساء : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة .
 [٦] الصمير : السحاب الكثيف . [٧] العشب . [٨] استعضد الثمرة : اجتاعها ، والبرير ممر
 الأراك ، وكانوا يأكلونه وقت الجذب لقلة الزاد . [٩] الرهأم جمع رهمة بالكسر ، وهي المطر الضعيف الدائم
 ونستحيل نخال ونظن وسحابة مخيلة بضم فكسر أي تحسبها ماطرة . [١٠] الجهام : السحاب قد أراق
 مائه . [١١] النطاء : البعد ، أي بعيدة بعداً مهلكاً .

نَشِيفَ الْمَذْهُنِ ^(١) ، وَيَيْسَ الْجُعَيْنِ ^(٢) ، وَسَقَطَ الْأُمْلُوجَ ^(٣) ، ومات
الْمُسْلُوجُ ^(٤) ، وهلك الْهَدْيُ ^(٥) ، ومات الْوَدِيُّ ^(٦) ، بَرِثْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ
الْوَثْنِ وَالْعَيْنِ ^(٧) ، وما يحدث الزمن ، لنا دعوةُ السلام ، وشرِعةُ الإسلام ،
ما طَمَى ^(٨) البحر ، وقام تِعَارٌ ^(٩) ، ولنا نَعَمٌ ، هَمَلٌ ^(١٠) ، أَغْفَالٌ ، مَا تَبِضُّ ^(١١)
بِيَلَالٍ ، وَوَقِيرٌ ^(١٢) ، كثير الرِّسَلِ ^(١٣) ، قليل الرُّسُلِ ، أصابتها سُذْيَةٌ حمراء مؤزلةٌ ،
ليس بها عِلَلٌ ولا نَهْلٌ .

١١٤ — رده صلى الله عليه وسلم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اللهم بارك لهم في مَحْضِهَا ^(١٤) وَمَخْضِهَا وَمَذْقِهَا ، وَأَبْعَثْ رَاعِيَهَا فِي الدَّثْرِ ^(١٥)
بِإِنْعَامِ الثَّوَرِ ، وَافْجُرْ لَهُ الْيَمَدَ ^(١٦) ، وبارك له في المال والولد ، من أقام الصلاة
كَانَ مَسَامًا ، ومن آتَى الزَّكَاةَ كَانَ مُحْسِنًا ، ومن شهد أن لا إله إلا الله كَانَ
مُخْلِصًا ، يا بني نهدي ، وَدَائِعَ ^(١٧) الشُّرْكِ ، وَوَضَائِعَ الْمُلْكِ ، لَا تُلْطِطُ فِي الزَّكَاةِ ،
وَلَا تُلْجِدُ فِي الْحَيَاةِ ، وَلَا تَتَمَاقَلَ فِي الصَّلَاةِ » . (المقد الفريد ١ : ١١٣)

[١] مستنقع الماء : أو كل موضع حفره سيل ، ونشف الموض الماء : شربه . [٢] أصل الثبات .
[٣] ورق كورق السرو لشجر بالبادية . [٤] ملان واخصر من القصان وعسلجت الشجرة :
أخرجته . [٥] ما يهدي إلى مكة لينجر . [٦] الفسيل (النخل الصفار) . [٧] الصنم
الصنير . [٨] امتلاً وعلا . [٩] جبل ببلاد قيس . [١٠] مهمل والأعمال جمع غفل بالضم ، وهو
مالاسمة عليه من الدواب . [١١] بض الماء يبض : سال قليلاً قليلاً ، والبلال : الببل ، والمراد قلة
اللبن . [١٢] القطيع من الغنم . [١٣] الرِّسَل : القطيع من كل شيء ، والرسَل اللبَن ، وسنية :
تصغير تعظيم لسة ، وهي الفحط والمجاعة ، وحمراء أي شديدة ، ومؤزلة ذات أزل بسكون الزاي ، وهو الضيق
والشدة . [١٤] اللبَن الحامس ، ومخض اللبَن : أخذ زبده . والمذيق اللبَن المزوج بالماء ، مذقه فامتذق .
[١٥] الدَّثْر : المال الكثير . وقيل هو الكثير من كل شيء ، وأراد به هنا الخصب والذات الكثير .
[١٦] الماء القليل لامادة له ، أو ما يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف . [١٧] أي النائم التي تغتم
من المشركين وتودع بيت مال المسلمين ، ليقووا بها على شئونهم ، والوضائع جمع وضاعة ، وهي ما يأخذها السلطان

١١٥ - خطبة ظبيان بن حداد

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

وفد ظبيان بن حداد في سرة مذحج على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثناء على الله عز وجل بما هو أهله : « الحمد لله الذي صدع^(١) الأرض بالنبات ، وفق السماء بالرجع^(٢) ، ثم قال : نحن قوم من سرة مذحج من يُحابر^(٣) بن مالك ، ثم قال : فتوقلت^(٤) بنا القلاص من أعلى الخوف ورءوس الهضاب ، يرفعها عرر^(٥) الرُّبا ، ويخفيها بطنان الرقاق ، وتلحقها دياجي الدجى ، ثم قال : وسروات الطائف كانت ابني مهلايل بن قينان ، غرسوا وذيانه ، وذللوا خيشانه^(٦) ورعوا قربانه ، ثم ذكر نوحا حين خرج من السفينة بمن معه ، قال فكان أكثر بنيه نباتا ، وأسرعهم نباتا ، عاد وثمود ، فرماهم الله بالذمماق^(٧) ، وأهلكهم بالصواعق ، ثم قال :

من الحراج والعشور. يريد أن يقول لهم : إن موارد المال للأمة الإسلامية هما هذان اركان ، العنائم ، وارتكاز ، فلا تعطلوا الزكاة ، ولدا عقب ذلك القول بقوله : لا تلطط في الزكاة أى لا تمنعها ، لطط حقه جعدته كأطط ، ولا تلحد في الحياة : أى لا يمرى منكم بل عن الحق ما دتم أحياء ، ولا تناقل عن الصلاة ، أى عن أدائها في وقتها ، ويروى : ولا ياطط في الزكاة ، ولا يلحد في الحياة (بالباء المجهول) ، ولا تناقل عن الصلاة . [١] شق . [٢] المطر بعد المطر . [٣] هو مراد بن مالك (وهو مذحج) ابن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان . [٤] توقلت في الجبل : صعد ، والقلاص جمع قلوص ، وهى النانة الشابه أُر الباقية على الير ، والخوف : بلد بهمان . [٥] فى الأصل : « عوار » ولا معنى له هنا ، وأرى أن صوابه « عرر » جمع درة كقبة وعرة السنام : النخمة العليا ، أى دروته وأغلامه ، أى أمها تسير فى أعلى الرُّبا وذراها ، وربما كان الأصل « تراعر » بفتح العين الأولى جمع عررة بصحهما ، وعررة الجبل والسام وكل شىء رأسه ، وبطان جمع باطن ، وهو الدامض من الأرض ، أى المطنئن منها ، والرقاق جمع رق بالفتح ، وهى كل أرض إلى جنب واد ينسبط للماء عليها أيام المد ثم ينضب ودياى الليل حنادسه كأنه جمع ديمحة ، والديجى جمع دجبة ، وهى الظلمة . [٦] الحشن والأخشن : الأخرش من كل شىء جمعه خشان . [٧] الأملس : المستدير من الحجارة .

وَكَانَتْ بَنُو هَانِيٍّ مِنْ ثَمُودَ تَسْكُنُ الطَّائِفَ ، وَهُمْ الَّذِينَ خَطُّوا مَشَارِبَهَا ،
وَأَتَوْا جَدَّاءِهَا ^(١) ، وَأَحْيَوْا غِرَاسَهَا ، وَرَفَعُوا عَرِيشَهَا ، ثُمَّ قَالَ : وَإِنْ حَمِيرٌ
مَلَكَوا مَعَاقِلَ الْأَرْضِ وَقَرَّارَهَا ، وَكُتُّولَ النَّاسِ وَأَغْمَارَهَا ^(٢) . وَرءِ وَسِ الْمُلُوكِ
وَعَرَّارَهَا ، فَكَانَ لَهُمُ الْبَيْضَاءُ وَالسُّودَاءُ ، وَفَارِسُ الْحَمَاءِ ، وَالْجَزْيَةُ الصَّفْرَاءُ ^(٣) ،
فَبَطَرُوا النِّعَمَ ، وَاسْتَحَقُّوا النِّقَمَ ، فَضَرَبَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ، ثُمَّ قَالَ : وَإِنْ
قَبَائِلُ مِنَ الْأَزْدِ نَزَلُوا عَلَى عَهْدِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ ، فَفَتَحُوا فِيهَا الشَّرَائِعَ ^(٤) ، وَبَنَوْا فِيهَا
الْمَصَانِعَ ^(٥) ، وَاتَّخَذُوا الدِّسَائِعَ ^(٦) ، ثُمَّ تَرَامَتْ مَذْحِجٌ بِأَسْنَتِهَا ، وَتَنَزَّتْ ^(٧)
بِأَعْنَتِهَا ، فَغَلَبَ الْعَزِيزُ أَذْلَهَا ، وَقَتَلَ الْكَثِيرَ أَقْلَهَا ، ثُمَّ قَالَ : وَكَانَ بَنُو عَمْرِو بْنِ
خَالِدِ بْنِ جَذِيعَةَ يَخْبِطُونَ عَضِيدَهَا ^(٨) ، وَيَأْكُلُونَ حَصِيدَهَا ، وَيَرْشِجُونَ ^(٩)
خَضِيدَهَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنْ نَعِيمَ الدُّنْيَا أَقْلٌ وَأَصْغَرَ عِنْدَ اللَّهِ
مِنْ خُرءٍ بُعِيضَةٍ ، وَلَوْ عَدَلَتْ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحُ ذَبَابٍ لَمْ يَكُنْ لِكَافِرٍ مِنْهَا خَلَاقٌ ،
وَلَا لِمُسْلِمٍ مِنْهَا لِحَاقٌ » . (العقد المرید ١ : ١١٠)



[١] أُنَى الْمَاءِ تَأْتِيَةٌ سَهْلٌ وَأَصْلَحُ مَحْرَاهُ ، أَيْ سَهَّلُوا طَرُقَ الْمِيَاهِ إِلَيْهَا . [٢] جَمْعُ غَرْمَلَتِ الْفَيْنِ ، وَهُوَ
الْحَدِثُ لَا تَجْرِبَةُ لَهُ ، وَالْعَرَارُ : الرَّفْعَةُ وَالسُّودُودُ . [٣] أَيْ الذَّهْبِيَّةُ . [٤] جَمْعُ شَرِيعَةٍ ، وَهِيَ مَوْرِدُ
الشَّارِبَةِ كَالْمَشْرِعَةِ . [٥] الْمَبَايُ مِنَ الْقُصُورِ وَالْحُصُونِ . [٦] جَمْعُ دَسِيعَةٍ ، وَهِيَ الْبَقْنَةُ وَالْدَسَكْرَةُ .
[٧] تَنْزَى : تَوَثَّبَ وَتَسَرَّعَ . [٨] الْعَضِيدُ : مَا قَطَعَ مِنَ الشَّجَرِ ، أَيْ يَضْرِبُونَهُ لِيَسْقُطَ وَرَقُهُ فَيَتَخَذُوهُ
عَلَقًا لِأَبْلَاهِمُ . [٩] التَّرْشِيجُ : التَّرِييَةُ وَحَسَنُ الْقِيَامِ عَلَى الْمَالِ ، وَالْحَضِيدُ : مَا خُذَ مِنَ الشَّجَرِ وَنَعْمَى
عَهُ ، وَكُلُّ مَا قَطَعَ مِنْ عَوْدٍ رَطْبٍ (فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ) أَيْ يَصْلَحُونَهُ وَيَقُومُونَ بِأَمْرِهِ .

خطب الوفود

بين يدى عمر بن الخطاب

لما قدمت الوفود على عمر بن الخطاب رضى الله عنه قام هلال بن بشر^(١) فقال :

١١٦ - خطبة هلال بن بشر

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّا غُرَّةٌ مِّنْ خَلْفِنَا مِنْ قَوْمِنَا ، وَسَادَةٌ مِّنْ وَرَاءِنَا مِنْ أَهْلِ
مِصْرِنَا ، وَإِنَّكَ إِن تَصْرِفْنَا بِالزِّيَادَةِ فِي أُعْطِيَاتِنَا ، وَالْفَرَائِضِ لِعِيَالَتِنَا ، يَزِدَّ بِذَلِكَ
الشَّرِيفُ تَأْمِيلًا ، وَتَكُنْ لَهُمْ أَبَا وَصُولًا ، وَإِنْ تَكُنْ مَعَ مَا نَمُتُّ^(٢) بِهِ مِنْ
وَسَائِلِكَ ، وَنُذِلِي بِهِ مِنْ أَسْبَابِكَ كَالْحَدَلِ^(٣) ، لَا يُحْلَلْ وَلَا يُرْتَحَلْ ، نَرْجِعُ بِأَنْوَفِ
مِصْلُومَةٍ^(٤) ، وَجَدُودِ عَائِرَةٍ ، فَحِجْنَا^(٥) وَأَهَالِنَا بِسَجَلٍ^(٦) مُتْرَعٍ مِنْ سِجَالِكَ الْمُتْرَعَةِ »

١١٧ - خطبة زيد بن جبلة

وقام زيد بن جبلة فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، سَوِّدَ الشَّرِيفَ ، وَأَكْرَمَ الْحَسِيبَ ، وَازْرَعْ عِنْدَنَا مِنْ
أَيْدِيكَ مَا تَسُدُّ بِهِ الْخِصَاصَةَ ، وَتَطْرُدُ بِهِ الْفَاقَةَ ، فَإِنَّا بِقُفٍّ^(٧) مِنَ الْأَرْضِ يَابِسِ

[١] وفي البيان والتبيين : ابن وكيع . [٢] تتوسل به . [٣] في البيان والتبيين « كالجدّة »
وفي نهاية الأرب « كالجلد » ولا معنى لهما هنا ، وأرى أن صوابه « كالحدل » بحاء مفتوحة ودال
مكسورة ، وصف من الحدل بفتحيتين وهو الذى أشرف أحد عاتقيه على الآخر ، أو المائل العنق من خفة
أو وجع لا يملك أن يقيه ، وارتحل البعير ورحله : حطّ عليه الرجل ، وإذا كان البعير حدلا فهو لا يرتحل
لعدم توازن المدلين عليه ، وكذا لا يحلّ من مبركه لا يرتحل فهو إذن لا يستخدم ولا يفتتح به ، فالعنى أنك إن
لم تعطنا تكن كالبعير الحدل المديم الجدوى . [٤] المفطوعة من أصلها . [٥] الميج : الإعطاء .
[٦] الدلو العظيمة مملوءة (مذكر) ومترع : مملوء . [٧] ما ارتفع من الأرض كالقفّة .

الأكناف ، مُقَشَّعِرُ الذَّرْوَةِ ، لَا مُتَّجَرٍ وَلَا زَرْعَ ، وَإِنَّا مِنَ الْعَرَبِ الْيَوْمَ إِذْ أَتَيْنَاكَ بِمَرَأَى وَمَسْمَعٍ .

١١٨ — خطبة الأحنف بن قيس

فقام الأحنف فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِن مِفَاتِيحَ الْخَيْرِ بِيَدِ اللَّهِ ، وَالْحَرْصُ قَائِدُ الْحُرْمَانِ ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا لَا يُغْنِي عَنْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَيْلًا وَلَا قَالًا ، وَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَعِيَّتِكَ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ شَيْئًا يَكْفِيكَ وَفَادَةَ الْوَفُودِ ، وَاسْتِمَاحَةَ الْمُتَمَتَّاحِ ^(١) ، فَإِنْ كُلُّ أَمْرٍ يُجْمَعُ فِي وَعَاثِهِ إِلَّا الْأَقْلَ مِنْ عَسَى أَنْ تَقْتَحِمَهُ الْأَعْيُنُ فَلَا يُوفَدُ إِلَيْكَ »
(نهایة الأرب ٧ : ٢٣٩ ، والبيان والتبيين ٢ : ٧١)

١١٩ — خطبة الأحنف بن قيس

بين يدي عمر بن الخطاب

قدم الأحنف بن قيس التميمي على عمر بن الخطاب رضى الله عنه في أهل البصرة وأهل الكوفة ، فتكلموا عنده في أنفسهم ، وما ينوب كل واحد منهم ، وتكلم الأحنف فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِن مِفَاتِيحَ الْخَيْرِ بِيَدِ اللَّهِ ، وَقَدْ أَتَيْتُكَ وَفُودَ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَإِنْ إِخْوَانُنَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ نَزَلُوا مَنَازِلَ الْأُمِّ الْخَالِيَةِ ، وَالْمُلُوكِ الْجَبَابِرَةِ ، وَمَنَازِلَ كَسْرَى وَقِصْرَ وَبَنَى الْأَصْفَرِ ، فَهُمْ مِنَ الْمِيَاهِ الْعَذْبَةِ ، وَالْجَنَانِ الْمُخْصِبَةِ فِي مِثْلِ حَوْلَاءِ السَّلَى ^(٢) وَحَدَقَةِ الْبَعِيرِ ، تَأْتِيهِمْ ثَمَارُهُمْ غَضَّةً قَبْلَ أَنْ

[١] استمache : سأله الإطباء والامتيac الإعطاء . [٢] الحولاء : جلدة خضراء مملوءة ماء تخرج مع الولد فيها أغراس وخطوط حمراء وخضراء وتزولواى مثل حولاء الافة . يريدون الحصب وكثرة الماء والحصرة ، والسلى جلدة فيها الولد (من الناس والمواشى) .

تتغير ، وإنا نزلنا أرضاً نشّاشة^(١) طَرَف في فلاة ، وطَرَف في ملح أجاج^(٢) ،
جانبٌ منها منابت القصب ، وجانب سَبَخة نشّاشة لا يحف ترابها ، ولا ينبت
مرعاها ، تأتينا منافعها في مثل مَرِيء النعامة ، يخرج الرجل الضعيف منا
يَسْتَعْذِب^(٣) الماء من فرسخين ، وتخرج المرأة بمثل ذلك ، تُرْتَقُ^(٤) ولدها
ترقيق العنز تخاف عليه العدو والسبع ، فإِلَّا تَرَفَع خَسِيسَتَنَا^(٥) وَتُنْعِشَ رَكِيسَتَنَا^(٦)
وَتَجْبُرَ فَاقَتَنَا ، وتريد في عيالنا عيالا ، وفي رجالنا رجالا ، وَتُصَفِّرَ^(٧) درهمنا ،
وتكبر قَفِيرَنَا^(٨) ، وتَأْمُرُنا بحفر نهر نستعذب به الماء هلكننا .

قال عمر : هذا والله السيد ، هذا والله السيد . قال الأحنف : فما زلت

أسمعها بعدها (العقد المرید ١ : ١١٦ ، وشرح العيون ٦٨)

خطب رجال من الفاتحين

بين يدي يزدجرد ملك الفرس

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص وهو على فتح العراق يأمره أن يبعث
إلى يَزْدَجَرْدَ ملك الفرس رجالا من أهل المنطرة^(٩) والرأي والجلد يدعونه ، فاختارهم وأنفذهم
إليه بالمدائن ، فلما دخلوا عليه أمر التَّزْجَانَ بينه وبينهم فقال : سلمهم ماجاء بكم وما دعاكم
إلى غزونا والولوع ببلادنا ، أمن أجل أنا أجمعناكم^(١٠) وتشاغلنا عنكم اجتراءتم علينا ؟

[١] سبعة : نشاشة لا يجف ثراها ولا يبت مرطامها ، والسبعة بفتح الباء وسكونها أرض ذات نز وملح .

[٢] ملح مرّ . [٣] استعذب : استقى عذبا . [٤] التريق : لإدانة النظر . [٥] رفعت من

خسيسته جعلت به فعلا فيه رفعه . [٦] الرّكس : قلب أول الشيء على آخره ، وارتكس ارتكس ووقع .

[٧] صفرة : صبه صفرة ، أي تبدلنا بالدرهم الأبيض ديناراً أصفر وتجعل فضتنا ذهباً .

[٨] مكيال . [٩] المنظر . [١٠] من أجمع الماء إذا تركه يجتمع ، أي أرحناكم واصبرنا عنكم .

فقال لهم النعمان بن مقرن : إن شئتم أحببت عنكم ، ومن شاء آثرته ، فقالوا : بل تكلم ، فتكلم النعمان فقال :

١٢٠ — خطبة النعمان بن مقرن

« إن الله رَحِمَنَا فَأَرْسَلْ إِلَيْنَا رَسُولًا يَدُلُّنَا عَلَى الْخَيْرِ ، وَيَأْمُرُنَا بِهِ ، وَيَعْرِفُنَا الشَّرَّ ، وَيَنْهَانَا عَنْهُ ، وَوَعَدَنَا عَلَى إِجَابَتِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَلَمْ يَدْعُ إِلَى ذَلِكَ قَبِيلَةً إِلَّا صَارُوا فِرْقَتَيْنِ : فِرْقَةٌ تُقَارِبُهُ ، وَفِرْقَةٌ تُبَاعِدُهُ ، وَلَا يَدْخُلُ مَعَهُ فِي دِينِهِ إِلَّا الْخَوَاصُّ ، فَكَثُرَ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْثُرَ ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُقْبِذَ إِلَى مَنْ خَالَفَهُ مِنَ الْعَرَبِ ، وَبَدَأَ بِهِمْ وَفَعَلَ ، فَدَخَلُوا مَعَهُ جَمِيعًا عَلَى وَجْهَيْنِ : مُكْرَهُ عَلَيْهِ فَاغْتَبِطَ ، وَطَائِعَ أَتَاهُ فَازْدَادَ ، فَعَرَفْنَا جَمِيعًا فَضِلَّ مَا جَاءَ بِهِ عَلَى الَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ ، مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالضَّيْقِ ، ثُمَّ أَمَرْنَا أَنْ نَبْدَأَ بِمَنْ يَلِينَا مِنَ الْأُمَمِ ، فَتَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِنْصَافِ ، فَنَحْنُ نَدْعُوكُمْ إِلَى دِينِنَا ، وَهُوَ دِينُ حَسَنِ الْحَسَنِ ، وَقَبِيحِ الْقَبِيحِ كُلُّهُ ، فَإِنْ أَيْتَمَ فَأَمْرٌ مِنَ الشَّرِّ ، هُوَ أَهْوَنُ مِنْ آخِرِ شَرٍّ مِنْهُ ، الْجِزَاءُ ^(١) ، فَإِنْ أَيْتَمَ فَلَمَنَاجِزَةٌ ، فَإِنْ أَجَبْتُمْ إِلَى دِينِنَا خَلَفْنَا فِيكُمْ كِتَابَ اللَّهِ ، وَأَقْنَاكُمْ عَلَيْهِ ، عَلَى أَنْ تَحْكُمُوا بِأَحْكَامِهِ ، وَنَرْجِعَ عَنْكُمْ وَشَأْنَكُمْ وَبِلَادَكُمْ ، وَإِنْ اتَّقَيْتُمُونَا بِالْجِزَاءِ قَبْلِنَا وَمَنْعْنَاكُمْ ، وَإِلَّا قَاتَلْنَاكُمْ . »



فقال يزدجرد : إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ، ولا أسوأ ذاتَ يمينٍ منكم ، قد نوكلُ بكم قُرَى الضواحي فيكفونناكم ، لا تغزوكم فارس ، ولا تطمعون أن تقوموا لهم ، فَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ ، فَلَا يَغْرُنْكُمْ مِنَّا ، وَإِنْ

كَانَ الْجَهْدُ دَعَاكُمْ ، فَضَنَّا لَكُمْ قُوْتًا إِلَى خِيَصْبِكُمْ ، وَأَكْرَمْنَا وَجُوهَكُمْ ، وَكَسَوْنَاكُمْ ،
وَمَلَكْنَا عَلَيْكُمْ مَلَكَ يَرْفُقُ بِكُمْ ، فَقَامَ الْمَغِيرَةُ بْنُ زُرَّارَةَ فَقَالَ :

١٢١ - خُطْبَةُ الْمَغِيرَةِ بْنِ زُرَّارَةَ

أَيُّهَا الْمَلِكُ : إِنْ هُوَ لَا رِءُوسُ الْعَرَبِ وَوُجُوهَهُمْ ، وَهُمْ أَشْرَافُ يَسْتَحْيُونَ
مِنَ الْأَشْرَافِ ، وَإِنَّمَا يَكْرُمُ الْأَشْرَافَ الْأَشْرَافُ ، وَيَعْظُمُ حَقُوقَ الْأَشْرَافِ
الْأَشْرَافُ ، وَيَفْخُمُ الْأَشْرَافَ الْأَشْرَافُ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا أُرْسِلُوا بِهِ جَمْعُوهَ لَكَ ،
وَلَا كُلُّ مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ أَجَابُوكَ عَلَيْهِ ، وَقَدْ أَحْسَنُوا وَلَا يُحْسِنُ بِمَثَلِهِمْ إِلَّا ذَلِكَ ،
فَجَاوِبُنِي لِأَكُونَ الَّذِي أَبْلَغَكَ ، وَيَشْهَدُونَ عَلَى ذَلِكَ ، إِنَّكَ قَدْ وَصَفْتَنَا صِفَةً لَمْ
تَكُنْ بِهَا عَالِمًا ، فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ سُوءِ الْحَالِ ، فَمَا كَانَ أَسْوَأَ حَالًا مِنَّا ، وَأَمَّا
جُوعُنَا فَلَمْ يَكُنْ يَشْبَهُ الْجُوعَ ، كُنَّا نَأْكُلُ الْخَنَافِسَ ، وَالْجُعْلَانَ ^(١) وَالْعَقَارِبَ
وَالْحَيَّاتِ فَتَرَى ذَلِكَ طَعَامَنَا ، وَأَمَّا الْمَنَازِلُ فَإِنَّمَا هِيَ ظَهْرُ الْأَرْضِ ، وَلَا نَلْبَسُ
إِلَّا مَا غَزَلْنَا مِنْ أَوْبَارِ الْإِبِلِ ، وَأَشْعَارِ الْغَنَمِ ، دِينِنَا أَنْ يَقْتُلَ بَعْضُنَا بَعْضًا ، وَيُغَيِّرَ
بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ، وَإِنْ كَانَ أَحَدُنَا لِيَدْفِنَ ابْنَتَهُ وَهِيَ حَيَّةٌ كَرَاهِيَةً أَنْ تَأْكُلَ مِنْ
طَعَامِنَا ، فَكَانَتْ حَالُنَا قَبْلَ الْيَوْمِ عَلَى مَا ذَكَرْتَ لَكَ ، فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَجُلًا
مَعْرُوفًا نَعْرِفُ نَسَبَهُ ، وَنَعْرِفُ وَجْهَهُ وَمَوْلَدَهُ ، فَأَرْضُهُ خَيْرُ أَرْضِنَا ، وَحَسَبُهُ خَيْرُ
أَحْسَابِنَا ، وَبَيْتُهُ أَعْظَمُ بَيْوتِنَا ، وَقَبِيلَتُهُ خَيْرُ قَبِيلَتِنَا ، وَهُوَ بِنَفْسِهِ كَانَ خَيْرِنَا فِي
الْحَالِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا ، أَصْدَقْنَا وَأَحْلَمْنَا فِدْعَانَا إِلَى أَمْرٍ ، فَلَمْ يَجِبْ أَحَدًا أَوَّلَ مَنْ
تَرَبَّحَ كَانَ لَهُ ، وَكَانَ الْخَلِيفَةُ مِنْ بَعْدِهِ ، فَقَالَ وَقَلْنَا ، وَصَدَّقَ وَكَذَبْنَا ، وَزَادَ وَتَقَصَّصْنَا

[١] جَمْعُ جَعَلٍ بِضَمِّ فَتْحٍ ، وَهُوَ الْحَرَبَاءُ .

فلم يقل شيئاً إلا كان ، ففذف الله في قلوبنا التصديق له واتباعه ، فصار فيما بيننا وبين رب العالمين ، فما قال لنا فهو قول الله ، وما أمرنا فهو أمر الله ، فقال لنا إن ربكم يقول : إني أنا الله وحدي لا شريك لي ، كنتُ إذ لم يكن شيء ، وكل شيء هالك إلا وجهي ، وأنا خلقت كل شيء ، وإلى يصير كل شيء . وإن رحمتي أدركنكم ، فبعثت إليكم هذا الرجل ، لأدلكم على السبيل التي بها أنجيكم بعد الموت من عذابي ، ولأجلدكم داري دار السلام ، فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق ، وقال : من تابعكم على هذا ، فله مالكم وعليه ما عليكم ، ومن أبي فاعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم ، ومن أبي فقاتلوه ، فأنا الحكم بينكم ، فمن قُتل منكم أدخلته جنتي ، ومن بقي منكم أعقبته النصر على من ناواه ، فاختر إن شئت الجزية عن يدٍ وأنت صاغر ، وإن شئت فالسيف ، أو تسلم فتنجي نفسك » فقال يزدجرد : أتستقباني بمثل هذا ؟ لولا أن الرسل لا تُقتل لقتلتكم ، لا شيء لكم عندي ، ثم قال : اتنوني بوقر^(١) من تراب ، فقال احملوه على أشرف هؤلاء ، ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن .

(تاريخ الطبري ٤ : ٩٢ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ٢٢٣)

١٢٢ — مقال ربعي بن عامر عند رستم قائد جيش الفرس

وأرسل رستم قائد جيش الفرس ، إلى سعد بن أبي وقاص ، أن ابعث إلينا رجلاً نكلمه ويكلمنا ، فبعث إليه ربعي بن عامر ، فلما انتهى إليه قال له التَّزُجَّان (واسمه عبود من أهل الحيرة) ما جاء بكم ؟ قال :

« الله ابتعثنا ، والله جاء بنا ، لنخرج من شاء من عبادة العباد ، إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا

بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ، ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا ، ومن أبى قاتلناه أبداً ، حتى نُفْضَى إلى موعود الله ، قال وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقى .
(تاريخ الطبرى ٤ : ١٠٦ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢٧)

١٢٣ ... خطبة المغيرة بن شعبة في حضرة رستم

وبعث إليه أيضاً المغيرة بن شعبة ، فتكلم بحضرته ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إن الله خالق كل شىء ورازقه ، فمن صنع شيئاً فإنما هو يصنعه والذي له ، وأما الذى ذكرت به نفسك وأهل بلادك من الظهور على الأعداء ، والتمكن فى البلاد ، وعَظَمَ السلطان فى الدنيا ، فنحن نعرفه ، ولسنا ننكره ، فالله صنعه بكم ، ووضع فىكم ، وهو له دونكم ، وأما الذى ذكرت فىنا من سوء الحال ، وضيق المعيشة ، واختلاف القلوب ، فنحن نعرفه . ولسنا ننكره ، والله ابتلانا بذلك ، وصيرنا إليه ، والدنيا دُول ، ولم يزل أهل شدائدها يتوقعون الرِّخاء ، حتى يصيروا إليه ، ولم يزل أهل رخائها يتوقعون الشدائد ، حتى تنزل بهم ، ويصيروا إليها ، ولو كنتم فيما آتاكم الله ذوى شكر ، كَأَن شُكْرِكُمْ يَقْضَرُ عما أوتيتهم ، وأسألكم ضعف الشكر إلى تغير الحال ، ولو كنا فيما ابتلينا به أهل كفر ، كَأَن عَظِيم ما تتابع علينا ، مستجلباً من الله رحمة يُرَفِّه بها عتاً ، ولكن الشأن غير ما تذهبون إليه ، أو كنتم تعرفوننا به ، إن الله تبارك وتعالى بعث فىنا رسولاً ، ثم ذكر مثل الكلام الأول .
(تاريخ الطبرى ٤ : ١٠٩ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢٨)

١٢٤ — خطبة خالد بن الوليد فى وقعة اليرموك

والى خالد بن الوليد جيوش المسلمين ، وقد اجتمعوا باليرموك لحرب الروم .

وأراد قوادها الخروج إلى الرُّوم متساندين ، ^(١) فخطبهم خالد ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« إن هذا يوم من أيام الله ، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغى ، أخلصوا جهادكم ، وأريدوا الله بعملكم ، فإن هذا يوم له ما بعده ، ولا تقتاتلوا قومًا على نظام وتعبية ، على تساند وانتشار ، فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي ، وإن من ورائكم من لو يعلم علمكم ، حال بينكم وبين هذا ، فاعملوا فيما لم تؤمروا به ، بالذي ترون أنه الرأي من واليكم ومحبتُهُ » .

قالوا فهات ، فما الرأي ؟ قال : « إن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أننا سنتياسر ^(٢) ، ولو علم بالذي كان ويكون لما جمعكم ، إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيتهم ، وأتفع للمشركين من أمدادهم ، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم ، فالله الله ، فقد أُفِرِدَ كل رجل منكم ببلد من البلدان لا ينتقصه منه أن دَانَ لِأَحَدٍ من أمراء الجنود ، ولا يزيد عليه أن دانوا له ، إن تأمير بعضكم لا ينقصكم عند الله ، ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هَامُّوا فَإِنْ هُوَ لَاءَ قَدْ تَهَيَّئُوا ، وهذا يوم له ما بعده ، إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نَرُدُّهُمْ ، وإن هزمونا لم نُفْلِحْ بعدها ، فهلموا فلتتعاور ^(٣) الإمارة ، فليكن عليها بعضنا اليوم ، والآخر غدًا ، والآخر بعد غد ، حتى يتأمر كلكم ، ودعوني أتأمرُ اليوم » فَأَمَرُوهُ وهم يرون أنها كَخَرَجَاتِهِمْ ، فكان فيها النصر المبين للمسلمين .

(تاريخ الطبرى ٤ : ٣٣ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٠٠)

[١] أى تحت رايات شتى لاتجتمهم راية أمير واحد . [٢] التياسر : التساهل .

[٣] تتعاقب عليها .

١٢٥ - خطبة عتبة بن غزوان بعد فتح الأبلّة^(١)

حمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
 « أما بعد : فإن الدنيا قد تولت حذاء^(٢) مُدْبِرَةً ، وقد آذنت أهلها بِصَرْم^(٣) ،
 وإنما بقي منها صُبَابَةٌ^(٤) كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ يَصْطَبُّهَا صَاحِبُهَا ، ألا وإنكم مفارقوها
 لَا مَحَالَةَ ، ففارقوها بأحسن ما يحضركم ، ألا وإن من العجب أنى سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول : إن الحجر الضخم يُبْلَقُ في النار من شفيرها^(٥) ،
 فَيَهْوِي فيها سبعين خريفاً^(٦) ، ولجهنم سبعة أبواب ما بين البابين منها مَسِيرَةُ
 خَمِيسَاةٍ سَنَةٍ ، ولتأتين عليها ساعةٌ وهي كَظِيظ^(٧) بِالزَّحَامِ ، ولقد كنت مع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم سابع سابعة ، ما لنا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الْبَشَامِ^(٨) ، حتى
 قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا ، فوجدت أنا وسعد بن مالك تمرّة ، فشققتها بيني وبينه
 نصفين ، والتقطت بُرْدَةً فشققتها بيني وبينه ، فَأَثَرَزْتُ بنصفها ، وَأَثَرَزَ بنصفها ،
 وما منا أحد اليوم إلا وهو أمير على مصر من الأمصار ، وإنه لم يكن نبوة قط
 إِلَّا تَنَاسَخَتْهَا^(٩) جَبَرِيَّةٌ ، وأنا أعوذ بالله أن أكون في نفسى عظيماً ، وفي
 أعين الناس صغيراً ، وستجربون الأمراء من بعدى ، فتعرفون وتنكرون » .

(العقد الفريد ٢ : ١٥٦ ، والبيان والبيان ٢ : ٢٧ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٨٨)

[١] موضع قرب البصرة . [٢] السريعة الماوية التي لا يتعلق بها شيء . [٣] آذنت : أعلنت ،
 والصرم : القطع . [٤] الصبابة : بقية الماء في الإناء . [٥] الشفير : حرف كل شيء .
 [٦] سنة : والمراد أنها بعيدة الأقطار شاسعة الأرجاء . [٧] من كلمة الطمام ملاءة حتى لا يطبق
 النفس ، ورجل كظّ وكظيط ومكطوط تبهظه الأمور حتى يعجز عنها . [٨] البشام : شجر عطر
 الرائحة يستاك به . [٩] في الحديث « لم تكن نبوة إِلَّا تَنَاسَخَتْ » أي تحوّلت من حال إلى حال ،
 يعني أمر الأمة وتناير أحوالها ، والجبرية الجبروت .

١٢٦ — خطبة سعيد بن العاص حين قدم الكوفة واليا عليها

عزل عثمان رضى الله عنه الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيْط من إمارة الكوفة ،
وكان قد اتهم بشرب الخمر وولى مكانه سعيد بن العاص سنة ٣٠ هـ ، فلما قدم
الكوفة صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

«والله لقد بُعثت إليكم وإني لكاره ، ولكنى لم أجِدُ بداً إذ أمرت أن أُنْتَمِرَ ،
ألا إن الفتنة قد أطلعت خُطْمَهَا ^(١) وعينها ، والله لأضربنَّ وجهها حتى أقمها
أو تُعَيِّنَنِي ^(٢) ، وإني لرأى ^(٣) نفسى اليوم » ثم نزل . (تاريخ الطبرى ٥ : ٦٣)

١٢٧ — الخنساء تحرض أولادها على القتال

حضرت الخنساء حربَ القادسية ومعها بنوها أربعة رجال ، فقالت لهم :
« يا بَنِيَّ ، أنتم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا إله غيره ،
إنكم لبنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ماخِئْتُ أباكم ، ولا فَضَحْتُ
خالكم ، ولا هَجَنْتُ ^(١) حَسَبَكُمْ ، ولا غَبَرْتُ ^(٢) نَسَبَكُمْ ، وقد تعلمون ما أعدَّ الله
للمسلمين من الثواب العظيم فى حرب الكافرين ، وأعلموا أن الدار الباقية خير
من الدار الفانية ، يقول الله عزَّ وجلَّ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا
وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » فإذا أصبحتم غداً ، فاغدوا إلى قتال
عدوكم مستبصرين ، والله على أعدائه مستنصرين . »

فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم ، فتقدَّموا واحداً بعد واحد ،

[١] الحطم . جمع خطام ، وهو ما وضع فى أنف البعير ليقناده به ، والمراد ظهورها ونشوبها .
[٢] أى تعجزنى . [٣] الرود : الطلب . [٤] النهجين : التقيج . [٥] غره : لطخه
بالفانر ، أى دنست .

يُنْشِدُونَ الْأَرَاغِيزَ ، فَقَاتَلُوا حَتَّى اسْتَشْهِدُوا جَمِيعًا ، فَلَمَّا بَلَغَهَا الْخَبْرَ قَالَتْ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّفَنِي بِقَتْلِهِمْ ، وَأَرْجُو مِنْ رَبِّي أَنْ يَجْمَعَنِي بِهِمْ فِي مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ » .
فَكَانَ عَمْرُؤُا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَعْطِيهَا أَرْزَاقَ أَوْلَادِهَا الْأَرْبَعَةَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِائَةَ دِرْهَمٍ ، حَتَّى قَبِضَ وَمَاتَتْ الْخَنَسَاءُ . (خزانة الأدب ١ : ٣٩٥)

١٢٨ - خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح إفريقية^(١)

قدم عبد الله بن الزبير على عثمان بن عفان بفتح إفريقية ، فأخبره مشافهة ، وقصَّ عليه كيف كانت الواقعة ، فأعجب عثمان ما سمع منه ، فقال له : أتقوم بمثل هذا الكلام على الناس ؟ فقال يا أمير المؤمنين : إني أهيب لك مني لهم ، فقام عثمان في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس : إن الله قد فتح عليكم إفريقية ، وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم خبرها إن شاء الله ، وكان عبد الله بن الزبير إلى جانب المنبر ، فقام خطيباً - وكان أول من خطب إلى جانب المنبر - فقال :

« الحمد لله الذي ألف بين قلوبنا ، وجعلنا متحابين بعد البغضة ، الذي لَا تُجْحَدُ نِعَمَائِهِ ، وَلَا يَزُولُ مُلْكُهُ ، لَهُ الْحَمْدُ كَمَا حَمِدَ نَفْسَهُ ، وَكَأَ هُوَ أَهْلُهُ ، انْتُخِبَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاخْتَارَهُ بَعْلَاهُ ، وَأُتِمَّتْهُ عَلَى وَحْيِهِ ، وَاخْتَارَ لَهُ مِنَ النَّاسِ أَعْوَانًا ، قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمْ تَصْدِيقَهُ وَمَحَبَّتَهُ ، فَأَمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ^(٢) وَوَقَّروهُ ، وَجَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، فَاسْتَشْهِدَ^(٣) اللَّهُ مِنْهُمْ مَنْ اسْتَشْهِدَ عَلَى الْمَنَاجِ الْوَاضِحِ ، وَالْبَيْعِ الرَّابِحِ ، وَبَقِيَ مِنْهُمْ مَنْ بَقِيَ ، لَا تَأْخُذْهُمْ فِي اللَّهِ لُومَةٌ لِأَنَّهُمْ .

[١] فتحها عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة ٢٦ هـ ، وأمدته عثمان بجيش يرأسه عبد الله بن الزبير .

[٢] التعزير : التفخيم والتعظيم والإطاعة ، وهو أيضاً صرب دون الحد أو هو أشد الصرب ضد .

[٣] استشهد (مبدئياً للجهول) قتل في سبيل الله .

أيها الناس : رحمكم الله ! إنا خرجنا للوجه الذي علمتم ، فكنّا مع وال حافظ ، حفظ وصية أمير المؤمنين ، كَانَ يَسِيرُ بِنَا الْأَبْرَدَيْنِ ^(١) ، وَيَخْفِضُ ^(٢) بِنَا فِي الظَّهَارِ ، وَيَتَخَذُ اللَّيْلَ جَمَلًا ، يُعَجِّلُ الرَّحْلَةَ مِنَ الْمَنْزِلِ الْجَذْبِ ، وَيَطِيلُ اللَّبْثَ فِي الْمَنْزِلِ الْخِصْبِ ، فَلَمْ نَزَلْ عَلَى أَحْسَنِ حَالَةٍ نَعْرِفُهَا مِنْ رَبِّنَا ، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ ، فَزَلْنَا مِنْهَا حَيْثُ يَسْمَعُونَ صَهِيلَ الْخَيْلِ ، وَرُغَاءَ الْإِبِلِ ، وَقَعْقَعَةَ السِّلَاحِ ، فَأَقْنَأْنَا أَيَّامًا ، نُجِمْ كُرَاعِنَا ^(٣) ، وَنُصَلِّحَ سِلَاحَنَا ، ثُمَّ دَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْدُخُولِ فِيهِ ، فَأَبْعَدُوا مِنْهُ ، فَسَأَلْنَاهُمُ الْجِزْيَةَ عَنْ صَغَارٍ أَوْ الصَّلَاحِ ، فَكَانَتْ هَذِهِ أَبْعَدَ ، فَأَقْنَأْنَا عَلَيْهِمْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً نَتَأَنَّا ، وَتَخْتَلِفُ رُسُلُنَا إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا يَثُسُ مِنْهُمْ قَامَ خَطِيبًا ، فَحَمْدَ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَذَكَرَ فَضْلَ الْجِهَادِ ، وَمَا لَصَاحِبُهُ إِذَا صَبَرَ وَاحْتَسَبَ ، ثُمَّ نَهَضْنَا إِلَى عَدُونَا ، وَقَاتَلْنَاهُمْ أَشَدَّ الْقِتَالِ ، يَوْمَنَا ذَلِكَ ، وَصَبَرَ فِيهِ الْفَرِيقَانِ ، فَكَانَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ قَتْلَى كَثِيرَةٌ ، وَاسْتَشْهَدَ اللَّهُ فِيهِمْ رِجَالًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَبِتْنَا وَبَاتُوا ، وَلِلْمُسْلِمِينَ دَوِيٌّ بِالْقُرْآنِ كَدَوِيٌّ النَّحْلِ ، وَبَاتَ الْمُشْرِكُونَ فِي خَمُورِهِمْ وَمُلَاعِبِهِمْ ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا أَخَذْنَا مَصَافِنَا الَّتِي كُنَّا عَلَيْهَا بِالْأَمْسِ ، فَزَحَفَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ، فَأَفْرَغَ اللَّهُ عَلَيْنَا صَبْرَهُ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا نَصْرَهُ ، فَفَتَحْنَاهَا مِنْ آخِرِ النَّهَارِ ، فَأَصْبَحْنَا غَنَاءً كَثِيرَةً ، وَفَيْئًا وَاسِعًا ، بَلَغَ فِيهِ الْخُمْسُ خَمْسَمِائَةَ أَلْفٍ ، فَصَفَّقَ ^(٤) عَلَيْهَا مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ ، فَتَرَكْتُ الْمُسْلِمُونَ قَدْ قَرَّتْ أَعْيُنُهُمْ ، وَأَغْنَاهُمُ النَّفْلُ ، وَأَنَا رَسُولُهُمْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَبَشِرُهُ وَإِيَّاكُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ

[١] الأبردان : الغداة والعشي . [٢] خفض بالمكان : أقام ، والظواهر جمع ظهيرة .

[٣] الكراع : جماعة الخيل ، وأجم الفرس : ترك ركوبه . [٤] صفق الباب يصفقه وأصفقه

أغلقه أى أغلق عليها باب الخزان .

من البلاد ، وأذل من الشرك ، فاحمدوا الله عباد الله على آلائه ، وما أحل بأعدائه ، من بأسه الذى لا يُردُّ عن القوم المجرمين .

ثم سكت فنهض إليه أبوه الزبير ، فقبل بين عينيه وقال : « ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » يا بنى ما زلت تنطق بلسان أبى بكر حتى صمت .
(العقد المرید ٢ : ١٤٩)

١٢٩ — خطبة السيدة عائشة فى الانتصار لابيها

يروى أنه بلغ عائشة رضى الله عنها أن أقواماً يتناولون أبا بكر رضى الله عنه فأرسلت إلى أزفلة^(١) من الناس ، فلما حضروا أسدلت^(٢) أستارها ، وعلمت وسادها ، ثم قالت :

« أبى وما أبيه ، أبى والله لا تمطوه^(٣) الايدى ، ذاك طود^(٤) مُنيف^(٥) ، وفرع^(٦) مديد ، هيهات كذبت الظنون ، أنجح^(٧) إذ أكدتيم^(٨) ، وسبق إذ ونيتيم^(٩) ، سبق الجواد إذا استولى على الأمد^(١٠) ، فتى قریش ناشئاً ، وكهفها^(١١) كهلاً ، يفك عانيها ، ويريش^(١٢) مملقها ، ويرأب^(١٣) شعبها ، ويلم شعبها ، حتى حلته^(١٤) قلوبها ، ثم استشرى^(١٥) فى دين الله ، فابرحت شكيمته^(١٦) فى ذات الله عز وجل ، حتى اتخذ بفنائها مسجداً ، يحيى فيه ما أمات المبطلون ،

[١] جماعة . [٢] سده يسده : كنصر وصر وأسده أرخاه . [٣] تناولوه .

[٤] الطود : الجبل ، والديف : المشرف . [٥] فرع كل شىء أعلاه ، ومن القوم شريفهم .

[٦] أنجح : صار ذا نجح . [٧] الكدية : بضم فسكون الأرض الغليظة ، والصفاء العظيمة الشديدة

وحفر فأكدى إذا صادها فلا يمكنه الحفر (وسأله فأكدى وجده مثلاً) ، وونيتيم أى فترتم وضعفتم .

[٨] العاية والنتهى . [٩] الكهف : الوزر والمجأ ، والكهل من جاوز الثلاثين أو أربعاً وثلاثين

إلى إحدى وخمسين . [١٠] راش السهم يرشه أرق عليه الریش كرشه ، والمراد بينه ويساعده .

[١١] يصلح والشعب الصدع . [١٢] حلى الشىء : استعلاه . [١٣] غضب ولج .

[١٤] الشكيمة الأنفة وفى اللجام الحديدية المعترضة فى فم العرس . وهو شديد الشكيمة أنف أبى لايتقاد .

وكان رحمه الله غزير الدِّمعة ، وقيد^(١) الجوانح ، شجى^(٢) النشيج^(٣) ، فانقضت إليه نسوان مكة وولدائها ، يسخرون منه ويستهنئون به « الله يستهنئ بهم » ، ويمدُّهم في طغيانهم يعمهون^(٤) « فأكبرت ذلك رجالات من قريش ، فحنت قسيها ، وفوقت^(٥) سهامها ، وامتلوه^(٦) غرضاً ، فما قلوا له صفاة^(٧) ، ولا قصفوا له قناة ، ومرّ على سببائه^(٨) ، حتى إذا ضرب الدين بجرانه^(٩) ، ورست أوتاده ، ودخل الناس فيه أفواجاً ، ومن كل فرقة أرسالاً^(١٠) وأشتاتاً ، اختار الله لنبيه ما عنده ، فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم ضرب الشيطان رؤاقه^(١١) ، ومدّ طنبه^(١٢) ، ونصب حباله ، وأجلب^(١٣) بخيله ورجله ، واضطرب جبل الإسلام ، ومرج^(١٤) عهده ، وماج أهله ، وبغى الغوائل ، فظنت رجال أن قد أكثبت^(١٥) أطماعهم ، ولات حين الذي يرجون ، وأنى والصدّيق بين أظهرهم ، فقام حاسراً مشمراً ، لجمع حاشيتيه^(١٦) ، ورفع قطريه^(١٧) ، فردّ رسن^(١٨) الإسلام على غربه^(١٩) ، ولمّ شعثه بطبه ، وانتاش^(٢٠) الدين فنعشه ، فلما

[١] الوقيد : الصريع والشديد المرض المشرف . [٢] الشجى : الحزين ، والشيخ : صوت البكاء .
 شجى الباكي يذبح كجلس عصّ بالبكاء في حلقه من غير انتحاب . [٣] العمه بفتحتي الردد في الضلال .
 [٤] فوق السهم : جعل له فوقاً ، وهو موضع الوتر من السهم . [٥] امثلوه : مثلوه .
 [٦] الحجر الصلد : الضحم . [٧] شدته . سله على سببائه الحق أى على حدّه ، والسبب : عظم الطهر ، والعرب قصر به مثلاً لشدّة الأمر . [٨] جران البعير : مقدم عقه من مذبحه إلى منحره .
 [٩] جمع رسل بفتحتي ، وهو القطيع من كلّ شيء . [١٠] نسطاطه . [١١] جبل طويل يشدّ به سرادق البيت أو الوتد . [١٢] أجلب : صاح ، والحيل : الحيلة ، ومنه يا خيل الله اركبي ، والرحل : اسم جمع راحل كالصحب والركب ، أى صاح بالركاب والمشاة وقرى ورجلك بكسر الجيم وضمها .
 [١٣] المرج : بفتحتي الفساد والقلق والاختلاط والاضطراب (وإعما يسكن مع الهرج) .
 [١٤] أكثب : قرب ، والنهر جمع نهرة بضم النون وهى الفرصة . [١٥] حاشية كلّ شيء : جانبه وطره . [١٦] القطر : الناحية . [١٧] الحبل . [١٨] الغرب : حدّ الشيء .
 [١٩] انتشل ونعشه الله كأنعشه ، ونعشه : رفعه .

أراح^(١) الحقّ على أهله ، وقرّر الرءوس على كواهلها^(٢) ، وحقن الدماء في
أهبا^(٣) ، أتنه منيته ، فسد ثلثته بنظيره في الرحمة ، وشقيقه في السيرة والمعدلة ،
ذاك ابن الخطاب ، فله دَرَّ أُمّ^(٤) حملت به ، ودَرَّت عليه ، لقد أوحدت^(٥) به ،
ففتح^(٦) الكفرة ، وديّخها^(٧) ، وشرّد الشرك شذرَ مَذَر^(٨) ، وبَجج^(٩) الأرض
وبنّجها^(١٠) ، فقاءت أكلها^(١١) ولفظت خبأها ، ترأّمه^(١٢) وَيَصْدِف عنها ،
وتصدّي^(١٣) له ويأبأها ، ثم وزع فيها فيثها ، وودّعها كما صحبها ، فأروني ، ماذا
ترثون ، وأيّ يومئ أبي تنقيمون ، أيوم إقامته إذ عدل فيكم ، أم يوم ظعنه إذ نظر
لكم^(١٤) ؟ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ، ثم أقبلت على الناس بوجهها ،
فقلت أنشدكم الله هل أنكرتم مما قلت شيئاً ، قالوا : اللهم لا .

(صح الأعمى ١ : ٢٤٨ ، والعقد الفريد ٢ : ٢٠٦ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٣٠)

١٣٠ — رثاؤها لأبيها

لما توفي أبو بكر رضى الله عنه ، وفقت عائشة على قبره فقالت :
« نضر^(١٥) الله وجهك يا أبت ، وشكر لك صالح سعيك ، فلقد كنت
للدنيا مُذِلًّا بإدبارك عنها ، وللآخرة مُعِزًّا بإقبالك عليها ، ولئن كان أجلّ الحوادث
بعد رسول الله صلى عليه وسلم رُزُؤك ، وأعظم المصائب بعده فقْدُك ، إن كتاب

[١] أراح على فلان چقه : ردّه عليه . [٢] السكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق .

[٣] جمع إهاب ، وهو الجلد ، والمراد الأجسام . [٤] الدرّ : الابن والنفس والعمل .

[٥] أوحدت المرأة : ولدت واحداً ، أى جاءت به منفرداً لا نظير له . [٦] أذلّ وقهر .

[٧] داخ البلاد : ودّخها ، وديّخها : قهرها واستولى على أهلها . [٨] تفرّقوا شذر مذر :

ذهبوا في كلّ وجه . [٩] سمها : كناية عن الصبح . [١٠] قهر أهلها واسترح ما فيها من

الكنوز وأموال الملوك . [١١] الأكل : ما يؤكل ، أى أخرجت خيراتها . [١٢] تعطف

عليه ويصدف أى يعرض . [١٣] تترضى . [١٤] أى فيها صلحكم فولى عليكم عمر .

[١٥] من النضرة والضارة بفتح النون وهى الحسن .

الله لِيَعِدُّ بِحَسَنِ الصَّبْرِ فَيْكَ حُسْنَ الْعَوَاضِ مِنْكَ ، وَأَنَا أَسْتَنْجِزُ مَوْعِدَ اللَّهِ تَعَالَى
بِالصَّبْرِ فَيْكَ ، وَأَسْتَقْضِيهِ ^(١) بِالْأَسْتِغْفَارِ لَكَ ، أَمَا لَنْ قَامُوا بِأَمْرِ الدُّنْيَا ، لَقَدْ قَتَّ
بِأَمْرِ الدِّينِ ، لَمَّا وَهَى شَعْبُهُ ^(٢) ، وَتَفَاقَمَ صَدْعُهُ ^(٣) ، وَرَجَفَتْ ^(٤) جَوَانِبُهُ ،
فَعَمَلِكَ سَلَامُ اللَّهِ تَوْدِيعَ غَيْرِ قَالِيَةٍ ^(٥) لِحَيَاتِكَ ، وَلَارَارِيَةٍ ^(٦) عَلَى الْقَضَاءِ فَيْكَ .
(زهر الآداب ١ : ٤٠ ، العهد الجديد ٢ : ٧ ، نهاية الأرب ٥ : ١٦٧ ، البيان والذبيح ٢ : ١٦٠)

١٣١ — خطبتها حين أنبئت بقتل عثمان

كانت السيدة عائشة خرجت إلى مكة للحج وعثمان محصور ، ثم خرجت
من مكة تريد المدينة ، فلما كانت بِسَرِفٍ أنبئت بمقتل عثمان ، فانصرفت إلى
مكة ، فقصدت الْحِجْرَ ، فسترت فيه ، واجتمع إليها الناس ، فقالت :
« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ الْغَوَّاءُ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَأَهْلِ الْمِيَاهِ وَعَبِيدَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ،
اجْتَمَعُوا عَلَى هَذَا الرَّجُلِ الْمَقْتُولِ ظُلُمًا بِالْأَمْسِ ، وَتَقَمَّوْا عَلَيْهِ اسْتِعْمَالًا مِنْ حَدَثَتْ
سِنَّتُهُ ، وَفَدِ اسْتُعْمِلَ أَمْثَالُهُمْ قَبْلَهُ ، وَمَوَاضِعَ مِنَ الْحِمَى ^(٧) حَمَاهَا لَهُمْ فَتَابِعَهُمْ ،
وَنَزَعَ لَهُمْ عَنْهَا ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدُوا حُجَّةً ، وَلَا عَذْرًا ، بَادَرُوا بِالْعُدْوَانِ ، فَسَفَكُوا الدَّمَ
الْحَرَامَ ، وَاسْتَحَلُّوا الْبِلَدَ الْحَرَامَ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ ، وَأَخَذُوا الْمَالَ الْحَرَامَ ، وَاللَّهُ لَأَصْبَعُ
مِنْ عُثْمَانَ خَيْرَ مَنْ طَبَأَ الْأَرْضَ أَمْثَالَهُمْ ، وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ الَّذِي اعْتَدَوْا بِهِ عَلَيْهِ ، كَانَ

[١] أطلب قصاهه . [٢] وهي ضعف ، والشعب الجمع . [٣] الصدع : الشو .

[٤] اضطربت . [٥] مبغضة . [٦] عاتبة ولائمة . [٧] من المطاعن التي وجهت إلى
عثمان رضي الله عنه أنه حمى الحمى عن المسلمين مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم سواء في الماء
والكلاء ، ولما سئل في ذلك قال إنعامت ذلك لإبل الصدقة ، وقد أصلقته الآن ، وأنا أستغفر الله ، وروى
الواقدي أن عثمان كان يحمي الرّبة والشرف والبيع ، فكان لا يدخل الحمى بغير له ولا فرس ولا لبني أمية ،
حتى كان آخر الزمان ، فكان يحمي الدفرف لا يبله ، وكافت ألف بغير ولا يبل الحاكم بن أبي العاص ، ويحمي
الرّبة لا يبل الصدقة ، ويحمي البقيع لحيل المسلمين وخبله وخيل بني أمية — شرح ابن أبي الحديد م ١ ص ٢٣٥

ذنبًا لخالص منه كما يخلص الذهب من خبئه ، أو الثوب من درنه ، إذ ماصوه^(١)
كما يخاص الثوب بالماء . (الكامل لابن الأثير ٣ : ١٠٢)

فتنة أصحاب الجمل

ولما قدمت السيدة عائشة رضى الله عنها البصرة ، للطلب بدم عثمان ، خرج إليها من أهلها من أراد أن يكون معها ، واجتمع القوم بالمربد ، وجعلوا يشوبون ، حتى غصَّ بالناس ، فتكلم طلحة ، فأنصتوا له :

١٣٢ - خطبة طلحة

حمد الله وأثنى عليه ، وذكر عثمان رضى الله عنه وفضله ، والبلد وما استُجِلَّ منه ، وعظم ما أتى إليه ، ودعا إلى الطلب بدمه وقال :
« إن في ذلك إعزازَ دين الله عزَّ وجلَّ وسلطانَه ، وأما الطلب بدم الخليفة المظلوم ، فإنه حدٌّ من حدود الله ، وإنكم إن فعلتم أصبتم ، وعاد أمركم إليكم ، وإن تركتم لم يقيم لكم سلطان ، ولم يكن لكم نظام » .

وتكلم الزبير بمثل ذلك ، ثم تكلمت السيدة عائشة وكانت جهَّورية الصوت

١٣٣ خطبة السيدة عائشة بالمربد

حمدت الله عزَّ وجلَّ ، وأثنت عليه وقالت :
« كَانَ النَّاسُ يَتَجَنَّبُونَ^(٢) عَلَى عِثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَيُزْرُونَ^(٣) عَلَى عَمَالِهِ ، وَيَأْتُونَنَا بِالْمَدِينَةِ ، فَيَسْتَشِيرُونَنَا فِيمَا يَخْبِرُونَنَا عَنْهُمْ ، فَتَنْظُرُ فِي ذَلِكَ فَتَجِدُهُ بَرِيًّا ،

[١] الموص : غسل ابن والدك باليد . [٢] تجنبى عليه : ادعى ذنباً لم يفعله . [٣] زرى عليه : حابه كالأزرى لكنه قليل .

تقيًا وفيًا ، ونجدهم فجرة غدرة كذبة ، يحاولون غير ما يُظهرون ، فلما قووا على المكاثرة كاثروه ، فاقحموا عليه داره ، واستحلوا الدم الحرام ، والمال الحرام ، والبلد الحرام ، بلا ترة ^(١) ولا عذر ، ألا إن مما ينبغي ، لا ينبغي لكم غيره ، أخذ قتلة عثمان رضى الله عنه ، وإقامة كتاب الله عز وجل : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ) الآية .
(تاريخ الطبرى ٥ : ١٧٥ ، والكمال لابن الأثير ٣ : ١٠٥)

١٣٤ - خطبة عدى بن حاتم

يستنفر قومه لنصرة الإمام على

لما شَخَصَ الإمام على كرم الله وجهه من المدينة إلى البصرة وقد علم بمسير طلحة والزبير وعائشة إليها ، قام عدى بن حاتم إليه فقال : يا أمير المؤمنين لو تقدمتُ إلى قومي أخبرهم بمسيرك ، وأستنفرهم ، فإن لك من طيء مثل الذى معك ، فقال على نعم فافعل ، فتقدم عدى إلى قومه ، فاجتمعت إليه رؤساء طيء ، فقال لهم :

« يا معشر طيء : إنكم أمسكتُم عن حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشُّرك ، ونصرتُم الله ورسوله فى الإسلام على الرَّدَّة ، وعلى قادمٍ عليكم ، وقد ضَمِنْتُ لهُ مِثْلَ عِدَّةٍ مَنْ مَعَهُ مِنْكُمْ ، نَخْفُوا ^(٢) مَعَهُ ، وقد كنتم تقاتلون فى الجاهلية على الدنيا ، فقاتلوا فى الإسلام على الآخرة ، فإن أردتم الدنيا فعند الله مغامٌ كثيرةٌ ، وأنا أدعوكم إلى الدنيا والآخرة ، وقد ضَمِنْتُ عنكم الوفاء ، وباهيت بكم الناس ، فأجيبوا قولى ، فإنكم أعز العرب داراً ، لكم فضلٌ معاشكم وخيلكم ، فاجعلوا فضل

المعاش لِلْعِيَالِ^(١) ، وفضول الخيل للجهاد ، وقد أظلكم علىّ والناس معه من المهاجرين والبدرين^(٢) وَالْأَنْصَار ، فكونوا أكثرهم عدداً ، فَإِنْ هَذَا سَبِيلٌ لِلْحَى فِيهِ الْغَنَى وَالسُّرُور ، وَلِلْقَتِيلِ فِيهِ الْحَيَاةُ وَالرِّزْقُ .

فصاحت طيًى نعم نعم ! حتى كَادَ أَنْ يُصَمَّ مِنْ صِيَاحِهِمْ .

(الإمامة والسياسة ١ : ٤٥)

١٣٥ — خطبة زفر بن زيد

يستنفر قومه لنصرة عليّ أيضاً

وقام إلى عليّ زفر بن زيد الأسدي - وَكَانَ مِنْ سَادَةِ بَنِي أَسَدٍ - فقال : يا أمير المؤمنين ، إن طيئاً إخواننا وجيراننا قد أجابوا عديّاً ، ولى في قومي طاعة ، فَأَذِنَ لِي فَأَتَيْتُهُمْ ، قال : نعم ، فَأَتَاهُمْ فَجَمَعَهُمْ ، وقال :

« يا بني أسد : إن عديّ بن حاتم ضَمِنَ لِعَلِيٍّ قَوْمَهُ ، فَأَجَابُوهُ ، وَقَضَوْا عَنْهُ ذِمَامَهُ^(٣) ، فلم يَمُتْ لَ الْغَنَى بِالْغَنَى ، وَلَا الْفَقِيرُ بِالْفَقْرِ ، وواسى بعضهم بعضاً ، حتى كأنهم المهاجرون في الهجرة ، وَالْأَنْصَارُ فِي الْأَثَرَةِ^(٤) ، وهم جيرانكم في الديار ، وَخُلَطَاؤُكُمْ^(٥) في الأموال ، فَأَنْشُدُكُمْ اللَّهَ لَا يَقُولُ النَّاسُ غَدًا : نصرت طيًى ، وَخَذَلْتُ بَنِي أَسَدٍ ، وإن الجار يُقَاسُ بِالْجَارِ ، كَالنَّعْلِ بِالنَّعْلِ ، فَإِنْ خِفْتُمْ فَتَوَسَّعُوا فِي بِلَادِهِمْ ، وانضموا إلى جبالهم ، وهذه دعوة لها ثَوَابٌ مِنْ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . »

(الإمامة والسياسة ١ : ٤٦)

[١] جمع عيل (كجيد) وهو من يجب الإتيان عليه . [٢] أي الذين حضروا وقعة بدر .
[٣] العهد والحرمة . [٤] أي يؤثر كل منهم أخاه على نفسه وبفضله كما فعل الأنصار بالمهاجرين
« وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » [٥] الحائط . جمع خبيط وهو الشربك

١٣٦ — خطبة سعيد بن عبيد الطائي

ولما نزل الإمام عليّ كرم الله وجهه بالرّبذة^(١) ، أتته جماعة من طييّ ، فقيل لعلّيّ : « هذه جماعة من طييّ قد أتتك ، منهم من يريد الخروج معك ، ومنهم من يريد التسليم عليك » قال : « جزى الله كلاً خيراً ، وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً » ثم دخلوا عليه ، فقال عليّ : ما شهدتمونا به ؟ قالوا شهدناك بكلّ ما تحبّ ، قال : « جزاكم الله خيراً ، فقد أسلمتم طائعين ، وقتلتم المرتدين ، ووافيتم بِصِدْقَاتِكُمُ الْمُسْلِمِينَ » فنهض سعيد بن عبيد الطائي فقال : « يا أمير المؤمنين : إن من الناس مَنْ يُعَبِّرُ لسانه عما في قلبه ، وإني والله ما كلّ ما أجِدُ في قلبي يُعَبِّرُ عنه لساني ، وسأجْهَدُ (وبالله التوفيق) أما أنا فساأصح لك في السّرّ والعلانيّة ، وأقاتل عدوك في كلّ موطن ، وأرى لك من الحق ما لا أراه لأحد من أهل زمانك ، لفضلك وقرابتك » .

قال : رحمك الله ! قد أدّى لسانك عما يُجِنُّ^(٢) ضميرك ، فقتل معه بصفين رحمه الله ! (تاريخ الطبري ٥ : ١٨٤)

١٣٧ — خطبة أبي موسى الأشعري المتوفى سنة ٥٢ هـ

وكتب الإمام عليّ من الرّبذة أبا موسى الأشعري — وكان عاملاً على الكوفة — ليستنفر الناس لقتال عائشة ومن معها ، فثبّطهم وخطبهم ، فقال :

[١] قرب المدينة ، وكان الامام حين بلعه خبر خروج عائشة وطلحة والزبير ، وأنهم قد توجهوا نحو العراق ، [خرج من المدينة يبادر وهو يرجو أن يدركهم ويردهم ، فلما انتهى إلى الرّبذة أتاه أنهم قد أمعنوا فأقام بالرّبذة أياماً . [٢] يجن : أي يستر ويخفي .

« أيها الناس : إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين صحبوه في المواطن ، أعلم بالله جلّ وعزّ وبرسوله صلى الله عليه وسلم ممن لم يصحبه ، وإن لكم علينا حقاً ، فأنا مؤدّيه إليكم ، كان الرأي ألاّ تستخفّوا بساطان الله عزّ وجلّ ، ولا تجترّوا على الله عزّ وجلّ ، وكان الرأي الثاني أن تأخذوا من قديم عليكم من المدينة فتردوهم إليها ، حتى يجتمعوا ، وهم أعلم بمن تصلح له الإمامة منكم ، ولا تكلفوا الدخول في هذا ، فأما إذ كان ما كان ، فإنها فتنة صماء ، النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان فيها خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم ، والقائم خير من الراكب ، فكونوا جرثومة ^(١) من جراثيم العرب ، فأغمّدوا ^(٢) السيوف ، وأنصّلوا ^(٣) الأسنة ، واقطعوا الأوتار ، وآووا المظلوم والمضطهد ، حتى يلتئم هذا الأمر ، وتنجلي هذه الفتنة » . (تاريخ الطبري ٥ : ١٨٧ ، والكمال لابن الأثير ٣ : ١١٣)

١٣٨ — خطبة أخرى له

وخطب أيضاً في هذا الصّدّد ، فقال :

« أيها الناس : أطيعوني تكونوا جرثومة من جراثيم العرب ، يأوى إليكم المظلوم ، ويأمن فيكم الخائف ، إنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أعلم بما سمعنا . إن الفتنة إذا أقبلت شبّهت ، وإذا أدبرت يُذت ، وإن هذه الفتنة باقرة ^(٤) كداء البطن ، تجري بها الشّمال والجنوب ، والصّبا ^(٥) والدّبور ، فتسكن أحياناً ، فلا يُدرى من أين تؤتى ، تذرّ الحليم كابن أمس ، شيهوا ^(٦) سيوفكم ، وقصّدوا ^(٧)

[١] جرثومة الشيء : أصله . [٢] غمد السيف بغمده كنعصر وصرب وأغمده : جعله في العمد .

[٣] أنصل السهم ونصله بالتشديد : جعل فيه نصلاً وأزاله عنه — ضد — . [٤] فتنة باقرة صادعة للألفة شاقة للعصا . وفي الكامل لابن الأثير : فاقرة بالفاء ، وهي الداهية تكسر فقار الطهر .

[٥] الصبا : ريح تهبّ من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار . والدبور : ريح تقابها .

[٦] شام سيفه يشيمه : غمده واستله ضد . [٧] التقصيد والقصد : الكسر بأي وجه كان أو

رماحكم ، وأرسلوا سهامكم ، واقطعوا أوتاركم ، والزمو بيوتكم ، خلوا قريشاً إذاً أبوا إلا الخروج من دار الهجرة ، وفراق أهل العلم بالإمرة ، ترقى ^(١) فتقها ، وتشعب ^(٢) صدعها ، فإن فعلت فلا نفسها سعت ، وإن أبت فعلى أنفسها جنت ، سمئها شريق في أديعها ، استنصحنوني ولا تستغشوني ، وأطيعوني يسلم لكم دينكم ودنياكم ، ويشقى بحرّ هذه الفتنة من جناها .

١٣٩ — خطبة زيد بن صوحان

فقام زيد بن صوحان ، فشال ^(٣) يده المقطوعة ، فقال :

« يا عبد الله ^(٤) بن قيس ، ردّ الفرات عن أدراجه ^(٥) ، أردده من حيث يجيء ، حتى يعود كما بدأ ، فإن قدرت على ذلك ، فستقدر على ما تريد ، فدع عنك ما لست مدركه ، ثم قرأ : (ألم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) سيروا إلى أمير المؤمنين ، وسيد المسلمين ، وأنفروا ^(٦) إليه أجمعين ، تصيبوا الحق . »

١٤٠ — خطبة القعقاع بن عمرو

فقام القعقاع بن عمرو فقال :

« إني لكم ناصح ، وعليكم شفيق ، أحب أن ترشدوا ^(٧) ، ولأقولن لكم

بالصف ورمح قصد كفرح وقصيد وأقصاد متكسر . [١] رثق الفتى : سده . [٢] الشعب :

الإصلاح والإفساد والجمع والتفريق ، ضدّ . [٣] رفع ، قطعت يده يوم جلوسه ، وقيل بالقادسية . في

قتال الفرس ، وقتل يوم الجمل (أسد الغابة ٢ : ٢٣٤) . [٤] هو اسم أبي موسى .

[٥] جمع درج بفتحين وهو الطريق . [٦] اذهبوا . وكانت السيدة عائشة قد كتبت إليه كتاباً

تأمره فيه بملازمة بيته أو نصرتها ، قال أمرت أن تقر في بيتها ، وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة ،

فأمرتنا بما أمرت به ، وركبت ما أمرنا به . [٧] رشد : كنصر وفرح .

قولاً هُوَ الحق ، أما ما قال الأمير فهو الأمر ، لو أن إليه سبيلاً ، وأما ما قال زيد فزيد عدوُّ هذا الأمر ، فلا تستنصحوه ، فإنه لا ينتزع أحد من الفتنة طعن فيها ، وجرى إليها ، والقول الذى هو الحق أنه لا بدّ من إمارة تنظّم الناس ، وتترع^(١) الظالم ، وتُعزّ المظلوم ، وهذا على يلى بما ولى ، وقد أنصف فى الدعاء ، وإنما يدعو إلى الإصلاح ، فانفروا وكونوا من هذا الأمر بمرأى ومسمع .

١٤١ — خطبة سيحان بن صوحان

وقال سيحان :

« أيها الناس : إنه لا بدّ لهذا الأمر ، وهؤلاء الناس من وال ، يدفع الظالم ، ويُعزّ المظلوم ، ويجمع الناس ، وهذا واليكم يدعوكم لينظر فيما بينه وبين صاحبيه^(٢) ، وهو المأمون على الأمة ، الفقيه فى الدين ، فمن نهض إليه ، فإننا سائررون معه . »

١٤٢ — خطبة الحسن بن على

وقام الحسن بن على رضى الله عنه ، فقال :

« أيها الناس : أجيئوا دعوة أميكم ، وسيروا إلى إخوانكم ، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه ، والله لأن يلميه أولو النهى أمثل فى العاجلة ، وخير فى العاقبة ، فأجيئوا دعوتنا ، وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتكم ، وإن أمير المؤمنين يقول : قد خرجت مخرجى هذا ظالماً أو مظلوماً ، وإني أذكر الله رجلاً رعى حق الله إلا نفَرَ ، فإن كنت مظلوماً أعاننى ، وإن كنت ظالماً أخذ منى ، والله إن طلحة والزبير لأول من بايعنى ، وأول من غدر ، فهل استأثرت بجال ، أو بدّلت حكماً ؟ فانفروا ، فمروا بالمعروف ، وانفروا عن المنكر . »

(تاريخ الطبرى ٥ : ١٨٨ ، والكمال لابن الأمير ٣ : ١١٤)

١٤٣ - وفادة القعقاع بن عمرو إلى أصحاب الجمل

ولما نزل الإمام عليّ كرم الله وجهه بذي قارٍ ، دَعَا القَعْقَاعَ بنَ عمرو ، فأرسله إلى أهل البصرة ، وقال له : **إِنِّي هَذِينَ الرَّجُلَيْنِ - طَلْحَةَ وَالزَّيْبِرَ - يَا بَنَ الحَنْظَلِيَّةِ ، « وَكَانَ القَعْقَاعُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » فَادْعُهُمَا إِلَى الْأُلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَعَظَّمْ عَلَيْهِمَا الْفُرْقَةَ ، وَقَالَ لَهُ : كَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ فِيمَا جَاءَكَ مِنْهُمَا ، مِمَّا لَيْسَ عِنْدَكَ فِيهِ وَصَاةٌ^(١) مَنِي ؟** فقال : **نَلْقَاهُم بِالذِّى أَمَرْتُ بِهِ ، فَإِذَا جَاءَ مِنْهُمَا أَمْرٌ لَبَسَ عِنْدَنَا مِنْكَ فِيهِ رَأْيٌ ، اجْتَهِدْنَا الرَّأْيَ ، وَكَلَّمْنَاهُمْ عَلَى قَدَرِ مَا نَسْمَعُ وَنَرَى أَنَّهُ يَنْبَغِي ، قَالَ : أَنْتَ لَهَا .**

فخرج القعقاع حتى قَدِمَ البصرة . فبدأ بمائشة رضى الله عنها ، فسلم عليها ، وقال : **أَيُّ أُمَّةٍ : مَا أَشْخَصَكَ وَمَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ الْبَلَدَةَ ؟** قالت : **أَيُّ مُبْنَى : إِصْلَاحُ بَيْنِ النَّاسِ ، قَالَ : فَابْعَثِي إِلَى طَلْحَةَ وَالزَّيْبِرِ ، حَتَّى تَسْمَعِيَ كَلَامِي وَكَلَامَهُمَا ، فَبِعِثْتِ إِلَيْهِمَا جَاءَا ، فَقَالَ : إِنِّي سَأَلْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَشْخَصَهَا وَأَقْدَمَهَا هَذِهِ الْبِلَادَ ؟** فقالت : **إِصْلَاحُ بَيْنِ النَّاسِ ، فَمَا تَقُولَانِ أَنْتُمَا ؟ أُمْتَابِعَانِ أَمْ مُخَالَفَانِ ؟** قالَا : **مُتَابِعَانِ ، قَالَ : فَأَخْبِرَانِي ، مَا وَجَّهَ هَذَا الْإِصْلَاحَ ؟** فوالله لئن عَرَفْنَاهُ لَنُضْلِحَنَّ ، وَلئنْ أَنْكَرْنَاهُ لَأُضْلِحَ ، قالَا : **قَتَلَهُ عِثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَإِنْ هَذَا إِنْ تُرِكَ ، كَانَ تَرْكَاً لِلْقُرْآنِ ، وَإِنْ حُمِلَ بِهِ ، كَانَ إِحْيَاءً لِلْقُرْآنِ ،** فقال : **قَدْ قَتَلْتُمَا قَتْلَةَ عِثْمَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَأَنْتُمْ قَبْلَ قَتْلِهِمْ أَقْرَبُ إِلَى الْإِسْتِقَامَةِ مِنْكُمْ الْيَوْمَ ، قَتَلْتُمْ سِتْمَائَةَ إِلَّا رَجُلًا ، فَغَضِبَ لَهُمْ سِتَّةَ آلَافٍ ، وَاعْتَزَلُوكُمْ ، وَخَرَجُوا مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ ، وَطَلَبْتُمْ ذَلِكَ الَّذِي أَفْلَتَ - يَعْنِي حُرْقُوصَ بْنِ زُهَيْرٍ - فَنَعَهُ سِتَّةَ آلَافٍ**

وهم على رجل ، فإن تركتموه كتمت تاركين لما تقولون ، فإن قاتلتموه والذين اعتزلوكم فأديلوا^(١) عليكم ، فالذى حذرتم وقربتم^(٢) به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون ، وأنتم أحيتهم مضرّ وريعة من هذه البلاد ، فاجتمعوا على حربكم وخذلاكم نضرة لهؤلاء ، كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم ، والذنب الكبير .

فقلت أم المؤمنين : فتقول أنت ماذا ؟ قال : أقول ، هذا الأمر دواءه التسكين ، وإذا سكن اختلجوا^(٣) ، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير ، وتباشير رحمة ، ودرك بئار هذا الرجل ، وعافية وسلامة لهذه الأمة ، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه ، كانت علامة شرّ وذهاب هذا الثار ، وبئس الله في هذه الأمة هزاهزها^(٤) ، فأثروا العافية ثرزقوها ، وكونوا مفاتيح الخير ، كما كنتم تكونون ، ولا تمرّضونا للبلاء ، ولا تعرّضوا له ، فيضرّ عنا وإياكم ، وإني لله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه ، وإني لخائف ألا يتيّم حتى يأخذ الله عز وجل حاجته من هذه الأمة ، التي قلّ متاعها ، ونزل بها ما نزل ، فإن هذا الأمر الذي حدث ليس يقدر ، وليس كالأموار ، ولا كقتل الرجل الرجل ، ولا النفر الرجل ، ولا القبيلة الرجل .

فقالوا : نعم ، إذن قد أحسنت وأصبت المقالة فارجع ، فإن قدّم على ، وهو على مثل رأيك ، صلح هذا الأمر ، فرجع إلى على فأخبره ، فأعجبه ذلك ، وأشرف القوم على الصلح^(٥) . (تاريخ الطبري ٥ : ١٩١)

[١] أي علوكم وانتصروا عليكم . [٢] قربه (كسم) قرب منه (ككرم) .
[٣] اضطربوا وتفككوا . [٤] الهزيمة والهزاهز : تحريك البلاء والحروب الناس .
[٥] ولكن السبطين أحبطوا مساعي الصلح ، إذ خرجوا في الغلس دون أن يشعر بهم أحد فقصدهم مضرّ البصرة ، وريعتهم ربيعة البصرة ، وبعثهم من البصرة ، ووضعوا فيهم السلاح . فثار كل قوم في وجوه أصحابهم ، ودارت رحى القتال بينهم ، وكلا الفريقين لا يعلم بكنه تلك المسكيدة ، وكان بينهما ما كان .

١٤٤ - خطبة علي بن أبي طالب

فلما رجع القعقاع من عند أم المؤمنين وطلحة والزبير ، جمع الإمام عليّ الناس ، ثم قام على الغرأثر ، فحمد الله عزّ وجلّ ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر الجاهلية وشقّاها ، والإسلام والسعادة ، وإنعام الله على الأمة بالجماعة ، بالخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه ، ثم حدّث هذا الحدّث ، الذي جرّه على هذه الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا ، حسدوا من أفاءها الله عليه على الفضيلة ، وأرادوا رد الأشياء على أدبارها ، والله بالغ أمره ، ومُصِيبٌ ما أراد ، ألا إني راحلٌ غداً فارتحلوا ، ألا ولا يرّتحلن غداً أحدٌ أعان على عثمان رضى الله عنه بشيء ، في شيء من أمور الناس ، وليُخْنِ السفهاء عنى أنفسهم . (تاريخ الطبرى ٥ : ١٩٤)

١٤٥ - خطبة السيدة عائشة يوم الجمل (توفيت سنة ٥٧ هـ)

وخطبت السيدة عائشة رضى الله عنها أهل البصرة يوم الجمل فقالت : « أيها الناس : صه صه ، إن لى عليكم حقّ الأمومة ، وحرمة الموعظة ، لا يتهمنى إلا من عصى ربه ، مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري^(١) ونحري ، فأنا إحدى نسائه فى الجنة ، له ادّخرنى ربى ، وخلصنى من كل بضاعة ، وبى ميز منافقكم من مؤمنكم ، وبى أرخص الله لكم فى صعيد الأبناء^(٢) ، ثم أبى

[١] السر : الرقة . [٢] الصعيد : التراب أو وجه الأرض ، والأبناء : قرية بها قبر آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم ، تشير إلى ما حدث ببركتها من ترخيص المولى (جلّ وعلا) للمسلمين فى التيمم لما لم يجدوا ماء يتوضئون به ، وفى الحديث : « عن عائشة رضى الله عنها : قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بدات الجيش انقطع عقد لى ، فأقام رسول الله على التماسه ، وأقام الناس معه وليسوا على ماء ، فأقى الناس إلى أبى بكر الصديق فقالوا ألا ترى ما صنعت

ثاني اثنين الله ثالثهما ، وأول من سُمي صديقاً ، مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم راضياً عنه ، وطوّقه أعباء الإمامة ، ثم اضطرب جبل الدين بعده ، فمسك أبي بطفه ، ورتق لكم فتق النفاق ، وأغاض نبع الردّة ، وأطفأ ما حشّ^(١) يهود ، وأنتم يومئذ جُحْظُ العيون ، تنظرون الغدرة ، وتسمعون الصيحة ، فرأب^(٢) الثأى^(٣) ، وأود^(٤) من الغلظة ، وانتاش من الهوة ، وأجتعى^(٥) دفين الداء ، حتى أعطن^(٦) الوارِد ، وأورد الصادر ، وعَلَّ^(٧) الناهل ، فقبضه الله إليه ، واطناً على هامات^(٨) النفاق ، مُذْكِياً^(٩) نار الحرب للمشرّكين ، فانتظمت طاعتكم بحبله ، فَوَلَّى^(١٠) أمركم رجلاً مُرْعِياً إذا رُكن إليه ، بعيد ما بين اللَّابَتَيْنِ^(١١) ، عُرْكة للأذاة بِجَنْبِهِ^(١٢) ، صَفُوحاً عن أذاة الجاهلين ، يقظان الليل في نصرة الإسلام ، فسلك مسلك السابقة ، ففرّق شمل الفتنة ، وجمع أعضاد ما جمع القرآن ، وأنا نُصَبُ المسألة عن مسيرى هذا ، لم أَلْتَمَسْ إثماً ، ولم أُوْنِسْ فتنة أوطئكموها ، أقول قولي هذا صدقاً وعدلاً ، وإعذاراً وإنذاراً ، وأسأل الله أن يصلي على محمد ، وأن يخلفه فيكم بأفضل خلافة المرسلين . (العقد الفريد ٢ : ١٥٦ - ٢٢٦)

عائشة ، أوفيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والداس ، وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، جاء أبو بكر ورسول الله قد نام ، فقال حبست رسول الله والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، فقالت عائشة دعاني أبو بكر ، وقال ماشاء الله أن يقول ، وجعل يطعنني بيده في خصرتي ، فقام رسول الله حين أصبح على غير ماء ، وأنزل الله آية التيمم ، فتيمموا ، فقال أسيد بن الحضير (بصيغة التصغير) ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر ، قالت فعشنا البعير الذي كنت عليه فأصبنا العقد تحمّه . (راجع الحديث كاملاً في باب التيمم من صحيح البخارى ١ : ٧٠ ، وصحيح مسلم ١ : ١٤٦) . [١] حش النار : أوقدها . [٢] الثأى والثأى يسكون الهمزة وتفتحها : الإفساد . [٣] أودّه فتأود : عطفه فامطّط . [٤] اجتعا : استأصله . [٥] أعطى الأبل : حبسها عند الماء . [٦] العلّ والعلل : (بفتحين) الشرب بعد الشرب تباعاً علّ يعمل بكسر العين وضهما ، والنهل : أول الشرب نهل ينهل كفرح . [٧] جمع هامة وهي الرأس . [٨] مشعلا . [٩] اللابة : الحرة بفتح الحاء (أرض ذات حجارة نخرة سود) ولابتاً المدينة حرتان تكتنفانها ، أرادت أنه واسع الصدر واسع العطن فاستعارت له اللابة كما يقال رحب السماء واسع الجنب . [١٠] أى يترك الأذى بمجنبه أى يحتمله . وفي هذه الخطبة تحريف شديد في الأصل وقد اصلحته كما يتبين بالمراجعة .

١٤٦ — خطبة زفر بن قيس

وكتب الإمام على كرم الله وجهه ، مع زفر بن قيس إلى جرير بن عبد الله البجليّ — وكان على ثغرهمذان استعمله عليه عثمان — كتاباً يخبره فيه بما كان بينه وبين أصحاب الجمل ، وما أُوتى من الانتصار عليهم ، واستعمال ابن عباس على البصرة ، فلما قدم زفر على جرير بكتاب علىّ وقرأه جرير ، قام زفر خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إن عليّاً كتب إليكم بكتاب ، لا نقول بعده إلا رَجِيماً ^(١) من القول ، إن الناس بايعوا عليّاً بالمدينة غير محابةٍ يبيعهم ، لعلمه بكتاب الله ، وَيُرَى الحق فيه ، وإن طلحة والزبير نقضاً بِيَمَّةٍ عَلِيٍّ على غير حَدَثٍ ، ثم لم يرضيا حتى نَصَبَا له الحرب ، وألبّا ^(٢) عليه الناس ، وأخرجوا أم المؤمنين عائشة من حِجَابِ ضربه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عليها ، ففقيهما فأعذر في الدعاء ، وَخَشِيَ البغي ، وَحَمَلَ الناس على ما يعرفون ، فهذا عِيَان ^(٣) ما غاب عنكم ، وإن سألتهم الزيادة زدناكم . »

(الإمامة والسياسة ١ : ٦٩)

١٤٧ — خطبة جرير بن عبد الله البجلي

وقام جرير بن عبد الله البجليّ خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : هذا كتاب أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، وهو المأمون على الدين والدنيا ، وكان من أمره وأمرِ عدوه ما قد سمعتم ، والحمد لله على أَقْضِيَّتِهِ ، وقد بايعه السابقون الأولون ، من المهاجرين والأنصار ، والتابعون بإحسان ، ولو

جعل الله هذا الأمر شورى بين المسلمين لكان عليّ أحقّ بها ، ألا وإن البقاء في الجماعة ، والفناء في الفرقة ، وعليّ حاملكم ما استقمتم له ، فإن ملتم أقام ميّلكم .
قال الناس سمعاً وطاعة ، ورضانا رضا من بعدنا .

(الإمامة والسياسة ١ : ٦٩)

١٤٨ — خطبة زياد بن كعب

وكتب الإمام على كرم الله وجهه ، إلى الأشعث بن قيس — وكان عاملاً بأذربيجان ، استعمله عليها عثمان — بمثل ما كتب به إلى جرير بن عبدالله ، ووجه بالكتاب مع زياد بن كعب ، فلما قرأ الأشعث كتاب عليّ ، قام زياد بن كعب خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إنه من لم يكفه القليل ، لم يكفه الكثير ، وإن أمر عثمان لم ينفع فيه العيان ، ولم يشف منه الخبر ، غير أن من سمعه ليس كمن عاينه ، وإن المهاجرين والأنصار بايعوا عليّاً راضين به ، وإن طلحة والزبير نقضا بيعه عليّ على غير حدث ، وأخرجوا أم المؤمنين على غير رضا ، فسار إليهم ولم ينلهم ، فتركهم وما في نفسه منهم حاجة ، فأورثه الله الأرض ، وجعل له عاقبة المتقين . »

(الإمامة والسياسة ١ : ٧٠)

١٤٩ — خطبة الأشعث بن قيس

فقام الأشعث بن قيس فقال :

« أيها الناس : إن عثمان رحمه الله ولأني أذربيجان ، وهلك وهي في يدي ، وقد بايع الناس عليّاً ، وطاعتنا له لازمة ، وقد كان من أمره وأمر عدوه ما قد بلغكم ، وهو المأمون على ما غاب عنا وعنكم من ذلك . » (الإمامة والسياسة ١ : ٧٠)

فتنة معاوية

استطلاع الامام على كرم الله وجهه آراء أصحابه

وقد أراد السير إلى الشام

لما أراد الامام على كرم الله وجهه السير إلى الشام ، دعا من كان معه من المهاجرين والأنصار فجمعهم .

١٥٠ - خطبة الامام على

ثم حمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد : فإنكم مَيَّامِينُ الرَّأْيِ ، مَرَّاجِحُ الْحِلْمِ ، مُبَارِكُو الْأَمْرِ ، مَقَاوِيلُ الْحَقِّ ، وقد عزمنا على السير إلى عدونا وعدوكم ، فأشيروا علينا برأيكم » .

١٥١ - خطبة هاشم بن عتبة

فقام هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد - يا أمير المؤمنين - فأنا بالقوم جِدُّ خَيْرٍ ، هُمْ لَكَ وَلِأَشْيَاعِكَ أَعْدَاءُ ، وَهُمْ لِمَنْ يَطْلُبُ حَرَّتَ^(١) الدُّنْيَا أَوْلِيَاءُ ، وَهُمْ مَقَاتِلُكَ وَمَجَادِلُكَ ، لَا يُبْقُونَ جُهْدًا ، مُشَاحَّةً^(٢) عَلَى الدُّنْيَا ، وَضِنًا^(٣) بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْهَا ، لَيْسَ لَهُمْ إِزْبَةٌ^(٤) غَيْرُهَا ، إِلَّا مَا يَتَّخِذُونَ بِهِ الْجُهْلَالَ ، مِنْ طَلَبِ دَمِ ابْنِ عَفَّانٍ ، كَذَبُوا ! لَيْسُوا لِدَمِهِ يَنْفِرُونَ^(٥) ، وَلَكِنَّ الدُّنْيَا يَطْلُبُونَ ، انْهَضْ بِنَا إِلَيْهِمْ ، فَإِنْ أَجَابُوا إِلَى الْحَقِّ ،

[١] أى متاعها . [٢] بخلا عليها وحرصا . [٣] ضن ضنا : بالكسر وضنائة بالفتح بخل .

[٤] الإزبة : الأرب . [٥] نفر للأمر : ذهب له .

فليس بعد الحق إلا الضلال ، وإن أبوا إلا الشقاق ، فذاك ظنى بهم ، والله ما أراهم يبايعون ، وقد بقى فيهم أحد ممن يُطاع إذا نهى ، ولا يسمع إذا أمر .

١٥٢ — خطبة عمار بن ياسر

وقام عمار بن ياسر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« يا أمير المؤمنين ، إن استطعت أن لا تُقيم يوماً واحداً فافعل ، اشخص بنا قبل استعمار^(١) نار الفجرة ، واجتماع رأيهم على الصدود والفرقة ، وادعهم إلى حظهم ورشدهم ، فإن قبلوا سعدوا ، وإن أبوا إلا حرّ بنا ، فوالله إن سفك دماهم ، والجِدَّ في جهادهم ، لقربةٌ عند الله ، وكرامة منه . »

١٥٣ — خطبة قيس بن سعد بن عبادة

ثم قام قيس بن سعد بن عبادة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا أمير المؤمنين : انكمش^(٢) بنا إلى عدونا ولا تُعرج ، فوالله لجهادهم أحبُّ إلَيَّ من جهاد الترك والروم ، لإيدهانهم^(٣) في دين الله ، واستذلالهم أولياء الله من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله ، من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، إذا غضبوا على رجل حبسوه وضربوه وحرّموه وسَيّروه^(٤) ، وفَيئنا لهم في أنفسهم حلالٌ ، ونحن لهم فيما يزعمون قَطِين^(٥) . »

فقال أشياخ الأنصار ، منهم خزيمة بن ثابت وأبو أيوب وغيرها : لم تقدّمت أشياخ قومك ، وبدأتهم بالكلام يا قيس ؟ فقال : أمّا إني عارف

[١] أى اشتعال . [٢] انكمش وتكمش : أسرع . [٣] الادمان : المداينة والعش .

[٤] المراد أبعده . [٥] القطين : الرقيق والخدم .

بفضلكم ، مُعظم لشأنكم ، ولكنى وجدت فى نفسى الضغن الذى فى صدوركم ، جاش حين ذكرت الأحزاب ، فقال بعضهم لبعض : ليقم رجل منكم ، فليُجِبْ أمير المؤمنين عليه السلام عن جماعتكم .

١٥٤ - خطبة سهل بن حنيف

فقام سهل بن حنيف ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« يا أمير المؤمنين : نحن سلمٌ لمن سالمت ، وحربٌ لمن حاربت ، ورأينا رأيك ، ونحن يمينك ، وقد رأينا أن تقوم فى أهل الكوفة ، فتأمرهم بالشخص ، وتُخبرهم بما صنع لهم فى ذلك من الفضل ، فإنهم أهل البلد ، وهم الناس ، فإن استقاموا لك ، استقام لك الذى تريد وتطلب ، فأما نحن فليس عليك خلافٌ منا ، متى دعوتنا أجبتك ، ومتى أمرتنا أطعناك » .

١٥٥ - خطبة الامام على

وقام الإمام على خطيباً على منبره ، يحرض الناس ويأمرهم بالمسير إلى صفين ، لقتال أهل الشام ، فقال :

« سيروا إلى أعداء الله ، سيروا إلى أعداء القرآن والسُنن ، سيروا إلى بقية الأحزاب ^(١) ، وَقَتْلَةِ المهاجرين والأنصار » .

فقام رجل من بنى قزارة فقال له : أتريد أن تسير بنا إلى إخواننا من أهل الشام تقتلهم كُلاً ، كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصرة فقتلتهم كُلاً ؟ ها الله ^(٢)

[١] يشير إلى الأحزاب التى تألبت واطاهرت على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ، وغطفان ، وبنى مرة ، وبنى أشجع ، وبنى أسد فى غزوة الأحزاب - غزوة الخندق - التى كانت سنة خمس للهجرة ، وكانت عدّة الجميع عشرة آلاف مقاتل وقائدهم العام أبو سفيان .

[٢] هى ها التنبية ، وهى تدخل على اسم الله فى القسم عند حذف الحرف ، تقول : ها الله بقطع الهمزة ووصلها ، وكلاهما مع إثبات ألف ها وحذفها .

إذن لا تفعل ذلك ، فقام الأشر فقال : من هذا المارق ؟ فَهَرَبَ الْفَزَارِيُّ ، واشتد الناس على أثره ، فَلَحِقَ فِي مَكَانٍ مِنَ السُّوقِ ، تباع فيه البراذين ^(١) ، فوطئوه بأرجلهم ، وضربوه بأيديهم ونِعال سيوفهم ، حتى قُتِلَ ، فَأُتِيَ عَلَى يَدَيْهِ السَّلامُ ، فقيل له : يا أمير المؤمنين قُتِلَ الرَّجُلُ ، قال : ومن قتله ، قالوا قتلته همدان ومعههم شَوْبٌ ^(٢) من الناس ، فقال : قَتِلَ عَمِيَّةٌ ^(٣) لَا يُدْرِي مَنْ قَتَلَهُ ، دِيَّتُهُ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فقام الأشر فقال :

١٥٦ — خطبة الأشر النخعي

« يا أمير المؤمنين : لَا يَهْدُنْكَ مَا رَأَيْتَ ، وَلَا يُؤَلِّينَكَ مِنْ نَصْرِنَا مَا سَمِعْتَ مِنْ مَقَالَةِ هَذَا الشَّقِيِّ الْخَائِنِ ، إِنْ جَمِيعَ مَنْ تَرَى مِنَ النَّاسِ شِيعَتُكَ ، لَا يَرْغَبُونَ بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِكَ ، وَلَا يُحِبُّونَ الْبَقَاءَ بَعْدَكَ ، فَإِنْ شِئْتَ فَسِرْ بِنَا إِلَى عَدُوِّكَ ، فَوَاللَّهِ مَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ ، وَلَا يُعْطَى الْبَقَاءُ مِنْ أَحَبِّهِ ، وَإِنَّا لَعَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبَّنَا ، وَإِنْ أَنْفُسُنَا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى يَأْتِيَ أَجْلُهَا ، وَكَيْفَ لَا تَقَاتِلُ قَوْمًا هُمْ كَمَا وَصَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ وَثَبَتْ عِصَابَةٌ مِنْهُمْ عَلَى طَائِفَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَمْسِ ، وَبَاعُوا خَلَاقَهُمْ ^(٤) بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا يَسِيرٌ . »

فقال على : « الطَّرِيقُ مُشْتَرَكٌ ، وَالنَّاسُ فِي الْحَقِّ سَوَاءٌ ، وَمَنْ اجْتَهِدَ رَأْيَهُ

فِي نَصِيحَةِ الْعَامَّةِ ، فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ » ثُمَّ نَزَلَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ .

[١] البراذين : الدواب جمع برذون . [٢] خايط . [٣] قتل حميا بكسر العين والميم مشددة مع تشديد الياء ثم يدر من قتله . [٤] الحلاق : التصيب الوافر من الخير .

١٥٧ - مقال من ثبطوه عن المسير

ولما أمر الإمام بالمسير إلى الشام ، دخل عليه عبد الله بن المُعْتَمِّ العَبَّاسِي ، وَحَنَظَلَةُ بن الرَّيِّع التَّمِيمِي ، في رجال كثير من غَطَفَان وبنى تميم ، فقال له حنظلة : « يا أمير المؤمنين : إنا قد مشينا إليك في نصيحة فاقبلها ، ورأينا لك رأياً فلا تردنه علينا ، فإنا نظرنا لك ولمن معك ، أقيم وكاتب هذا الرجل ، ولا تعجل إلى قتال أهل الشام ، فإنا والله ما ندري ولا ندري لمن تكون العلبة إذا انتقيتم ، ولا على من تكون الدبرة ^(١) »

وقال ابن المعتم مثل قوله ، وتكلم القوم الذين دخلوا معها بمثل كلامهما .

١٥٨ - رد الامام عليهم

فحمد على عليه السلام الله وأثنى ، ثم قال :

« أما بعد : فإن الله وارث العباد والبلاد ، ورب السموات السبع والأرضين السبع ، وإليه ترجعون ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، أما الدبرة ، فإنها على الضالين العاصين ، ظفروا أو ظفروا بهم ، وإني لأسمع كلام قوم ما أراهم يعرفون معروفًا ، ولا ينكرون منكراً » .

فقام إليه معقل بن قيس الرياحي فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن هؤلاء والله ما آثروك بنصح ، ولا دخلوا عليك إلا

بنفس ، فاحذرهم ، فإنهم أدنى العدو » .

[١] الدبرة بسكون الباء وفتحها الهزيمة في القتال

وقال له مالك بن حبيب : « إنه بلغني يا أمير المؤمنين أن حنظلة هذا يكتب معاوية ، فادفعه إلينا نجبسه ، حتى تنقضي غزاتك وتتصرف » .
 وقام من بنى عبس قائد بن بكير ، وعيَّاش بن ربيعة ، فقالا :
 « يا أمير المؤمنين ، إن صاحبنا عبد الله بن المغم قد بلغنا أنه يكتب معاوية ، فاجبسه أو مكنا من حبسه ، حتى تنقضي غزاتك ثم تتصرف » .
 فقالا : « هذا جزاء لمن نظر لكم ، وأشار عليكم بالرأى فيما بينكم وبين عدوكم ؟ »
 فقال لهما على عليه السلام : « الله بيني وبينكم وإليه أكلكم ، وبه أُنْتَظَرُ عليكم ، اذهبوا حيث شئتم » ^(١) .

١٥٩ - خطبة عدى بن حاتم الطائي

وقام عدى بن حاتم الطائي ، بين يدي على عليه السلام ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال :
 « يا أمير المؤمنين ، ما قلت إلا بعلم ، ولا دَعَوْتُ إلا إلى حق ، ولا أمرت إلا برشد ، ولكن إذا رأيت أن تستأني ^(٢) هؤلاء القوم وتستديمهم ، حتى تأتيهم كتبك ، وتقدم عليهم رؤسك ، فعملت ، فإن يقبلوا يُصِيبُوا رُشْدَهُمْ ، والعافية أوسع لنا ولهم ، وإن يتمادوا في الشقاق ، ولا ينزعوا عن الغي ، نسر إليهم ، وقد قدمنا إليهم العذر ، ودعوناهم إلى ما في أيدينا من الحق ، فوالله لهم من الحق أبعد ، وعلى الله أهون من قوم قاتلناهم أمسٍ بناحية البصرة ، لما دعوناهم

[١] هذا وقد خرجا إلى معاوية في رجال من قومه ، ولكنهما لم يقاتلا معه واعتزلا الفريقين جميعاً

[٢] تنتظر .

إلى الحق فتركوه ، ناوخنهم بَرَاكَاءَ القتال ^(١) ، حتى بلغنا منهم ما نحب ، وبلغ الله منهم رضاه .

١٦٠ — خطبة زيد بن حصين الطائي

فقام زيد بن حُصَيْنِ الطائي - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْبِرَانِسِ الْمُجْتَهِدِينَ - فقال :
« الحمد لله حتى يَرْضَى ، ولا إله إلا الله رَبُّنَا ، أما بعد : فوالله إن كنا في شك في قتال من خالفنا ، ولا تَصْلُحُ لَنَا النِّيَّةُ فِي قِتَالِهِمْ حَتَّى نَسْتَدِيئَهُمْ وَنَسْتَأْنِيَهُمْ ، فما الأعمال إلا تَبَابٌ ^(٢) ، ولا السعى إلا في ضلال ، والله تعالى يقول : « وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ » إننا والله ما ارتبنا طَرْفَةَ عَيْنٍ فِيمَنْ يَتَّبِعُونَهُ ، فكيف بأتباعه القاسية قلوبهم ، القليل من الإسلام حَظُّهُمْ ، أعوان الظلمة ، وأصحاب الجور والعدوان ؛ ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار ، ولا التابعين بإحسان .
فقام رجل من طيء فقال : « يَا زَيْدُ بْنُ حَصِينٍ ، أَكَلَامُ سَيِّدِنَا عَدِيَّ بْنِ حَاتِمٍ يُهَجَّنُ ^(٣) ؟ » فقال زيد : « مَا أَنْتُمْ بِأَعْرَفَ بِحَقِّ عَدِيٍّ مِنِّي ، وَلَكِنِّي لَا أَدْعِي الْقَوْلَ بِالْحَقِّ وَإِنْ سَخِطَ النَّاسُ . »

١٦١ — خطبة أبي زينب بن عوف

ودخل أبو زينب بن عوف على الإمام علي فقال :
« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَنْ كُنَّا عَلَى الْحَقِّ لِأَنْتَ أَهْدَانَا سَبِيلًا ، وَأَعْظَمُنَا فِي الْخَيْرِ نَصِيبًا ، وَلَئِنْ كُنَّا عَلَى ضَلَالٍ إِنَّكَ لَأَثْقَلْنَا ظَهْرًا ^(٤) ، وَأَعْظَمْنَا وَزْرًا ، قَدْ

[١] بَرَاكَاءَ القتال وبروكاء : موضع اصطدام القوم ، وناوخنهم مفاعلة من أناخ الإبل إذا أبركها ، والمعنى التقينا وإياهم في ساحة القتال . [٢] خسران . [٣] يهجن . [٤] لأنه حينئذ يكون أكثرهم ذوباً .

أمرتنا بالمسير إلى هذا العدو ، وقد قطعنا ما بيننا وبينهم من الولاية ، وأظهرنا لهم
العداوة ، نريد بذلك ما يعلم الله تعالى من طاعتك ، أليس الذي نحن عليه هو
الحق المبين ، والذي عليه عدونا هو الحوب ^(١) الكبير ؟ »

فقال عليه السلام : « بلى ، شهدت أنك إن مضيت معنا ناصراً لدعوتنا ،
صحيح النية في نصرنا ، قد قطعت منهم الولاية ، وأظهرت لهم العداوة ، كما
زعمت ، فإنك ولي الله تسبح في رضوانه ، وتركض في طاعته ، فأبشر أبا زينب »
وقال له عمار بن ياسر : « أثبت أبا زينب ، ولا تشك في الأحزاب أعداء الله
ورسوله » فقال أبو زينب : « ما أحب أن لي شاهدين من هذه الأمة ، شهدا
لي عما سألت من هذا الأمر الذي أهمني مكانكما » .

١٦٢ — خطبة يزيد بن قيس الأرحبي

ودخل يزيد بن قيس الأرحبي ^(٢) على علي عليه السلام فقال :
« يا أمير المؤمنين : نحن أولو جهاز ^(٣) وعدة ، وأكثر الناس أهل قوة ،
ومن ليس به ضعف ولا علة ، فر مناديك فليناد الناس يخرجوا إلى معسكرهم
بالنخيلة ، فإن أخا الحرب ليس بالسثوم ولا النثوم ، ولا من إذا أمكنته الفرص
أجلها ، واستشار فيها ، ولا من يؤخر عمل الحرب اليوم لغد ، وبعد غد » .

١٦٣ — خطبة زياد بن النضر

فقال زياد بن النضر :

« لقد نصح لك يزيد بن قيس يا أمير المؤمنين ، وقال ما يعرف ، فتوكل

[١] الحوب بالفتح والضم : الاثم . [٢] نسبة إلى أرحب : وهي قبيلة من همدان .

[٣] جهاز المسافر والعروس والميت (بالكسر والفتح) ما يحتاجون إليه .

على الله وثق به ، واشتخص بنا إلى هذا العدو راشداً مماناً ، فإن يرد الله بهم خيراً لا يتركوك ، رغبةً عنك إلى من ليس له مثلُ سابقتك وقدمك ، وإلاَّ يُنبِئوا وَيَقْبَلُوا ، وأبوا إلاَّ حَرْبَنَا نجد حَرْبَهُم علينا هُناً ، ونرجو أن يضرَّعهم اللهُ مصارع إخوانهم ثمَّ ^(١) بالأمس . »

١٦٤ — خطبة عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي

ثم قام عبد الله بن بُدَيْل بن وَرْقَاء الخزاعي فقال :

« يا أمير المؤمنين ، إن القوم لو كانوا ، الله يريدون ، والله يعملون ، ما خالفونا ، ولكن القوم إنما يقاتلوننا فراراً من الأسوة ^(٢) ، وحُباً للأثرة ^(٣) ، وَضِنًا بسلطانهم ، وكرهاً لفراق دنياهم التي في أيديهم ، وعلى إحْنٍ ^(٤) في نفوسهم ، وعداوةٍ يجدونها في صدورهم ، لوقائع أوقعتها يا أمير المؤمنين بهم قديمة ، قتلت فيها آباءهم وأعوانهم » ثم التفت إلى الناس فقال : « كيف يبائع معاوية عليّاً ، وقد قتل أخاه حَنْظَلَةَ ، وخاله الوليدَ ، وَجَدَّه عُتْبَةَ ، في موقف واحد ^(٥) ؟ والله ما أظنهم يفعلون ، وإن يستقيموا لكم دون أن تُقْصَفَ فيهم قَنَا المُرَّانِ ^(٦) ، وَتُقْطَعَ على هامهم ^(٧) السيوف ، وتنتثر حواجرهم بعُمْد الحديد ، وتكون أمور رجّة بين الفريقين . »

[١] هناك يريد البصرة . [٢] الأسوة بالضم والكسر القدوة : أي فراراً من أن يكونوا تابعين لك مسودين وأن تكون لهم إماماً وسيداً . [٣] استأثر على أصحابه اخذ لنفسه أشياء حسنة ، والاسم الأثرة . [٤] جمع إحنة ، وهي الحقد والعداوة . أي ويقاتلوننا على إحْنٍ : أي من أجلها . [٥] هو جدّه لأمه عتبة بن أبي ربيعة ، وقد قتلهم على يوم بدر . وفي كتاب بعث به الامام إلى معاوية يقول : « فأنا أبو حسن قاتل جدك وخالك وأخيك شذخا يوم بدر وذلك السيف معي » . [٦] القنا : الرماح جمع قنّاء ، والمرّان : الرماح الصلبة اللدنة الواحدة مرّانة ، وشجر ، والإيضامة على المعنى الأوّل على حدّ قوله تعالى « فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ » — إن فسر العرم بالمطر الشديد — (وفسر أيضاً بالأحباس والسدود تبنى الأودية ، وبالجرذ ، وبواد جاء السيل من قبله) وعلى المعنى الثاني : أي القنا للتحذة من الشجر . [٧] الهام جمع هامة : وهي الرأس .

١٦٥ - أدب الامام على ، وكرم خلقه

وخرج حُجْر بن عَدِيٍّ ، وعمرو بن الحَمِقِ ، يُظْهَرَانِ البراءة من أهل الشام ، فأرسل علىّ عليه السلام إليهما أَنْ كُفَّا عما يبلغن عنك ، فأتياه فقالا : « يا أمير المؤمنين : ألسنا مُحَقِّقَيْنِ ؟ » قال : بلى ، قالا : « أو ليسوا مُبْطِلَيْنِ ؟ » قال : بلى ، قالا : « فَلِمَ مَنَعْتَنَا مِنْ شَتْمِهِمْ ؟ » قال :

« كَرِهْتُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا لِعَانِينَ شَتَّامِينَ ، تَشْتُمُونَ وتَبْرءُونَ ، ولكن لو وصفتهم مساوئ أعمالهم فقلتكم : من سيرتهم كذا وكذا ، ومن أعمالهم كذا وكذا ، كَانَ أَصَوَّبَ فِي الْقَوْلِ ، وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ ، وقلتكم مكان لعنكم إياهم ، وبراء تكم منهم : اللهم احقن دماءهم ودماءنا ، وأصلح ذات بينهم وبيننا ، واهدهم من ضلالتهم ، حتى يعرف الحق منهم مَنْ جَهَلَهُ ، ويرعوى عن الفى والعدوان منهم مَنْ لَهَجَ بِهِ ، لَكَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ ، وَخَيْرًا لَكُمْ . »

فقالا : يا أمير المؤمنين ، نقبل عظمتك ، وتأدب بأدبك .

١٦٦ - مقال عمرو بن الحمق

وقال له عمرو بن الحمق يومئذ :

« والله يا أمير المؤمنين ، إني ما أحببتك ولا بايعتك على قرابة بيني وبينك ، ولا إرادة مال تُؤْتِينِيهِ ، ولا التماس سلطان ترفع ذِكْرِي بِهِ ، ولكنني أحببتك بخصال خمس ، إنك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله ، ووصيه ، وأبوالذرية ، التي بقيت فينا من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأسبق الناس إلى الإسلام ، وأعظم المهاجرين سَهْمًا فِي الْجِهَادِ ، فلو أَنَّى كَلَّفْتُ نَقْلَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي ، وَنَزَحَ

البحور الطوامي^(١) ، حتى يَأْتِيَ عَلَى يَوْمٍ فِي أَمْرِ أَقْوَى بِهِ وَلِيَّكَ ، وَأَهْنِ
عَدُوَّكَ ، مَا رَأَيْتَ أَنِّي قَدْ أَدَيْتَ فِيهِ كُلَّ الَّذِي يَحِقُّ عَلَى مَنْ حَقَّكَ .

فَقَالَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : « اللَّهُمَّ نَوِّرْ قَلْبَهُ بِالتَّقَى ، وَاهْدِهِ إِلَى صِرَاطِكَ
الْمُسْتَقِيمِ ، لَيْتَ أَنْ فِي جَنْدِي مِائَةً مِثْلَكَ » . فَقَالَ حَجْرٌ : إِذَنْ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
صَحَّ جَنْدُكَ ، وَقَلَّ فِيهِمْ مَنْ يَغُشُّكَ .

١٦٧ — مَقَالُ حَجْرِ بْنِ عَدَى

وَقَامَ حَجْرُ بْنُ عَدَى فَقَالَ :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَحْنُ بَنُو الْحَرْبِ ، وَأَهْمَا الَّذِينَ تُلْقِيْهُمَا^(٢) وَتُنْتِجُهَا ، قَدْ
ضَارَسْتَنَا^(٣) وَضَارَسْنَاهَا ، وَلَنَا أَعْوَانٌ وَعَشِيرَةٌ ذَاتُ عَدَدٍ ، وَرَأَى مَجْرَبٌ ، وَبَأْسٌ
مُحْمَدٌ ، وَأَزِمَّتِنَا مَنَقَادَةٌ لَكَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فَإِنْ شَرَّقَتْ شَرَّقْنَا ، وَإِنْ غَرَبَتْ
غَرَبْنَا ، وَمَا أَمَرْتَنَا بِهِ مِنْ أَمْرٍ فَعَلْنَا » .

فَقَالَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَكُلَّ قَوْمِكَ يَرَى مِثْلَ رَأْيِكَ ؛ » قَالَ مَا رَأَيْتُ
مِنْهُمْ إِلَّا حَسَنًا ، وَهَذِهِ يَدِي عَنْهُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَحَسَنِ الْإِجَابَةِ ، فَقَالَ لَهُ عَلَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ خَيْرًا .

١٦٨ — مَقَالُ هَاشِمِ بْنِ عَتَبَةَ

وَقَالَ زِيَادُ بْنُ النَّضْرِ الْحَارِثِيُّ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُدَيْلٍ الْخَزَاعِيُّ :

« إِنْ يَوْمَنَا لِيَوْمٍ عَصَبَنْصَبٌ^(٤) ، مَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ إِلَّا كُلُّ مُشْبَعِ الْقَلْبِ ،
صَادِقُ النِّيَّةِ ، رَابِطُ الْجَأَشِ ، وَإِيْمُ اللَّهِ مَا أَظُنُّ ذَلِكَ الْيَوْمَ مُبْقِيٍّ مِنْهُمْ وَلَا مِنَّا

[١] جَمْعُ طَائِفَةٍ . طَمَى الْبَحْرَ إِذَا امْتَلَأَ . [٢] أَصْلُهُ مِنْ أَلْفَحِ الْفَحْلِ النَّاقَةِ . [٣] ضَرَسْتَهُ
[٤] عَصَبَنْصَبٌ : جَرَّبَهَا وَعَرَفَهَا . [٤] أَيْ شَدِيدٌ .

إِلَّا الرُّذَالُ^(١) » فقال عبد الله بن بديل : أنا والله أظن ذلك ، فبلغ كلامهما علياً عليه السلام ، فقال لهما : « ايكن هذا الكلام مخزوناً في صدوركما ، لا تظهراه ، ولا يسمعه منكما سامع ، إن الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين ، وكل آتية مَنيَّةٌ كما كتب الله له ، فطوبى للمجاهدين في سبيله ، والمقتولين في طاعته » فلما سمع هاشم بن عُتبة ما قالاه أتى علياً عليه السلام فقال :

« سر بنا يا أمير المؤمنين ، إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم ، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، وعملوا في عباد الله ، بغير رضا الله ، فأحلوا حرامه ، وحرّموا حلاله ، واستهوى^(٢) بهم الشيطان ، ووعدهم الأباطيل ، ومنّاهم الأمانى ، حتى أزاغهم عن الهدى ، وقصّدهم قَصْدَ الرّدى ، وحبّبت إليهم الدنيا ، فهم يقاتلون على دنياهم رغبةً فيها ، كرغبتنا في الآخرة ، وانتجاز موعده ربنا ، وأنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وآله رحماً ، وأفضل الناس سابقةً وقداً ، وهم يا أمير المؤمنين يعلمون منك مثل الذى نعلم ، ولكن كُتب عليهم الشقاء ، ومالت بهم الأهواء ، وكانوا ظالمين ، فأيدينا مبسوطة لك بالسمع والطاعة ، وقلوبنا منشركة لك ببذل النصيحة ، وأنفسنا تنصرك على من خالفك ، وتولّى الأمر دونك ، جَذَلَةً ، والله ما أحب أن لى ما على الأرض فما أَقَلَّتْ^(٣) ، ولا ما تحت السماء فما أَظَلَّتْ ، وأنى واليت عدواً لك ، وعاديت وإياً لك .

فقال عليّ عليه السلام : « اللهم ارزقه الشهادة في سبيلك والموافقة لنبيك »

[١] الرذون : الحسيس أو الردىء من كل شىء . [٢] استهوى : استماله والفعل متعدّ ومفعوله هنا محذوف : أى استهوى الشيطان أتباعهم بهم - فالباء للسببية - . [٣] أى حلت .

١٦٩ - خطبة الامام علي

ثم إن عليا عليه السلام صعد المنبر ، فخطب الناس ودعاهم إلى الجهاد ، فبدأ بحمد الله والثناء عليه ، ثم قال :

« إن الله قد أكرمكم بدينه ، وخلقكم لعبادته ، فانصبوا أنفسكم في أداء حقه ، وتنجزوا موعوده ، واعلموا أن الله جعل أمرا^(١) الإسلام متينة ، وعُراه وثيقة ، ثم جعل الطاعة حظاً الأنفس ورضا الرب ، وغنيمة الأكياس^(٢) عند تفريط المعجزة ، وقد حملت أمر أسودها وأحمرها ، ولا قوة إلا بالله ، ونحن سائرون إن شاء الله إلى من سفه^(٣) نفسه وتناول ما ليس له ، وما لا يدركه ، معاوية وجنده ، الفئة الطاغية الباغية ، يقودهم إبليس ، ويبرق لهم يبارق تسويفه ، ويدلهم^(٤) بغروره ، وأنتم أعلم الناس بالحلal والحرام ، فاستغنوا بما علمتم ، واحذروا ما حذركم الله من الشيطان ، وارغبوا فيما عنده من الأجر والكرامة ، واعلموا أن المسلوب من سلب دينه وأماته ، والمغرور من آثر الضلالة على الهدى ، فلا أعرفن أحداً منكم تقاعس^(٥) عني ، وقال في غيري كفاية ، فإن الذود إلى الذود^(٦) إبل :

ثم إنني آمركم بالشدة في الأمر ، والجهاد في سبيل الله ، وأن لاتعتابوا مسلماً ، وانتظروا النصر العاجل من الله ، إن شاء الله .

[١] جمع مرس بفتحين ، ومرس جمع مرسة بفتحين أيضا : وهو الجبل . [٢] جمع كيس : وهو ضد الأحمق . [٣] أصله سفهت نفسه ، فلما حوّل الفعل إلى الرجل انتصب ما بعده بوقوع العمل عليه لأنه صار في معنى سفه نفسه بالتشديد ، ومثله : رشد أمره وبطر عيشه . [٤] أى يحطهم عن منازلهم . قال تعالى : « فدلّاهما بغرور » [٥] تأخر وتقاعد . [٦] الذود : ثلاثة أبصرة إلى العشرة أو خمسة عشر أو عشرين أو ثلاثين وهو مثل : أى إذا جمعت القليل مع القليل صار كثيرا فإلى بمعنى مع .

١٧٠ — خطبة الحسن بن علي

ثم قام بعده ابنه الحسن رضى الله عنه فقال :
 « الحمد لله لا إله غيره ، ولا شريك له ، ثم قال : إن مما عظم الله عليكم من
 حقه ، وأسبغ عليكم من نعمه ، ما لا يُحصى ذِكْرُهُ ، ولا يُؤدَّى شكرُهُ ، ولا يبلغه
 قول ولا صفة ، ونحن إنما غضبنا الله ولكم ، إنه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد
 إلا اشتد أمرهم ، واستحكمت عُقدتهم ، فاحتشدوا في قتل عدوكم معاوية وجنوده ،
 ولا تتخاذلوا ، فإن الخذلان يقطع نياط ^(١) القلوب ، وإن الإقدام على الاسنة
 نَحْوَةٌ وعِصْمَةٌ ، لم يتمنع قوم قط إلا رفع الله عنهم العلة ، وكفاهم جوائح الذلة ،
 وهداهم إلى معالم الملة ، ثم أنشد :

والصلح تأخذ منه ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جُرْع

١٧١ — خطبة الحسين بن علي

ثم قام الحسين رضى الله عنه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
 « يا أهل الكوفة : أنتم الأحبة الكرماء ، والشُّعَار ^(٢) دون الدُّثَار ، جدُّوا في
 إطفاء ما وُتِرَ ^(٣) بينكم ، وتسهيل ما توعَّرَ عليكم ، ألا إن الحرب شرها ورَّيع ^(٤) ،
 وطعمها فظيع ، فمن أخذ لها أَهْبَتَهَا ، واستعد لها عُدَّتَهَا ، ولم يَأْلَمْ كُلُّومَهَا ^(٥)
 قبل حلولها ، فذاك صاحبها ، ومن عاجلها قبل أوان فرصتها ، واستبصار سعيه
 فيها ، فذاك قَيْن ^(٦) أن لا ينفع قومه ، وأن يهلك نفسه ، نسأل الله بقوَّته أن
 يُدْعِمَكم بِالْفَيْئَةِ ^(٧) » ثم نزل . (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٧٨)

[١] عرق غليظ نيط به القلب إلى الوتين ، جمعه أنوطه . « والوتين عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه
 جمعه أوتنة » . [٢] الشعار : ما يلبس على شعر الجسد ، والدُّثَار : ما فوق الشعار من الثياب .
 [٣] الوتر والقرة : الثَّأْر ، وتره يتره ، ووتره حقه : قصه إياه ، ووتره : أدركه بكرهه .
 [٤] الوريع : الكاف . أى أن شرَّها عظيم يدعو الناس إلى أن يكدوا عن خوض غمارها .
 [٥] كلوم : جمع كلم ، وهو الجرح . [٦] جدير وحقيق . [٧] الفَيْئَةُ : بفتح الفاء وكسرهما ،
 والو : النعمة ، أى نسأل الله أن يقويكم بما تغنمون من عدوكم .

وفد على على معاوية

بعد أن نزل الإمام علىّ كرم الله وجهه بصفين ، دعا بشير بن عمرو بن مَحْصَن الأنصاري ، وسعيد بن قيس الهمداني ، وشبث بن ربعي التيمي ، فقال : ائتوا هذا الرجل ، فادعوه إلى الله ، وإلى الطاعة والجماعة ، فقال له شبث بن ربعي : يا أمير المؤمنين : ألا تُطعِمُه في سلطان توليه إياه ، ومنزلة يكون له بها أثرٌ عندك ، إن هو بايعك ؟ فقال علىّ : ائتوه فالتقوه واحتجوا عليه ، وانظروا ما رأيه ؟ - وهذا في أوّل ذى الحجة سنة ٣٦ هـ - فأتوه ، ودخلوا عليه .

١٧٢ - خطبة بشير بن عمرو

حمد الله أبو عمرة بشير بن عمرو ، وأثنى عليه ، وقال :
« يا معاوية : إن الدنيا عنك زائلة ، وإنك راجع إلى الآخرة ، وإن الله عزّ وجلّ محاسبك بعملك ، وجازيك بما قدّمت يداك ، وإني أنشدك الله عزّ وجلّ أن تفرّق جماعة هذه الأمة ، وأن تسفك دماءها بينها » .
فقطع عليه الكلام ، وقال : هلا أوصيت بذلك صاحبك ؟ فقال أبو عمرة :
« إن صاحبي ليس مثلك ، إن صاحبي أحقُّ البرية كلها بهذا الأمر ، في الفضل ، والدين ، والسابقة في الإسلام ، والقربة من الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال : فيقول ماذا ؟ قال : يأمرُك بتقوى الله عزّ وجلّ ، وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق ، فإنه أسلم لك في دنياك ، وخير لك في عاقبة أمرك » .
قال معاوية : « وَنُطِلَ دم عثمان رضى الله عنه ! لا والله لا أفعل ذلك أبداً ، فذهب سعيد بن قيس يتكلم ، فبادره شبث بن ربعي ، فتكلم :

١٧٣ - خطبة شبت بن ربيع

فحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال :

« يا معاوية ، إني قد فهمت ما رددت على ابن مُحَصَّن ، إنه والله لا يخفى علينا ما تغزو وما تطلب ، إنك لم تجد شيئاً تستغوى به الناس ، وتستميل به أهواءهم ، وتستخلص به طاعتهم ، إلا قولك : « قُتِلَ إمامكم مظلوماً ، فنحن نطلب بدمه » ، فاستجاب له سفهاء طَعام ، وقد علمنا أن قد أبطأت عنه بالنصر ، وأحببت له القتل ، لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب ، ورُبُّ متمنى أمر وطالبه ، الله عز وجل يحول دونه بقدرته ، وربما أُوتى المتمنى أمنيته ، وفوق أمنيته ، والله ما لك في واحدة منهما خير ، لئن أخطأت ما ترجو ، إنك لشرا العرب حالاً في ذلك ، وإن أصبت ما تَمَنَّى لا تصيبه حتى تستحق من ربك صِلي^(١) النار ، فاتق الله يا معاوية ، ودع ما أنت عليه ، ولا تنازع الأمر أهله .

١٧٤ - خطبة معاوية

فحمد الله معاوية وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فإن أول ما عَرَفْتُ فيه سفَهك ، وَخِيفَةَ حِلْمِك ، قَطْعُكَ عَلَى هذا الحسيب الشريف سَيِّدِ قومه منطقَه ، ثم عُيِّيتَ بَعْدُ فيما لا علم لك به ، فقد كذبت وَلُوِّمْتُ^(٢) ، أيها الأعرابي الجِلْفُ^(٣) الجافي ، في كل ما ذكرت ووصفت ، انصرفوا من عندي ، فإنه ليس بيني وبينكم إلا السيف »
وغضب وخرج القوم وشبت يقول : أفعلينا شُؤْلُ بالسيف ؟ أقسم بالله

[١] صلى النار : كرسى ، وصلى بها صلياً بكسر الصاد وصحها ، قاسى - رآها .

[٢] لومه لوماً : عذله ، وألامه ولومه للبالغة . [٣] الجلف : الرجل الجاني .

لِيُعْجَازَ بِهَا إِلَيْكَ ، فَأَتَوْا عَلِيًّا ، وَأَخْبَرُوهُ بِالَّذِي كَانَ مِنْ قَوْلِهِ ، فَأَخَذَ عَلَى يَأْمُرِ
الرَّجُلِ ذَا الشَّرَفِ فَيُخْرِجُ مَعَهُ جَمَاعَةً ، وَيُخْرِجُ إِلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ آخَرَ مَعَهُ
جَمَاعَةً ، فَيَقْتَتِلَانِ فِي خَيْلِهِمَا وَرِجَالِهِمَا ، ثُمَّ يَنْصَرِفَانِ ، وَكَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَلْقَوْا
بِجَمْعِ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَهْلَ الشَّأْمِ ، لَمَّا يَتَخَوَّفُونَ أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ الْاسْتِئْصَالِ
وَالْهَلَاكُ . (تاريخ الطبري ٥ : ٢٤٢)

وفد عليّ الى معاوية أيضا

ولما دخلت سنة ٣٧ هـ توادعا عليّ ترك الحرب في المحرّم إلى انقضائه، طمعاً في الصلح
واختلفت فيما بينهما الرسل في ذلك دون جدوى ، فبعث عليّ عديّ بن حاتم ، ويزيد بن
قيس ، وشبّث بن ربعيّ ، وزيايد بن خَصَفَةَ إلى معاوية .

١٧٥ - خطبة عديّ بن حاتم

فاما دخلوا حمد الله عديّ بن حاتم ، ثم قال :
« أما بعد : فإننا أتيناك ندعوك إلى أمر يجمع الله عزّ وجلّ به كلمتنا وأُمّتنا ،
ويحقّق به الدماء ، ويؤمن به السُّبُل ، ويصلّح به ذات الِيتنّ ، إن ابن عمك
سيّد المسامين ، أفضلها سابقاً ، وأحسنها في الإسلام أثراً ، وقد استجمع له
الناس ، وقد أرشدهم الله عزّ وجلّ بالذي رأوا ، فلم يبق أحدٌ غيرك وغير من معك ،
فاتته يا معاوية ، لا يصبّك الله وأصحابك يوماً مثل يوم الجمل » .

١٧٦ - جواب معاوية

فقال معاوية : « كأنك إنما جئت مُتَهَدِّداً ، لم تأت مُصلحاً ! هيّهات

ياعدى ، كلاً والله ، إني لَأَبْنُ حَرْبٍ^(١) ما يُقَعِّعُ^(٢) لى بالشَّانِ ، أما والله إنك لمن
المُجْلِبِينَ على ابن عفان رضى الله عنه ، وإنك لمن قَتَلْتَهُ ، وإني لأرجو أن تكون
ممن يَقْتُلُ^(٣) الله عزَّ وجلَّ به ، هَيْهَاتَ يَاعَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ ، قد حَلَبْتُ بالسَّاعِدِ
الأَشَدَّ^(٤) .

فقال له شَبَثُ بْنُ رَبِيعٍ وَزِيَادُ بْنُ خَصَفَةَ - وتنازعا جواباً واحداً -
« أَتَيْناكَ فيما يصلحنا وإياك ، فأقبلت تضرب لنا الأمثال ، دع ما لا يُنْتَفَعُ
به من القول والفعل ، وأَجِبْنَا فيما يَعْمُنَا وإياك نَفْعُهُ » .

١٧٧ - خطبة يزيد بن قيس

وتكلم يزيد بن قيس فقال :

« إنا لم نأتك إلا لنبلِّغَكَ ما بُعِثْنَا به إليك ، وَلِنُؤَدِّيَ عَنْكَ ما سمعنا منك ،
ونحن - على ذلك - لن ندَّعَ أن ننصح لك ، وأن نذكر ما ظننَّا أن لنا عليك به
حُجَّةٌ ، وأنت راجع به إلى الألفة والجماعة ، إنَّ صاحِبَنَا من قد عَرَفْتَ وَعَرَفَ
المسامون فضله ، ولا أظنه يخفى عليك ، إن أهل الدين والفضل لن يَعْدِلُوا بعلَى ،
ولن يُعَيِّلُوا^(٥) بينك وبينه ، فاتق الله يامعاوية ، ولا تخالف علياً ، فإننا والله ما رأينا
رجلاً قطُّ أعملَ بالتقوى ، ولا أزهَدَ في الدنيا ، ولا أجمعَ لِحِصَالِ الخَيْرِ كلها منه » .

١٧٨ - خطبة معاوية

فحمد الله معاوية وأثنى عليه ، ثم قال :

[١] هو جدّه . [٢] القعقة : تحريك الشيء اليأس الصل مع صوت ، والشان جمع ش بالفتح ،
وهو القرية البالية ، وإذا قعق بالشان للإبل نفرت ، وهو مثل يضرب لمن لا يروعه ما لا حقيقة له .
[٣] أى يقتله . [٤] يعنى بذلك قوّة استعداده للقتال وتأهبه له .
[٥] التميل بين الشيئين ، كالترجيح بينهما .

« أما بعد : فإنكم دعوتكم إلى الطاعة والجماعة ، فأما الجماعة التي دعوتكم إليها فمَعَنَا هِيَ ، وَأما الطاعة لصاحبكم فَإِنَّا لَا نَرَاهَا ، إِن صاحبكم قَتَلَ خليفتنا ، وفرَّق جماعتنا ، وآوَى ثَمَارَنَا ^(١) وَقَتَلْتَنَا ، وصاحبكم يزعم أَنه لم يقتله ، فنحن لانرد ذلك عليه ، أَرَأَيْتُمْ قَتَلَةَ صَاحِبِنَا ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ صَاحِبِكُمْ ؟ فَلْيَدْفَعْهُمْ إِلَيْنَا فَلْنَقْتُلْهُمْ بِهِ ، ثُمَّ نَحْنُ نَجْبِيكُمْ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ . »
فَقَالَ لَهُ شَبِثُ : أَيَسْرُكُ يَا مَعَاوِيَةُ أَنَّكَ أُمَكِّنْتَ مِنْ عُمَّارٍ ^(٢) تَقْتُلُهُ ؟ فَقَالَ

[١] الثَّارُ : قَاتِلُ حَيْمِكَ .

[٢] هُوَ عُمَارُ بْنُ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَحَدُ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ ، وَقَدْ عَذَّبَهُ الْمُشْرِكُونَ فِي بَدْءِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فَاحْتَمَلَ الْعَذَابَ ، وَكَانَ يَعْذِبُ هُوَ وَأَخُوهُ وَأَبُوهُ وَأُمُّهُ بِالنَّارِ ، فَرَبِّمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « صَبِرَا آلُ يَاسِرٍ فَوَعَدَكُمْ الْجَنَّةُ . اللَّهُمَّ اغْفِرْ لآلِ يَاسِرٍ » وَصَرَّادُ شَبِثُ بِهَذَا الْقَوْلِ إِجْرَاجَ مَعَاوِيَةَ . ثَقُولُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِعَمَارٍ : « تَفْلُكُ الْعِثَّةُ الْبَاغِيَةُ » : أَيُ إِلْمِكَ يَا مَعَاوِيَةُ إِن قَتَلْتُ عَمَارًا - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ - كَسْتُ مِنَ الْعِثَّةِ الْبَاغِيَةِ ، وَتَفْصِيلُ الْخَبَرِ فِي ذَلِكَ مَارُوتُهُ أُمُّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَتْ : « لَمَّا بَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسْجِدَهُ بِالْمَدِينَةِ أَمَرَ بِالْإِنِّ اضْرَبَ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَامَ فَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي ذَلِكَ الْمَهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَضَعُوا أَرْبَابَهُمْ وَأَكْسَبْتَهُمْ يَرْتَجِزُونَ وَيَقُولُونَ وَيَعْمَلُونَ .

لَمَّا قَعَدْنَا وَالنَّبِيُّ يَعْمَلُ ذَاكَ إِذْنُ لَعْمَلِ مَضَالٍ

قَالَتْ : وَكَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رَجُلًا نَظْمًا مُنْتَظَمًا ، وَكَانَ يَحْمِلُ اللَّبَنَةَ وَيَحْمِي سَهْلًا عَنْ ثَوْبِهِ ، فَإِذَا وَضَعَهَا بَفَضِّ كَفِّهِ ، وَنَظَرَ إِلَى ثَوْبِهِ ، فَإِذَا أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنَ التَّرَابِ نَفَضَهُ فَمَطَرَ إِلَيْهِ عَلَى رَضَى اللَّهِ عَنْهُ فَأَسَدَ :

لَا يَسْتَوِي مَنْ يَعْمُرُ الْمَسَاجِدَ يَدَّابُ فِيهَا رَاكِعًا وَسَاجِدًا

وَقَاعًا طَوْرًا وَطَوْرًا قَاعًا وَمَنْ يَرَى عَنِ التَّرَابِ حَائِدًا

فَسَمِعَهَا عُمَارُ بْنُ يَاسِرٍ فَعَمِلَ يَرْتَحِرُهَا وَهُوَ لَا يَدْرِي مَنْ يَعْنِي ، فَسَمِعَهُ عُثْمَانُ فَقَالَ : يَا بَنَ سَمِيَّةَ (وَسَمِيَّةُ أُمُّهُ) مَا أَعْرِفُ مَنْ تَعْرِضُ ، وَمَعَهُ جَرِيدَةٌ ، فَقَالَ لَتَسْكُنَ أَوْ لَأَعْرِضَ بِهَا وَحَمَكُ ، فَسَمِعَهُ النَّبِيُّ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ حَائِطٍ فَقَالَ : « عَمَارُ جَلْدَةٌ مَا بَيْنَ عَيْنِي وَأَنْفِي » فَمِنْ بَلْغِ ذَلِكَ مِنْهُ فَقَدْ بَلَغَ مَيَّ ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ فَوَضَعَهَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ فَسَكَمَ النَّاسُ عَنْ ذَلِكَ ، وَقَالُوا لِعَمَارٍ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ غَضِبَ فَيْكُ ، وَنَخَافُ أَنْ يَنْزِلَ فِينَا قِرَآنٌ ، فَقَالَ : أَمَا أَرْضِيهِ كَمَا عَصَبَ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لِي وَلِأَصْحَابِي ؟ قَالَ : مَا لَكُمْ وَلَهُمْ ؟ قَالَ يَرِيدُونَ قَتْلِي ، يَحْمِلُونَ لَبَنَةً وَيَحْمِلُونَ عَلَى لَبَنَتَيْنِ ، فَأَخَذَ بِهِ وَطَافَ بِهِ فِي الْمَسْجِدِ وَجَعَلَ يَمْسَحُ وَجْهَهُ مِنَ التَّرَابِ وَيَقُولُ « يَا بَنَ سَمِيَّةَ لَا يَفْتَكُ أَصْحَابِي ، وَلَكِنْ تَفْلُكُ الْعِثَّةُ الْبَاغِيَةُ » فَلَمَّا قَتَلَ بَصْنَيْنِ ، وَرَوَى هَذَا الْحَدِيثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ النَّاسِ ، قَالَ مَعَاوِيَةُ : هُمُ قَتَلُوهُ ، لِأَنَّهُمْ أَخْرَجُوهُ إِلَى الْقَتْلِ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا قَالَ : وَنَحْنُ قَتَلْنَا أَيْضًا هِزَةَ لِأَنَّا أَخْرَجْنَاهُ (العقد الفريد ٢ : ٢٣٧)

معاوية : وما يعنى من ذلك ؟ والله لو أمكنت من ابن سُمَيَّة ما قتلته بعثمان
رضى الله عنه ، ولكن كنتُ قَاتِلَهُ بنَاتِلِ مولى عثمان ، فقال شُبْتُ :

« وَإِلَهَ الْأَرْضِ وَإِلَهَ السَّمَاءِ ، مَا عَدَلْتُ مَعْتَدِلًا ^(١) ، لَا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ،
لَا تَصِلُ إِلَى عَمَّارٍ ، حَتَّى تَنْدَرَ ^(٢) الْهَامُ عَنْ كَوَاهِلِ الْأَقْوَامِ ، وَتَضِيقَ الْأَرْضُ
الْفَضَاءَ عَلَيْكَ بِرُحْبَاهَا ^(٣) » فقال له معاوية : « إِنَّهُ لَوْ قَدْ كَانَ ذَلِكَ كَانَتْ الْأَرْضُ
عَلَيْكَ أَضِيقَ » وتفرَّق القوم عن معاوية ، فلما انصرفوا بعث معاوية إلى زياد
ابن خَصْفَةِ التَّمِيمِيِّ نِفْلًا بِهِ .

فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« أَمَا بَعْدِيَا أَخَا رِبِيعَةَ ، فَإِنْ عَلِيًّا قَطَعَ أَرْحَامُنَا ، وَأَوَى قَتْلَةَ صَاحِبِنَا ، وَإِنِّي
أَسْأَلُكَ النَّصْرَ بِأَسْرَتِكَ وَعَشِيرَتِكَ ، ثُمَّ لَكَ عَهْدُ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَمِيثَاقُهُ أَنْ أُولِيكَ
إِذَا ظَهَرْتُ ^(٤) أَيْ الْمَصْرِيِّينَ أَحْبَبْتُ ، قَالَ زِيَادُ : فَلَمَّا قَضَى مُعَاوِيَةُ كَلَامَهُ حَمِدَتْ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَيْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ قُلْتُ : « أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي عَلَى يَدَيْهِ مِنْ رَبِّي ، وَبِمَا
أَنْعَمَ عَلَيَّ ، فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا ^(٥) لِلْمَجْرِمِينَ » ثُمَّ قُتِلَ . (تاريخ الطبري ٦ : ٢)



[١] أَيْ إِلَهَ مَا عَدَلْتُ مِمَّا رَأَى بَنَاتِلُ مَوْلَى عُثْمَانَ أَيْ سَوِيَتْ بَيْنَهُمَا لَمْ تَكُنْ مَعْتَدِلًا فِي حُكْمِكَ .

[٢] نَدَرَ الشَّيْءُ كَنَصَرَ نَدُورًا : سَقَطَ مِنْ حَوْفٍ شَيْءٌ أَوْ مِنْ بَيْنِ أَشْيَاءٍ فَظَهَرَ ، وَالْهَامُ الرَّيْءُ :

جَمْعُ هَامَةٍ . [٣] الرَّحْبُ بِالضَّمِّ : الْإِنْسَاعُ . [٤] أَيْ عَابَتْ وَانْتَصَرَتْ . [٥] مَعِينًا وَنَاصِرًا .

وفد معاوية الى علي

وبعث معاوية إلى عليّ حبيب بن مسلمة الفهري ، وشرحبيل بن السمط ، ومعن بن يزيد بن الأخنس ، فدخلوا عليه .

١٧٩ - خطبة حبيب بن مسلمة

فحمد الله حبيب وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد فإن عثمان بن عفان رضى الله عنه كان خليفة مهدياً ، يعمل بكتاب الله عز وجل ، وَيُنِيب إلى أمر الله تعالى ، فاستنقلم حياته ، واستبطأتم وفاته ، فعَدَوتم عليه ، فقتلتموه رضى الله عنه ، فادفع إلينا قتلة عثمان - إن زعمت أنك لم تقتله - تقتلهم به ، ثم اعتزل أمر الناس ، فيكون أمرهم شورى بينهم ، يُؤَلَّى الناس أمرهم من أجمع عليهم رأيهم » .

فقال له عليّ بن أبي طالب : « وما أنت لا أم لك والعزل ، وهذا الأمر ؟ اسكت ، فإنك لست هُنَاكَ ، ولا بأهل له » فقام وقال له : « والله لترينى بحيث تكره » فقال عليّ : « وما أنت ولو أجلبت بخيالك ورجلك ؟ لا أبقى الله عليك إن أبقيت عليّ ، أحمرة^(١) وسوءاً ، أذهب فصوب وصعد ما بدا لك » وقال شرحبيل بن السمط : « إني إن كلمتك فلعمرى ما كلامى إلا مثل كلام صاحبي قبل ، فهل عندك جواب غير الذى أجبت به ؟ فقال عليّ : نعم . لك وإصاحبك جواب غير الذى أجبت به .

[١] فى كتب اللغة : حمرة حمراً بفتح الحاء وحمرة ضمها وتشديد الياء ولم أجد كلمة « حمرة » وأرى أنها مثل مزاة وضحة ، يقال رجل مزاة بضم الميم وسكون الزاى أى يمزأ به وضحة كذلك أى بضحك به ، فالعنى أنكون حمرة أى حميراً وتسوءنى سوءاً .

١٨٠ - خطبة علي بن أبي طالب

نحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد ، فإن الله جلّ ثناؤه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق ، فأتقذ به من الضلالة ، وانتاش^(١) به من الهلكة ، وجمع به من الفرقة ، ثم قبضه الله إليه ، وقد أدى ما عليه ، صلى الله عليه وسلم ، ثم استخلف الناس أبا بكر رضى الله عنه ، واستخلف أبو بكر عمر رضى الله عنه ، فأحسننا السيرة ، وعدلنا في الأمة ، وقد وجدنا^(٢) عليهما أن توليا علينا ، ونحن آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغفرنا ذلك لهما ، وولى عثمان رضى الله عنه فعمل بأشياء عابها الناس عليه ، فساروا إليه فقتلوه ، ثم أتاني الناس وأنا معتزل أمورهم ، فقالوا لي : بايع ، فأبيت عليهم ، فقالوا لي : بايع ، فإن الأمة لا ترضى إلا بك ، وإنا نخاف إن لم تفعل أن يفترق الناس ، فبايعتهم ، فلم يرعني إلا شقاق رجلين قد بايعاني^(٣) ، وخلاف معاوية ، الذي لم يجعل الله عز وجل له سابقة في الدين ، ولا سلف صدق في الإسلام ، طليق^(٤) بن طليق ، حزب^(٥) من هذه الأحزاب ، لم يرل الله عز وجل ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ، والمسلمين عدواً ، هو وأبوه ، حتى دخلا في الإسلام كارهين ، فلا غرو^(٦) إلا خلافكم معه ، وانقيادكم له ، وتدعون آل نبيكم

[١] انتقل وأخرج . [٢] وجد عليه غضب . [٣] يعنى طلحه والزبير وما كان منهما من الخلاف عليه ، وانضمهما إلى السيدة عائشة . [٤] الطلقاء : هم الذين عفا عنهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة . [٥] حزب بدل من طليق الثاني : أى ابن حزب من هذه الأحزاب التى تألبت وتظاهرت على حربه صلى الله عليه وسلم من قريش ، وغطفان ، وبني مرة ، وبني أشجع ، وبني سليم ، وبني أسد (فى غزوة الأحزاب ، وهى غزوة الخندق سنة ٥ هـ) وكانت عدّة الجميع عشرة آلاف مقاتل ، وفأندم العام أبو سفيان . [٦] فلا غرو : أى لا عجب ، وقوله إلا خلافكم معه : أى خلافتكم علىّ معه ، أو هو «خلافكم معه» بالخاء أى مخالفتكم له ، ومناصرتكم إياه .

صلى الله عليه وسلم ، الذين لا ينبغي لكم شقاقُهُمْ ولا خلافُهُمْ ، ولا أن تعدلوا بهم من الناس أحداً ، ألا إني أدعوكم إلى كتاب الله عز وجل ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإمانة الباطل ، وإحياء معآلم الدين ، أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ، ولكل مؤمن ومؤمنة ، ومسلم ومسلمة .

فقالا : « اشهد أن عثمان رضى الله عنه قُتل مظلوماً » فقال لهما : « لا أقول إنه قُتل مظلوماً ، ولا إنه قتل ظالماً . » قالا : « فمن لم يزعم أن عثمان قتل مظلوماً ، فنحن منه برآء » ثم قاما فانصرفا ، فقال على : « إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى ، وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْا مُذْبِرِينَ ، وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ، إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ، فَهَهُمْ مُسْلِمُونَ » . (تاريخ الطبرى ٦ : ٤)

التحريض على القتال من قبل معاوية

١٨١ — خطبة عمرو بن العاص (المتوفى سنة ٤٣ هـ)

لما بلغ معاوية أن الإمام علياً (كرم الله وجهه) يجهز الجيوش لقتاله ، دعا عمرو بن العاص ، فاستشاره ، فقال : « أما إذ بلغك أنه يسير فسر بنفسك ، ولا تنب عنه برأيك ومكيدتك » . قال : « أما إذا يا أبا عبد الله فجهز الناس » . فجاء عمرو فخصّص الناس ، وضعف علياً وأصحابه ، وقال :

« إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم ، وأوهنوا شوكتهم ، وفلوا حدم ، ثم إن أهل البصرة مخالفون على ، قد وترهم وقتلهم ، وقد تفانت صنايدهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل ، وإنما سار في شردمة قليلة ، منهم من قد قتل خليفكم ، فالله الله في حقكم أن تضيقوه ، وفي دمكم أن تطلوه » .

(تاريخ الطبرى ٥ : ٢٣٦)

١٨٢ — خطبة أخرى لعمر بن العاص

وخطب عمرو بن العاص قبل الوقعة العظمى بصفين ، يحرض أهل الشام
« وقد كَانَ منحنياً على قوس » فقال :

« الحمد لله العظيم في شأنه ، القوي في ساططانه ، العليّ في مكانه ، الواضح
في برهانه ، أئمنده على حُسن البلاء ، وتظاهر النعماء ، في كل رزية من بلاء^(١) ،
أوشدة أورخاء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده
ورسوله ، ثم إنا نحتسب عند الله ربّ العالمين ما أصبح في أمة محمد صلى الله عليه
وسلم ، من اشتعال نيرانها ، واضطراب خيلها ، ووقوع بآئسها ببئسها ، فإننا لله وإنا
إليه راجعون . والحمد لله ربّ العالمين .

أو لا تعلمون أن صلاتنا وصلاتهم ، وصيامنا وصيامهم ، وحجنا وحجهم ،
وقبلتنا وقبلتهم ، وديننا ودينهم واحد ؟ ولكن لأهواء مختلفة . اللهم أصاح هذه
الأمّة بما أصلحت به أولها ، واحفظ فيما بيننا ، مع أن القوم قد وطئوا بلادكم ،
وَبَغَوْا عليكم ، فجدّثوا في قتال عدوكم ، واستعينوا بالله ربكم ، وحافظوا على
حُرُماتكم^(٢) » ثم جلس . (شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٥٠٤)

١٨٣ — خطبة معاوية بن أبي سفيان يحرض أهل الشام

وقام معاوية في أهل الشام خطيباً ، فقال :
« أيها الناس : أَعِيرُونَا جَمَاجِمَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ^(٣) لَا تُقْتَلُوا^(٤) ، وَلَا تَتَخَذَلُوا^(٥) ،

[١] البلاء : يكون عنة ، ويكون محنة . [٢] جمع حرمة ، وهي ملا يحل انتهاكه .
[٣] أي جودوا برفوسكم ، ولا تبجلوا برفوسكم على القتل . [٤] في الأصل « لا تقتلوا » على
أن الفعل محزوم بلا التامية ، وأراه محزوماً ، وإنما هو « لا تقتلوا » مجزوم في جواب الأمر ، أي إن
تسخطوا ببذل رءوسكم ونفوسكم وتقاتلوا مستبسلين تنحوا من القتل . [٥] في الأصل « ولا تتخاذلوا »
وأراه مصحفاً عن « ولا تتخاذلوا » أي لتتعاونوا ، ولا يخذل بعضكم بعضاً .

فَإِنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ أَخْطَارٍ، وَيَوْمُ حَقِيقَةِ وَحِفَاطٍ^(١)، إِنَّكُمْ لَعَلَى حَقٍّ، وَبِأَيْدِيكُمْ حُجَّةٌ، إِنَّمَا تَقَاتِلُونَ مِنْ نَسَكْتِ الْبَيْعَةِ، وَسَفَكِ الدِّمِ الْحَرَامِ، فَلَيْسَ لَهُ مِنَ السَّمَاءِ عَازِرٌ، قَدَّمُوا أَصْحَابَ السِّلَاحِ الْمُسْتَأْثِمَةَ^(٢)، وَأَخْرُوا الْحَاسِرَ^(٣)، وَاجْمَعُوا بِأَجْمَعِكُمْ، فَقَدْ بَلَغَ الْحَقُّ مَقْطَعَهُ، وَإِنَّمَا هُوَ ظَالِمٌ وَمُظْلُومٌ .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤٨١)

١٨٤ — خطبة ذى الكلاع الحميرى^(٤)

وطلب معاوية إلى ذى الكلاع الحميرى أن يخطب الناس، ويحرضهم على قتال على رضى الله عنه ومن معه من أهل العراق، فعقد فرسه «وكان من أعظم أصحاب معاوية خطراً»^(٥) وخطب الناس فقال :
« الحمد لله حمداً كثيراً ، نامياً واضحاً مُنيراً ، بُكْرَةً وَأَصِيلاً ، أَمَحَمَدَهُ وَأَسْتَعِينَهُ ، وَأُؤْمِنُ بِهِ ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَكُفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بِالْعُرْفَانِ إِمَامًا ، وَبِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ، حِينَ ظَهَرَتِ الْمَعَاصِي ، وَدَرَسَتْ^(٦) الطَّاعَةُ ، وَامْتَلَأَتِ الْأَرْضُ جَوْرًا وَضَلَالَةً ، وَاضْطَرَمَّتِ الدُّنْيَا نِيرَانًا وَفِتْنَةً ، وَوَرِكَ^(٧) عَدُوُّ اللَّهِ إِبْلِيسُ عَلَى أَنْ يَكُونَ قَدْ عُيِدَ فِي أَكْنَافِهَا ، وَاسْتَوْلَى عَلَى جَمِيعِ أَهْلِهَا ، فَكَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هُوَ الَّذِي أَطْفَأَ اللَّهُ بِهِ نِيرَانَهَا ، وَنَزَعَ بِهِ أَوْتَادَهَا ، وَأَوْهَنَ بِهِ قَوَى إِبْلِيسَ ، وَآيَسَهُ مِمَّا كَانَ قَدْ طَمِعَ فِيهِ مِنْ ظَفَرِهِ بِهِمْ ، وَأَظْهَرَ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ .

[١] أى يوم يحاط على الأرواح والأعراض والأموال ودفع عنها . [٢] استلأم : لبس اللأمة ، وهى الدرع . [٣] الحاسر من لا مغفر له ، ولا درع ، أو لاجنة له . [٤] هو ذى الكلاع الأصغر سمع بن مأكور بن عمرو بن يعفر بن ذى الكلاع الأكبر يزيد بن النعمان وهما من أذواء اليمن . [٥] أى شأنًا ، وقدرًا . [٦] اتحت . [٧] ورك على الأمر ودركا : قدر .

ثم كَانَ من قضاء الله أَن ضَمَّ بيننا وبين أهل ديننا بِصِفَتَيْنِ ، وإِنَّا لنعلم أَن فيهم قوماً ، قد كَانَتْ لهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله سَابِقَةٌ ذَاتُ شَأْنٍ وَخَطَرٍ عَظِيمٍ ، وَلَكِنِّي ضَرَبْتُ الأَمْرَ ظَهْرًا وَبَطْنًا ، فلم أَرِيسَعْنِي أَن يُهْدَرَ دَمُ عُثْمَانَ ، صِهْرُ نَبِينَا صلى الله عليه وآله ، الَّذِي جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ ^(١) ، وَأَلْحَقَ فِي مُصَلَّى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بَيْتًا ، وَبَنَى سِقَايَةَ ^(٢) ، وَبَايَعَ لَهُ نَبِيُّ اللَّهِ بِيَدِهِ الْيَمْنَى عَلَى الْيَسْرَى ^(٣) ، وَاخْتَصَّه بِكَرِيمَتِهِ أُمِّ كَاثُومٍ وَرُقِيَّةَ ^(٤) ، فَإِنْ كَانَ

[١] وذلك أَنَّهُ فِي عَزْوَةِ تَبُوكَ — وَكَانَتْ سَنَةٌ تَسْعَ لِهَاجِرَةِ — أَتَيْتُ فِي تَحْمِيرِ الْعَائِلَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ ، وَأَعْطَيْتُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْلَابِهَا (وَالْأَحْلَاسُ جَمْعُ حُلْسٍ بِالْكَسْرِ وَهُوَ كِسَاءٌ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ تَحْتَ الْبُرْدَةِ ، وَالْأَقْلَابُ جَمْعُ قَنْبٍ بِالتَّحْرِيكِ وَهُوَ مَا يُوضَعُ عَلَى سَنَامِ الْبَعِيرِ) وَحَسْبُ فِرْسًا ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « اللَّهُمَّ ارْضَ عَنْ عُثْمَانَ ، فَإِنِّي رَاضٍ عَنْهُ » وَكَانَ ذَلِكَ فِي زَمَنِ عَسْرَةِ النَّاسِ وَجَدَّ الْبَلَادُ ، وَسَدَّةُ الْحَرِّ ، قَالَ تَعَالَى : « لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ » أَيْ وَقْتِهَا ، وَهِيَ حَالُهُمْ فِي تِلْكَ الْعَزْوَةِ ، ذَكَرُوا أَنَّ الرَّجُلَيْنِ كَانَا يَقْتَسِمَانِ تَمْرَةً ، وَأَنَّ الْعَشْرَةَ كَانُوا يَعْقُبُونَ الْبَعِيرَ الْوَاحِدَ . [٢] وذلك أَنَّهُ اسْتَسْتَرَى بِثَرْ رُومَةٍ (نَفْثِ الرِّاءِ : بِثَرْ بِالْمَدِينَةِ) ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَكَانَ رِشَاؤُهُ فِيهَا كَرِشَاءِ أَحَدِهِمْ ، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « مَنْ حَفَرَ بِثَرْ رُومَةٍ فَلَهُ الْجَنَّةُ » وَأَشْرَفَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الثَّوَارِ حِينَ حَضَرُوهُ وَمَسَعُوا الْمَاءَ عَنْهُ ، فَقَالَ : « أَتَشْدُكُمْ اللَّهُ ، هَلْ عَلِمْتُمْ أَنِّي اسْتَسْتَرْتُ رُومَةً مِنْ مَالِي بِسَعْدَدٍ بِهَا ، فَخَعَلْتُ رِشَاتِي مِنْهَا كَرِشَاءَ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؟ قِيلَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَمَا يَعْنِي أَنْ أَشْرَبَ مِنْهَا حَتَّى أَفْطِرَ عَلَى مَاءِ الْبَحْرِ ؟ ثُمَّ قَالَ : أَتَشْدُكُمْ اللَّهُ هَلْ عَلِمْتُمْ أَنِّي اشْتَرَيْتُ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْأَرْضِ فَرَدَدْتُهُ فِي الْمَسْجِدِ ؟ قِيلَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَهَلْ عَلِمْتُمْ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ مَعَ أَنْ يُصَلِّيَ فِيهِ قَلْبِي ؟ ثُمَّ قَالَ : أَتَشْدُكُمْ اللَّهُ ، هَلْ سَمِعْتُمْ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ كَذَا وَكَذَا — أَشْيَاءَ فِي شَأْنِهِ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ : مَهْلًا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

[٣] وذلك أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَسَلَّمَ لَمَّا قَصَدَ إِلَى مَكَّةَ فِي عَزْوَةِ الْحَدِيثِيَّةِ (سَنَةِ سِتِّ لِهَاجِرَةِ) بَعَثَ عُثْمَانَ بْنَ عَمَانَ إِلَى أَبِي سَفْيَانَ وَأَشْرَافِ قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ زَائِرًا لَا يَتِمُّ وَمَعْلُومًا لِحُرْمَتِهِ ، فَخَرَجَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ وَبَلَغَ الرِّسَالَةَ ، وَاحْتَسَبَتْهُ قُرَيْشٌ عَذْرَاهَا ، فَشَاعَ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : لَا تَبْرَحْ حَتَّى : أَجِزَ الْقَوْمَ ، وَدَعَا الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْيَمَّةِ عَلَى الْمَوْتِ ، فَكَانَتْ بِمَكَّةَ الرِّسَالَةُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، وَبَايَعَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِعُمَانَ ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ الْيَمْنَى عَلَى يَدِهِ الْيَسْرَى وَقَالَ : هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ .

[٤] تَزَوَّجَ عُثْمَانَ السَّيِّدَةَ رُقِيَّةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا مَاتَتْ جَزَعَ عُثْمَانُ عَائِلَهَا وَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ انْقِطِعْ صَهْرِي مِنْكَ ، قَالَ : إِنْ صَهْرُكَ مَيَّ لَا يَقْطَعُ ، وَقَدْ أَمَرَنِي جِبْرِيلُ أَنْ أَرْوِّجَكَ أَحْتَبَا بِأَمْرِ اللَّهِ : السَّيِّدَةُ أُمُّ كَاثُومٍ .

قد أذنب ذنباً ، فقد أذنب من هو خير منه ، قد قال الله سبحانه لنبيه : (لِيَغْفِرَ
لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) وقتل موسى نفسه^(١) ، ثم استغفر الله
فغفر له ، وقد أذنب نوح^(٢) ، ثم استغفر الله فغفر له ، وقد أذنب أبوكم آدم^(٣) ،

[١] وذلك أنه في إبان شأنه بمصر دخل مدينة ميف ذات مرة ، فوجد فيها رجلين يقتتلان قبضاً يسخر
إسرائيلياً ليحمل حطباً إلى مطح فرعون ، فاستمائه الإسرائيلى ، فقال موسى للقبضى خل سبيله ، فقال له
لقد هممت أن أحمه عليك ، فوكره موسى (أى ضربه بجميع كفه) وكان شديد القوة والبطش فقتله ، ولم
يكن يقصد قتله (وذكروا أنه كان إداك ابن اثنتى عشرة سنة) وقد اغتم لذلك خوفاً من عقاب الله ،
ومن اتصاف فرعون واستغفر الله فغفر له ، وفي ذلك يقول الله تعالى : « وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ
غَمَلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ، هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ، وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ،
فَأَسْتَعَاثُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ، فَوَكَّرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ، قَالَ هَذَا
مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ، فَإِنَّ رَبَّ إِيَّيْ ظَلَمْتَ نَفْسِي فَأَغْفِرْ لِي فَقَرَّ لَهُ
إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » (سورة القصص) وقال تعالى : « وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ » (سورة طه).

[٢] يشير إلى ما كان من نوح عليه السلام بشأن ابنه كنعان حين حدث الطوفان ، قال تعالى :
« وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ ، يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا ، وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ،
فَالَ سَاوِيَ إِلَى جِبَلٍ يَافِئُ مِنِّي مِنَ الْمَاءِ ، قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ،
وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ » إلى أن قال : « وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ
إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي (أى وقد وعدتني بنجاتهم) وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ
الْحَاكِمِينَ ، قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ، فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ، قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ
مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ، وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ . » (سورة هود)

[٣] وذلك أنه إذا أسكه الله هو وزوجه حواء الجنة وأباح لهما أن يأكلا من حيث شاءا ، نهاه أن
يقرب شجرة عينها له ، فوسرس له إبليس أن يأكل منها فأطاعه ، وفي ذلك يقول الله تعالى :
« وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ، فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ، وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ
الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ

ثم استغفر الله فغفر له ، ولم يَأْمُرْ أَحَدَكُمْ مِنَ الذُّنُوبِ ، وإنا لنعلم : قد كانت لابن أبي طالب سَابِقَةٌ حَسَنَةٌ مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، فَإِنْ لم يكن مَالًا^(١) على قتل عثمان فقد خذله ، وإِنَّه لأخوه في دينه ، وابنُ عمِّه^(٢) ، وسَلِفُه^(٣) ، وابنُ عمِّه^(٤) ، ثم قد أقبلوا من عراقهم ، حتى نزلوا شامكم وبلادكم وَيَبْضَتُكُمْ^(٥) ، وإنا عامتهم بين قاتل وخاذل ، فاستعينوا بالله واصبروا ، فلقد ابتليتم أَيْشَهَا الْأُمَّةُ ، ولقد رأيت في منامي في ليلتي هذه ، لَكُنَّا وَأَهْلَ الْعِرَاقِ أَعْتَوَرْنَا^(٦) مُصْحَفًا نضربه بسيوفنا ، ونحن في ذلك جميعًا ننادي : وَيَحْكُمُ اللَّهُ ! ومع أنا والله لا نفارق العَرْصَةَ^(٧) حتى نموت ، فعليكم بتقوى الله ، وليكن الثَّبَاتُ لله ، فَإِنِّي سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « إِنَّمَا يُبْعَثُ الْمُقْتَلُونَ عَلَى الثَّبَاتِ » أفرغ الله علينا وعليكم الصبر ، وأعزَّ لنا ولكم النصرَ ، وَكَانَ لَنَا وَلَكُمْ فِي كُلِّ أَمْرٍ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤٨٤)

١٨٥ — خطبة يزيد بن أسد البجلي

وقام يزيد بن أسد البجلي في أهل الشام يخطب الناس بصفين ، وعليه قبائمه

سَوَاءَ انْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَا كَمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ . «سورة الأعراف» [١] ناصر وشايح . [٢] عثمان بن عفان بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وعلى بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . [٣] الساف بفتح فسكون وبكسر فسكون من الرجل : زوج أخت امرأته وقد علمت أن عثمان تزوج السيدة رنية أخت السيدة فاطمة زوج الإمام علي . [٤] أم عثمان هي أروى بنت كرز بن ربيعة ابن حبيب بن عبد شمس ، وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم عمة النبي صلى الله عليه وسلم . [٥] البيضة : ساحة القوم . [٦] اعتوروا الشيء : تداولوه . [٧] العرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء .

من خَزْيٍ وعمامة سوداء ، آخذاً بقاءً سيفه ، واضعاً نَصْلَ السَّيْفِ في الأرضِ متوكئاً عليه ، فقال :

« الحمد لله الواحد الفرد ، ذى الطَّوْلِ ^(١) والجَلَالِ ، العزيز الجَبَّار ، الحكيم الغَفَّار ، الكبير الْمُتَعَال ، ذى الْعَطَاءِ والْفَعَال ^(٢) ، وَالسَّخَاءِ وَالنَّوَال ، والبهاء والجمال ، وَالْمَنِّ والإِفْضَال ، مَالِكِ اليوم الذى لَا يَبِيعُ فيه ^(٣) . وَلَا خِلَالَ ^(٤) ، أُنْحَدُه على حسن البلاء ، وتَظَاهُرُ النِّعْمَاء ، وفي كل حال من شدة أو رخاء ، أُنْحَدُه على نِعَمِهِ التَّوَام ، وآلأُتُهُ الْعِظَام ، حمداً يستنير بالليل والنهار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كلمة النِّجَاة في الحياة الدنيا وعند الوفاة ، وفيها الخلاص يوم الْقِصَاص ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المصطفى ، وإمام الرِّحمة والمهدى ، صلى الله عليه وآله .

ثم كَانَ من قضاء الله أن جَمَعَنَا وأَهْلَ دِينِنَا في هذه الرُّقْمَةِ من الأرض ، والله يعلم أنى كنت كَارِهًا لذلك ، ولكنهم لم يُبْلِعُونَا رِيقَنَا ، ولم يتركونا نرتادُ لأنفسنا ، وننظر لِمَعَادِنَا ، حتى تزلوا بين أَظْهُرِنَا ، وفي حريمنا وَبَيْضَتِنَا ^(٥) ، وقد علمنا أَنَّ في القوم أَحْلَامًا ^(٦) وطَغَامًا ، ولسنا نأمن طَغَامَهُمْ على ذَرَارِينَا ونسائنا ، ولقد كنا نحب أن لا نقاتل أهل ديننا ، فأخرجونا حتى صارت الأمور إلى أن قاتلناهم عِدَا حِمِيَّةٍ ^(٧) ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله رَبِّ العالمين .

[١] الطول : الفصل والقدرة والقي . [٢] الفعال : اسم الفعل الحسن ، والكرم .

[٣] لا يبيع فيه فيبتاع المصر ما يتدارك به تقصيره ، أو يفدى به نفسه . [٤] الخلالة والحالة مصدر

خال : المصادقة ، أى ولا محالة فيه فيدفع لك خليلك . [٥] البيضة : ساحة القوم .

[٦] الحلم بالكسر : الأناة والعقل وهو حليم ، والجمع حلماء وأحلام ، والطغام : أوءد الناس .

[٧] الحمية : الأنفة (وى الأصل عداء ، وأرى صوابه عداء أى أعداء) .

أما والذي بعث محمداً بالرسالة لَوَدِدْتُ أَنِّي مِتُّ مِنْذُ سَنَةٍ ، ولكن الله إذا أراد أمراً لم يستطع العبادُ رَدَّه ، فنستعين بالله العظيم ، وأستغفر الله لى ولكم .
(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤١٥)

التحريض على القتال

من قبل الإمام على أيضاً

١٨٦ - خطبة الامام على

وخطب الإمام على كرم الله وجهه أصحابه ، متوكلين على قوسه ، وقد جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عنده فهم يُلَوْنَه ، كأنه أحب أن يعلم الناس أن الصحابة متوافرون معه ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد : فَإِنَّ الْخِيَلَاءَ ^(١) مِنَ التَّجْبِرِ ، وَإِنَّ النَّخْوَةَ ^(٢) مِنَ التَّكْبَرِ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ حَاضِرٌ ، يَعِدُكُمْ بِالْبَاطِلِ ، أَلَا إِنَّ الْمُسْلِمَ أَخُو الْمُسْلِمِ ، فَلَا تَنَابَذُوا ، وَلَا تَخَازِلُوا ، أَلَا إِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ ، وَسُبُلُهُ قَاصِدَةٌ ^(٣) ، مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ ^(٤) ، وَمَنْ فَارَقَهَا مُحِقَ ^(٥) ، وَمَنْ تَرَكَهَا مَرَقَ ^(٦) ، لَيْسَ الْمُسْلِمُ بِالْخَائِنِ إِذَا أُؤْتِمِنَ ، وَلَا بِالْخَائِفِ إِذَا وَعِدَ ، وَلَا بِالْكَذَّابِ إِذَا نَطَقَ ، نَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ الرَّحْمَةِ ، وَقَوْلُنَا الصِّدْقُ ، وَفِعْلُنَا الْفَضْلُ ، وَمَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَفِينَا قَادَةُ الْإِسْلَامِ ، وَفِينَا حَمَلَةُ الْكِتَابِ ، أَلَا إِنَّا نَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَإِلَى رَسُولِهِ ، وَإِلَى جِهَادِ عَدُوهِ ، وَالشَّدَةِ فِي أَمْرِهِ ، وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ ، وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَتَوْفِيرِ الْفِيءِ عَلَى أَهْلِهِ ، أَلَا وَإِنْ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ أَنْ مُعَاوِيَةَ بْنَ

[١] الخيلاء : الكبر . [٢] النخوة : الافتجار والتعظيم . [٣] اقصد : استقامة الطرق .

[٤] أى أدرك رضا الله وثوابه . [٥] محقه : محاه ، وبحق الله الشئ ذهب ببركته .

[٦] أى خرج عن الدين ، وأصله من مرق السهم من الرمية مروفاً إذا خرج من الجانب الآخر .

أبى سفيان الأموي، وعمر بن العاص السهمي، أصبحا يُحرّضان الناس على طلب الدين بزعمهما، ولقد علمتم أنني لم أخالف رسول الله صلى الله عليه وآله قط، ولم أعصيه في أمر، أقيه بنفسى في المواطن التي ينكص^(١) فيها الأبطال، وترعد فيها الفرائص^(٢)، بنجدة أكرمنى الله سبحانه بها وله الحمد، ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن رأسه لفي حجرى، ولقد ولت غسله يدي وحدي، ثقلته الملائكة المقربون معي، وإيم الله ما اختلفت أمة قط بعد نبيها، إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها إلا ما شاء الله .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨١)

١٨٧ — خطبة أخرى له

وروى أن الإمام علياً قال في هذه الليلة : حتى متى لانا هض القوم بأجمعنا ؟ فقال :

« الحمد لله الذي لا يُبرم ما نقض ، ولا يُنقض ما أبرم ، لو شاء ما اختلف اثنان من هذه الأمة ، ولا من خلقه ، ولا تنازع البشر في شيء من أمره ، ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله ، وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار ، حتى لفت بيننا في هذا الموضع ، ونحن من ربنا بمرأى ومسمع ، ولو شاء لعجل النعمة ، ولكان منه النصر ، حتى يكذب الله الظالم ، ويعلم المحق أين مصيره ، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال ، والآخرة دار الجزاء والقرار ، « لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى » ألا إنكم لاقوا العبدو غداً إن شاء الله ،

[١] تكس عن الأمر : أحجم عنه .

[٢] جمع فريضة ، وهي لمة بين الجنب والكنف لانزال ترعد .

فأطيلوا الليلة القِيَامَ ، وأكثروا تلاوة القرآن ، واسألوا الله الصبر والنصر ،
والثَّوَهُم بِالْجِدِّ والحزم ، وكونوا صادقين » . (شرح ابن أبي الحديد م ١ ص ٤٨١)

١٨٨ — ومن كلام له كرم الله وجهه

كلن يقوله لأصحابه في بعض أيام صنين

« مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ : اسْتَشْعِرُوا ^(١) الْخَشْيَةَ ، وَتَجَلَّبَبُوا السَّكِينَةَ ، وَعَضُّوا
عَلَى الْمَوَاجِدِ ^(٢) ، فَإِنَّهُ أَنْبَى السَّيْفِ عَنِ الْهَامِ ^(٣) ، وَأَكْمَلُوا الْأُمَّةَ ^(٤) ، وَقَلِّقُوا
السَّيْفَ فِي أَغْمَادِهَا ، قَبْلَ سَلِّهَا ^(٥) ، وَالْحَظُوا الْخَزَرَ ^(٦) ، وَاطْمَعْنُوا الشَّرَرَ ^(٧) ،
وَنَافِحُوا بِالطُّبَّا ^(٨) ، وَصَلُّوا السَّيْفَ بِالْخَطَا ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بَعَيْنِ ^(٩) اللَّهِ ، وَمَعَ
ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَعَاوِدُوا الْكِرَ ، وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ ،
فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الْأَعْقَابِ ، وَنَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ، وَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا ، وَامْشُوا إِلَى
الْمَوْتِ مَشْيًا سَنَجًا ^(١٠) ، وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ ^(١١) الْأَعْظَمِ ، وَالرَّوَاقِ الْمُطَنَّبِ ^(١٢) ،
فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ ^(١٣) . فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَاْمِنٌ فِي كِسْرِهِ ^(١٤) ، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَدًا ،

[١] استشعر : لس الشعار وهو ما يلي الدن من الثياب ، وتحلب : لبس الجلباب ، والمراد : لارموا
الخشية والسكينة . [٢] الواحد جمع ناجد : أقصى الأصراس ، وبعض المرء نواخذة حين يشدد
عيطه ، والمراد : استجمعوا كل قوتكم . [٣] فإنه الضمير فيه يعود على المصدر المفهوم من الفعل
السابق أى فإن المعنى على الواحد أنبى للسيوف ، أى أدعى إلى نوبها عن رءوسكم ، نأ السيف عن
الضريبة : كل ، والهام : الرءوس جمع هامة . [٤] الأمة : الدرع ، ويجوز أن يعبر بالأمة عن
جميع أدوات الحرب ، يريد أكلوا السلاح . [٥] مخافة أن تستعصى عن الخروج وقت سلها .
[٦] الخزر : النطر في أحد الشقين ، وتلك أمانة العضب . [٧] الطمن في الجوانب عيباً وشمالاً .
[٨] ناخفوا : كالغوا وضاربوا ، والطبا : جمع طبة ، وهى حد السيف . [٩] أى ملحوظين بها .
[١٠] اللين السهل . [١١] العدد الكثير . يعنى جمهور أهل الشام . [١٢] الرواق : تكسر
الراء وضمها الفسطاط ، يريد به مضرب معاوية المطنب ، أى المشدود بالأطناب (جمع طناب بضم تنين ، وهو
الحبل) وكان معاوية في مضرب عليه قبة عالية وحوله صناديد أهل الشام .
[١٣] أى وسطه . [١٤] جانبه .

وَأَخَّرَ لِلنَّكُوصِ رِجْلًا ، فَصَمَدًا صَمَدًا^(١) ، حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ ، وَأَتَمَّ الْأَغْلَونَ ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ ، وَلَنْ يَتَرَكَمَ^(٢) أَعْمَالَكُمْ . (نهج البلادة ١ : ٥٧)

١٨٩ - خطبة أخرى للإمام

وخطب الإمام على ذلك اليوم أيضاً ، فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ ، قَدْ دَلَّكُمْ عَلَى تِجَارَةِ تُنْجِيكُمْ مِنَ الْعَذَابِ ، وَتُشْفِي^(٣) بَكُمْ عَلَى الْخَيْرِ ، إِيْمَانٍ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ، وَجَمَلِ ثَوَابِهِ مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ ، وَمَسَاكِينِ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ، وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ، وَأَخْبَرَكُمْ بِالَّذِي يَحِبُّ فَقَالَ : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ، كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) فَسَوْثُوا صَفُوفَكُمْ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ ، وَقَدِّمُوا الدَّارِعَ ، وَأَخَّرُوا الْحَاسِرَ ، وَعَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسَّيْفِ عَنِ الْهَامِ ، وَأَرْطَ لِلجَاشِ ، وَأَسْكَنَ لِلْقُلُوبِ ، وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتِ ، فَإِنَّهُ أَطْرَدَ لِلْقَتْلِ ، وَأَوَّلَى بِالْوَقَارِ ، وَالتَّوَوُّا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ ، فَإِنَّهُ أَمُورٌ^(٤) الْأَسِنَّةُ ، وَرَايَتُكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا ، وَلَا تُزِيلُوهَا ، وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ ، الْمَانِعِي الذَّمَّارِ^(٥) ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ نَزُولِ الْحَقَائِقِ ، أَهْلُ الْحِفَاطِ الَّذِينَ يَخْفِرُونَ^(٦) بِرَايَتِكُمْ وَيَكْشِفُونَهَا ، يَضْرِبُونَ خَلْفَهَا وَأَمَامَهَا ، وَلَا يُضَيِّعُونَهَا ، أَجْزَأُ كُلِّ أَمْرٍ مُسْلِمٍ قِرْنُهُ^(٧) ، وَوَأَسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ ، فَيَجْمَعُ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ ، فَيَكْسِبُ بِذَلِكَ اللَّائِمَةَ ، وَيَأْتِي بِهِ دَنَاءَةً ، أَنَّى هَذَا ، وَكَيْفَ يَكُونُ هَكَذَا ؟ هَذَا يَقَابِلُ اثْنَيْنِ ، وَهَذَا مُمْسِكٌ

[١] الصمد : القصد ، صمده من باب نصر قصده . [٢] لن يفتصمكم منها شيئاً .

[٣] أشفى عليه : أشرف . [٤] اسم تفضيل من مار ، سهم مائر : أى حفييف نافع داخل في الأجسام . [٥] ما يلزمك حفظه وحمايته . [٦] خفزه وه وعليه يخفر بكبر الفاء وضما أجاره ومنعه وآمنه . [٧] القرن : كفؤك في الشجاعة (أو طام) وأجراه : أعناه وكماه .

يَدَهُ ، قد خَلَّى قرنَه إلى أخيه هارباً منه ، أوقائماً ينظر إليه ؟ من يَفْعَلُ هذا مقتَه الله ، فلا تَعَرَّضُوا لمقت الله ، فإنما مَرَدُّكم إلى الله ، قال الله تعالى ، لقوم عابهم : (لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ، وَإِذْنٌ لَا تُنْتَمُونَ إِلَّا قَلِيلًا) وإيم الله إن فررتم من سيف الله العاجلة ، لا تسلمون من سيف الآخرة ، استعينوا بالصدق والصبر ، فإنه بعد الصبر يُنْزِلُ النصر .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨٣)

١٩٠ — خطبة للإمام علي

وصراً الإمام على كرم الله وجهه على جماعة من أهل الشام ، فيها الوليد بن عتبة وهم يشتمونه ، فخبّر بذلك ، فوقف فيمن يليهم من أصحابه ، فقال : « انْهَدُوا ^(١) إليهم ، عليكم السكينة والوقار ، وقارُ الإسلام وسيمى الصالحين ، فوالله لأقرب قومٍ من الجهل قائدهم ومؤذنيهم ^(٢) معاوية وابن الزبابة ^(٣) وأبو الأعور السلمي ، وابن أبي مُعَيْط ، شارب الخمر ، المجلود حداً في الإسلام ، وهم أولى من يقومون فيَنَقُصُونِي وَيَجْدُبُونِي ^(٤) ، وقبل اليوم ما قاتلوني ، وأنا إذ ذاك أدعوهم إلى الإسلام ، وهم يدعونني إلى عبادة الأصنام ، الحمد لله ، قديماً عاداني الفاسقون ، فَعَبَّدَهُم ^(٥) الله ، أَلَمْ يَفْتَحُوا ^(٦) ؟ إن هذا هو الخطب الجليل ، إِنَّ فُسَّاقًا كَانُوا غَيْرَ مَرْضِيَّينَ ، وعلى الإسلام وأهله مُتَخَوِّفِينَ ، خدعوا شَطْرَ هذه الأمة ، وَأَشْرَبُوا قُلُوبَهُمْ حُبَّ الْفِتْنَةِ ، واستمالوا أهواءهم بالإفك والبُهتان ،

[١] نهّد الرجل : نهضه ، ونهّد لعدوه : صدّده . [٢] الأذنين : الرّعب .
[٣] هو عمرو بن العاص ، والزبابة : لقب أمه سلمى بنت حرمة . [٤] الحذب : المتكئين : العيب .
[٥] ذلّهم ، المعد : المذلل من الطريق وغيره . [٦] الفتح بالسكون : الفهر ، والعلبة والتذليل كالفتح (وفي الأصل : « أَلَمْ يَفْتَحُوا » وهو تصحيف) .

قد نصبوا لنا الحرب في إطفاء نور الله عز وجل ، اللهم فافضض خدَمَتَهُمْ ^(١) ،
وَشَقَّتْ كَلِمَتَهُمْ ، وَأَبْسَلَهُمْ ^(٢) بِخَطَايَاهُمْ ، فَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ ، وَلَا يَعْزِزُ
مَنْ عَادَيْتَ » . (تاريخ الطبري ٦ : ٢٤)

١٩١ — خطبة أخرى له

ومرّ بأهل راية ، فرآهم لا يزولون عن موقفهم ، فخرّض عليهم الناس ،
— وَذُكِرَ أَنَّهُمْ غَسَّانٌ — فقال :

« إِنْ هَؤُلَاءِ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوْقِفِهِمْ دُونَ طَعْنِ دَرَّالِ ، يُخْرِجُ مِنْهُمْ
النَّسَمَ ^(٣) ، وَضَرْبٍ يُفْلَقُ مِنْهُ الْهَامُ ^(٤) ، وَيَطِيحُ ^(٥) الْعِظَامُ ، وَتَسْقُطُ مِنْهُ
الْمَاصِمُ ^(٦) وَالْأَكْفُ ، وَحَتَّى يُضْدَعَ جِبَاهُهُمْ بِعُمْدِ الْحَدِيدِ ، وَتَنْتَشِرَ
حَوَاجِبُهُمْ عَلَى الصُّدُورِ وَالْأَذْقَانِ ، أَيْنَ أَهْلُ الصَّبْرِ ، وَطُلَّابُ الْأَجْرِ ؟ » .
(تاريخ الطبري ٦ : ٢٥)

١٩٢ — خطبة عبد الله بن عباس

وخطب عبد الله بن عباس أهل العراق بصفين ، فقال :
« الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الَّذِي دَعَا ^(٧) تَحْتَنَا سَبْعًا ، وَسَمَكَ ^(٨) فَوْقَنَا سَبْعًا ،
وَخَلَقَ فِيهَا بَيْنَهُنَّ خَلْقًا ، وَأَنْزَلَ لَنَا مِنْهُنَّ رِزْقًا ، ثُمَّ جَعَلَ كُلَّ شَيْءٍ قَدْرًا يَبْتَلِي

[١] يقال فضّ الله خدمتهم أي فرق جماعتهم ، الخدمة بالتحريك سير عليط مضفور مثل الحلقة يشدّ في
رسغ البعير ، ثم يشدّ إليه سرائح النعل (أي سيورها : جمع سريحة) فإذا انقضت الخدمة انحلت السرائح
وسقطت النعل نصرب ذلك مثلاً لدهاب ما كانوا عليه وتفرقه وشبه اجتماع أمرهم واتساقه بالحلقة المستديرة .
[٢] أبسله : أسلمه للهلاكته ، أي أهلكهم . [٣] جمع نسمة ، وهي نفس الروح (بفتح الفاء)
ثم سميت بها النفس (بالسكون) . [٤] جمع هامة ، وهي الرأس . [٥] يصحّ أن يكون مضارع
طيح بالشدّيد : طيح بشوبه : رمى به في مصيعة ، وطيح الشيء : ضيعه ، وأن يكون مضارع أطاح : أطاح
شعره أسقطه ، والشيء أثناء وأذهب ، وأن يكون مضارع طاح : طاح يطيح ويطوح هلك أو أشرف على
الهلاك وذهب وسقط وقاه في الأرض . [٦] جمع مصم بكسر الميم ، وهو موضع السوار أو اليد .
[٧] دحا الله الأرض يدحوها ويدحها : بسطها . [٨] أي رفع .

وَيَفْنِي ، غير وجهه الحى القيوم ، الذى يحيا ويبقى .

إن الله تعالى بعث أنبياء ورُسُلاً ، فجعلهم حُجَجاً على عباده عُدُوراً وَنُذُراً^(١) ،
لَا يُطَاعُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، يَمُنُّ بالطاعة على من يشاء من عباده ، ثم يُثِيبُ عليها ،
وَيُعْصِي بِعِلْمٍ مِنْهُ ، فيعفو ويغفر بحلمه ، لَا يُقَدَّرُ قدره ، وَلَا يَبْلُغُ شَيْءٌ مكانه ،
أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عدداً ، وأحاط بكل شَيْءٍ علماً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام الهدى والنبي المصطفى .

وقد ساقنا قَدْرُ اللهِ إلى ما تَرَوْنَ ، حَتَّى كَانَ مما اضْطَرَبَ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ
الْأُمَّةِ ، وانتشر من أمرها ، أَنَّ معاوية بن أَبِي سَفْيَانَ وَجَدَ مِنْ طَغَاةِ النَّاسِ أَعْوَانًا
عَلَى ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصِهره ، وَأَوَّلَ ذَكَرٍ صَلَّى مَعَهُ ، بَدْرِيَّ^(٢) قَدْ
شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كُلِّ مَشَاهِدِهِ الَّتِي فِيهَا الْفَضْلُ ، وَمَعَاوِيَةَ
مُشْرِكًا كَانَ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ، وَالَّذِي مَلَكَ الْمَلِكُ وَحْدَهُ ، وَبَانَ بِهِ وَكَانَ أَهْلَهُ ، لَقَدْ
قَاتَلَ عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ : صَدَقَ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ ، وَمَعَاوِيَةُ يَقُولُ : كَذَبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ : فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالْجِدِّ وَالْحَزَمِ
وَالصَّبْرِ ، وَاللَّهِ إِنْ لَعَلَّمْنَا إِنْكُمْ لَعَلَّى حَقٌّ ، وَإِنْ الْقَوْمُ لَعَلَّى بَاطِلٌ ، فَلَا يَكُونُنَّ أَوْلَى
بِالْجِدِّ عَلَى بَاطِلِهِمْ مِنْكُمْ فِي حَقِّكُمْ ، وَإِنْ لَعَلَّمْنَا أَنَّ اللَّهَ سَيُعَذِّبُهُمْ بِأَيْدِيكُمْ أَوْ بِأَيْدِي غَيْرِكُمْ ،
اللَّهُمَّ أَعِنَّا وَلَا تَخْذُلْنَا ، وَانصُرْنَا عَلَى عَدُونَا ، وَلَا تَحُلْ عَنَّا . وافتح بيننا وبين
قومنا بالحق ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ » (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٥٠٤)

[١] هما مصدران : عذره يعذره عذراً بضم فكوا وبضممتين وأندره لندراً ونذراً بضم وكوا
بضميتين ، أو جمعان : العذر بضميتين جمع عذير وهو العاذر ، والدور بضميتين جمع نذير وهو النذر .
[٢] أى حضر عروة بدر الكبرى التى نشبت بين رسول الله عليه الصلاة والسلام وبين مشركي قريش
فى السنة الثانية للهجرة .

١٩٣ - خطبة عبد الله بن بديل الخزاعي

وقام عبد الله بن بُدَيْلُ الْخَزَاعِي في أصحابه فخطبهم ، فقال :
 « إن معاوية ادّعى ما ليس له ، ونازع الأمرَ أهله ، ومن ليس مثله ،
 وجادل بالباطل ، لِيُدْحِضَ ^(١) به الحق ، وصال عليكم بالأعراب والأحزاب ،
 وزَيْنَ لَهُم الضلالة ، وزَرَعَ في قلوبهم حُبَّ الفتنة ، وَأَبْسَ ^(٢) عليهم الأمور ،
 وزَادَهُم رِجْسًا ^(٣) إلى رِجْسِهِمْ ، وأنتم والله على نور وبرهان ، قاتلوا الطغَامَ الجُفَاةَ ،
 قاتلوهم ولا تخشوهم ، وكيف تخشونهم ؟ وفي أيديكم كتابٌ من ربكم ظاهر مُبِينٌ ،
 قوله سبحانه : (اتَّخَشَوْنَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ أَهَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ،
 قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ
 قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) لقد قاتلتهم مع النبي صلى الله عليه وآله ، والله ما هم في هذه بأزكى
 وَلَا أَتْقَى وَلَا أَبَرَّ ، انهضوا إلى عدو الله وعدوكم .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٣)

١٩٤ - خطبة أبي الهيثم بن التيهان

وكان أبو الهيثم بن التيهان يسوّى صفوف أهل العراق ، ويقول :
 « يا معشر أهل العراق ، إنه ليس بينكم وبين الفتح في العاجل ، والجَنَّةِ
 في الآجل ، إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ النَّهَارِ ، فَأَرْسُوا أَقْدَامَكُمْ ، وَسُوُّوا صَفُوفَكُمْ ، أَعِيرُوا
 رَبَّكُمْ جَمَاجِمَكُمْ ، واستعينوا بالله إلهكم ، وجاهدوا عدو الله وعدوكم ، واقتلوهم قتلهم
 الله وأبادهم ، واصْبِرُوا ، فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٤)

[١] دحست الحجة : بطلت ، وأدحضتها : أبطلتها . [٢] التلبس : التحليط .

[٣] الرجس : القدر والمأثم وكل ما استقدر من العمل ، والعمل المؤدّي إلى العذاب .

١٩٥ — خطبة للامام عليّ

وخطب عليّ عليه السلام بصفين أيضاً فقال :

« الحمد لله على نعمه الفاضلة على جميع من خلق من البرّ والفاجر ، وعلى حُجَّبه البالغة على خلقه مَنْ أطاعه منهم ومن عصاه ، إن يَرْحَمَ فبفضله ومَنَّة ، وإن عَذَّبَ فما كَسَبَتْ أيديهم ، وإن الله ليس بِظَلَامٍ للعبيد ، أَمَحَدُهُ على حسن البلاء ، وتظاهر النعماء ، وأستعينه على ما نابنا من أمر الدنيا والآخرة ، وأتوكل عليه ، وكفى بالله وكيلًا ، ثم إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ارتضاه لذلك وكان أهله ، واصطفاه لتبليغ رسالته وجعله رحمةً منه على خلقه ، فكان علمه فيه رءوفاً رحياً ، أكرم خلق الله حسَبًا ، وأجلهم منظرًا ، وأسخاهم نفسًا ، وأبرهم لوالد ، وأوصلهم لرحم ، وأفضلهم علماً ، وأثقلهم حِلماً ، وأوفاهم لعهد ، وآمنهم على عقد ، لم يتعلق عليه مسلم ولا كافر بِظُلْمَةٍ قطُّ ، بَلْ كَانَ يُظْلَمَ فَيَغْفِر ، وَيَقْدِرَ فَيَصْفَح ، حتى مضى صلى الله عليه وآله مطيعاً لله ، صابراً على ما أصابه ، مجاهداً في الله حقَّ جهادِهِ ، حتى أتاه اليقين صلى الله عليه وآله ، فكان ذهابه أعظم المصيبة على أهل الأرض البرّ والفاجر ، ثم ترك فيكم كتاب الله يأمركم بطاعة الله ، وينهاكم عن معصيته .

وقد عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عهداً ، فلست أحميد عنه ، وقد حضرتم عدوكم ، وعلمتم أن رئيسهم منافق يدعوهم إلى النار ، وابن عمّ نبيكم معكم

وَيُنْزِلُ أَظْهَرُكُمْ يَدْعُوكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِلَى طَاعَةِ رَبِّكُمْ، وَالْعَمَلِ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ، وَلَا سِوَاءَ^(١) مَنْ صَلَّى قَبْلَ كُلِّ ذِكْرٍ، لَا يَسْبِقُنِي بِصَلَاةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ أَحَدٌ، وَأَنَا مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، وَمَعَاوِيَةَ طَلِيقٌ، وَاللَّهُ إِنَّا عَلَى الْحَقِّ، وَإِنَّهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ، فَلَا يَجْتَمِعُونَ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَتَفَرَّقُوا عَنْ حَقِّكُمْ، حَتَّى يَغْلِبَ بَاطِلُهُمْ حَقِّكُمْ، قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا يُعَذِّبَهُمْ بِأَيْدِي غَيْرِكُمْ» .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٥٠٣)

١٩٦ — خطبة سعيد بن قيس

وَقَامَ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ يَخْطُبُ أَصْحَابَهُ بِقُنَاصِرِينَ^(٢)، فَقَالَ :
« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِدِينِهِ، وَأَوْثَرَنَا كِتَابَهُ، وَامْتَنَّ عَلَيْنَا بِنَبِيِّهِ، فَجَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَسَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدَ الْمُؤْمِنِينَ، وَخَتَامَ النَّبِيِّينَ، وَحُجَّةَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، عَلَى الْمَاضِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ، ثُمَّ كَانَ مِمَّا قَضَى اللَّهُ وَقْدَهُ - وَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَحْيَيْنَا وَكَرِهْنَا - أَنْ ضَمَّنَا وَعَدَّوْنَا بِقُنَاصِرِينَ، فَلَا يَحْمِلُ بِنَا الْيَوْمَ الْحِيَاصُ^(٣)، وَلَيْسَ هَذَا بِأَوَانِ انْصِرَافٍ، وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ^(٤)، وَقَدْ خَصَّنَا اللَّهُ بِمَنْنِهِ بِرَحْمَةٍ لَا نَسْتَطِيعُ أَدَاءَ شُكْرِهَا، وَلَا نَقْدِرُ^(٥) قَدْرَهَا، إِنْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

[١] أى ولا مثل من صلى . [٢] قال صاحب اللسان والقاموس : قنصرين موضع بالشام ، ولم يذكره ياقوت في معجمه .

[٣] حاص عنه يحمي حيصاً ومحيصاً وشاصاً عدل وحاد ، والحياص والحايصة : مفاعلة من الحيص أى العدو والهرب . قال صاحب اللسان : وفي حديث مطرف (بتشديد الراء المكسورة) أنه خرج من الطاعون فليل له في ذلك ، فقال : « هو الموت نحايصة ولا بد منه » « قال أبو عبيد معناه : نروغ عنه » وليس بين العبد والموت مفاعلة ، وإنما المعنى أن الرجل في فرط حرصه على الفرار من الموت كأنه يباريه ويمالبه ، فأخرجه على المعاملة لكونها موضوعة لإفادة المباراة والمعالجة بالفعل ، كقوله تعالى : « يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ » فيقول معنى نحايصة إلى قولك نحصر على الفرار منه اه .

[٤] النوص والمناص : التأخر والفرار ، ناص عن قرنه ينوص : فرّ وراغ ، أى وليس الوقت وقت تأخر وفرار . [٥] قدر الشيء قدره من التقدير وبابه صرب ونصر « وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ » أى ما عظموه حق تعظيمه .

وآله الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارَ معنا وفي حَيِّزَنَا ، فوالله الذي هو بالعباد بصير ، أَنْ لو
كَانَ قَائِدُنَا رجلاً مَخْدُوعاً ، إِلَّا أَنْ معنا من البدرين سبعين رجلاً ، لكان ينبغي
لنا أَنْ تَحْسُنَ بَصَائِرُنَا ، وَتَطِيبَ أَنْفُسُنَا ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا رَئِيسُنَا ابن عم نبينا ،
بَذَرِيٍّ صِدْقٍ ، صَلَّى صَغِيرًا ، وَجَاهَدَ مع نَبِيِّكُمْ ﷺ كَثِيرًا ، وَمَعَاوِيَةَ طَلِيقًا مِنْ
وَثَاقٍ ^(١) الْأَسَارَى ، إِلَّا أَنَّهُ أَخُو جُفَاةٍ ، فَأُورِدَهُمُ النَّارَ ، وَأُورِثَهُمُ الْعَارَ ، وَاللَّهُ
مُحِلٌّ بِهِمُ الذِّلَّ وَالصَّغَارَ ^(٢) ، أَلَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ عَدُوَّكُمْ غَدًا ، فَعَالَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ مِنْ
الْجِدِّ وَالْحَزْمِ وَالصَّدَقِ وَالصَّبْرِ ، فَإِنَّ اللَّهَ مع الصَّابِرِينَ ، أَلَا إِنَّكُمْ تَفُوزُونَ بِقَتْلِهِمْ ،
وَيَسْقَوْنَ بِقَتْلِكُمْ ، وَاللَّهُ لَا يَقْتُلُ رَجُلًا مِنْكُمْ رَجُلًا مِنْهُمْ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْقَاتِلَ جَنَاتٍ
عَذَنٍ ، وَأَدْخَلَ الْمَقْتُولَ نَارًا تَلْمِظِي ، لَا تَفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهَا مُبْلِسُونَ ^(٣) ، عَصَمَنَا
اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِمَا عَصَمَ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ ، وَجَعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ أَطَاعَهُ وَاتَّقَاهُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ
الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٣)

١٩٧ — خطبة يزيد بن قيس الأرحبي

وَحَرَضَ يَزِيدُ بْنُ قَيْسٍ الْأَرْحَبِيُّ أَهْلَ الْعِرَاقِ بِصَفَيْنَ ، فَقَالَ :
« إِنَّ الْمُسْلِمَ مِنْ سَلِمَ دِينُهُ وَرَأْيُهُ ، وَإِنْ هُوَ لَأَهْلُ الْقَوْمِ وَاللَّهُ مَا إِنْ يِقَاتِلُونَا عَلَى
إِقَامَةِ دِينِ رَأُونَا ضِيَعْنَاهُ ، وَلَا عَلَى إِحْيَاءِ حَقِّ رَأُونَا أَمْتَنَاهُ ، وَلَا يِقَاتِلُونَا إِلَّا
عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا ، لِيَكُونُوا فِيهَا جَبَّارَةً وَمُلُوكًا ، وَلَوْ ظَهَرُوا عَلَيْكُمْ — لَا أَرَاهُمُ اللَّهَ

[١] الوثاق بالفتح ويكسر : ما يشد به ، وأوثقه في الوثاق شدة « فَشُدُّوا الْوُثَاقَ »

[٢] الذل والصغار . [٣] من أبلس إذا بلس وتبحر .

ظهوراً ولا سروراً - إذن لوليكم مثل سعيد^(١) والوليد^(٢) وعبد الله بن عامر^(٣) السفية ، يحدث أحدهم في مجلسه بذيت وذيت^(٤) ، يأخذ مال الله ، ويقول : لا إثم على فيه ، كأننا أعطى ثرائه من أبيه ، كيف ؟ إنما هو مال الله ، أفاءه علينا بأسياقنا ورماحنا ، قاتلوا : عباد الله : القوم الظالمين ، الحاكمين بغير ما أنزل الله ، ولا تأخذكم فيهم لومة لائم ، إنهم إن يظهروا عليكم ، يفسدوا دينكم ودنياكم ، وهم من قد عرفتم وجرّبتهم ، والله ما أرادوا باجتماعهم عليكم إلا شراً ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم »

(تاريخ الطبرى ٦ : ١٠ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٥)

١٩٨ — خطبة هاشم بن عقبة المرقال

وَشَدَّ هَاشِمُ بْنُ عُتْبَةَ الْمَرْقَالُ^(٥) فِي عِصَابَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ مَرَاراً ، فَلَيْسَ مِنْ وَجْهِ يَحْمِلُ عَلَيْهِ ، إِلَّا صَبَّرَ لَهُ ، وَقَاتَلَ فِيهِ قِتَالاً شَدِيداً ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ :

[١] هو سعيد بن العاص بن سعيد بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، قتل أبوه العاص يوم بدر كافراً ، قتله علي بن أبي طالب ، وقد استعمل عثمان بن عفان سعيداً على الكوفة بعد الوليد بن عقبة ابن أبي معيط ، وولاه معاوية في خلافته المدينة ، فكان يوليه إذا عزل مروان بن الحكم عن المدينة ، ويولى مروان إذا عزله . [٢] هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط ابن بن أبي عمرو ذكوان بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه (أمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب ابن عبد شمس) ولله عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص ، ثم عزله حين اتهم بشرب الخمر ، واستعمل بعده سعيد بن العاص . [٣] هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو ابن خال عثمان بن عفان ، استعمله عثمان على البصرة بعد أبي موسى الأشعري ، وولاه أيضاً بلاد فارس بعد عثمان بن أبي العاص ، ولم يزل والياً على البصرة إلى أن قتل عثمان ، وقد ولاه معاوية البصرة ثلاث سنين . [٤] ذيت وذيت مثناة الآخر ، أى كيت وكيت .

[٥] هو هاشم بن عتبة بن أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص ، ولقب بالمرقال لأن علياً رضى الله عنه أعطاه الراية بصفين ، فكان يرقل بها أى يسرع ، وهو الذى انتح جلولاء من بلاد الفرس ، وكانت جلولاء تسمى فتح الفتوح ، وفقت عينه يوم اليرموك بالشام ، وقتل فى وقعة صفين ، قطعت رجله يومئذ ، فجعل يقاتل من دنا منه وهو بارك .

« لا يَهْوُلَنَّكُمْ مَا تَرَوْنَ مِنْ صَبْرِهِمْ ، فَوَاللَّهِ مَا تَرَوْنَ فِيهِمْ إِلَّا حِمِيَّةَ الْعَرَبِ ،
وصبرها تحت رَايَاتِهَا ، وعند مِرَاكِزِهَا ، وإِنَّهُمْ لَعَلَى الضَّلَالِ ، وَإِنَّكُمْ لَعَلَى الْحَقِّ ،
يَا قَوْمِ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا واجتمعوا ، وامشوا بنا إِلَى عَدُونَا ، عَلَى ثَوَدَةٍ رُوَيْدًا ،
ثُمَّ اثْبُتُوا وَتَنَاصَرُوا ، وَادْكُرُوا اللَّهَ ، وَلَا يَسْأَلُ رَجُلٌ أَخَاهُ ، وَلَا تُكْثِرُوا
الِاتِّفَاتِ ، وَاصْمُدُّوا ^(١) صَمْدَهُمْ ، وَجَاهِدُوا مُحْتَسِبِينَ ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ . (تاريخ الطبري ٦ : ٢٢)

١٩٩ — خطبة عمار بن ياسر

وقام عمار بن ياسر يوم صفين ، فقال :

« انهضوا معي : عِبَادَ اللَّهِ : إِلَى قَوْمٍ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ بَدْمَ ظَالِمٍ ، إِنَّمَا
قَتَلَهُ الصَّالِحُونَ الْمُنْكَرُونَ لِلْعُدْوَانِ ، الْآمُرُونَ بِالْإِحْسَانِ ، فَقَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ
لَا يَبَالُونَ إِذَا سَلِمَتْ لَهُمْ دُنْيَاهُمْ ، وَلَوْ دَرَسَ ^(٢) هَذَا الدِّينُ ، لِمَ قَتَلْتُمُوهُ ؟ فَقُلْنَا :
لِأَحْدَاثِهِ ، فَقَالُوا : إِنَّهُ لَمْ يُحْدِثْ شَيْئًا ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ مَكْنَنُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا ، فَهُمْ
يَأْكُلُونَهَا وَيَرْعَوْنَهَا ، وَلَا يَبَالُونَ لَوْ انْهَدَمَتِ الْجِبَالُ ، وَاللَّهِ مَا أَظْنَهُمْ يَطْلُبُونَ بَدْمَ ،
وَلَكِنَّ الْقَوْمَ ذَاقُوا الدُّنْيَا ، فَاسْتَحْلَوْهَا وَاسْتَمَرَّ وَهًا ^(٣) ، وَعَلِمُوا أَنَّ صَاحِبَ الْحَقِّ
لَوْ وَلِيَهُمْ لَحَالٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَأْكُلُونَ وَيَرْعَوْنَ مِنْهَا ، إِنْ الْقَوْمُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ
سَابِقَةٌ فِي الْإِسْلَامِ ، يَسْتَحِقُّونَ بِهَا الطَّاعَةَ وَالْوَلَايَةَ ، نَخْدَعُوا أَتْبَاعَهُمْ بِأَن قَالُوا :
قُتِلَ إِمَامُنَا مَظْلُومًا : لِيَكُونُوا بِذَلِكَ جَبَابِرَةً وَمُلُوكًا ، تِلْكَ مَكِيدَةٌ قَدْ بَلَّغُوا بِهَا مَا
تَرَوْنَ ، وَلَوْلَاهَا مَا تَابَعَهُمْ مِنَ النَّاسِ رَجُلٌ ، اللَّهُمَّ إِنْ تَنْصُرْنَا ، فَطَالَمَا نَصَرْتَ ،

[١] أَيْ افصدوا جهنم [٢] احمى . [٣] استمرأ الطعام : وجده مريباً أَيْ هنيئاً حديد المعبية .

وإن تجعل لهم الأمر فادّخر لهم بما أحدثوا لعبادك العذاب الاليم .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٥٠٤ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٢١ ، والكامل لابن الأثير ٣ : ١٢٣)

٢٠٠ — خطبة الأشتر النخعي

وقام الأشتر يخطب الناس بِقُنَاصِرِينَ ، وهو يومئذ على فرس أدهم مثل
حَلَاك^(١) النراب ، فقال :

« الحمد لله الذي خلق السموات العلّٰى ، الرحمن على العرشِ استَوٰى ، له ما في
السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثّرى ، أحمده على حسنِ البلاء ،
وتظاهر النّعماء ، حمداً كثيراً ، بُكْرَةً وأصيلاً ، من هداه الله فقد اهتدى ،
ومن يضلّ فقد غوٰى ، أرسل محمداً بالصواب والهدى ، فأظهره على الدين كله
ولو كره المشركون ، صلى الله عليه وآله .

ثم قد كان مما قضى الله سبحانه وقَدَّرَ ، أن ساقتنا المقاديرُ إلى أهل هذه
البلدة من الأرض ، فَلَمَقَّتْ بيننا وبين عدو الله وعدونا ، فنحن بحمد الله ونعمه
ومنه وفضله ، فريرةٌ أعيننا ، طيبةٌ أنفسنا ، نرجو بقتالهم حُسْنَ الثواب ،
والأمن من العقاب ، معنا ابن عم نبينا ، وسيف من سيوف الله على بن أبي
طالب ، صلى مع رسول الله ﷺ ، لم يسبقه إلى الصلاة ذكر ، حتى كان شيخاً
لم يكن له صبوة^(٢) ، ولا نبوة^(٣) ، ولا هفوة^(٤) ، ولا سقطّة ، فقيهٌ في دين الله
تعالى ، عالم بحدود الله ، ذور أي أصيل ، وصبر جميل ، وعفاف قديم ، فاتقوا الله
وعليكم بالحزم والجد ، واعلموا أنكم على الحق ، وأن القوم على الباطل ، إنما تقاتلون

[١] الحلاك : شدة السواد ، وفي الأصل : « حثل » وهو تحريف . [٢] الصبوة : جهلة الفتوة .

[٣] نبا السهم عن الهدف : قمر ولم يصبه ، والمراد أنه لا يعرف عنه تقصير في الدين ولا وهس .

معاوية وأنتم مع البدرين قريب من مائة بدرى ، سوى من حولكم من أصحاب محمد ، أكثر ما معكم رايات قد كانت مع رسول الله ﷺ ، ومعاوية مع رايات قد كانت مع المشركين على رسول الله ﷺ ، فمن يشك في قتال هؤلاء ؟ إلا ميّت القلب ، أنتم على إحدى الحُسنيين ، إما الفتح ، وإما الشهادة ، عصمنا الله وإياكم بما عصم به من أطاعه واتقاه ، وألهمنا وإياكم طاعته وتقواه ، وأستغفر الله لى ولكم . (شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٤)

٢٠١ — خطبة الأشر في المنهزمين من الميمنة

ولما أنهزمت ميمنة العراق ، قال له على : يا مالك ، قال : لبيك ، قال : أنت هؤلاء القوم فقل لهم : « أين فراركم من الموت الذى لن تُعجزوه ، إلى الحياة التى لن تبقى لكم » فضى فاستقبل الناس منهزمين ، فقال لهم هذه الكلمات ، وقال : إلى أيها الناس ، أنا مالك بن الحارث ، أنا مالك بن الحارث ، ثم ظن أنه بالأشتر أعرف في الناس ، فقال : أنا الأشر ، إلى أيها الناس ، فأقبلت إليه طائفة ، وذهبت عنه طائفة ، فنادى : أيها الناس ، عضضتم بهن^(١) آبائكم ، ما أقبح ما قاتلتم منذ اليوم ! أيها الناس : اخلصوا إلى مذحجا^(٢) ، فأقبلت إليه مذحج فقال :

« عضضتم بضتم^(٣) الجنادل ، ما أرضيتم ربكم ، ولا نصحتهم له في عدوكم ، وكيف بذلك وأنتم أبناء الحروب ، وأصحاب الغارات ، وفتيان الصبّاح^(٤) ،

[١] الهن : اسم يكي به من الفرج . [٢] كان الأشر من النخع (بالتحريك) ، وهى قبيلة كبيرة من مذحج باليمن . [٣] الصتم : جمع صتمة (كفرصة) ، وهى الصخرة الصلبة كالصقيفة . [٤] الغارة .

وَفُرَّسَانِ الطَّرَادِ ، وَخُتُوفِ الْأَقْرَانِ ، وَمَذْجِ الطَّعْمَانِ ، الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا يُسَبِّقُونَ
بَثَارَهُمْ ، وَلَا تُطَلُّ دِمَاؤُهُمْ ، وَلَا يُعْرَفُونَ فِي مَوْطِنٍ بِخَسَفٍ ^(١) ، وَأَنْتُمْ حَدَّ أَهْلِ
مِصْرَكم ، وَأَعَزُّ حَيٍّ فِي قَوْمِكُمْ ، وَمَاتَفْعَلُوا فِي هَذَا الْيَوْمِ ، فَإِنَّهُ مَأْثُورٌ بَعْدَ الْيَوْمِ ، فَاتَّقُوا
مَأْثُورَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدٍ ، وَأَصْدُقُوا عَدُوَّكُمْ اللَّقَاءَ ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ ، وَالَّذِي
نَفْسَ مَالِكٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ هَؤُلَاءِ (وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ) رَجُلٌ عَلَى مِثَالِ
جَنَاحٍ بَعُوضَةٍ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنْتُمْ مَا أَحْسَنْتُمْ الْقِرَاعَ ^(٢) ، اجْلُؤُوا
سَوَادَ وَجْهِهِ ، يَرْجِعُ فِي وَجْهِهِ دَمِي ، عَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ ، فَإِنَّ اللَّهَ
عَزَّ وَجَلَّ لَوْ قَدْ فَضَّهَ ، تَبِعَهُ مِنْ بَجَائِبِهِ كَمَا يَتَّبِعُ مُؤَخَّرَ السَّيْلِ مُقَدَّمَهُ .
قَالُوا خُذْ بِنَا حَيْثُ أَحْبَبْتَ .

(تاريخ الطبري ٦ : ١١ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٧)

٢٠٢ — خطبة أخرى له فيهم

وَرَوَى أَنَّهُ لَمَّا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ عُظُمَاءُ مَنْ كَانَ انْهَزَمَ عَنِ الْمِيمَنَةِ حَرَّضَهُمْ ،
ثُمَّ قَالَ :

« عَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ مِنَ الْأَضْرَاسِ ، وَاسْتَقْبِلُوا الْقَوْمَ بِهَامِكُمْ ، وَشُدُّوا
عَلَيْهِمْ شِدَّةَ قَوْمِ مَوْتُورِينَ ^(٣) ، ثَارًا بِآبَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ، حِنَاقًا عَلَى عَدُوِّهِمْ ، قَدْ
وَطَّنُوا عَلَى الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ ، كَيْلًا يُسَبِّقُوا بِوَتَرٍ ، وَلَا يُلْحَقُوا فِي الدُّنْيَا عَارًا ، وَآيَمُ
اللَّهِ مَا وَتَرَ قَوْمٌ قَطُّ بِشَيْءٍ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يُوتَرُوا دِينَهُمْ ، وَإِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ
لَا يَقَاتِلُونَكُمْ إِلَّا عَنْ دِينِكُمْ ، لِيُمِيتُوا الشُّنَّةَ ، وَيُحْيُوا الْبِدْعَةَ ، وَيُعِيدُواكُمْ فِي ضَلَالَةٍ
قَدْ أَخْرَجَكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهَا بِحَسَنِ الْبَصِيرَةِ ، فَطَيَّبُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنْفُسًا بِدِمَائِكُمْ

[١] الحسب : الدل . [٢] المقارعة والمناضلة . [٣] وتره : إذا أصابه وتر ، وهو الثار .

دون دينكم ، فإن ثوابكم على الله ، والله عنده جنات النعيم ، وإن الفِرَار من الزحف فيه السِّلْبُ للعز ، والغلبةُ عَلَى الْفَيْءِ ، وذلّ المَحْيَا والمَمَات ، وعارُ الدنيا والآخرة ، وسخط الله وأليم عقابه .

(تاريخ الطبرى ٦ : ١٢ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨٧)

٢٠٣ — خطبة على فيهم وقد عادوا إلى مواقفهم

ولما رأى الإمام كرّم الله وجهه ميمنته قد عادت إلى موافقتها ومَصَافَّها ، وكشفت مَنْ يَزَاها من عدوها ، حتى ضاربوهم في مواقفهم ومراكزم ، أقبل حتى أنهى إليهم فقال :

« إني قد رأيت جَوَلْتكم وانحيازكم عن صفوفكم ، يَحُوزكم الطُّغَاةُ الجُفَاةُ ، وأعرابُ أهل الشام ، وأنتم لهَامِيم ^(١) العرب ، والسَّانِمُ الأعظم ، وعُمَّار الليل بتلاوة القرآن ، وأهل دعوة الحق إذ ضل الخاطئون ، فلولا إقبالكم بعد إدباركم وكرهكم بعد انحيازكم ، وجب عليكم ماوجب على المُوَلَّى يومَ الزحفِ دُبْرُهُ ، وكنتم من الهالكين ، ولكن هَوَّنَ وَجْدِي ، وَشَفَى بَعْضَ أُحَاحٍ ^(٢) نفسى ، أنى رأيتم بأخْرة ^(٣) حُزْتُمهم كما حازوكم ، وأزَلْتُمهم عن مصافكم كما أزالوكم ، تَحُسُّونَهُمْ ^(٤) بالسيوف تركب أولاهم أخراهم كالإبل المطرودة الهيم ^(٥) ، فالآن فاصبروا نزلت عليكم السكينة ، وثبَّتكم الله عز وجل باليقين ، وليعلم المنهزم أنه

[١] اللهم ، واللهيم (بكسر اللام والميم فيهما) : الساق الجواد من الحيل والناس .

[٢] الأُحاح : البيط وحرارة الغم . [٣] يقال جاء أخرة وبأخرة محركتين وقد يضم أولهما .

أى آخرأ . [٤] من الحس بالفتح : وهو القتل والاستئصال . [٥] العطاش : جمع أهيم وهيماء (والهيام بالضم : أشد العطش) .

مُسَخِّطُ رَبِّهِ ، وَمُؤَبِّقٌ^(١) نفسه ، إن في الفرار مَوْجِدَةً^(٢) الله عز وجل عليه ،
وَالَّذِلَّ اللّٰزِمَ لَهُ ، وَالْعَارَ الْبَاقِي ، واعتصارَ الفِءِ من يده ، وفساد العيش عليه ،
وإن الفارَّ لا يزيد الفرار في عمره ، ولا يُرْضَى ربه ، فموت المرء مُحِقًّا قبل إتيان
هذه الخصال ، خير من الرضا بِالتَّلَبُّسِ بِهَا وَالْإِصْرَارِ عَلَيْهِ .

(تاريخ الطبرى ٦ : ١٣ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨٨)

٢٠٤ — خطبة خالد بن معمر

ولما ولى الإمام خالد بن معمر راية ربيعة ، وحمل عليها أهل الشام حملة
شديدة ، وانهزم ناس من قومه ، صاح بمن انهزم ، وقال يومئذ :
« يا معشر ربيعة : إن الله عز وجل قد أتى بكل رجل منكم من مَنبَتِهِ ،
وَمَسَقَطِ رَأْسِهِ ، لَجْمَعِكُمْ فِي هَذَا الْمَسْكَانِ جَعَالُكُمْ يَجْمَعُكُمْ مِثْلُهُ مُنْذُ نَشَرَكُمُ فِي الْأَرْضِ ،
فَإِنْ تُمْسِكُوا أَيْدِيَكُمْ وَتَنْكُلُوا^(٣) عَنْ عَدُوِّكُمْ ، وَتَزُولُوا عَنْ مَصَافِكُمْ ، لا يَرْض
اللهُ فَعْلَكُمْ ، وَلا تَعْدُمُوا مِنَ النَّاسِ مَعِيًّا يَقُولُ : فَضَحْتَ رِيبَةَ الدِّمَارِ^(٤) ،
وَحَاصَّتْ^(٥) عَنِ الْقِتَالِ ، وَأُتِيتْ مِنْ قِبَلِهَا الْعَرَبُ ، فَإِيَّاكُمْ أَنْ تَتَشَاءَ بِكُمْ الْعَرَبُ
وَالْمَسَامُونَ الْيَوْمَ ، وَإِنْكُمْ إِنْ تَمْضُوا مُقْبِلِينَ مُقَدِّمِينَ ، وَتَصْبِرُوا مُحْتَسِبِينَ ، فَإِنْ
الْإِقْدَامَ لَكُمْ عَادَةً ، وَالصَّبْرَ مِنْكُمْ سَجِيَّةً ، وَاصْبِرُوا وَنِدَّتْكُمْ أَنْ تُؤْجَرُوا ، فَإِنْ
ثَوَابَ مَنْ نَوَى مَا عِنْدَ اللَّهِ شَرَفُ الدُّنْيَا وَكَرَامَةُ الْآخِرَةِ ، وَلَنْ يَضِيعَ اللَّهُ أَجْرَ مَنْ
أَحْسَنَ عَمَلًا » . (تاريخ الطبرى ٦ : ١٩ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٩٦)

[١] مهلك . [٢] أى غضبه . [٣] أى تنكصوا وتجنبوا .

[٤] ماتجب حمايته و-فظه . [٥] هربت وفرت .

٢٠٥ — خطبة عقبة بن حديد النمرى

وقال عُقْبَةُ بْنُ حَدِيدِ النَّمَرِيِّ يوم صفين لأهله وأصحابه :

« أَلَا إِنْ مَرَعَى الدُّنْيَا قَدْ أَصْبَحَ هَشِيماً ^(١) ، وَأَصْبَحَ شَجَرُهَا خَضِيذاً ^(٢) ، وَجَدِيدُهَا سَمَلاً ^(٣) ، وَخُلُوها مُرٌّ الْمَذَاقُ ، أَلَا وَإِنِّ أَنْبَأَكُمْ نَبَأَ أَمْرٍ صَادِقٍ : إِنِّى قَدْ سَمِيتُ الدُّنْيَا ، وَعَزَفْتُ ^(٤) نَفْسِى عَنْهَا ، وَقَدْ كُنْتُ أَتَمْنَى الشَّهَادَةَ ، وَأَتَعَرَّضُ لَهَا فِي كُلِّ جَيْشٍ وَغَارَةٍ ، فَأُبَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَنْ يُبَلِّغَنِى هَذَا الْيَوْمَ ، أَلَا وَإِنِّى مُتَعَرِّضٌ لَهَا مِنْ سَاعَتِى هَذِهِ ، قَدْ طَمَعْتُ أَلَّا أُحْرَمَهَا ، فَاتَنْتَظِرُونَ ، عِبَادَ اللَّهِ بِجِهَادٍ مِّنْ عَادِى اللَّهِ ، أَخَوْفَا مِنْ الْمَوْتِ الْقَادِمِ عَلَيْكُمْ ، الزَّاهِبِ بِأَنْفُسِكُمْ لِمَحَالَةٍ ؟ أَوْ مِنْ ضَرْبَةٍ كَفَّ بِالسَّيْفِ ؟ أَلَسْتَبْدِلُونَ الدُّنْيَا بِالنَّظَرِ فِي وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمِرَافَقَةِ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ ، وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي دَارِ الْقَرَارِ ؟ مَا هَذَا بِالرَّأْيِ السَّدِيدِ ! » .

ثم مضى فقال : « يَا إِخْوَتِى إِنِّى قَدْ بَعَثْتُ هَذِهِ الدَّارَ بِأَتَى أَمَامِهَا ، وَهَذَا وَجْهٌ إِلَيْهَا . لَا تُبْرِحْ وَجُوهُكُمْ ، وَلَا يَقْطَعْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رِجَاءَكُمْ » فَتَبِعَهُ إِخْوَتُهُ وَقَالُوا : « لَا نَطْلُبُ رِزْقَ الدُّنْيَا بَعْدَكَ ، فَقَبِّحَ اللَّهُ الْعَيْشَ بَعْدَكَ : اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْتَسِبُ أَنْفُسَنَا عِنْدَكَ » . فَاسْتَقْدَمُوا فَقَاتَلُوا حَتَّى قَتَلُوا .

(تاريخ الطبرى ٦ : ١٥ ، شرح ابن أبى الحديد ١ ص ٤٩٠)

٢٠٦ — خطبة خنثر بن عبيدة بن خالد

وكان من « مُحَارِبٍ » . رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ خَنْثَرٌ بْنُ عُبَيْدَةَ بْنِ خَالِدٍ ، وَكَانَ مِنْ

[١] الحشيم من النبات : اليابس المنكسر . [٢] مقطوعاً ، خسده : كضربه ، فهو خضيد ومخضود .

[٣] السمل : الخلق من الثياب . [٤] انصرفت .

أشجع الناس ، فلما اقتتل الناس يوم صفين ، جعل يرى أصحابه منهزمين ، فأخذ ينادى :

« يا معشر قيس ، أطاعةُ الشيطانِ آثرُ ^(١) عندكم من طاعة الرحمن ؟ ألا إنَّ الفرار فيه معصية الله سبحانه وسخطه ، وإن الصبر فيه طاعة الله عز وجل ورضوانه ، أفتختارون سخط الله تعالى على رضوانه ، ومعصيته على طاعته ؟ ألا إنما الراحة بعد الموت لمن مات محاسباً نفسه ، ثم قال :

لَا وَالَّتِ نَفْسُ امْرِئٍ وَلَّى الدُّبُرَ ^(٢) أنا الذى لا ينثنى ولا يفر
وَلَا يُرَى مع المَعَاذِلِ الْغُدْرَ ^(٣)

(تاريخ الطبرى ٦ : ١٨ ، شرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٤٩٥)

٢٠٧ — تحريض معاوية أيضاً

وخطب معاوية الناس بصفين فقال :

« الحمد لله الذى دنا فى علوه ، وعلا فى دنوه ، وظهر وبطن ، وارتفع فوق كل ذى منظر ، هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، يقضى فيفصل ، ويقدر فيغفر ، ويفعل ما يشاء ، إذا أراد أمراً أمضاه ، وإذا عزم على شىء قضاه لا يؤامر ^(١) أحداً فيما يملك ، ولا يُسأل عمماً يفعل وهم يسألون ، والحمد لله رب العالمين على ما أحببنا وكرهنا .

وقد كان فيما قضاه الله أن ساقتنا المقادير إلى هذه البقعة من الأرض ، ولَفَّت بيننا وبين أهل العراق ، فنحن من الله بمنظر ، وقد قال الله سبحانه وتعالى :

[١] أفضل . [٢] وأل : طلب النجاة ، وخلص . [٣] المعاذيل : جمع معزال بكسر الميم ، وهو الضعيف الأحمق (ومن لاسلاح معه ، ومن يعتزل أهل المبسر لؤماً) ، والغدر : جمع غدور مبالغة من عادر . [٤] أى لا يشاور .

« وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ » انظروا يا أهل الشام ، إنكم غداً تَلْقَوْنَ أهل العراق ، فكونوا على إحدى ثلاث خصال : إما أن تكونوا طلبتم ما عند الله في قتال قوم بَنَوْا عليكم ، فَأَقْبَلُوا من بلادهم حتى نزلوا في يَبْضَتِكُمْ ^(١) ، وإما أن تكونوا قومًا تطلبون بدم خليفتم وصهر نبيكم ، وإما أن تكونوا قومًا تَدُبُّونَ عن نسائكم وأبنائكم ، فعليكم بتقوى الله والصبر الجميل ، وأسألوه الله لنا ولكم النصر ، وأن يفتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وهو خير الفاتحين » (شرح ابن أبي الحديد م ١١ ص ٤٩٧)

٢٠٨ - ماخاطب به النعمان بن بشير قيس بن سعد

في وقعة صفين

وقف النعمان بن بشير الأنصاري بين الصَّفَّينِ بِصِفِّينِ فقال :

« يَا قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ ، أما أنصفكم من دعاكم إلى مارضى أنفسه ؛ إنكم يا معشر الانصار ، أخطأتم في خذل عثمان يوم الدار ، وقنيلكم أنصاره يوم الجمل ، وإقحامكم ^(٢) على أهل الشام بصفين ، فلو كنتم إذ خذلتهم عثمان خذلتهم عليًا ، كان هذا بهذا ، ولكنكم خذلتهم حقًا ، ونصرتهم باطلاً ، ثم لم ترضوا أن تكونوا كالناس ، شعلتم ^(٣) الحرب ، ودعوتهم إلى البراز ، فقد والله وجدتم رجال الحرب من أهل الشام سراعًا إلى برازكم ، غير أنكاسٍ ^(٤) عن حربكم ، ثم لم ينزل بعلي أمرٌ

[١] ساحتم . [٢] قحم في الأمر : رمى بنفسه فيه من غير روية ، وأقحمت الفرس النهر : أدخلته

فيه فاقحمه وافتحم . [٣] شعل النار ، وأشعلها : ألهبها .

[٤] أنكاس : جمع نكس (بالكسر) ، وهو الضعيف المقصر .

قَطُّ إِلَّا هَوَّيْتُمْ عَلَيْهِ الْمَصِيبَةَ ، و وعدتموه الظفر ، وقد والله أخلفتموه ، وهان علينا
بأسكم ، وما كنتم لِتُخْلُوا به أنفسكم من شدتكم في الحرب ، وقد رتكم على عدوكم ،
وقد أصبحتم أذلاء على أهل الشام ، لا يرون حربكم شيئاً ، وأنتم أكثر منهم
عدداً ومداً ، وقد والله كاثروكم بالقلّة ، فكيف لو كانوا مثلكم في الكثرة ، والله
لا تزالون أذلاء في الحرب بعدها أبداً ، إلا أن يكون معكم أهل الشام ، وقد أخذت
الحرب منا ومنكم ما قد رأيتم ، ونحن أحسن بقيةً ، وأقربُ إلى الظفر ، فاتقوا الله
في البقية » فضحك قيس وقال :

٢٠٩ — جواب قيس بن سعد

« والله ما كنت أراك يا نعمان تجترئ على هذا المقام ، أما المُنْصِفُ الحقُّ
فلا ينصح أخاه مَنْ غَشَّ نفسه ، وأنت والله الغاش لنفسه ، المبطل فيما نصّحَ
غيره ، أما ذكر عثمان فإن كان الإيماز يكفيك نخذه ، قَتَلَ عثمان من لستَ خيراً
منه ، وخذله من هو خير منك ، وأما أصحاب الجمل فقاتلناهم على النّكث ، وأما
معاوية ، فلو اجتمعت العرب على بيعته لقاتلتهم الأنصار ، وأما قولك إنا لسنا
كالناس ، فنحن في هذه الحرب كما كنا مع رسول الله ، تلقى السيوف بوجوهنا ،
والرماح بنحورنا ، حتى جاء الحق ، وظهر أمر الله وهم كارهون ، ولكن انظريا نعمان ،
هل ترى مع معاوية إلا طليقاً أعرابياً ، أو يمانياً مُسْتَدْرَجاً ^(١) ، وانظرا ين
المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان ، الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ثم

[١] استدوجه : خدعه وأذناه .

انظر هل ترى مع معاوية غيرك وَصَوِّحْبِكَ^(١) ، ولستما والله بدريّين ولا عَقَبَيْنِ^(٢) ، ولا لكما سابقة في الإسلام ، ولا آية في القرآن .

(الإمامة والسياسة : ١ : ٨٣)

خطب الشيعيات في وقعة صفين

٢١٠ — خطبة عكرشة بنت الأطرش

دُخِلَتْ عِكرشة بنت الأطرش على معاوية متوكئة على عُكَّاز ، فسلمت عليه بالخلافة ثم جلست ، فقال لها معاوية : الآن يا عكرشة صرت عندك أمير المؤمنين ؟ قالت نعم ، إذ لا علىّ حيّ ، قال : أَلَسْتَ المتقلدة حمائل السيوف بصفين ، وأنت واقفة بين الصفين تقولين :

« أيها الناس : عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم ، إن الجنة لا يَرْحَلُ من أوطانها ، ولا يَهْرَم من سكنها ، ولا يموت من دخلها ، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ، ولا تنصرم همومها ، وكونوا فوماً مستبصرين في دينهم ، مستظهرين^(٣) بالصبر على طلب حقهم ، إن معاوية ذلف^(٤) إليكم بعجم العرب ، غُلِفَ^(٥) القلوب ، لا يَفْقَهُونَ الإيمان ، ولا يدرون الحكمة ، دعاهم بالدنيا فأجابوه ، واستدعاهم إلى الباطل فلبّوه ، فالله الله عباد الله في دين الله ، إياكم والتواكل فإن ذلك يَنْقُضُ عُرَا الإسلام ، وَيُطْفِئُ نور الحق ، هذه بذر الصغرى ،

[١] أراه يعني به عمرو بن العاص ، وقد كاد أكبر أعوان معاوية ونصرائه ، طاقده على نصرته ، على أن يجعل له مصر طعمة . [٢] أي لاثنين حضروا وقعة بدر مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا ممن يابعوه في العقبة .

[٣] مستعينين . [٤] ذلف : شئ شئ المقيد ، وفي التعبير به إيماء إلى ضعف معاوية ووهن قوته .

[٥] جمع أغلف وقلب أغلف كأنما عشى بغلاف فهو لا يمي .

وَالْعَقَبَةُ^(١) الأخرى ، يا معشر المهاجرين والأنصار ، امضوا على بصيرتكم ،
واصبروا على عزيمتكم ، فكأنني بكم غدا ، وقد اقيتم أهل الشام كالحُمُرِ الناهقة ،
تَصْقَعُ^(٢) صَقَعَ البعير .

فكأنني أراك على عصاك هذه ، وقد انكفأ عليك العسكران ، يقولون هذه
عكرشة بنت الأطرش بن رَواحة ، فإن كدتِ اتَقُدِّينَ أهل الشام لولا قدر الله ،
وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، فما حملك على ذلك ؟ قالت يا أمير المؤمنين بقول الله
جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ .
الآية » وإن اللبيب إذا كره أمراً لا يحب إعادته ، قال صدقت ، فاذا كرى
حاجتك ، قالت : إنه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا ، فترد على فقرائنا ، وإنا
قد فقدنا ذلك ، فما يُجْبِرُنا كسير ، ولا يُنْعَشُ لنا فقير ، فإن كان ذلك عن
رأيك ، فمثلك تنبه من الغفلة ، وراجع التوبة ، وإن كان عن غير رأيك ، فما
منك من استعان بالخَوَنة ، ولا استعمل الظلمة ، قال معاوية : يا هذه إنه ينوبنا
من أمور رعيتنا أمور تنبثق^(٣) ، وبحور تنفهم^(٤) ، قالت : يا سبحان الله !
والله ما فرض الله لنا حقاً ، فجعل فيه ضرراً على غيرنا ، وهو علام الغيوب . قال
معاوية : يأهل العراق ، نبهكم على بن أبي طالب ، فلم تُطَاقوا ، ثم أمر بردَّ
صدقاتهم فيهم ، وإنصافهم . (العقد الفريد ٢ : ١٣١ ، وصح الأعمى ١ : ٢٥٣)

[١] تشير إلى بيعة العقبة (الأولى والثانية) حين بايع المسلمون الأولون من الأنصار النبي صلى الله عليه وسلم بالعقبة على نصرته : أى أن هذه الموقعة دفاع عن الإسلام ونصرة له كذلك .

[٢] الصقع : رفع الصوت ، صقع بصوته رفعه . وى صح الأعمى تصقع صقع البعير . من قصع الجبل بجرته

ردّها إلى جوفه . [٣] انبثق : انفجر ، وانبثق السيل عليهم أقبل ولم يحسبوه . [٤] تلسع .

٢١١ - خطبة أم الخير بنت الحريش

كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش بن سُرَاقَة البارقي برخلها ، وأعلم أنه مجازيه بالخير خيراً ، وبالشر شراً بقولها فيه ، فلما ورد عليه كتابه ، ركب إليها ، فأقرأها كتابه ، فقالت : أما أنا فخير زائفة عن طاعة ، ولا معتلة بكذب ، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين ، لأمرور تحتلج في صدرى . فلما شيعها ، وأراد مفارقتها ، قال لها يا أم الخير : إن أمير المؤمنين كتب إليّ أنه مجازيني بقولك فيّ بالخير خيراً ، وبالشر شراً ، فإلى عندك ؟ قالت يا هذا ، لا يُطمعك برك بى ، أن أسرك بباطل ، ولا يؤيسك معرفتى بك ، أن أقول فيك غير الحق ، فسارت خير مسير ، حتى قدمت على معاوية ، فأنزلها مع الحرّم ، ثم أدخلها في اليوم الرابع وعنده جلساؤه ، فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ! فقال لها : وعليك السلام يا أم الخير ! بحق ما دعوتني بهذا الاسم ؟ قالت : مه يا أمير المؤمنين ، فإن بديهة ^(١) السلطان مدحضة ^(٢) لما يجب علمه ، ولكل أجل كتاب ، قال صدقت ، فكيف حالك يا خالة ، وكيف كنت في مسيرك ؟ قالت لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية ، حتى صرت إليك ، فأنا في مجلس أنيق ، عند ملك رفيق . قال معاوية : بحسن نيتي ظفرت بكم . قالت يا أمير المؤمنين : يعيدك الله من دحض ^(٣) المقال ، وما تُردى عاقبته ، قال : ليس هذا أردنا ، أخبرينا كيف كان كلامك إذ قُتل عمار بن ياسر ؟ قالت لم أكن والله زورته ^(٤) قبل ، ولا رَوَيْته بعد ، وإنما كانت كلمات نفثها لسانى

[١] البديهة أول كل شيء وما يفجأ منه . [٢] المدحضة : المزلة . [٣] دحضت الحجة دحضاً من باب تقع بطلت ورجله زافت ومكان دحض زلق . [٤] زور الشيء : حسنه وقوّمه وهذبه .

عند الصدمة ، فإن أحييت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت ، فالتفت معاوية إلى جلسائه ، فقال : أيكم يحفظ كلامها ؟ فقال رجل منهم أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين . قال هات ؟ قال كَأَنِّي بَهَا بَيْنَ بَرْدَيْنِ زَمِيرَيْنِ ^(١) كَشِيبِي النَّسِيجِ ، وَهِيَ عَلَى جِلِّ أَرْمَلِك ^(٢) ، وَبِيَدِهَا سَوْطٌ مَنْتَشِرُ الضَّفِيرَةِ ، وَهِيَ كَالْفَحْلِ يَهْدُر ^(٣) فِي شِقْشِقَتِهِ تَقُول :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنْ زَلْزَلَتِ السَّاعَةُ شَيْءٌ عَظِيمٌ ، إِنْ اللَّهُ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ الْحَقَّ ، وَأَبَانَ الدَّلِيلَ ، وَبَيَّنَّ السَّبِيلَ ، وَرَفَعَ الْعِلْمَ ، وَلَمْ يَدْعَمْ فِي عَمَلِيَاءٍ مُذْهِمَةً ، فَأَيْنَ تَرِيدُونَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ؟ أَفَرَارًا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمْ فَرَارًا مِنَ الزَّحْفِ ، أَمْ رَغْبَةً عَنِ الْإِسْلَامِ ، أَمْ ارْتِدَادًا عَنِ الْحَقِّ ، أَمَا سَمِعْتُمْ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَقُولُ : « وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ خُبَارَكُمْ » ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول : اللهم قد عيل الصبر ، وضعف اليقين ، وانتشرت الرغبة ، وييدك يارب أزمة القلوب ، فاجمع الكلمة على التقوى ، وألف القلوب على الهدى ، واردد الحق إلى أهله ، هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل ، والرضى التقي ، والصديق الأكبر ، إنها إْحَن ^(٤) بدرية ، وأحقاد جاهلية ، وضغائن أُحْدِيَّة ^(٥) وثب بها معاوية حين الغفلة ، ليدرك ثارات بنى عبد شمس ، ثم قالت : « قَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ ، إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يُنْتَهُونَ » صبراً يامعشر المهاجرين والأنصار

[١] الرُّبْر : ما يملأ الثوب الجديد كاللدى تراه في القטיפنة . وفي رواية أخرى : عليها برد زيدي نسبة إلى زيد (بفتح الزاي) بلد بالمين . [٢] من الرَّمَكَة بالضم وهي لون الرماد . [٣] يصوت والشقشة شيء كارتة يخرج البعير منه إذا هاج . [٤] جمع إحنة : وهي الضئيلة والحمد تومئ إلى ما كان من قتل علي يوم بدر أخا معاوية (حنظلة بن أبي سفيان) وجده لأمه (نتبة بن ربيعة) وخله (الوليد بن عتبة) . [٥] تشير إلى ما حدث من همد زوج أبي سفيان (أم معارية) في غزوة أحد إذ بقرت بطن حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم بعد قتله وأخذت كبده لتأكلها فلا كتها ثم أرسلتها .

قاتلوا على بصيرة من ربكم ، وثبات من دينكم ، فكأنى بكم غداً ، وفد لقيتم أهل الشام كحُمُرٍ مستنفرة فرّت من قسورة^(١) ، لا تدري أين يُسلك بها من فجاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدنيا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، وعما قليل ليصبحن نادمين ، حين تحل بهم الندامة ، فيطلبون الإقالة ، ولات حين مناص ، إنه من ضلّ والله عن الحق وقع في الباطل ، ألا إن أولياء الله استقصروا عمر الدنيا فرفضوها ، واستطابوا الآخرة فسَعَوْا لها ، فالله الله أيها الناس ، قبل أن تبطل الحقوق ، وتعطل الحدود ، وتقوى كلمة الشيطان ، فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصهره ، وأبى سبطيه ، خلق من طينته ، وتفرع من نَبْعَتِهِ^(٢) ، وجعله باب دينه ، وأبان ببعضه المناققين ، وهاهو ذامفلق الهام ، ومكسر الأصنام ، صلى والناس مشركون ، وأطاع والناس كارهون ، فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزى بدر ، وأفنى أهل أُحُدٍ ، وهزم الأحزاب ، وقتل الله به أهل خيبر ، وفرق به جمع هوازن ، فialها من وقائع زرعت في قلوب قوم نفاقاً ، ورِدّة وشقاقاً ، وزادت المؤمنين إيماناً ، قد اجتهدت في القول ، وبالغت في النصيحة ، وبالله التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله !

فقال معاوية : يا أم الخير ، ما أردت بهذا الكلام إلا قتلى ، ولو قتلتك ماحرجت^(٣) في ذلك . قالت والله ما يسوءنى يابن هند أن يجرى قتلى على يدي من يُسعدنى الله بشقاقه . قال هيهات يا كثيرة الفضول ! ما تقواين في عثمان ابن عفان رحمه الله ؟ قالت وما عسيت أن أقول في عثمان ؟ استخلفه الناس وهم به

[١] الأسد والرماة من الصيادين ، والواحد تسور . [٢] النبعة في الأصل واحدة النبع : شجر الصي والسهام . [٣] أمنت .

راضون ، وقتلوه وهم له كارهون . قال معاوية : يا أم الخير هذا ثناؤك الذي تُثنين ؟ قالت لكن الله يشهد ، وكفى بالله شهيداً ، ما أردت بعثمان تقصاً ، ولقد كان سباًً إلى الخيرات ، وإنه لرفيع الدرجة غداً . قال فما تقولين في طلحة بن عبيد الله ؟ قالت : وما عسى أن أقول في طلحة ؟ اغتيل من مأمنه ، وأتى من حيث لم يحذر ، وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة . قال فما تقولين في الزبير ؟ قالت وما أقول في ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه ^(١) ، وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وأنا أسألك بحق الله يا معاوية ، (فإن قريشاً تحدثت أنك أحلمها) أن تُعفيني من هذه المسائل ، وتسألني عما شئت من غيرها . قال : نعم وَنَعْمَةً ^(٢) عَيْنٍ ، قد أعفيتك منها ، ثم أمر لها بجائزة رفيعة ، وردها مكرمة .

(العقد الفريد ١ : ١٣٢ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٤١ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٤٨)

٢١٢ — خطبة الزرقاء بنت عدى الهمدانية

وذُكرت الزرقاء بنت عدى بن قيس الهمدانية عند معاوية يوماً ، فقال جلسائه : أيكم يحفظ كلامها ؟ قال بعضهم : نحن نحفظه يا أمير المؤمنين . قال فأشيروا على في أمرها ، فأشار بعضهم بقتلها ، فقال بثس الرأي ، أيحسن بمثلى أن يقتل امرأة ! ثم كتب إلى عامله بالكوفة أن يوفدها إليه مع ثقة من ذوى محارمها ، وعدة من فرسان قومها ، وأن يهد لها وطاءً ^(٣) ليناً ، ويستترها بستر خفيف ^(٤) ، ويوسع لها في النفقة ، فأرسل إليها ، فأقرأها الكتاب ، فقالت : إن

[١] الحواري : الناصر أو ناصر الأنبياء . [٢] أى أفعل ذلك إنعاماً لعينك وإكراماً .

[٣] الفراش . [٤] أصله من خصف النمل يخففها كقرب ظاهراً بعضها على بعض وخرزها وهي

نمل خفيف ، وكل ما طورق بعضه على بعض فقد خصف .

كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ جَعَلَ الْخِيَارَ إِلَيَّ فَإِنِّي لَا آتِيهِ ، وَإِنْ كَانَ حَتِّمٌ ، فَالطَّاعَةُ أُولَى ، فَحَمَلَهَا وَأَحْسَنَ جِهَازَهَا ، عَلَى مَا أَمَرَ بِهِ ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَى مُعَاوِيَةَ . قَالَ مَرْحَبًا بِكَ وَأَهْلًا ! قَدِمْتَ خَيْرَ مَقْدَمٍ قَدِمَهُ وَاقِدٌ ، كَيْفَ حَالُكَ ؟ قَالَتْ بِخَيْرٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَدَامَ اللَّهُ لَكَ النِّعْمَةَ . قَالَ : كَيْفَ كُنْتَ فِي مَسِيرِكَ ؟ قَالَتْ رَيْبَةً بَيْتٍ ، أَوْ طِفْلًا مُمَهَّدًا . قَالَ بِذَلِكَ أَمْرُنَا . أَتَدْرِينَ فِيمَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ ؟ قَالَتْ وَأَنْتَى لِي بِعِلْمٍ مَا لَمْ أَعْلَمْ ؟ قَالَ : أَلَسْتُ الرَّابِثَةَ الْجَلِيلَةَ الْأَحْمَرُ ، وَالْوَاقِفَةَ بَيْنَ الصَّفَيْنِ بِصِفَيْنِ ، تَحْضِينَ عَلَى الْقِتَالِ ، وَتَوَقِّدِينَ الْحَرْبَ ؟ فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَاتَ الرَّأْسُ وَبُتِرَ الذَّنْبُ ، وَلَنْ يَعُودَ مَا ذَهَبَ ، وَالْدَهْرُ ذُو غَيْرٍ ^(١) ، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ ، وَالْأَمْرُ يَحْدُثُ بَعْدَهُ الْأَمْرُ . قَالَ لَهَا مُعَاوِيَةُ أَتَحْفَظِينَ كَلَامَكَ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَتْ لَا وَاللَّهِ لَا أَحْفَظُهُ ، وَلَقَدْ أَنْسَيْتُهُ . قَالَ : لَكِنِّي أَحْفَظُهُ ، اللَّهُ أَبُوكَ حِينَ تَقُولِينَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ : ارْعَوْا وَارْجِعُوا ، إِنَّكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي فِتْنَةٍ غَشَّتْكُمْ جَلَابِيبُ الظُّلْمِ ، وَجَارَتْ بِكُمْ عَنْ قَصْدِ الْمَحَجَّةِ ^(٢) ، فَيَا لَهَا فِتْنَةً عَمِيَاءَ صَمَاءَ بَكَاءَ ، لَا تَسْمَعُ لِنَاعِهَا ، وَلَا تَنْسَاقُ لِقَائِدِهَا ، إِنْ الْمَصْبَاحُ لَا يَضِيءُ فِي الشَّمْسِ ، وَلَا تَنْتِيرُ الْكُوَاكِبُ مَعَ الْقَمَرِ ، وَلَا يَقْطَعُ الْحَدِيدَ إِلَّا الْحَدِيدُ . أَلَا مَنْ اسْتَرْشَدْنَا أَرْشَدْنَا ، وَمَنْ سَأَلْنَا أَخْبَرْنَا . أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ الْحَقُّ كَانَ يَطْلُبُ ضَالَّتَهُ فَأَصَابَهَا ، فَصَبْرًا يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَلَى الْغُصَصِ ، فَكَأَنَّ قَدْ انْدَمَلَ شَعْبُ الشَّتَاتِ ، وَالتَّامَّتْ كَلِمَةُ الْحَقِّ ، وَدَمَغَ الْحَقُّ الظُّلْمَةَ ، فَلَا يَجْهَلُنِ أَحَدٌ فَيَقُولُ : كَيْفَ وَأَنْتَى ؟ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ، أَلَا وَإِنْ خِضَابُ النِّسَاءِ الْحَنَاءِ ، وَخِضَابُ الرِّجَالِ الدَّمَاءُ ، وَلِهَذَا

[١] أحداث جمع غيرة بالكسر أو مفرد ، وجمعه أغيار . [٢] حادثة الطريق .

اليوم ما بعده : والصبر خير في الأمور عواقبا :

إيهاً^(١) في الحرب قَدْماً غير نا كصين ، ولا متشا كسين »

ثم قال لها : والله يا زرقاء لقد شَرِكتُ عليكِ في كلِّ دم سفكه . قالت أحسن الله بشارتك ، وأدام سلامتك ! فثلك بَشَرٍ بخير وسرٍّ جليسه . قال أويسرك ذلك ؟ قالت نعم . والله لقد سُررت بالخبر ! فأني لي بتصديق الفعل ! فضحك مساوية ، وقال : والله لو فاءكم له بعد موته أعجب من حُكم له في حياته ، اذكرى حاجتك . قالت يا أمير المؤمنين : آيت على نفسي ألاَّ أسأل أميراً أعنت عليه أبداً ، ومثلك أعطى عن غير مسألة ، وجاد عن غير طلبية . قال صدقت ، وأمر لها وللذين جاءوا معها بجوائز وكُسا . (العقد الفريد ١ : ١٣٠ ، وصحح الأعشى ١ : ٢٥٢)

اختلاف اهل العراق في الموادعة

وذكروا أنه لما اشتد الأمر ، واستعزَّ القتال . قال رأسٌ من أهل العراق لعلی : إن هذه الحرب قد أكلتنا ، وأذهبت الرجال ، والرأى الموادعة . وقال بعضهم : لا بل نقاتلهم اليوم على ما فائناهم عليه أمس ، وكانت الجماعة قد رضيت الموادعة ، وجنحت إلى الصلح والمسالمة ، فقام على خطيباً ، فقال :

٢١٣ — خطبة الامام على كرم الله وجهه

« أيها الناس : إنه لم أزل من أمرى على ما أحب ، حتى فدَحَتكم الحرب ، وقد والله أخذت منكم وتركت ، وهى لعدوكم أنْهَكُ ، وقد كنْتُ بالأمس أميراً ،

[١] إيهاً : كلمة زجر بمعنى حسك (وإياه بالكسر منونة وغير منونة كلمة استعادة واستنطاق) والقدم المصى أمام وهو يمشى القدم إذا مضى في الحرب ، ورجل قدم : أى شجاع . وفي الحديث « طوبى لعبد مفبر قدم في سبيل الله » القدم الاقدام ، أقدم على قرنه لإقداما وقدما تقدّم عليه بجرأة صدر .

فأصبحت اليوم مأموراً ، وكنت ناهياً ، فأصبحت اليوم مَنهياً ، فليس لى أن أحكم على ما تكرهون .

٢١٤ — خطبة كردوس بن هانىء

وقام كُردُوس بن هانىء ، فقال :

« إنه والله ما تولينا معاوية منذ تبرأنا منه ، ولا تبرأنا من على منذ توليناه ، وإن قتلنا لشهيد ، وإن حَيَّنَّا لفائز ، وإن عَلِيًّا على يَدَيْنِ من ربه ، وما أجاب القومَ إلاَّ إنصافاً ، وكلُّ مُحِقٍّ مُنْصِفٌ ، فمن سَلَّمَ له نجا ، ومن خالفه هَوَى . »

٢١٥ — خطبة سفيان بن ثور

وقام سفيان بن ثور ، فقال :

« أيها الناس : إنا دعونا أهل الشام إلى كتاب الله ، فردوه علينا فقاتلناهم ، وإنهم دعونا إلى كتاب الله ، فإن رددناه عليهم ، حَلَّ لهم منا ، ما حَلَّ لنا منهم ، ولسنا نخاف أن يَحْيِفَ الله علينا ورسوله ، وإن عَلِيًّا ليس بالراجع الناكص ، وهو اليوم على ما كَانَ عليه أمس ، وقد أَكاثنا هذه الحرب ، ولا نرى البقاء إلاَّ في المَوَادَّعة . »

٢١٦ — خطبة حريث بن جابر

ثم قام حُرَيْث بن جابر فقال :

« إن علياً لو كَانَ خِلُوا من هذا الأمر لكان المرجع إليه ، فكيف وهو قائده وسائقه ، وإنه والله ما قَبِلَ من القوم اليوم إلاَّ الأمر الذى دعاهم إليه أمس ، ولو رَدَّه عليهم كنتم له أعيب ، وَلَا يُلْحِذُ في هذا الأمر إلا راجع على عَقْبَيْهِ ، أو مُسْتَدْرِج مغرور ، وما بيننا وبين من طعن علينا إلا السيف . »

٢١٧ - خطبة خالد بن معمر

ثم قام خالد بن معمر فقال :

« يا أمير المؤمنين : إنا والله ما أَخْرَجْنَا هذا المقام أن يكون أحد أولى به منا ، ولكن قلنا أحب الأمور إلينا ما كُفِينَا مَثْوَتَهُ ، فأما إذ استغنینا ، فإننا لا نرى البقاء إلا فيما دعاك القوم إليه اليوم ، إن رأيت ذلك ، وإن لم تره فأريك أفضل »

٢١٨ - خطبة الحصين بن المنذر

ثم قام الحُصَيْن بن المنذر وكان أحدث القوم سنًا ، فقال :

« إِنَّمَا بُنِيَ هذا الدين على التسليم ، فلا تدفعوه بالقياس ، ولا تهديموه بالشبهة ، وإنا والله لو أنا لا تقبل من الأمور إلا ما نعرف ، لأصبح الحق في الدنيا قليلًا ، ولو تُرِكَزْنَا وما نهوى ، لأصبح الباطل في أيدينا كثيرًا ، وإن لنا راعيًا قد حمَدنا وِرْدَهُ وصدَّرَهُ ، وهو المأمون على ما قال وفعل ، فإن قال لا ، قلنا لا ، وإن قال نعم ، قلنا نعم . »

٢١٩ - خطبة عثمان بن حنيف

ثم قام عثمان بن حُنَيْف ، وكان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عاملاً على البصرة وله فضل ، فقال :

« أيها الناس : اتَّهِمُوا رأيكم ، فقد والله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحُدَيْبِيَّة يوم أبي جَنْدَل^(١) ، وإنا ليريد القتال إنكاراً للصالح حتى رَدَّنا

[١] هو أبو جندل بن سهيل بن عمرو ، وقصته : أنه لما كانت غزوة الحديبية (سنة ست للهجرة) بعث قريش من قبائلها سهيل بن عمرو ليكلم الرسول صلى الله عليه وسلم في المصالحة ، وقد جرى بينهما

عنه رسول الله ﷺ وإن أهل الشام دعونا إلى كتاب الله اضطراراً ، فأجبناهم إليه إعداراً ، فلسنا والقوم سواء ، إنا والله ماعدلنا الحى بالحى ، ولا القتل بالقتل ، ولا الشامى بالعراقى ، ولا معاوية بعلى ، وإنه لأمر منعه غير نافع ، وإعطائه غير ضائر ، وقد كلت البصائر التى كنا نقاتل بها ، وقد حمل الشك اليقين الذى كنا نتول إليه ، وذهب الحياء الذى كنا نمارى به ، فاستظلموا فى هذا النقي^(١) ،

الصلح وكتبت صحيفته ، وكان من شروطه ، وضع الحرب عن الناس عشر سنين يكف بعضهم عن بعض على أن من أتى محمداً من قريش نفي إذن وليه ردّه عليهم ، ومن جاء قرشاً ممن مع محمد لم يردّوه عليه ، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل إذ جاء أبو جندل بن سهيل يرسف والحديد قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان المسلمون حين خرجوا لا يشكرون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع دخل عليهم من ذلك أمر عظيم ، ولما رأى سهيل ابنه أبا جندل قام إليه فصر بوجهه وأخذ بتلبينه « بفتح التاء : ما فى موضع اللب (أى البحر) من الثياب » ثم قال : يا محمد قد لجت القسية بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال صدقت ، جعل ينثره بتلبينه ويمجرّه ايردّه إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنونى فى دينى ؟ فراد الناس إلى ما بهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك وللمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهد الله وإنا لا نعدر بهم ، ورتب صر بن الخطاب مع أبى جندل يمضى إلى جنبه ويقول : اصبر يا أبا جندل فإنما هم المشركون . وإنما دم أحدهم دم كلب . ويدنى قائم السيف منه . قال عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه فض الرجل بأبيه ونفذت القسية .

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد وكان ممن حبس بمكة ، فبعث قريش فى أثره رجلين يطلبان تسليمه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بصير إنا قد أعطينا القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا فى ديننا النذر ، وإن الله جاعل لك وللمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً . فانطلق إلى قومك . قال يا رسول الله : أتردنى إلى المشركين يفتنونى فى دينى ؟ قال يا أبا بصير انطلق ، فانطلق معهما حتى إذا كان فى بعض الطريق عدا على أحدهما قتله وهرب الآخر ، ورجع أبو بصير إلى المدينة فقال يا رسول الله وقت ذمتك ، وأدى الله عنك ، أسلمتني ورددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم ، وخرج أبو بصير إلى ساحل البحر بطريق قريش التى كانوا يأخذون عليها إلى الشام ، وخرج المسلمون الذين كانوا حبسوا بمكة إليه ، وانفلت إليه أبو جندل بن سهيل ، فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً منهم ، وضيّقوا على قريش لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمرّ بهم غير إلا اقتطعوها ، حتى كتبت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بأرحامها إلا آوام ، فلاحاجة لهم بهم ، فأواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا عليه المدينة . [١] الوء : ما كان شمساً فينسعه الظل .

واسكنوا في هذه العافية ، فإن قلتم تقاتل على ما كنا نقاتل عليه أمس ، فهيات هيات ذهب والله قياس أمس وجاء غد .

٢٢٠ - خطبة عدى بن حاتم

ثم قام عدى بن حاتم فقال :

« أيها الناس : إنه والله لو غيرُ عليّ دعانا إلى قتال أهل الصلاة ما أجبناه ، ولا وقع بأمر قط إلا ومعه من الله برهان ، وفي يديه من الله سبب ، وإنه وقفَ عن عثمان بشبهة ، وقاتل أهل الجمل على النكث ، وأهل الشام على البغي ، فانظروا في أموركم وأمره ، فإن كان له عليكم فضل فليس لكم مثله ، فسلموا له وإلا فنازعوا عليه ، والله لئن كان إلى العلم بالكتاب والسنة إنه لأعلم الناس بهما ، ولئن كان إلى الإسلام إنه لأخو نبي الله والرأس في الإسلام ، ولئن كان إلى الزهد والعبادة إنه لأظهر الناس زهداً ، وأنهمكهم عبادة ، ولئن كان إلى العقول والنحائر ^(١) إنه لأشد الناس عقلاً ، وأكرمهم نخيذة ، ولئن كان إلى الشرف والنجدة إنه لأعظم الناس شرفاً ونجدة ، ولئن كان إلى الرضا لقد رضى عنه المهاجرون والأنصار في شؤري عمر رضى الله عنهم ، وبايعوه بعد عثمان ، ونصروه على أصحاب الجمل وأهل الشام ، فما الفضل الذي قرّبكم إلى الهدى ، وما النقص الذي قرّبه إلى الضلال ؟ والله لو اجتمعتم جميعاً على أمر واحد ، لأتاح الله له من يقاتل لأمر ماض ، وكتاب سابق . »

فاعترف أهل صفين لعدى بن حاتم بعد هذا المقام ، ورجع كل من تشعب

على عليّ رضى الله عنه .

٢٢١ — خطبة عبد الله بن حجل

ثم قام عبد الله بن حجل ، فقال :

« يا أمير المؤمنين ، إنك أمرتنا يوم الجمل بأمر مختلف ، كانت عندنا أمراً واحداً ، فقبلناها بالتسليم ، وهذه مثل تلك الأمور ، ونحن أولئك أصحابك ، وقد أكثر الناس في هذه القضية ، وإيم الله ما المكثر المنكر بأعلم بها من المقل المتترف ، وقد أخذت الحرب بأنفاسنا ، فلم يبق إلا رجاء ضعيف ، فإن تجب القوم إلى ما دعوك إليه ، فأنت أولنا إيماناً ، وآخرنا بنبي الله عهداً ، وهذه سيوفنا على أعناقنا ، وفلورنا بين جوانحننا ، وقد أعطيناك بقيتنا ، وشرحنا بالطاعة صدورنا ، ونفذت في جهاد عدوك بصيرتنا ، فأنت الوالى المطاع ، ونحن الرعية الأتباع ، أنت أعلمنا بربنا ، وأقربنا بديننا ، وخيرنا في ديننا ، وأعظمنا حقاً فينا ، فسدد رأيك نتبعك ، واستخيرا لله تعالى في أمرك ، واعزم عليه برأيك ، فأنت الوالى المطاع » .

فسرّ على كرم الله وجهه بقوله ، وأثنى خيراً .

٢٢٢ — خطبة صعصعة بن صوحان

ثم قام صعصعة بن صوحان فقال :

« يا أمير المؤمنين : إنا سبقنا الناس إليك ، يوم قدوم طلحة والزبير عليك ، فدعانا حكيم^(١) إلى نصرة عاملك عثمان بن حنيف^(٢) فأجبناه ، فقاتل عدوك ، حتى أصيب في قوم من بني عبد قيس عبدوا الله حتى كانت أكفهم مثل

[١] هو حكيم بن حبل . [٢] كان عامل على البصرة ، وقد نشب القتال بينه وبين أصحاب عائشة

حين قدموا البصرة .

أَكْفَ الْإِبِلَ ، وجباهم مثل رُكْبِ الْمَعَزِ ، فَأَسْرَحْنِي ، وَسَلِّبِ الْقَتِيلَ ، فَكُنَّا
أَوَّلَ قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ ، ثُمَّ رَأَيْتُ بَلَاءَنَا بِصَفَيْنِ ، وَقَدْ كَلَّتِ الْبَصَائِرُ ، وَذَهَبَ الصَّبْرُ ،
وَبَقِيَ الْحَقُّ مَوْفُورًا ، وَأَنْتَ بَالِغٌ بِهَذَا حَاجَتَكَ ، وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ مَا أَرَاكَ اللَّهُ
فَرَضًا بِهِ .

٢٢٣ — خطبة المنذر بن الجارود

ثم قام المنذر بن الجارود فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَرَى أَمْرًا لَا يَدِينُ لَهُ الشَّأْمُ إِلَّا بِهَلَاكِ الْعِرَاقِ ، وَلَا
يَدِينُ لَهُ الْعِرَاقُ إِلَّا بِهَلَاكِ الشَّأْمِ ، وَلَقَدْ كُنَّا نَرَى أَنْ مَا زَادَنَا نَقْصَهُمْ ، وَمَا
نَقْصَنَا أَضْرَهُمْ ، فَإِذَا فِي ذَلِكَ أَمْرَانِ ، فَإِنْ رَأَيْتَ غَيْرَهُ ^(١) فَفِينَا وَاللَّهُ مَا يُفَكِّلُ بِهِ
الْحَدُّ ^(٢) ، وَيُرْذُّ بِهِ الْكَلْبُ ^(٣) ، وَلَيْسَ لَنَا مَعَكَ إِبْرَادٌ وَلَا صَدَرٌ .

٢٢٤ — خطبة الأحنف بن قيس

ثم قام الأحنف بن قيس ، فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّ النَّاسَ بَيْنَ مَاضٍ وَوَاقِفٍ ، وَقَائِلٍ وَسَاكِتٍ ، وَكُلٌّ
فِي مَوْضِعِهِ حَسَنٌ ، وَإِنِّهِ لَوْ نَكَلَ الْآخِرُ عَنِ الْأَوَّلِ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا ، إِلَّا أَنْ يَقُولَ
الْيَوْمَ ، مَا قَدْ قِيلَ أَمْسَ ، وَلَكِنَّهُ حَقٌّ يُقْضَى ، وَلَمْ تَقَاتِلِ الْقَوْمَ لَنَا وَلَا لَكَ ، إِنَّمَا
قَاتَلْنَاهُمْ لِلَّهِ ، فَإِنْ حَالَ أَمْرُ اللَّهِ دُونَنَا وَدُونَكَ فَاقْبَلْهُ ، فَإِنَّكَ أَوْلَى بِالْحَقِّ ، وَأَحَقُّنَا
بِالتَّوْفِيقِ ، وَلَا أَرَى إِلَّا الْقِتَالَ .

[١] أَيْ فَإِنْ رَأَيْتَ غَيْرَ رَأْيِي « وَهُوَ الَّذِي عِبَّرَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ : إِنِّي أَرَى أَمْرًا . . . الخ » وَفِي الْأَصْلِ

« غَيْرِكَ » وَأَرَاءَ مَحْرَفًا . [٢] أَيْ فَفِينَا مِنَ الْبَأْسِ مَا يَفْعَلُ بِهِ حَدَّ الْأَعْدَاءِ وَقَوَّتَهُمْ .

[٣] الْكَلْبُ : دَاءٌ يَشْبَهُ الْجَنُونَ يَأْخُذُ الْكَلَابَ فَتَعْرِى النَّاسَ وَبِعِثْرَى النَّاسِ أَيْضًا مِنْ عَضِّهَا ، وَقَدْ
اسْتَعَارَهُ هُنَا لَطَمِ الْأَعْدَاءِ فِيهِمْ وَغَارَتِهِمْ عَلَيْهِمْ .

٢٢٥ — خطبة عمير بن عطار

ثم قام مُحمَّد بن عَطَّارِ د، فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن طلحة والزبير ومائشة كانوا أحب الناس إلى معاوية ، وكانت البصرة أقرب إلينا من الشام ، وكان القوم الذين وثبوا عليك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خيراً من الذين وثبوا عليك من أصحاب معاوية اليوم ، فوالله ما منعنا ذلك من قتل المحارب ، وعَيَّب الواقف ، فقاتل القوم ، إنا معك . »

٢٢٦ — خطبة علي بن أبي طالب

ثم قام على خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إنه قد بلغ بكم وبعدوكم ما قد رأيتم ، ولم يبق منهم إلا آخر نفس ، وإن الأمور إذا أقبلت اعتُبر آخرها بأولها ، وقد صَبَرَ لكم القوم على غير دين حتى بلغوا منكم ما بلغوا ، وأنا غَادٍ عليهم بنفسى بالغداة ، فأحاكهم بسيفي هذا إلى الله . »

وأشار عمرو بن العاص على معاوية أن يدعو علياً إلى تحكيم كتاب الله ، فأصبح أصحاب معاوية ، وقد رفعوا المصاحف على الرِّمَاح ، وقلدوها أعناق الخيل يقولون : « هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم . »

٢٢٧ — مقال عدى بن حاتم

فقام عدى بن حاتم ، فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن أهل الباطل ، لَا تُعَوِّقُ أهل الحق ، وقد جَزِعَ

القوم حين تأهبت للقتال بنفسك ، وليس بعد الجزع إلا ماتحب ، نأجز القوم »

٢٢٨ - مقال الأشتر النخعي

ثم قام الأشتر فقال :

« يا أمير المؤمنين ، ما أجبنك لدنيا . إن معاوية لا خلف له من رجاله ، ولكن بحمد الله الخلف لك ، ولو كان له مثل رجالك ، لم يكن له مثل صبرك ، ولا نصرتك ، فافرج^(١) الحديد بالحديد ، واستعين بالله » .

٢٢٩ - مقال عمرو بن الحمق

ثم قام عمرو بن الحمق فقال :

« يا أمير المؤمنين ، ما أجبنك لدنيا ، ولا نصرناك على باطل ، ما أجبنك إلا لله تعالى ، وما نصرناك إلا للحق ، ولو دعانا غيرك إلى ما دعوتنا إليه ، لكثرفيه اللجاج ، وطالت له النجوى^(٢) ، وقد بلغ الحق مقطعة ، وليس لنا معك رأى »

٢٣٠ - مقال الأشعث بن قيس

ثم قام الأشعث بن قيس فقال :

« يا أمير المؤمنين ، إنا لك اليوم على ما كنا عليه أمس ، ولست أدري كيف يكون غداً ، وما القوم الذين كلوك بأحد لأهل العراق مني ، ولا بأوتر^(٣) لأهل الشام مني ، فأجب القوم إلى كتاب الله ، فإنك أحق به منهم ، وقد أحب الله البقييا »

[١] أي شقّ سلاحهم ومزقه بسلاحك . [٢] السارّة . [٣] أي ولا أشدّ وترا . من وتره إذا أدركه بمكروه .

٢٣١ — مقال عبد الرحمن بن الحارث

ثم قام عبد الرحمن بن حارث فقال :

« يا أمير المؤمنين ، امض لأمر الله ولا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ، أَحْكُمْ
بعد حكم ، وَأْمُرْ بعد أمر؟ مضت دماؤنا ودماؤهم ، ومضى حكم الله علينا وعليهم ».

٢٣٢ — مقال عمار بن ياسر

فلما أظهر على أنه قد قبل التحكيم قام عمار بن ياسر فقال :

« يا أمير المؤمنين ، أما والله لقد أخرجها إليك معاوية يبضاء ، من أقرَّ بها
هلك ، ومن أنكرها ملك ، مالك يا أبا الحسن ، شككتنا في ديننا ، ورددتنا
على أعقابنا ، بعد مائة ألف قُتلوا منا ومنهم ، أفلا كَانَ هذا قبل السيف ؟ وقبل
طلحة والزبير وعائشة قد دَعَوْكَ إلى ذلك فَأَيَّتْ ، وزعمت أنك أولى بالحق ،
وأن ما خالفنا منهم ضالٌّ حلال الدم ، وقد حكم الله تعالى في هذا الحال ما قد
سمعت ، فَإِنْ كَانَ القوم كفاراً مشركين ، فليس لنا أن نرفع السيف عنهم حتى
يَفِيضُوا^(١) إلى أمر الله ، وإن كانوا أهل فتنة فليس لنا أن نرفع السيف عنهم حتى
لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، والله ما أساموا ، ولا أدوا الجزية ، ولا فاءوا
إلى أمر الله ولا طَفِفَتْ^(٢) الفتنة » فقال علىّ والله إني لهذا الأمر كاره

ثم كثر اللجاج والجدال في الأمر ، وجعل علىّ يبين لهم أنها خُدعة
ومكيدة يرام بها توهين قوتهم ، وتشتيت جمعهم ، وهم لا يستمعون لقوله ، ولا
يذعنون لنصحه ، وأقبل الأشعث بن قيس في ناس كثير من أهل اليمن ، فقالوا
لعليّ : « لا تردّ ما دعاك القوم إليه ، قد أنصفك القوم ، والله لئن تقبل هذا

منهم لا وفاء معك ، ولا نرمي معك بسهم ولا حبر ، ولا نقف معك موقفاً »
وغلا أنصار التحكيم في تطرفهم فقالوا « يا عليّ أجب إلى كتاب الله إذ
دعيت إليه ، وإلاّ نَدْفَعُكَ بِرُمَّتِكَ إلى القوم ، أو نفعل كما فعلنا بابن عفان » فلم
يربداً من الإذعان وقبول التحكيم . (الإمامة والسياسة ١ : ٨٩)

التحكيم بين علي ومعاوية

٢٣٣ — كلام عبد الله بن عباس لابي موسى الأشعري

ولما أجمع أهل العراق على طلب أبي موسى الأشعري وأحضروه للتحكيم
على كُرّه من عليّ عليه السلام ، أتاه عبد الله بن العباس ، وعنده وجوه الناس
وأشرافهم ، فقال له :

« أبا موسى : إن الناس لم يرضوا بك ، ولم يجتمعوا عليك ، لفضل لا تُشَارِكُ
فيه ، وما أكثر أشباهك من المهاجرين والأنصار المتقدمين قبلك ، ولكن
أهل العراق أبوا إلا أن يكون الحكمُ يَمَانِيّاً ، ورأوا أن معظم أهل الشام يمانٍ ،
وأيمُ الله إني لأظن ذلك شرّاً لك ولنا ، فإنه قد ضُمَّ إليك داهيةُ العرب ، وليس
في معاوية خَلَّةٌ ^(١) يستحق بها الخلافة ، فإن تقذِفَ بحقك على باطله ، تُدْرِكُ
حاجتك منه ، وإن يطمع باطلُهُ في حقك ، يُدْرِكُ حاجته منك ، واعلم يا أبا موسى
أن معاوية طليقُ الإسلام ، وأن أباه رأس الأحزاب ، وأنه يدّعي الخلافة
من غير مشورة ولا يَبْعَةِ ، فإن زعم لك أن عمر وعثمان استعملاه ، فلقد

صدق ، استعمله عمر وهو الوالى عليه بمنزلة الطبيب يَحْمِيهِ ما يشتهي ، وَيُوجِرُهُ^(١) ما يكره ، ثم استعمله عثمان برأى عمر ، وما أَكْثَرَ من استعملا ممن لم يَدَّعِ الخِلافةَ ، واعلم أن لعمرِو مع كل شيء يَسُرُّكَ خَبَأٌ^(٢) يسوءك ، ومهما نسيت فلا تنسَ أن علياً بايعه القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، وأنها بيعة هُدًى ، وأنه لم يقابل إلا العاصين والناكثين »

فقال أبو موسى : « رحمك الله والله مالى إمام غير على ، وإنى لواقف عند مارأى ، وإن حق الله أحبُّ إلى من رضا معاوية وأهل الشام ، وما أنت وأنا إلا بالله » .
(شرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ١٩٥)

٢٣٤ — وصية شريح بن هانىء لأبى موسى الأشعرى

ولما أراد أبو موسى المسير ، قام إليه شريح بن هانىء الحارثى ، فأخذ بيده وقال :

« يا أبا موسى : إنك قد نُصِبْتَ لأمر عظيم لا يُجْبَرُ صدَّعُهُ ، ولا تُسْتَقَالُ فلتته ، ومهما تَقُلْ من شيء لك أو عليك ، يَبْدُ حَقُّهُ ، وَيُرَى صِحَّتُهُ ، وإن كَانَ باطلا ، وإنه لا بقاء لأهل العراق إن ملكهم معاوية ، ولا بأس على أهل الشام إن ملكهم على ، وقد كانت منك تَثْبِيطةٌ^(٣) أيام الكوفة والجل ، فإن تَشَفَّعَهَا بِمَثَلِهَا يكن الظن بك يقيناً ، والرجاء منك يأساً ، ثم قال :

أبا موسى : رُمِيتَ بِشَرٍّ خَصَمٍ فلا تُضِعِ العراق (فدَّتْكَ نفسى)
وَأَعْطِ الْحَقَّ شَامِئًا وَخِذْهُ فإن اليوم فى مهل كَأَمْسٍ

[١] وجره الدراء (كوعده) وأوجره إياه : حمله فى يديه ، وأوجره الرمح : طعه ، ووجره : أسمع ما يكره . [٢] الحب : ما خفي . [٣] أى تعوق .

وَإِنْ غَدَاً يَجِيءُ بِمَا عَلَيْهِ كَذَاكَ الدَّهْرُ مِنْ سَعْدٍ وَنَحْسٍ
 وَلَا يَخْذَعُكَ عَمْرُو ، إِنَّ عَمْرَأً عَدُوُّ اللَّهِ مَطْلَعُ كُلِّ شَمْسٍ
 لَهُ خُدَعٌ يَحَارُ الْعَقْلَ مِنْهَا مُمَوَّهَةٌ مَزْخَرَفَةٌ بِلَبْسٍ
 فَلَا تَجْعَلُ مَعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ كَشِيخٍ فِي الْحَوَادِثِ غَيْرِ نِكْسٍ^(١)
 هَدَاهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ قَرْدًا سَوَى عَرِسٍ^(٢) النَّبِيِّ ، وَأَيُّ عَرِسٍ ؟
 فَقَالَ أَبُو مُوسَى : « مَا يَنْبَغِي لِقَوْمِ اتِّهَمُونِي أَنْ يَرْسَلُونِي لِأَدْفَعُ عَنْهُمْ بِالْإِغْلَا ،
 أَوْ أُجْرُ إِلَيْهِمْ حَقًّا » . (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٩٥ ، والإمامة والسياسة ١ : ٩٩)

٢٣٥ — وصية الأحنف بن قيس لأبي موسى الأشعري

وَلَمَّا خُكِّمَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ أَنَاهُ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ ، فَقَالَ لَهُ :
 « يَا أَبَا مُوسَى ، إِنَّ هَذَا مَسِيرُ لُحْمٍ بَعْدَهُ ، مِنْ عِزِّ الدُّنْيَا أَوْ ذُلِّهَا آخِرَ الدَّهْرِ ،
 ادْعِ الْقَوْمَ إِلَى طَاعَةِ عَلِيٍّ ، فَإِنْ أَبَوْا فَادْعُهُمْ أَنْ يَخْتَارَ أَهْلَ الشَّامِ مِنْ قُرَيْشِ الْعِرَاقِ
 مَنْ أَحَبُّوا ، وَيَخْتَارَ أَهْلَ الْعِرَاقِ مِنْ قُرَيْشِ الشَّامِ مَنْ أَحَبُّوا ، وَإِيَّاكَ إِذَا لَقِيتَ
 ابْنَ الْعَاصِ أَنْ تَصَافَحَهُ بَنِيَّةً ، وَأَنْ يُقْعِدَكَ عَلَى صَدْرِ الْمَجْلَسِ ، فَإِنَّهَا خَدِيعَةٌ ، وَأَنْ
 يَضْمَكَ وَإِيَّاهُ يَبْتَ ، فَيُكْمِنُ لَكَ فِيهِ الرِّجَالُ ، وَدَعُهُ فَلْيَتَكَلَّمْ ، لَتَكُونَ عَلَيْهِ بِالْخِيَارِ ،
 فَالْبَادِي مُسْتَفْلِقٌ^(٣) ، وَالْمَجِيبُ نَاطِقٌ » .

فَمَا عَمِلَ أَبُو مُوسَى إِلَّا بِخِلَافِ مَا قَالَ الْأَحْنَفُ ، وَأَشَارَ بِهِ ، فَكَانَ مِنَ الْأَمْرِ

[١] كَشِيخٍ : يريد به الإمام علياً ، والسكس : الضعيف والمهتر عن غاية الكرم .

[٢] أَيُّ زَوْجَةٍ ، يريد السيدة خديجة رضى الله عنها ، وَأَيُّ عَرِسٍ : أَيُّ وَأَيُّ عَرِسٍ هِيَ . استعهاهم

المراد به العظيم .

[٣] أَصْلُهُ مِنْ قَوْلِهِمْ : اسْتَفْلَقَ فِي بَيْعِهِ لَمْ يَجْعَلْ خِيَاراً وَدَعَاهُ أَيُّ أَنْ الْبَادِي لَيْسَ لَهُ الْخِيَارُ فِي رَدِّ مَا قَالَهُ .

ما كان ، فلقية الأحنف بعد ذلك ، فقال له : « أدخل وألله قدميك في خفّ واحدة » .

(نهاية الأرب ٧ : ٢٣٩ ، الإمامة والسياسة ١ : ٩٩ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٩٦)

٢٣٦ — وصية معاوية لعمر بن العاص

وقال معاوية لعمر بن العاص :

« إن أهل العراق أكرهوا علياً على أبي موسى ، وأنا وأهل الشام راضون عنك ، وأرجو في دفع هذه الحرب قوة لأهل الشام ، وفرقة لأهل العراق ، وإمداداً لأهل اليمن ، وقد ضُمَّ إليك رجل طويل اللسان ، قصير الرأي ، وله على ذلك دين وفضل ، فدعه يقول ، فإذا هو قال فاصمت ، واعلم أن حسن الرأي زيادة في العقل ، إن خوفك العراق نخوفه بالشام ، وإن خوفك مصر نخوفه باليمن ، وإن خوفك علياً ، نخوفه بمعاوية ، وإن أذاك بالجميل فأته بالجميل » .

٢٣٧ — رد عمرو بن العاص عليه

فقال عمرو :

« يا أمير المؤمنين . أقلل الاهتمام بما قبلي ، وأرج الله تعالى فيما وجهتني له ، إنك من أمرك على مثل حدّ السيف ، لم تنل في حربك ما رجوت ، ولم تأمن ما خفت ، ونحن نرجو أن يصنع الله تعالى لك خيراً ، وقد ذكرت لأبي موسى ديناً ، وإن الدين منصور ، أرايت إن ذكر علياً وجاءنا بالإسلام والهجرة واجتماع الناس عليه ما أقول ؟ »

فقال معاوية : « قل ما تريد وتري » . (الإمامة والسياسة ١ : ٩٩)

٢٣٨ — مقال شرحبيل بن السمط لعمر و

ولما ودَّعه شَرْحَبِيلُ بْنُ السَّمْطِ قَالَ لَهُ :

« يَا عَمْرُو إِنَّكَ رَجُلٌ قَرِيشٌ ، وَإِنْ مَعَاوِيَةُ لَمْ يَبْعَثْكَ إِلَّا لَعَلَّهُ أَنْكَ لَا تُؤْتِي
مَنْ عَجَزَ وَلَا مَكِيدَةً ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ وَطْأَةَ هَذَا الْأَمْرِ لَكَ وَلصَاحِبِكَ ، فَكُنْ
عِنْدَ ظَنِّنَا بِكَ » (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٩٦ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٠)

٢٣٩ — خطبة أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ

ولما التَّقَى الْحَكَّانُ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ ،
وَدَارَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْحِوَارِ مَا دَارَ ، أَقْبَلَا إِلَى النَّاسِ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ ، فَتَقَدَّمَ أَبُو مُوسَى ،
فَحَمْدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا قَدْ نَظَرْنَا فِي أَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَلَمْ نَرِ أَصْلَحَ لَأَمْرِهَا ، وَلَا
أَلْمٌ لِشَعَثِهَا ، مِنْ أَمْرٍ قَدْ أَجْمَعَ رَأْيِي وَرَأَى عَمْرُو عَلَيْهِ ، وَهُوَ أَنَّ نَخْلَعَ عَلِيًّا وَمَعَاوِيَةَ ،
وَتَسْتَقْبِلَ هَذِهِ الْأُمَّةُ هَذَا الْأَمْرَ ، فَيُؤَلَّوْا مِنْهُمْ مَنْ أَحَبُّوا عَلَيْهِمْ ، وَإِنِّي قَدْ خَلَعْتُ
عَلِيًّا وَمَعَاوِيَةَ ، فَاسْتَقْبِلُوا أَمْرَكُمْ ، وَوَلُّوا عَلَيْكُمْ مَنْ رَأَيْتُمُوهُ لِهَذَا الْأَمْرِ أَهْلًا ^(١) » .
ثُمَّ تَنَحَّى .

٢٤٠ — خطبة عمرو بن العاص

وَأَقْبَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَقَامَ مَقَامَهُ ، فَحَمْدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ :

[١] وَفِي رَوَايَةِ ابْنِ قَتَيْبَةَ فِي الْإِمَامَةِ وَالسِّيَاسَةِ : « وَإِنِّي رَأَيْتُ وَعَمْرُو أَنَّ مَحَلَّ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ وَنَجْعُهَا
لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فَإِنَّهُ لَمْ يَبْسُطْ فِي هَذِهِ الْحَرْبِ يَدًا وَلَا لِسَانًا » وَفِي رَوَايَةِ الْمُسَوْدِيِّ فِي مَرْوَجِ الذَّهَبِ :
« وَقَدْ خَلَعْتُ عَلِيًّا كَمَا خَلَعْتُ عُمَامَتِي هَذِهِ (وَأَهْوَى إِلَى عِمَامَتِهِ نَفْسُهَا) وَاسْتَحْلَفْنَا رَحْلًا قَدْ صَحَّ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَفْسِهِ ، وَصَحَّ أَبُوهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَبْرُزٌ فِي سَابِقِهِ ، وَهُوَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو ، وَأَطْرَاهُ وَرَغِبَ النَّاسُ فِيهِ » .

« إن هذا قد قال ما سمعتم ، وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ،
واثبتت صاحبي معاوية ، فإنه وليّ عثمان بن عفان رضى الله عنه ، والطالب بدمه ،
وأحق الناس بمقامه . »

فقال أبو موسى : « مالك - لا وقفك الله - غدرت وفجرت ! إِنَّمَا مَثَلُكَ
كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ ، أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ^(١) » قال عمرو :
« إِنَّمَا مَثَلُكَ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا » .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٤٠ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٩٨ ،
والامامة والسياسة ١ : ١٠١ ومروج الذهب ٢ : ٣٢)

٢٤١ - خطبة الامام على بعد التحكيم

وخطب الامام على كرم الله وجهه بعد فشل التحكيم فقال :
« الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح ، ^(٢) والحدّث ^(٣) الجليل ، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره ، وأن محمداً عبده ورسوله ،
صلى الله عليه وآله ، أما بعد فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب ، ثورت
الحسرة ، وثعقبت الندامة ، وقد كنت أمرتكم فى هذه الحكومة أمرى ، ونخلت
لكم مخزون رأبى ، لو كان يطاع لقصير ^(٤) أمرى ، فأبيت على إباء المخالفين الجفأة ،
والمنابدن العصاة ، حتى ارتاب الناصح بنصحه ، وضنّ الزند بقذحه ، فكنت
وإياكم كما قال أخوهوازن ^(٥) :

أمرتكم أمرى بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصيح إلا ضحى الغد

[١] لث الكلب كقطع : أخرج لسانه من العطش أو التعب ، وكذا الرجل إذا أهيا .
[٢] من فدحه الدين أى أثقله . [٣] الحادث . [٤] قصير : هو مولى حذيفة الأبرش ، وكان
قد أشار على سيده أن لا يأمن الزباء ملكة الجريرة ، وقد دعت له إليها ليتزوجها ، بخالفه وقصد إليها ، فقال
قصير « لا يطاع لقصير أمر » فذهبت مثلاً . [٥] هو دريد بن الصمة .

ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترعوهما حَكَمَيْنِ قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما ، وأحييا ما أمات القرآن ، واتبع كل واحد منهما هواه ، بغير هدى من الله ، فحكما بغير حُجَّةٍ بَيِّنَةٍ ، ولا سُنَّةٍ ماضية ، واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشدْ ، فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين . استعِدُّوا وتأهبوا للمسير إلى الشام .
(نهج البلاغة ١ : ٤٤ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٤٣ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٥)

٢٤٢ - خطبة الحسن بن علي

وقال الإمام عليّ : يا حسن فتكلم في أمر هذين الرجلين أبي موسى وعمر ، فقام الحسن فتكلم فقال :

« أيها الناس ، قد أكثرتم في أمر أبي موسى وعمر ، وإنما بُعِثا ليحكما بالقرآن دون الهوى ، فحكما بالهوى دون القرآن ، فمن كان هكذا لم يكن حكما ، ولكنه محكوم عليه ، وقد كان من خطأ أبي موسى أن جعلها لعبد الله ابن عمر ، فأخطأ في ثلاث خصال : خالف (يعني أبا موسى) أباه عمر إذ لم يرْضه لها ، ولم يره أهلا لها ، وكان أبوه أعلم به من غيره ، ولا أدخله في الشورى إلا على أنه لا شيء له فيها ، شرطاً مشروطاً من عمر على أهل الشورى ، فهذه واحدة ، وثانية : لم يجتمع عليه المهاجرون والأنصار ، الذين يَعْقِدُونَ الإمامة ، ويحكمون على الناس ، وثالثة : لم يستأمر الرجل في نفسه ، ولا عِلِمَ ما عنده من رد أو قبول . ثم جلس .

٢٤٣ - خطبة عبد الله بن عباس (توفي سنة ٦٨ هـ)

ثم قال عليّ لعبد الله بن عباس : قم فتكلم ، فقام عبد الله بن عباس وقال :
« أيها الناس : إن للحق أناساً أصابوه بالتوفيق والرضا ، والناس بين راض

به ، وراغب عنه ، وإنما سار أبو موسى بهدى إلى ضلال ، وسار عمرو بضلال إلى هدى ، فلما التقيا رجع أبو موسى عن هداه ، ومضى عمرو على ضلاله ، فوالله لو كنا حكاماً عليه بالقرآن لقد حكا عليه ، ولئن كنا حكاماً بهما على القرآن ، ولئن مسكا بما سارا به ، لقد سار أبو موسى وعلى إمامه ، وسار عمرو ومعاوية إمامه» ثم جلس .

٢٤٤ - خطبة عبد الله بن جعفر

فقال على لعبد الله بن جعفر : قم فتكلم ، فقام وقال :
«أيها الناس : هذا أمر كان النظر فيه لعل ، والرضا فيه إلى غيره ، جئتم بأبي موسى ، فقلتم قد رضينا هذا فارض به ، وإيم الله ما أصاحا بما فعلا الشام ، ولا أفسدا العراق ، ولا أماتا حق على ، ولا أحييا باطل معاوية ، ولا يذهب الحق قلة رأى ، ولا نفخة شيطان ، وإنا لعلى اليوم كما كنا أمس عليه » ثم جلس .
(الإمامة والسياسة ١ : ١٠٢)

فتنة الخوارج

٢٤٥ - مناظرة عبد الله بن عباس لهم

لما رجع الإمام على كرم الله وجهه من صفين إلى الكوفة - بعد كتابة صحيفة التحكيم بينه وبين معاوية - اعتزله جماعة من أصحابه ممن رأوا التحكيم ضلالاً ، ونزلوا حروراء^(١) في اثني عشر ألفاً ، وأمروا على القتال شبث بن ربعي

[١] بظاهر الكوفة .

وعلى الصلاة عبد الله بن الكواء ، فبعث إليهم على عبد الله بن عباس ، فقال لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك ، فخرج إليهم حتى أتاهم ، فأقبلوا يكلمونه ، فلم يصبر حتى راجعهم فقال :

« ما نَقَمْتُمْ مِنَ الْحَكَمِينَ ؟ » وقد قال الله عز وجل : « إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ^(١) » فكيف بأمة محمد ﷺ ؟ فقالت الخوارج : قلنا أمّا ما جَمَلَ حكمه إلى الناس وأمر بالنظر فيه والإصلاح له ، فهو إليهم كما أمر به ، وما حَكَمَ فأمضاه ، فليس للعباد أن ينظروا فيه ، حَكَمَ في الزاني مائة جلدة ، وفي السارق بقطع يده ، فليس للعباد أن ينظروا في هذا ، قال ابن عباس : فإن الله عز وجل يقول : « يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ^(٢) » فقالوا له : أو تجعل الحكم في الصيد ، والحدّث يكون بين المرأة وزوجها. كالحكم في دماء المسلمين ؟ وقالت الخوارج قلنا له : فهذه الآية بيننا وبينك ، أَعَدَلُ عندك ابن العاص وهو بالأمس يقاتلنا ، ويسفك دماءنا ؟ فإن كان عدلا فلسنا بمدول ، ونحن أهل حرب ، وقد حكمتكم في أمر الله الرجال ، وقد أمضى الله عز وجل حكمه في معاوية وحزبه أن يُقتلوا أو يرجعوا ^(٣) ، وقبّل ذلك ما دعوناهم إلى كتاب الله عز وجل

(١) الآية في الصلح بين الزوجين « وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ ، وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ، إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا » .

(٢) الآية في حكم قاتل الصيد وهو محرم « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ » . (٣) يشيرون إلى قوله تعالى : « إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ »

فأبوه ، ثم كتبتهم بينكم وبينه كتاباً ، وجعلتم بينكم وبينه المودعة والاستفاضة^(١) وقد قطع الله عز وجل الاستفاضة والمودعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة ، إلا من أقر بالجزية » (تاريخ الطبري ٦ : ٣٦ ، والكامل للمبرد ٢ : ١٢٠)

٢٤٦ - مناظرة الامام على لهم

ثم خرج إليهم على حتى انتهى إليهم وهم يخاصمون ابن عباس ، فقال : اتته عن كلامهم . ألم أنهك رحمك الله ؟

ثم تكلم فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ، ثم قال :

« اللهم إن هذا مقام من أفلج^(٢) فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة ، ومن نطق فيه وأوعث^(٣) فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ، ثم قال لهم : من زعيمكم ؟ قالوا : ابن الكواء ، قال على : فما أخرجكم علينا ؟ قالوا حكومتكم يوم صفين . قال أنشدكم بالله أتعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف ، فقلتم نجيبهم إلى كتاب الله ، قلت لكم إني أعلم بالقوم منكم ، إنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، إني صحبتهم وعرفتهم أطفالاً ورجالاً ، فكانوا شرّاً أطفال وشرّاً رجال ، امضوا على حكمكم وصدقكم ، فإنما رفع القوم هذه المصاحف خديعة وإدهانا^(٤) ومكيدة ، فرددتم على رأيي ، وقلتم لا بل تقبل منهم ، فقلت لكم اذكروا قولي لكم ومعصيتكم إياي ، فلما أيتتم إلا الكتاب ، اشتراطت على الحكّمين أن يحيا ما أحيا القرآن ، وأن يميتا ما أمات القرآن ، فإن حكماً بحكم القرآن ، فليس لنا أن

[١] استفاض المكان استفاضة : اتسع وهي هنا مرادفة للمودعة .

[٢] الفلج والإملاج : الظفر والفوز . [٣] أوعث : وقع في الوعث (الوعث بالكون المكان السهل

الدهس تغيب فيه الأقدام والطريق العسر) . [٤] الإدهان : الغش .

نخالف حكماً يُحكّم بما في القرآن ، وإن أياً فنحن من حكمهما بُرّاء . قالوا له :
نخبرنا أترأه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء ؟ فقال : إنا لسنا حكمنا الرجال ، إنما
حكمنا القرآن ، وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق ، إنما
يتكلم به الرجال قالوا : نخبرنا عن الأجل لم جعلته فيما بينك وبينهم ؟ قال : ليعلم
الجاهل ، ويتثبت العالم ، ولعل الله عز وجل يصلح في هذه الهدنة هذه الأمة ،
ادخلوا مصركم رحمكم الله ، فدخلوا من عند آخرهم .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٣٧ ، الكامل المبرد ٢ : ١٢٨)

٢٤٧ — صورة أخرى

وروى صاحب المقد المناظرة بين عليّ وبين الخوارج بصورة أخرى وهاكها :
« قالوا إن عليّاً لما اختلف عليه أهل النهر وان والقرى وأصحاب البرانس ،
ونزلوا قرية يقال لها حرّ وراء . وذلك بعد وقعة الجمل - رجع إليهم عليّ بن أبي
طالب ، فقال لهم : يا هؤلاء من زعيمكم ! قالوا : ابن الكواء ، قال : فليبرز إلىّ ،
نفرج إليه ابن الكواء ، فقال له عليّ : يا ابن الكواء ، ما أخرجكم علينا بعد رضاكم
بالحكّامين ، ومُقامكم بالكوفة ؟ قال : قاتلت بنا عدوا لا نشك في جهاده ،
فزعمت أن قتلانا في الجنة ، وقتلهم في النار ، فبينما نحن كذلك إذ أرسلت منافقا ،
وحكمت كافراً ، وكان من شكك في أمر الله أن قلت للقوم حين دعوتهم :
كتاب الله بيني وبينكم ، فإن قضى عليّ بآيعتكم ، وإن قضى عليكم بايعتموني ،
فلولا شكك لم تفعل هذا ، والحق في يدك ، قال عليّ : يا ابن الكواء ، إنما
الجواب بعد الفراغ ، أفرغت فأجيبك ؟ قال : نعم ، قال عليّ : أما قتالك معي
عدوا لا نشك في جهاده فصدقت ، ولو شككت فيهم لم أقاتلهم ، وأما قتلانا

وقتلام ، فقد قال الله في ذلك ما يُستغنى به عن قولي ، وأما إرسالى المنافق وتحكيمة الكافر ، فأنت أرسلت أبا موسى مبرئاً ، ومعاوية حَكَمَ عمرًا ، أتيت بأبي موسى مبرئاً ، فقلت : لا نرضى إلا أبا موسى ، فهلا قام إلى رجل منكم فقال : يا على لا تُعْطِ هذه الدَّيَّةَ فإنها ضلالة ؟ وأما قولي لمعاوية : إن جرّني إليك كتابُ الله تبعْتُك ، وإن جرّك إلى تبعني . رحمت أنى لم أعط ذلك إلا من شك ، فقد علمت أن أوثق ما في يديك هذا الأمر ، فخذني ونحك عن اليهودي والنصراني ومُشْرِكِي العرب ، أهُمُّ أقرب إلى كتاب الله أم معاوية وأهل الشام ؟ قال : بل معاوية وأهل الشام أقرب ، قال على : أفرسول الله صلى الله عليه وسلم كان أوثق بما في يديه من كتاب الله أو أنا ؟ قال : بل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أفرأيت الله تبارك وتعالى حين يقول : « قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » . أما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أنه لا يؤتى بكتاب هو أهدى مما في يديه ؟ قال : بلى ، قال : فلم أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما أعطاهم ؟ قال : إنصافاً وحجة ، قال : فإنى أعطيت القوم ما أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابن الكواء : فإنى أخطأت هذه واحدة زدنى ، قال على : فما أعظم ما نقمت على ؟ قال : تحكيم الحكمين ، نظربا في أمرنا ، فوجدنا تحكيمهما شكا وتبذيراً ، قال على : فتى سُمي أبو موسى حَكَمًا ، حين أُرْسِلَ ، أوحين حَكَمَ ؟ قال : حين أُرْسِلَ ، قال : أليس قد سار وهو مسلم ، وأنت ترجو أن يحكّم بما أزل الله ؟ قال : نعم ، قال على : فلا أرى الضلال في إرساله ، فقال ابن الكواء ، سُمي حَكَمًا حين حَكَمَ ، قال : نعم إذن فإن إرساله كان عدلاً ، أرايت يا ابن الكواء لو أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مؤمناً إلى قوم مشركين يدعوهم إلى كتاب الله ، فارتدت على عقبه كافرًا ، كان يضُرُّ نبيَّ الله شيئًا ؟ قال : لا ، قال علي : فما كان ذنبه إن كان أبو موسى ضلَّ ، هل رضيتُ حكومته حين حَكَمَ ، أوقوله إذ قال ؟ قال ابن الكواء : لا ، ولكنك جعلت مسلمًا وكافرًا يحكُمَانِ في كتاب الله ، قال علي : ويلك يابن الكواء ! هل بعث عمرًا غيرَ معاوية ؟ وكيف أَحَكَمُهُ وحكَمُهُ على ضرب عتقى ، إِنَّمَا رَضِيَ بِهِ صَاحِبُهُ ، كما رضيتَ أَنْتَ بصاحبك ، وقد يجتمع المؤمن والكافر يحكمان في أمر الله ، أَرَأَيْتَ لو أَنَّ رجلًا مؤمنًا تزوج يهودية أو نصرانية ، تخافا شقاق بينهما ، ففزع الناس إلى كتاب الله ، وفي كتابه « فَأَبْشُرُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ ، وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا » فجاء رجل من اليهود ، أو رجل من النصارى ، ورجل من المساميين ، اللذين يجوز لهما أن يحكما في كتاب الله فحكما . قال ابن الكواء : وهذه أيضًا ، أمهلنا حتى ننظر ، فانصرف عنهم علي . فقال له صعصعة بن صُوحان : يا أمير المؤمنين ، ائذن لي في كلام القوم ، قال : نعم ما لم تَبْسُطْ يَدًا ، فنادى صعصعة ابن الكواء ، نخرج إليه فقال : أَنشدكم الله يا معشر الخارجين أن لا تكونوا عارًا على من يغزو لغيره^(١) ، وأن لا تخرجوا بأرض تسمَّون بها بعد اليوم ، ولا تستعجلوا ضلال العام خشية ضلال عام قابل ، فقال له ابن الكواء : إن صاحبك لَقِينَا بِأَمْرٍ ، قولك فيه صغيرٌ فأَمْسِك . قالوا إن علينا خرج بعد ذلك إليهم ، نخرج إليه ابن الكواء ، فقال له علي : يابن الكواء ، إنه من أذنب في هذا الدين ذنبًا يكون في الإسلام حَدَثًا ، اسْتَبْنَاهُ مِنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ بعينه ، وإنَّ تَوْبَتَكَ أَنْ تعرف هُدًى ما خرجت منه ، وضلال ما دخلت فيه . قال ابن الكواء : إننا لا ننكر أننا قد قُتِنَّا ، فقال له

[١] أى لغير منفعة الشخصية بل لأم شعت المسلمين وجمع كلمتهم يعنى عليا وأصحابه .

عبد الله بن عمرو بن جرموز: أدركنا والله هذه الآية « أَلَمْ ، أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ » - وكان عبد الله من قراء أهل حروراء ، فرجعوا فصَلَّوا خلفَ عليّ الظهرَ ، وانصرفوا معه إلى الكوفة ، ثم اختلفوا بعد ذلك في رجعتهم ولا م بعضهم بعضاً ، ثم خرجوا على عليّ ، فقتلهم بالنهر وان .

(العقد الفريد ٢ : ٢٤٠)

٢٤٨ — مناظرة ابن عباس لهم

فأما استقروا بالكوفة أشاعوا أن علياً رجع عن التحكيم ، وتاب منه ، وراه ضللاً ، فأتى الأشعث بن قيس علياً ، فقال يا أمير المؤمنين : إن الناس قد تحدثوا أنك رأيت الحكومة ضللاً ، والإقامة عليها كفرًا وتبت ، نخطب على الناس فقال :

« من زعم أني رجعت عن الحكومة فقد كذب ، ومن رآها ضللاً فهو أضلُّ منها ، فخرجت الخوارج من المسجد فحكمت ، فقبل عليّ إنهم خارجون ، فقال لا أقاتلهم حتى يقاتلوني ، وسيفعلون ، فوجه إليهم عبد الله بن العباس .

فأما سار إليهم رحبوا به وأكرموه ، فرأى منهم جباها فرحت أطول السجود ، وأيديا كَثَفَاتٍ^(١) الإبل ، وعليهم قُمَصٌ مَرَحَضَةٌ^(٢) وهم شمرُونَ . قالوا : ما جاء بك يا ابن عباس ؟ قال : جئتكم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبن عمه ، وأعلمنا بربه وسنة نبيه ، ومن عند المهاجرين والأنصار . فقالوا : إنا أتينا عظيمًا حين حكمتنا الرجال في دين الله . فإن تاب كما تبنا ، ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا ، فقال ابن عباس : نَشَدْتُمْ اللهَ إِلَّا مَا صَدَقْتُمْ أَنْفُسَكُمْ . أما علمتم أن

[١] ثفة البعير : ركبته . [٢] قمص جمع قميص ، ورحض الثوب : غسله .

الله أمر بتحكيم الرجال في أرنب تساوى ربع درهم تصاد في الحرم ، وفي شقاق امرأة ورجلها ، فقالوا اللهم نعم ، قال فأنشدكم الله هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن القتال ، للهدنة بينه وبين الحديبية^(١) ، قالوا: نعم ولكن عليا محبا نفسه من خلافة المسلمين ، قال ابن عباس: أذلك يزيلها عنه ؟ وقد محار رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه من النبوة ، قال سهيل^(٢) بن عمرو لو علمت أنك رسول الله ما حاربتك ، فقال للكاتب^(٣) اكتب محمد بن عبد الله وقد أخذ على الحكمين أن لا يحورا ، فعلى أولى من معاوية وغيره ، قالوا: إن معاوية يدعى مثل دعوى على قال: فأيهما رأيتموه أولى قولوه قالوا: صدقت ، قال ابن عباس : ومتى جار الحكمين فلا طاعة لهما ، ولا قبول لقولهما .

فاتبعه منهم ألفان وبقى أربعة آلاف ، فلم يزالوا على ذلك حتى اجتمعوا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبي . (المقد الفريد ١ : ٢١٢)

٢٤٩ — خطبة يزيد بن عاصم المحاربي

وخرج الإمام على كرم الله وجهه ذات يوم يخطب ، فإنه لفي خطبته ، إذ حكمت^(٤) المحكمة في جوانب المسجد ، فقال على : الله أكبر ، كلمة حق يراد بها باطل ، إن سكتوا غممتناهم ، وإن تكلموا حجبناهم ، وإن خرجوا علينا قاتلناهم ، فوثب يزيد بن عاصم المحاربي فقال :

« الحمد لله غير مؤدع^(٥) ربنا ولا مستغنى عنه ، اللهم إنا نعوذ بك من

[١] أى وبين أهل الحديبية ، والحديبية بئر قرب مكة ، وكانت غزوة الحديبية سنة ست هجرية .

[٢] النائب عن قريش و قد الصلح مع المسلمين . [٣] وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

[٤] أى قالوا لاحكم إلا الله ، ويسمى الحوارج المحكمة : أى الذين يمنعون التحكيم .

[٥] أى غير متروك ولا مقطوع : أى حمدا دائما .

إعطاء الدنيّة ^(١) في ديننا ، فإن إعطاء الدنية في الدين إذهان ^(٢) في أمر الله عز وجل ، وذل راجع بأهله إلى سخط الله ، يا على أباقتل تخوفنا ؟ أما والله إني لأرجو أن نضربكم بها عما قليل غير مُصَفَّحات ^(٣) ، ثم لتعلمن أيّنا أولى بها صلياً ^(٤) .
ثم خرج بهم هو وإخوة له ثلاثة هو رابعهم ، فأصيبوا مع الخوارج بالنهر ، وأصيب أحدهم بعد ذلك بالنخيلة . (تاريخ الطبري ٦ : ٤١)

٢٥٠ — خطبة عبد الله بن وهب الراسبي

ولما بعث الإمام على أبا موسى الأشعري لإنفاد الحكومة ، لقيت الخوارج بعضها بعضاً ، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فوالله ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن ، ويُنبئون إلى حكم القرآن ، أن تكون هذه الدنيا — التي الرضا بها والركون إليها ، والإيثار إياها عناء وتَبَارُكٌ ^(٥) — أثر عندهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقول بالحق ، وإن من ^(٦) وضُرٌّ ، فإنه من يُمنَّ وَيُضَرَّ في هذه الدنيا ، فإن ثوابه يوم القيامة رضوانُ الله عز وجل ، والخلود في جناته ، فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها ، إلى بعض كُور ^(٧) الجبال ، أو إلى بعض هذه المدائن ، منكرين لهذه البدع المضلّة »

[١] يريد بها قول التحكيم . [٢] الإذهان والمداهة : إظهار ما يستر . [٣] أي نضربكم بمحدها لا بعرضها ، صربه بالسيف مصعاً : أي بمرضه . [٤] صلي البار وبها صلياً : فاسى حرّها . [٥] هلاك . [٦] أي قطع وهجر . [٧] جمع كورة بالضم ، وهي المدينة والصقع .

٢٥١ — خطبة حرقوص بن زهير السعدى

فقام حُرْقُوصُ بن زُهَيْرِ السَّعْدِيِّ فقال :

« إن المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإن الفراق لها وَشِيكَ ^(١) ، فلا تدعوا نكم زِينَتَهَا وبَهْجَتَهَا إلى المَقَامِ بها ، وَلَا تَلْفِتَنَّكُمْ عن طلب الحق وإنكار الظلم ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ »

٢٥٢ — خطبة حمزة بن سنان الأسدى

فقام حمزة بن سنان الأسدى فقال :

« يا قوم إن الرأى ما قد رأيتم ، والحق ما قد ذكرتم ، فولوا أمركم رجلا منكم فإنه لا بد لكم من عِمَادٍ وَسِنَادٍ ، وراية تحفون بها ، وترجعون إليها » .
فعرضوها على زيد بن حُصَيْنِ الطائى فأبى ، وعلى حُرْقُوصِ بن زهير فأبى ، وعلى حمزة بن سنان ، وشُريح بن أَوْفَى العبسى فأبى ، وعلى عبد الله بن وهب فقال : « هاتوها ، أما والله لا آخذها رغبة فى الدنيا ، ولا أدعها فرقا ^(٢) من الموت » فبايئوه (لعشر خلون من شوال سنة ٣٧ هـ) .

٢٥٣ — خطبة شريح بن أوفى العبسى ^(٣)

ثم اجتمعوا فى منزل شُريح بن أوفى العبسى ، فقام شريح فقال :
إن الله أخذ عهودنا ومواثيقنا على الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ،
والقول بالحق ، والجهاد فى تقويم السبيل ، وقد قال عز وجل لنبيه عليه الصلاة

[١] سريع . [٢] جرعاً وخوفاً . [٣] قال ابن قتيبة فى الإمامة والسياسة : « ثم اجتمعوا فى منزل زيد بن حصين الطائى ، فقالوا : إن الله أخذ عهودنا ومواثيقنا . . . إلى آخر الخطبة ، ولم يذكر قائلها ، وذكر الطبرى فى تاريخه : أنهم اجتمعوا فى منزل شريح بن أوفى العبسى ، وذكر الفهرات الأخيرة من هذه الخطبة وعزاها إلى شريح » .

والسلام : « يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ » وقال : « وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ » فاشهدوا على أهل دَعَوَتِنَا أَنْ قَدْ اتَّبَعُوا الْهَوَىٰ ، وَنَبَذُوا حُكْمَ الْقُرْآنِ ، وَجَارُوا فِي الْحُكْمِ وَالْعَمَلِ ، وَأَنْ جِهَادَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَرَضَ ، وَأَقْسَمَ بِالَّذِي تَعْنُونَ^(١) لَهُ الْوَجْوهَ ، وَتَخْشَعُ دُونَهُ الْأَبْصَارَ ، لَوْ لَمْ يَكُن أَحَدٌ عَلَى تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ ، وَقِتَالِ الْقَاسِطِينَ^(٢) مُسَاعِدًا ، لَقَاتَلْتَهُمْ وَحْدِي فَرَدًّا حَتَّى أَلْقَى اللَّهُ رَبِّي ، فِيرَى أَنِّي قَدْ غَيَّرْتُ (إِرَادَةَ رِضْوَانِهِ) بِلِسَانِي ، يَا إِخْوَانِنَا ، اضْرِبُوا جِبَاهَهُمْ وَوُجُوهُهُمْ بِالسَّيْفِ ، حَتَّى يُطَاعَ الرَّحْمَنُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنْ يُطْعِمَ اللَّهُ كَمَا أَرَدْتُمْ أَثَابَكُمْ ثَوَابَ الْمُطِيعِينَ لَهُ الْآمِرِينَ بِأَمْرِهِ ، وَإِنْ قُتِلْتُمْ فَأَيُّ شَيْءٍ أَعْظَمُ مِنَ الْمَسِيرِ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَجَنَّتِهِ ؟ وَاعْلَمُوا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ خَرَجُوا لِإِقْصَاءِ حُكْمِ الضَّلَالَةِ ، فَاخْرُجُوا بِنَا إِلَى بَلَدٍ تَتَّعِدُ فِيهِ الْجَمَاعَةُ مِنْ مَكَانِنَا هَذَا ، فَإِنَّكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَةِ رَبِّكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُ الْحَقِّ بَيْنَ الْخَلْقِ ، إِذْ قُلْتُمْ بِالْحَقِّ ، وَصَدَقْتُمْ لِقَوْلِ الصِّدْقِ ، فَاخْرُجُوا بِنَا إِلَى « الْمَدَائِنِ »^(٣) نَسْكُنُهَا فَنَأْخُذُ بِأَبْوَابِهَا ، وَنُخْرِجُ مِنْهَا سُكَّانَهَا ، وَنَبْعَثُ إِلَى إِخْوَانِنَا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَيَقْدَمُونَ عَلَيْنَا .

٢٥٤ — مقال زيد بن حصين الطائي

فقال زيد بن حصين الطائي :
« إِنَّكُمْ إِنْ خَرَجْتُمْ مُجْتَمِعِينَ أَتْبَعْتُمْ ، وَلَكِنْ اخْرُجُوا وَحِدَانًا مُسْتَخْفِينَ ،

[١] تدل وتخضع . [٢] الجائرين . [٣] على نهر دجلة شرقاً .

فأما المدائن ، فإن بها قومًا يمنعونكم منها ، ويمنعونها منكم ، ولكن اكتبوا إلى إخوانكم من أهل البصرة ، فأعلموهم بخروجكم ، وسيروا حتى تنزلوا جسر النهروان ^(١) .

قالوا : هذا هو الرأي ، فاجتمعوا على ذلك ، وكتبوا به إليهم .

(تاريخ الطبري ٥ : ٤٢ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٤)

٢٥٥ - خطبة عليّ في تخويف أهل النهروان

فلما نزلوا بالنهرَوان ، وأتوا بها ما أتوا من الأحداث ^(٢) ، أتاهم الإمام عليّ

كرّم الله وجهه ، فوقف عليهم فقال :

« أيتها العصابةُ التي أخرجها عداوةُ المراء واللّجاجةُ ، وصدّها عن الحق

الهوى ، وطَمَحَ بها التّزق ^(٣) وأصبحت في اللّبس والخطب العظيم ، إني نذير لكم أن تُصبحُوا تُلْفِيكُمْ الأمةُ غداً صَرَعَى بأثنا ^(٤) هذا النهر ، وبأهضام ^(٥)

هذا الغائط ^(٦) ، على غير بينة من ربكم ، ولا سلطان مبین معكم ، وقد طَوَّحت بكم الدار ، واحتَبَلَكُم ^(٧) المقدار .

[١] النهروان : بليدة بالقرب من بغداد ، نحو أربعة فراسخ . [٢] من ذلك أنهم لقوا عبد الله ابن خباب بن الأرت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه امرأته وهي حبلى متم (أى دنا ولادها) فقالوا : ماتقول في أنى بكر وصهر ؟ فأثنى عليهما خيراً ، قالوا : ماتقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها ؟ قال : إنه كان محققاً في أولها وفي آخرها ، قالوا : فما تقول في عليّ قبل الحكيم وبعده ؟ قال : إنه أعلم بالله منكم وأشدّ توقياً على دينه وأنفذ بصيرة ، فقالوا : إنك تتبع الهوى ، وتوالى الرجال على أسمائها ، لا على أفعالها ، ثم قرّبوه إلى شاطئ النهر فذبّحوه ، وسال دمه في الماء ، وبقرّوا بطن امرأته ، وقتلوا ثلاث نسوة من طيئ ، وقتلوا أم سنان الصيداوية ، وأصابوا مسلماً ونصرانياً ، فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني خيراً ، وقالوا : احفظوا ذمة بئيكُم ، وأرسل إليهم قلى رسولاً ينظر فيما بلغه عنهم فقتلوه ، فبعث إليهم أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم بقتلهم بهم ، ثم أنا تارككم وكافّ عنكم حتى ألقى أهل الشام ، فلعلّ الله يقبّل قلوبكم ويردّكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم ، فبعثوا إليه ، فمالوا كلما قتلهم ، وكلنا نستحلّ دماءهم ودماءكم . [٣] الطيش . [٤] جمع نبي بالكسر أى منعطقاته . [٥] جمع هضم (بالفتح وبكسر) وهو المظمن من الأرض . [٦] المائط المظمن الواسع من الأرض . [٧] أوقعكم في الحباله .

ألم تعلموا أنى نهيتكم عن الحكومة ، وأخبرتكم أن طلب القوم إياها منكم دهن^(١) ومكيدة لكم ؟ ونبأتكم أن القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، وأنى أعرف بهم منكم ؟ (عرفتهم أطفالا ورجالا ، فهم أهل المكر والغدر) وأنكم إن فارقتهم رأيي جانبتم الحزم ؟ فعصيتمونى وأكرهتمونى حتى حكمت ، فلما أن فعلت شرطت واستوثقت ، فأخذت على الحكيم أن يُحييا ما أحيا القرآن ، وأن يميئا ما أمات القرآن ، فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة ، وعملا بالهوى ، فنَبَذْنَا أمرهما ، ونحن على أمرنا الأول ، فما الذى بكم ، ومن أين أتيتهم ؟ » .

قالوا : « إنا حكمنا ، فلما حكمنا أثمنا ، وكنا بذلك كافرين ، وقد تبنا . فإن ثبت كما تبنا ، فنحن منك ومعك ، وإن أيدت فاعتزنا ، فإننا منابذك على سواء^(٢) » إن الله لا يحب الخائنين .

فقال على : « أصابكم حاصب^(٣) ، ولا بقى منكم وابر^(٤) ، أبعد إيماني برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهجرتى معه ، وجهادى فى سبيل الله ، أشهد على نفسى بالكفر ؟ لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين ، فأوبوا شر مآب^(٥) ،

[١] دهن الرجل إذا نافع . [٢] هو من قوله تعالى « وَإِذَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ » . ومعناه إذا هادنت قوما فعلت منهم النقض للعهد ، فلا توقع بهم ساءة إلى النقض حتى تدلهم أنك نقضت العهد ، فتكونوا فى علم النقض مستترون لئلا يتموك بالغدر ، ثم أوقع بهم . [٣] الحاصب : الريح الشديدة تثير الحصباء (الحصى) ، وحصبه : رماء الحصباء . [٤] أى أحد ويروى أبر ، وهو الذى يأبر النخل أى يصله ، ويروى آثر ، وهو الذى يآثر الحديث أى يرويه ويحكىه ، ويروى آبر ، وهو الوائب . [٥] أى ارجعوا شر مرجع .

وارجعوا عَلَى أَثَرِ الْأَعْقَابِ^(١) أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا ، وَسَيَفْأَ قَاطِعًا ،
وَأَثَرَةً^(٢) يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً »

٢٥٦ — صورة أخرى

وفي رواية أخرى أن عليًّا قال لأهل النهر :

« يا هؤلاء : إن أنفسكم قد سَوَّلت لكم فراقَ هذه الحكومة ، التي أنتم
ابتدأتموها وسأَلتموها^(٣) وأنا لها كاره ، وأنبأتكم أن القوم سَأَلُوا كموها مكيدة
ودَهَنًا ، فأَيِّتُمْ عَلَى إِبَاءِ المخالفين المُناذرين ، وعدلتم عنى عدول النُّكَدَاءِ^(٤)
العاصين ، حتى صرفتُ رأيي إلى رأيكم ، وأنتم والله معاشرُ أَخِفَاءِ الهَامِ^(٥) ،
سُفَهَاءِ الأحلام ، فلم آتِ (لا أبا لكم) بُجْرًا^(٦) ، ولا أردت بكم ضُرًّا ، والله
ما خَبَلْتُكم^(٧) عن أموركم ، ولا أخفيت شيئًا من هذا الأمر عنكم ، ولا أوطأتكم
عُشْوَةً^(٨) ، ولا دَنَيْتُ^(٩) لكم الضَّرَاءَ ، وإن كَانَ أمرنا لأمرِ المسلمين ظاهرًا ،
فأَجْمَعَ رأي مَلَئِكِمْ عَلَى أن اختاروا رجلين ، فأخذنا عليهما أن يحكما بما فى القرآن
ولا يَعْبُدُواه ، فتَاهَا^(١٠) وتركَا الحق وهما يُبْصِرَانِه ، وَكَانَ الجَوْرُ هَوَاهُمَا (وقد سَبَقَ
استِثْنَاؤُنَا عليهما فى الحكم بالعدل) وَالصَّدُّ للحق بسوء رأيهما وجَوْرَ حكمهما ،

[١] الأعقاب جمع عقب (بكسر القاف) : وهو مؤخر القدم ، وهو مأخوذ من قوله تعالى :

« وَتُرْجَدُ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَاكَ اللَّهُ » يدعو عليهم بانكاس حلقهم وارتدادهم وعودهم من العز

إلى الذل . [٢] أى استبداداً عليكم باليأس والغنائم .

[٣] المراد : سألتونى أن أحيب إليها . [٤] رجل نكد (بكسر الكاف وفتحها وسكونها) وأنكد

أى عسر ، وقوم أنكاد وما كيد ، ولم أر فى كتب اللغة جمعه على نكداء . [٥] أخفاء : جمع خفيف

والهام : الرءوس ، وهو كناية عن قلة العقل . [٦] البجر : بالضم والفتح : الشر والأمر العظيم ،

ويروى حراما . [٧] منعتمكم وحبستكم . [٨] العشوة مثله : ركوب الأمر على غير بيان ،

والفتح الطامة ، ويقال : أوطأه عشوة ، أى غررته وحملته على أن يركب أمراً غير مستبين الرشيد ، فربما

كان فيه عطبه . [٩] دناء وأدناء : قرّبه . [١٠] ضلّا .

والثقة في أيدينا لأنفسنا حين خالفنا سبيل الحق ، وأتينا بما لا يُعْرَف ، فيئِنُوا
لنا بماذا تستحلون قتالنا ، والخروجَ من جماعتنا ؟ أن اختار الناسُ رجلين ^(١) أحلَّ
لكم أن تضعوا أسيافكم على عواتقكم ، ثم تستعرضوا الناسَ تضربون رقابهم ،
وتسفكون دماءهم ؟ إن هذا هو الخسران المبين ، والله لو قتلتم على هذا دجاجةً
لَعَظُمَ عند الله قتلها ، فكيفَ بالنفس التي قتلها عند الله حرام ؟ »

فَتَنَادُوا لَا تَخَاطَبُوهُمْ وَلَا تَكَلِّمُوهُمْ ، وَتَهَيَّئُوا لِلْقَاءِ الرَّبِّ ، الرَّوَاحَ الرَّوَاحَ إِلَى
الْجَنَّةِ ، فزحف عليهم على فأنفاهم ، وقتل ابن وهب في المعركة ، ولم يُقْلِتْ منهم
إلا عشرة (وكان ذلك سنة ٣٧ ، وقيل سنة ٣٨ هـ) .

(تاريخ الطبري ٦ : ٤٧ ، والامامة والسياسة ١ : ١٠٩ ونهج البلاغة ١ : ٤٤ - ٥٤)

٢٥٧ — خطبة المستورد بن علفَة

واجتمع بعد وقعة النهروان بالثخيلة جماعة من الخوارج ، ممن فارق عبد الله
ابن وهب ، وممن لجأ إلى راية أبي أيوب ^(٢) ، وممن كان أقام بالكوفة فقال :
لا أقاتل علياً ولا أقاتل معه ، فتواصوا فيما بينهم وتعاضدوا وتأسفوا على خذلانهم
أصحابهم ، فقام منهم قائم يقال له المستورد بن علفَة من بني سعد بن زيد مناة ،
فحمِد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ثم قال : « إن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أتانا بالعدل تحفُّق راياته ، مُعَلِّناً مَقَالَتهُ ، مُبَلِّغاً عن ربه ، ناصحاً لأُمته ،

[١] همزة الاستفهام مقبرة قبل أن ، أي هل اختيار الناس رجلين أحل لكم ذلك .

[٢] وذلك أن الإمام قبل أن يزحف عليهم في وقعة النهروان نصب لهم راية أمان مع أبي أيوب
الأنصاري ، فناداهم أبو أيوب : « من جاء هذه الراية منكم من لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن ومن انصرف
منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن ، وخرج من هذه الجماعة فهو آمن ، إنه لا حاجة لنا بعد أن نصيب ثلثة
إخواننا منكم في سفك دماءكم » .

حتى قبضه الله مُخَيَّرًا مُخْتَارًا ، ثم قام الصديق فَصَدَقَ عن نبيه ، وقاتل من ارتدَّ عن دين ربه ، وذكر أن الله عز وجل قرَن الصلاة بالزكاة ، فرأى أن تعطيل إحداهما طَعْنٌ على الأخرى ، لابل على جميع منازل الدين ، ثم قبضه الله إليه موفوراً ، ثم قام الفاروق فَفَرَّقَ بين الحق والباطل ، مُسَوِّياً بين الناس في إعطائه ، لا مُؤَثِّرًا لِأَقَارِبِهِ ، ولا مُحَكِّمًا في دين ربه ، وهأتم تعامون ما حدث ، والله يقول : « وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا » فكلُّ أَجَابٍ وبائع^(١) .

(الكامل للبرد ٢ : ١٥٤)

خور أصحاب الامام وتقاعسهم عن نصرته

٢٥٨ — خطبة عبد الله بن عباس في أهل البصرة

ورأى الإمام على كرم الله وجهه بعد فشل التحكيم أن يعضى لمناجزة معاوية وأهل الشام ، فكتب إلى عبد الله بن عباس — وكان على البصرة — أن يُشَخِّصَ^(٢) إليه مَنْ قَبْلَهُ مِنَ النَّاسِ ، فأمرهم ابن عباس بالشخص مع الأحنف ابن قيس ، فَشَخَّصَ معه منهم ألف وخمسمائة رجل ، فاستقلهم ابن عباس ، فقام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ : قد جاءني كتاب أمير المؤمنين يأمرني بإشخاصكم ، فأمرتكم بالمسير إليه مع الأحنف بن قيس ، فلم يشَخِّصْ إليه منكم إلا ألف وخمسمائة ، وأنتم

[١] وقد وجه إليهم الإمام على ، عبد الله بن عباس داعياً فابوا ، فسار إليهم فطعنهم جميعاً لم يفلت منهم

إلا خمسة منهم المستورد . [٢] شخص كنع شخصاً : خرج من موضع إلى غيره ، وأشخصته أنا .

في الديوان^(١) ستون ألفاً، سوى أبنائكم وعبيدكم^(٢) ومواليكم ، ألا فانقروا^(٣) ، ولا يجعل امرؤ على نفسه سبيلاً ، فإنني موقّع بكل من وجدته تخلف عن دعوته ، عاصياً لإمامه ، حزيناً يعقّب ندماً ، وقد أمرت أبا الأسود بحشدكم ، فلا يلم امرؤ جعل السبيل على نفسه إلا نفسه » .

(الإمامة والسياسة ١ : ١٠٦ ، تاريخ الطبري ٦ : ٤٤)

٢٥٩ — خطبة الامام وقد أراد الانصراف من النهروان
ولما أراد الإمام الانصراف من النهروان ، قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد ، فإن الله قد أحسن بلاءكم ، وأعز نصركم ، فتوجهوا من فوركم هذا إلى معاوية وأشياعه القاسطين ، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، « وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ، فَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » .
٣٦٠ — مقال الأشعث بن قيس

فقام الأشعث بن قيس فقال :

« يا أمير المؤمنين : نَقِدْتَ نِبَالَنَا ، وَكَلْتَ سِيوفَنَا ، وَنَصَلْتَ^(٤) أَسِنَّةَ رِمَاحِنَا

[١] الديوان : الكتاب الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل المطاء ، وهو فارسي معرب . قال القافشندي في صبح الأعشى ١ : ٩٠ « وقد حكى الماوردي في الأحكام السلطانية في سبب تسميته بذلك وجهين : أحدهما أن كسرى ذات يوم اطلع على كتاب ديوانه في مكان لهم ، وهم يحسبون مع أنفسهم فقال « ديوانه » أي مجاين فسمى موضعهم بهذا الاسم ولزمه من حينئذ ، ثم حذفت الهاء من آخره لكثرة الاستعمال تخفيفاً فقل ديوان ، والثاني : أن الديوان بالفارسية اسم للثياطين ، وسمى الكتاب بذلك لحذفهم بالأمور ، ووقودهم على الجلي منها والحق » اهـ ، ومنه ترى أن الديوان كان يطلق في الفارسية على موضع الكتاب الحاسبين وعلى جماعة الكتاب ، وقد أطلق في العربية على جريدة الحساب ، ثم أطلق على الحساب ، ثم على موضع الحساب ، ثم على طائفة الكتاب ، وكان ذلك عهد في عصر الدولة العباسية ، وكان صهر بن الخطاب رضى الله عنه أول من دوّن الدواوين في العرب سنة ٢٣ أي رتب الجرائد للعمال ورجال الجيش فيها أسماءهم ومراتبهم في النسب وأرزاقهم (انظر تاريخ الطبري ٥ : ٢٣) . [٢] جمع عبد . [٣] نمر إلى الشيء : أسرع إليه . [٤] سقطت .

وعادَ أَكْثَرُهَا قَصِيداً^(١) فارجع بنا إلى مصرنا ، فَلَنْسْتَعِدَّ بِأَحْسَنِ عُدَّتِنَا ، ولعلَّ أمير المؤمنين يزيد في عَدَدِنَا مثلَ من هلك منا ، فَإِنَّهُ أَقْوَى لَنَا عَلَى عَدُونَا .
فَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى نَزَلَ بِالنُّخَيْلَةِ^(٢) ، ثُمَّ دَخَلَ الْكُوفَةَ .

(الإمامة والسياسة ١ : ١١٠ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٥١ ، ومروج الذهب ٢ : ٢٨ ،
وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٧٩)

٢٦١ — خطبة الإمام بالكوفة بعد قدومه من حرب الخوارج
يستنفر الناس لقتال معاوية

وخطب الناس بالكوفة بعد قدومه من حرب الخوارج فقال :
« أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَعِدُّوا لِقِتَالِ عَدُوِّ ، فِي جِهَادِهِمُ الْقُرْبَةَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ،
وَدَرْكُ الْوَسِيلَةِ عِنْدَهُ ، قَوْمٌ حَيَارَى عَنِ الْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَهُ ، مُوزَعِينَ^(٣) بِالْجَوْرِ وَالظُّلْمِ
لَا يَعْدِلُونَ بِهِ ، جُفَاقَةٍ عَنِ الْكِتَابِ ، نُكُوبٌ^(٤) عَنِ الدِّينِ ، يَعْمَهُونَ^(٥) فِي الطُّغْيَانِ
وَيَتَسَكَّمُونَ^(٦) فِي نَعْمَةِ الضَّلَالِ ، فَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ
رِبَاطٍ^(٧) الْخَيْلِ ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ وَكُنِيَ بِاللَّهِ وَكِيلًا »
فَمَا نَفَرُوا وَلَا تَيَسَّرُوا ، فَتَرَكَهُمْ أَيَّامًا حَتَّى إِذَا أَيْسَرَ مِنْ أَنْ يَفْعَلُوا دَعَا
رُؤَسَاءَهُمْ وَوُجُوهَهُمْ ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ رَأْيِهِمْ ، وَمَا الَّذِي يُنْظِرُهُمْ^(٨) ، فَفَتَنَهُمُ الْمَعْتَلُ ،
وَمِنْهُمْ الْمَتَكِرُّ ، وَأَقْلَهُمْ مَنْ نَشِطَ ، فَقَامَ فِيهِمْ خُطيبًا فَقَالَ :
(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٧٩ ، والإمامة والسياسة ١ : ١١٠ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٥١)

[١] رمح : قصد ، وقصيد ، وأقصَاد أى منكسر . [٢] وعسكر بها حين نزلها ، وأمر الناس أن يلزموا معه معسكرهم ، ويوطنوا على الجهاد أنفسهم ، وأن يفلوا من زيارة أبنائهم ونسائهم حتى يسـيروا إلى حدودهم من أهل الشام . فجعلوا يتسللون ويدخلون الكوفة ، حتى تركوه وما معه إلا نفر من وجوه الناس يسير ، وبقي المعسكر خالياً ، فلا من دخل الكوفة خرج إليه ، ولا من أقام معه صبر ، فلما رأى ذلك دخل الكوفة . [٣] أوزعه بالشئ : أغراه فأوزع به بالضم . [٤] من نكب عن الطريق : أى عدل ومال . [٥] من العمه (محركة) : وهو التحير والتردد في الضلال . [٦] تسكج : مشى مشياً متصفاً ، وتحير . [٧] اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ، فعال بمعنى مفعول أو مصدر سمي به كالمرباطة أو جمع ربيط فمبيل بمعنى مفعول . [٨] يؤخرهم .

٢٦٢ - خطبة له أيضا في استنفارهم لقتال معاوية

« عباد الله : ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا في سبيل الله اناقلتم ^(١) إلى الأرض ! أرَضَيْتُمْ بالحياة الدنيا من الآخرة بدلاً ، وبالنذل والهوان من العز خلفاً ؟ أو كلما ندبتكم إلى الجهاد دارت أعينكم ، كأ نكم من الموت في سكرة ، وكأن قلوبكم مألوسة ^(٢) فأنتم لا تعقلون ، وكأن أبصاركم كمه ^(٣) فأنتم لا تبصرون ، لله أنتم ! ما أنتم إلا أسود الشرى ^(٤) في الدعة ^(٥) ، وثمان رواقه حين تدعون إلى البأس ! ما أنتم لي بثقة سجييس الليالى ^(٦) ، ما أنتم بركب يُصَال بكم ، ولا ذى عز يُعْتَصَم إليه ، لعمري الله لبئس حشاش ^(٧) الحرب أنتم ، إنكم تُسكادون ولا تَكِيدُونَ ، وثنتقص أطرافكم ولا تتحاشون ^(٨) ، ولا يُنام عنكم وأنتم في غفلة ساهون ، إن أبا الحرب اليقظان ذو العقل ، وبات لذل من وادع ، وغلب المتخاذلون ، والمغلوب مقهور ومسلوب ، ثم قال :

« أما بعد : فإن لي عليكم حقاً ، وإن لكم علي حقاً ، فأما حقكم علي فالنصيحة لكم ما صحتكم ، وتوفير فيئكم عليكم ، وتعليمكم كيلا تجهلوا ، وتأديبكم كيما تعلموا ، وأما حقى عليكم ، فالوفاء بالبيعة والنصح لى فى الغيب والمشهد ، والإجابة حين أدعوكم ، والطاعة حين آمركم ، فإن يرد الله بكم خيراً تنزعوا عما أكره ، وترجعوا إلى ما أحب ، تنالوا ما تطلبون وتدرکوا ما تأملون . »

(تاريخ الطبرى ٦ : ٥١ ، الإمامة والسياسة ١ : ١١٠)

[١] تناقلتم . [٢] من الأس : كشمس ، وهو الجنون واختلاط العقل ، أس (كفى) فهو مألوس . [٣] كه : جمع أكه بن كه نصره (كفرح) اعترته ظلمة طمس عليه . [٤] الشرى : موضع تنسب إليه الأسد ، قيل هو شرى الفرات وناحيته وه عياض وآجام ومأسدة . [٥] أى فى وقت الدعة والحفض . [٦] يقال : لا آتيك سجييس الليالى : أى أبداً . [٧] جمع حاش : اسم فاعل من حش النار : أى أوقدها [٨] أى ولا تباعدون عن ذلك وتتلافون بالدفاع عنها من حاشية الشىء وهى ناحيته كما تقول تنحى عنه : أى تباعد عنه من الناحية .

وروى الشريف الرضى هذه الخطبة في نهج البلاغة بصورة أخرى وهي :

٢٦٣ - صورة أخرى

«أَفَ لَكُمْ ، لَقَدْ سَمِّيتُ عِتَابَكُمْ ، أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ عِوَضًا ،
وَبِالذَّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلْفًا ؟ إِذَا دَعَوْتُمْ إِلَى جِهَادٍ عَدُوَّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ ، كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ
فِي غَمْرَةٍ ^(١) ، وَمِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ ، يُزَيِّجُ ^(٢) عَلَيْكُمْ حَوَارِي قَتَمَمَهُوْنَ ! فَكَأَنَّ
قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ ! مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ اللَّيَالِي ، وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ
يُمَالُ بِكُمْ ^(٣) ، وَلَا زَوَافِرٍ ^(٤) عِزٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ ، مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَأَبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا ،
فَكَلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرٍ ، لِبئْسَ لِعَمْرِ اللَّهِ سَعَرٌ ^(٥) نَارِ الْحَرْبِ
أَنْتُمْ ، تُكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ ، وَتُنْتَقِصُ أَطْرَافُكُمْ فَلَا تَتَمَعِّضُونَ ^(٦) ، لَا يُنَامُ
عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ ، غُلِبَ وَاللَّهِ الْمُتَخَاذِلُونَ ، وَائِيْمُ اللَّهِ إِنِّي لِأُظَنُّ بِكُمْ أَنْ
لَوْ حَسِسَ ^(٧) الْوَغَى ، وَاسْتَحَرَّ الْمَوْتَ ، قَدْ انْفَرَجْتُمْ عَنْ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ، انْفِرَاجَ
الرَّأْسِ ^(٨) ، وَاللَّهُ إِنْ أَمْرًا يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْزُقُ ^(٩) لَحْمَهُ ، وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ ،
وَيَفْرِى ^(١٠) جِلْدَهُ ، لِعَظِيمِ عَجْزِهِ ، ضَعِيفُ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ ، أَنْتَ
فَكُنْ ذَلِكَ إِنْ شِئْتَ ^(١١) فَأَمَّا أَنَا : فَوَاللَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطَى ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرِفِيَّةِ ^(١٢)
تَطِيرُ مِنْهُ فَرَّاشُ ^(١٣) الْهَامِ ، وَتَطْيِیحُ السَّوَادِ وَالْأَقْدَامِ ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ .

[١] الغمرة : الشدة . [٢] يغلغ : والحوار : المحاوره . [٣] أى يستند إليكم ويمال هلى
العدو بقوتكم . [٤] جمع زامرة ، والزامرة من الباء دكنه ، ومن الرجل هشيرته .
[٥] من سحر النار والحرب : كنع أوقدها مصدر بمعنى اسم الفاعل ، أو هو جمع ساعر ، كقولهم : قوم
كظم للنيظ جمع كظم . [٦] أى لا تمعضون . [٧] اشتد ، وكذا استعز ، وأصل الوغى :
الصوت والجلبة ، ثم سميت الحرب وغى لما فيها من الأصوات والجلبة . [٨] أى انفراجا لا الشام بعده .
[٩] عرق العظم عرقا : أكل ما عليه من اللحم ، كنعرقه . [١٠] يمزق . [١١] الخطاب عام
لكل من أمكن عدوه من نفسه . [١٢] السيوف ، نسبة إلى مشارف الشام ، وهى قرى من أرض
العرب تدنو من الرّيف . [١٣] عظامها الرقيقة .

أيها الناس : إن لي عليكم حقاً ، ولكم عليّ حقٌ ، فأما حقكم عليّ فالنصيحة لكم وتوفيرُ فيئكم عليكم ، وتعليمكم كيلا تجهلوا ، وتأديبكم كيما تعلموا ، وأما حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة ، والنصيحةُ في المشهدِ والمغيّب ، والإجابةُ حين أدعوكم ، والطاعة حين آمركم . (نهج البلاعة ١ : ٤٢)

· وزاد ابن قتيبة في الإمامة والسياسة :

« والله يا أهل العراق ، ما أظن هؤلاء القوم من أهل الشام إلا ظاهرين ^(١) عليكم ، فقالوا : « أبعلم تقول ذلك يا أمير المؤمنين ؟ » فقال :

« نعم والذي فاق الحبة ، وبرأ النسمة ، إني أرى أمورهم قد علّت ، وأرى أموركم قد خبّت ^(٢) ، وأراهم جادّين في باطلهم ، وأراكم وانين ^(٣) في حقكم ، وأراهم مجتمعين ، وأراكم متفرقين ، وأراهم لصاحبهم معاوية مطيعين ، وأراكم لي عاصين ، أما والله لئن ظهرُوا عليكم بعدى ، لتجدنهم أربابَ سوء ، كأنهم والله عن قريب قد شاركوكم في بلادكم ، وحملوا إلى بلادهم منكم ، وكأني أنظر إليكم تكشون ^(٤) كشيش الضباب ، لا تأخذون لله حقاً ، ولا تمنعون له حرمة ، وكأني أنظر إليهم يقتلون صلحاءكم ، ويخيفون علماءكم ، وكأني أنظر إليكم يحرمونكم ويحبسونكم ، ويذنون الناس دونكم ، فلو قد رأيتم الحرمان ، واققيتم الذل والهوان ، ووقع السيف ، ونزل الخوف ، لنديمتم وتحسرتم على تفريطكم في جهاد عدوكم ، وتذكرتم ما أنتم فيه من الخفض والعافية ، حين لا ينفعكم التذكّار » .

[١] منتصرين . [٢] من خبت النار ، أى سكنت وانطفأت .

[٣] من ونى إذا فتر وضعف . [٤] كشّ الصب كشياً : صوت

٢٦٤ - خطبة أبي أيوب الأنصاري

ثم قام أبو أيوب الأنصاري فقال :

« إن أمير المؤمنين - أكرمه الله - قد أسمع من كانت له أذن واعية ، وقلب حفيظ ، إن الله قد أكرمكم به كرامة ما قبلتموها حق قبولها ، حيث نزل بين أظهركم ابنُ عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخير المسلمين وأفضلهم وسيدهم بعده ، يُفَقِّهْكُمْ في الدين ويدعوكم إلى جهاد المُحِلِّين ، فوالله لكأنكم صُمُّ^(١) لا تسمعون ، وقلوبكم غُلْفٌ^(٢) مطبوعٌ عليها ، فلا تستجيبون ، عباد الله أليس إنما عهدكم بالجور والعدوان أمس ، وقد شمل العباد وشاع في الإسلام ، فذو حق محرومٌ مشتومٌ عِرضُهُ ، ومضروب ظهرُهُ ، وملطوم وجهه ، وموطوء بطنه ، ومُلْتَقَى بِالْعَرَاءِ^(٣) ، فلما جاءكم أمير المؤمنين صدَّعَ بالحق ، ونشَرَ العدل ، وعَمِلَ بالكتاب ، فاشكروا نعمة الله عليكم ، ولا تتولَّوا مُجْرِمِينَ ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ، اشحذوا السيوف ، وجددوا آلة الحرب ، واستعدوا للجهاد ، فإذا دُعِيتُمْ فأجبوا ، وإذا أمرتم فأطيعوا ، تكونوا بذلك من الصادقين » .

(الإمامة والسياسة ١ : ١١٢)

٢٦٥ - خطبة الامام وقد أغار النعمان بن بشير على التمر

وفي سنة ٣٩ هـ فرق معاوية جيوشه في أطراف على ، فبعث النعمان ابن بشير الأنصاري في ألفين ، فأتوا عين التمر^(٣) فأغاروا عليها ، وبها عامل

[١] جمع أغلف ، وقلب أغلف كأنما غشي غلافا فهو لا يبصر . [٢] العراء : الفضاء لا يستتر فيه بصر . [٣] بلد على الفرات شمالى الكوفة .

لعلّ في ثلثمائة ، فكتب إلى عليّ يستمده ، فأمر الناس أن ينهضوا إليه فتشافوا ، فصعد المنبر فتشهد ثم قال :

« يَ أَهْلَ الْكَوْفَةِ : كُلِّمَا سَمِعْتُمْ بِمَنْسِرٍ ^(١) مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَظَلَّكُمْ ، انْجَحَر ^(٢) كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ فِي بَيْتِهِ ، وَأَغْلَقَ بَابَهُ ، انْجَحَرَ الضَّبُّ فِي جُحْرِهِ ، وَالضَّبُعُ فِي وَجَارِهَا ^(٣) ، الْمَغْرُورُ مِنْ غَرَرْتَمَوْهُ ، وَلَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَازَ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ ، لَا أَحْرَارٌ عِنْدَ الْهَدَاءِ ، وَلَا إِخْوَانٌ ثَقَّةٌ عِنْدَ النَّجَاءِ ^(٤) ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! مَاذَا مُنِيتُ بِهِ مِنْكُمْ ؟ عُحْمِي لَا تَبْصُرُونَ ، وَبُكْمِي لَا تَنْطِقُونَ ، وَضُمِّي لَا تَسْتَمْعُونَ ! إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! » .

(تاريخ الطبري ٦ : ٧٧)

وروى الشريف الرضي في نهج البلاغة هذه الخطبة بصورة أخرى وهي :

٢٦٦ - صورة أخرى

مُنِيتُ ^(٥) بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ ، وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ ! لَا أَتَالَكُمْ ، مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبِّكُمْ ؟ أَمَّا دِينَ يُجْمَعُكُمْ ، وَلَا حِمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ ^(٦) ؟ أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَضْرِحًا ، وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثًا ^(٧) ، فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا ، وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْرًا ، حَتَّى تَكْشِفَ الْأُمُورَ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَسَاءَةِ ؟ فَمَا يُذَرِّكُ بِكُمْ ثَارٌ ، وَلَا يُبَلِّغُكُمْ مَرَامٌ ؟ دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ ، فَجَزَّ جَزَّتُمْ ^(٨) جَزَّةَ الْجَمَلِ الْأَسْرَ ^(٩) وَتَشَاقَلْتُمْ

[١] المنسر : قطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير . [٢] من انجحر الصب : أى دخل جحره .

[٣] الوحار بالكسر والفتح : جحر الضبع وغيرها . [٤] النجاء : السرعة في السير ، نجات

نجات أى أسرع وتسبق ، وقالوا : الجاء النجاء ، والجا النجا فدوا وقصروا . [٥] بليت .

[٦] تعضبكم . [٧] فائلا واغوثا . [٨] الجرجرة : صوت يردده البعير في حنجرته ،

وأكثر ما يكون ذلك عند الاعياء والتعب . [٩] المصاب بداء السرر (بالتحريك) ، وهو وجع في

الكركرة (رعى زور البعير) .

تثاقُلَ النَّضْوُ^(١) الْأَذْبَرَ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ^(٢) ضَعِيفٌ ، كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ .
(نهج البلاغة ١ : ٤٦)

٢٦٧ — خطبة الامام وقد أغار الضحّاك بن قيس على الحيرة^(٣)

ووجه معاوية الضحّاك بن قيس فأغار على الحيرة وغنم من أموال أهلها ، وبلغ ذلك علماً فاستصرخ الناس ، فتقاعدوا عنه ، فقام فيهم خطيباً فقال :
« أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانِهِمْ ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ ، كَلَامُهُمْ يُوهِي الضَّمُّ^(٤) الصَّلَابَ ، وَفِعْلُهُمْ يُطْمِعُ فِيكُمْ الْأَعْدَاءُ ، تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ كَيْتَ وَكَيْتَ^(٥) ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قَلْتُمْ حَيْدِي حَيَادٍ^(٦) ، مَا عَزَزَتْ دَعْوَةٌ مِنْ دَعَاكُمْ ، وَلَا اسْتَرَحَ قَلْبٌ مِنْ قَاسَاكُمْ ، أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلِ^(٧) ، دَفَاعَ ذِي الدِّينِ الْمَطُولِ^(٨) ، هَيْهَاتَ لَا يَمْنَعُ الضَّيْمُ الدَّلِيلُ ، وَلَا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ ، أَيُّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ ؟ وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تَقَاتِلُونَ ؟ الْمَغْرُورُ وَاللَّهُ مَنْ غَرَّرْتُمُوهُ ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَاللَّهُ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَاقِ نَاصِلٍ^(٩) ، أَصَبَحْتُ وَاللَّهُ لَا أَصْدُقُ قَوْلَكُمْ ، وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ ، وَلَا أُوعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ ، مَا بَالُكُمْ ؟ مَا دَوَاؤُكُمْ ؟

[١] النضو : البعير المهزول ، والأدبر : المدبور أى المجروح . [٢] جنيد : تصغير جند ، ومتذائب : أى مضطرب من قولهم : تذاءبت الريح ، أى اضطرب هبوبها ، ومنه سمي الذئب ذئباً لاضطراب مشيته . [٣] شمالى الكوفة . [٤] يوهى : يشق ويحرق ، والضّم : جمع أصم ، وهو الحبر الصلب المصمت . [٥] بفتح آخرهما ويكسر : أى كذا وكذا . [٦] حيدى حياذ : كلمة يقولها الهارب الهارب ، من حاد حيداً بمعنى مال وانحرف ، أى ابعدى وتنحى عى أيتها الحرب ، وهى نظيره قولهم (يهوى فلاح) أى اتسعى . [٧] الأضاليل : جمع أضلولة بالضم ، وهى الضلال ، وفى كتب اللغة : العلالة « (بالضم) والتعلة (كتحية) ، والعلة (بالفتح) ما يتعلل به » ولم أجد فيها كلمة أعاليل ولا فردها ، ولا بد أن تكون جمع أضلولة بالضم : كأضاليل وأعاجيب والأعيب . الخ ، والمعنى إن أقوالكم هذه تعلل بأباطيل لا جدوى لها . [٨] مبالغة فى ماطل . [٩] سهم أنوق مكسور الفوق (بضم الفاء) والفوق : مدخل الوتر من السهم ، والناصل : العارى عن النصل .

ما طِبُّكُمْ؟ القومُ رجالٌ أمثالكم ! أقوهُ لا بغير علم ، وغفلةً من غير ورع ، وطمعاً في غير حق ! »

وزاد ابن قُتَيْبَةَ في الإمامة والسياسة :

« فرَّقَ الله بيني وبينكم ، وأعقبني بكم من خيرٍ لي منكم ، وأعقبكم بعدى من شرٍّ لكم مني ، أما إنكم ستلقون بعدى ذلاً شاملاً ، وسيفاً قاتلاً ، وأثرةً يتخذها الظالمون بعدى فيكم سنةً ، تفرِّقُ جماعتكم ، وتبكي عيونكم وتدخلُ الفقر بيوتكم ، تمنَّونَ والله عندها أن لو رأيتُموني ونصرتُموني ، وستعرفون ما أقول لكم عمماً قليل .

استنفرتكم فلم تنفروا ! ونصحتُ لكم فلم تقبلوا ! وأسمعتكم فلم تعموا ! فأنتم شهود كأغياب ، وصُمُّ ذوو أسماع ، أتلو عليكم الحكمة ، وأعظمكم بالموعة النافعة ، وأحشكم على جهاد المُحِلِّين ^(١) ، الظلمة الباغين ، فما آتى على آخر قولي ، حتى أراكم متفرقين ، وإذا تركتكم عدتم إلى مجالسكم حلقاً ^(٢) عزيز ^(٣) ، تضربون الأمثال ، وتناشدون الأشعار ، تربت ^(٤) أيديكم ، وقد نسيتم الحرب واستعدادها ، وأصبحت قلوبكم فارغة عن ذكرها ، وشغلتكموها بالأباطيل والأضاليل . »

(نهج البلاغة ١ : ٣٩ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١١١ ، والبيان والتبيين ٢ : ٢٦)

٢٦٨ — خطبة الامام

وقد أغار سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار

ووجه معاوية سُفْيَان بن عَوْف الغامذي في جيش ، فأغاروا على الأنبار ^(٥)

[١] أي الذين خرجوا على إمامهم واستحلوا قتاله . [٢] الحلق : محركة جمع حلقة (سكون اللام) وحلقة القوم : الذين يسمعون مستديرين . [٣] جمع عزة (بالكسر) : وهي الطائفة من الناس . [٤] دعاء عليهم : أي خسرتهم ولا أصاتم خيراً ، وأصله من ترب الرجل : أي افتقر كأنه لصق بالتراب . [٥] بلد على الفرات .

وَقَتَلُوا حَامِلَ عَلِيٍّ عَلَيْهَا وَهُوَ حَسَّانُ بْنُ حَسَّانِ الْبَكْرِي ، وَاحْتَمَلُوا مَا كَانَ فِي
الْأَنْبَارِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَأَمْوَالِ أَهْلِهَا ، وَانْتَهَى الْخَبَرُ إِلَى عَلِيٍّ تَخْرُجُ مُغْضَبًا ، حَتَّى أَتَى
النَّخِيلَةَ ، وَاتَّبَعَهُ النَّاسُ فَرَقِيَ رِبَاوَةَ ^(١) مِنَ الْأَرْضِ ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى
عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ :

« أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَتَحَهُ اللَّهُ لَخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ ،
وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى ، وَدِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةِ ، وَجُنَّتُهُ ^(٢) الْوَثِيقَةُ ، فَمَنْ تَرَكَ رَغْبَةً
عَنْهُ ، أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذِّلِّ ، وَشَمَلَهُ الْبَلَاءُ ، وَدُيِّثَ ^(٣) بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءِ ^(٤) ،
وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْإِسْهَابِ ^(٥) ، وَأَدِيلَ ^(٦) الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ ، وَسِيمَ
الْحَسَفِ ^(٧) ، وَمُنِعَ النِّصْفَ ^(٨) ، أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ
لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَسِرًّا وَإِعْلَانًا ، وَقُلْتُ لَكُمْ اغْزَوْهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَغْزَوْكُمْ فَوَاللَّهِ مَا غَزَى
قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ ^(٩) دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا ، فَتَخَذَاتُمْ وَتَوَاكَلْتُمْ وَثَقُلَ عَلَيْكُمْ قَوْلِي ،
وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا ، حَتَّى شُدَّتْ ^(١٠) عَلَيْكُمْ الْغَارَاتُ ، وَمُلِكْتُ عَلَيْكُمْ
الْأَوْطَانَ ، هَذَا أَخُو غَامِدٍ ^(١١) قَدْ وَرَدَتْ خِيَلُهُ الْأَنْبَارُ ، وَقَتَلَ حَسَّانُ بْنُ حَسَّانِ
الْبَكْرِي ، وَرَجُلًا مِنْهُمْ كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَأَزَالَ خَيْدَكُمْ عَنْ مَسَاحِلِهَا ^(١٢) .

[١] الرِّبَاوَةُ وَالرِّبَاوَةُ مَثَلَتَيْنِ : مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ . [٢] وَفَاتِهِ . [٣] ذَلٌّ ، وَأَصْلُهُ مِنْ
دَاثَ الشَّيْءُ مِنْ بَابِ بَاعٍ لَانٍ وَسَهْلٍ وَمِنْهُ الدِّيُوثُ ، وَهُوَ الرَّجُلُ الَّذِي لَا غَيْرَةَ لَهُ عَلَى أَهْلِهِ ، وَالصَّغَارُ : الذِّلُّ .
[٤] قَاءٌ : يَجْمَعُ وَكْرَمٌ ، قِوَاءٌ : ذَلٌّ وَصَعْرٌ . [٥] هَكَذَا فِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ مِنْ أَهْلِ السَّهْبِ بِالضَّمِّ
أَيُّ ذَهَبَ عَقْلُهُ ، وَفِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ : (طَبِيعُ الشَّامِ) بِالْأَسَدَادِ . [٦] مَنْ أَدَالَهُ اللَّهُ مِنْ عَدُوِّهِ ، أَيْ
نَصَرَهُ عَلَيْهِ ، وَالْبَاءُ فِي قَوْلِهِ « بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ » السَّبِيَّةُ . [٧] أَيْ أَوَّلَى الذِّلِّ وَالضَّيْمِ ، وَفِي رِوَايَةِ
الْمُبَرَّدِ « وَسَيَمَى الْحَسَفَ » بِالْإِضَافَةِ ، وَالسَّيْمِيُّ : الْعَلَامَةُ قَالَ الْمُبَرَّدُ : هَكَذَا حَدَّثُونَا وَأُظْهِرَ سَيَمُ الْحَسَفِ
مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ « يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ » [٨] النِّصْفُ بِالْكَسْرِ وَبِثَنٍ ، وَالنِّصْفُ
وَالنِّصْفَةُ مُحَرَّكَيْنِ الْإِضَافَةُ . [٩] وَسَطُهَا وَأَصْلُهَا . [١٠] شَنُّ الْغَارَةِ عَلَيْهِمْ : صَبْهَا مِنْ كُلِّ
وَحَةٍ ، مِنْ شَنِّ الْمَاءِ عَلَى رَأْسِهِ إِذَا صَبَّهُ . [١١] يَرِيدُ سَفْيَانَ بْنَ عَوْفٍ الْغَامِدِيَّ فَائِدَ الْحَمَلَةِ عَلَى الْأَنْبَارِ .
[١٢] جَمْعُ مُسَلِّحَةٍ بِالْفَتْحِ : وَهِيَ الثَّغَرُ

والذى نفسى بيده ، لقد بلغنى أنه كان يُدْخَل على المرأة المسلمة ، والأخرى
المُعَاهَدَة^(١) ، فَيُنْتَزَعُ حِجْلُهَا^(٢) وَقُلُوبُهَا^(٣) ، وَقَلَانُهَا وَرُغْمُهَا^(٤) ، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا
بِالاسْتِرْجَاعِ^(٥) وَالِاسْتِرْحَامِ ، ثُمَّ انصرفوا وافرین^(٦) ، مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلِمٌ^(٧) ،
وَلَا أَرِيقَ لَهُمْ دَمٌ ، فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ دُونَ هَذَا أَسْفًا ، مَا كَانَ عِنْدِي فِيهِ
مَلُومًا ، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا .

يَا عَجَبًا كُلَّ الْعَجَبِ ! عَجَبٌ يُمِيتُ الْقَلْبَ ، وَيَشْغَلُ الْفَهْمَ ، وَيُكْثِرُ الْأَحْزَانَ !
مَنْ تَضَافِرُ^(٨) هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ عَلَى بَاطِلِهِمْ ، وَفَشَلِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ ، حَتَّى أَصْبَحْتُمْ^(٩)
غَرَضًا تُرْمَوْنَ وَلَا تَرْمُونَ ، وَيُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغِيرُونَ ، وَيُعَصَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
فِيكُمْ وَتَرْضَوْنَ ، إِذَا قُلْتَ لَكُمْ اغْزَوْهُمْ فِي الشِّتَاءِ ، قُلْتُمْ هَذَا أَوْانَ قُرٍّ^(١٠) وَصِرَّ ،
وَإِنْ قُلْتَ لَكُمْ اغْزَوْهُمْ فِي الصَّيْفِ ، قُلْتُمْ هَذِهِ حَمَارَةٌ^(١١) الْقَيْظِ ، أَنْظِرْنَا^(١٢)
يَنْصَرِمِ الْحَرَعْنَا ، فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ تَفْرُونَ ، فَأَنْتُمْ وَاللَّهُ مِنَ السَّيْفِ
أَقْرُ ! يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالِ ! وَيَا طَغَامَ^(١٣) الْأَحْلَامِ ! وَيَا عَقُولَ رَبَّاتِ

[١] الْمُعَاهَدَةُ : ذَاتُ الْعَهْدِ ، وَهِيَ الذَّمِيَّةُ . [٢] الْحِجْلُ بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ : الْحُلَعَالُ ، وَاسْمُ الْقَيْدِ
حِجْلًا لِأَنَّهُ يَكُونُ مَكَانَ الْحُلَعَالِ . [٣] الْقَلْبُ : سَوَارُ الْمَرْأَةِ . [٤] الرُّغْمَةُ بِالْفَتْحِ : الْفَرْطُ ، وَالْجَمْعُ
رُعَاتٌ بِالْكَسْرِ ، وَجَمْعُ الْجَمْعِ رَعَتْ بِصَحْتَيْنِ . [٥] قَوْلٌ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .
[٦] أَيْ تَأْمِينَ ، وَفِي رِوَايَةِ الْبَرْدِ : « مَوُورِينَ » أَيْ لَمْ يَبْلُ أَحَدًا مِنْهُمْ بِأَنْ يَرَوْا فِي بَدَنِ وَلَا مَالًا .
[٧] جَرَحَ . [٨] تَعَاوَنَ وَتَوَاصَرَ . [٩] وَفِي رِوَايَةِ نَهْجِ الْبَسْلَاحَةِ : « نَقَبَجًا لَكُمْ وَتَرْحًا
حِينَ صَرْتُمْ غَرَضًا يَرْمِي » وَزَادَتْ رِوَايَةُ الْجَلَّاحِظِ بَعْدَ ذَلِكَ : « وَفِيهَا يَنْهَبُ » ، وَالتَّرْحُ : مُحَرَّكَةُ الْهَمْزِ ،
وَالْعَرَضُ : الْمُدْفَعُ . [١٠] انْقَرَّ مِثْلُ الثَّقَافِ : الْبَرْدُ ، وَالصَّرُّ : شِدَّةُ الْبَرْدِ ، وَفِي النَّهْجِ : « وَإِذَا
أَمَرْتُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ ، قُلْتُمْ هَذِهِ صَبَارَةٌ انْقَرَّ » ، أَمَهَلْنَا : يَنْسَلِخُ عَنْهُ الْبَرْدُ ، وَصَبَارَةُ الشِّتَاءِ بِتَشْدِيدِ
الرَّاءِ : شِدَّةُ بَرْدِهِ . [١١] شِدَّةُ الْحَرِّ . [١٢] أَيْ أَمَهَلْنَا حَتَّى يَنْسَلِخَ الْحَرُّ ، وَفِي رِوَايَةِ النَّهْجِ :
« أَمَهَلْنَا يَنْسَلِخُ عَنْهُ الْحَرُّ » بِتَشْدِيدِ الْبَاءِ الْفَتْوحَةِ أَيْ يَخْفُفُ وَيَسْكُنُ ، وَكُلٌّ مِنْ خَفَفَ عَنْهُ شَيْءٌ فَقَدْ سَبَحَ عَنْهُ ،
وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : اللَّهُمَّ تَسَحَّ عَنِ الْحَمَى : أَيْ خَفِّفْهَا . [١٣] أَوْغَادُ النَّاسِ وَمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا مَعْرِفَةَ عِنْدَهُ ،
وَالْأَحْلَامُ الْعُقُولُ : جَمْعُ حِلْمٍ بِالْكَسْرِ ، وَيَجْمَعُ أَيْضًا عَلَى حُلُومٍ ، وَفِي رِوَايَةِ النَّهْجِ : « حُلُومُ الْأَطْفَالِ » .

الحِجَال^(١) ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أُرْكَم وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ ، مَعْرِفَةً وَاللَّهِ جَرَّتْ نَدَمًا ، وَأَعْقَبَتْ سَدَمًا^(٢) ! قَاتَلَكُمْ اللَّهُ ! لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا^(٣) ، وَشَحْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا ، وَجَبَّرْتُمُونِي نَغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا^(٤) ، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعَصِيَانِ وَالْخِذْلَانِ ، حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قَرِيشٌ : إِنْ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ ، وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لَهُ فِي الْحَرْبِ ! اللَّهُ دَرُّهُمْ^(٥) ! وَمَنْ ذَا يَكُونُ أَعْلَمُ بِهَا مِنِّي ، أَوْ أَشَدَّ لَهَا مِرَاسًا ؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتَ الْعَشْرِينَ ، وَلَقَدْ نَيْفْتُ^(٦) الْيَوْمَ عَلَى السَّيْنِ ، وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعَ (يَقُولُهَا ثَلَاثًا) .

فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ وَمَعَهُ أَخُوهُ^(٧) فَقَالَ :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا وَأَخِي هَذَا ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي) فَحَرُّنَا بِأَمْرِكَ ، فَوَاللَّهِ لَكُنْتَهُيْنِ إِلَيْهِ ، وَلَوْ حَالُ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُ جَرُّ الْغَضَا^(٨) ، وَشَوْكُ الْقِتَادِ^(٩) » فَدَعَا لهُمَا بِخَيْرٍ ، ثُمَّ قَالَ لهُمَا : « وَأَيْنَ تَقْعَانِ مِمَّا أَرِيدُ ؟ » ثُمَّ نَزَلَ .

(نهج البلاء ١ : ٣٥ ، الكامل للبرد ١ : ١١ ، البيان والنبى ٢ : ٢٥ ، والأغانى ١٥ : ٤٣)

- [١] الحجال : جمع حجلة بالتحريك ، وهى الفبة ، وموضع يزين بالستور والثياب للعروس — كناية عن النساء . [٢] السدم : الهم ، أو مع ندم ، أو غيط مع حزن . [٣] القيج : ما يكون فى القرحه من صديدها ، وشحتم : ملأتم ، وفى رواية الكامل : « واقدم ملأتم جوفى غيظاً » . [٤] النغب : جمع نغبة بالفتح والضم ، وهى الجرعة ، والتهام : الهم ، وأنفاساً أى جرعة بعد جرعة ، يقال : اكرع فى الإناء نفسين أو ثلاثة . [٥] لله درّه : أى عمله ، والدرّ أيضاً : اللبن ، أى لله الذى الذى رضعه ، وهو تعجب أريد به التهكم ، وفى رواية النهج : « لله أبوم » ! [٦] نيمت : زدت ، ورواية النهج : « وهأنذا قد ذرّفت على السنين » أى زدت أيضاً . [٧] الرجل وأخوه : يعرفان بابنى عفيف من الأنصار . [٨] شجر جرّه يبقى طويلا . [٩] شجر صلب له شوك كالإبر .

٢٦٩ — خطبة للحسن بن علي في يوم الجمعة

اعتل الإمام علي كرم الله وجهه يوماً ، فأمر ابنه الحسن رضي الله عنه أن يصلي بالناس يوم الجمعة ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« إن الله لم يبعث نبياً إلا اختار له نفساً ورهطاً وبيتاً ، فوالذي بعث محمداً بالحق ، لا يَنْتَقِصُ من حقنا أهل البيت أحدٌ ، إلا نقصه الله من عمله مثله ، ولا يكون علينا دولةٌ ، إلا وتكون لنا العاقبة ، ولتَعْلَمَنَّ نبأه بعد حين » .

(مروح الدم ٢ : ٥٣)

٢٧٠ — خطبة معاوية وقد بلغه هلاك الأشتر

ولما نمتي إلى معاوية هلاك الأشتر النخعي^(١) ، قام في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد : فإنه كانت لعلی بن أبي طالب يدان يمينان ، وقُطِعَتْ إحداهما يوم صفين (يعني عمار بن ياسر) ، وقُطِعَتْ الأخرى اليوم (يعني الأشتر) » .
(تاريخ الطبری ٦ : ٥٤)

[١] هو مالك بن الحارث بن عبد بعوث النخعي توفي سنة ٣٨ هـ . روى المؤرخون أنه مات مسموماً سمه معاوية ، وذلك أن الأمام علياً كان قد ولي على مصر محمد بن أبي بكر هبّدت عليه ، وخرحت عليه بها خوارج ، فبعث إليها الأشتر وأتت معاوية عيونه فأخبروه بولاية الأشتر ، فعظم ذلك عليه ، وقد كان طمع في مصر ، فعلم أنه إن قدمها كان أشد عليه من ابن أبي بكر ، فبعث إلى الجايستار (رجل من أهل الحراج) ، فقال له إن الأشتر قد ولي مصر ، فإن أنت كفيته لم آخذ منك خراجاً مابقيت ، (وقيل قال له أترك خراجك عشرين سنة) فاحتل له بما قدرت عليه ، وخرج الأشتر من العراق إلى مصر ، فلما انتهى إلى القلزم استقبله الجايسار ، فقال : هذا منزل وهذا طعام وعلف ، وأنا رجل من أهل الحراج ، فذل به الأشتر ، وسأل الدهقان أي الطعام والشراب أحب إليه ؟ قيل العسل ، فأهدى له عسلاً قد جعل فيه سماً وقال : إن من شأنه كذا وكذا ، فتناول منه شربة ، فما استقرت في جوفه حتى تاف ، وأتى من كان معه على الدهقان ومن معه ، فبلغ ذلك علياً ، فقال : « للبدن والهم » وبلغ معاوية ، فقال : « إن لله جنوداً منها العسل » .

فتنة البصرة

تسيير معاوية عبد الله بن عامر الحضرمي إليها ومقتله

لما قُتل محمد بن أبي بكر بمصر وظهر معاوية عليها (سنة ٣٨ هـ) دعا عبد الله ابن عامر الحضرمي ، فقال له : « سِرْ إلى البصرة فأنَّ جُلَّ أهلها يرون رأينا في عثمان ، ويُعْطِمُونَ قَتْلَهُ ، وقد قُتِلُوا في الطلب بدمه ، فهم مَوْتُورُونَ حَنَّةٌ وُنَ لِمَا أصابهم ، ودُّوا لو يجدون من يدعوهم ويجمعهم ، وينهض بهم في الطلب بدم عثمان ، ودفع إليه كتاباً ، وأمره إذا قدم أن يقرأه على الناس ^(١) ، فمضى حتى نزل البصرة في بني تميم ، فسمع بقدمه أهل البصرة ، فجاءه كل من يرى رأى عثمان ، فاجتمع إليه روس أهلها .

٢٧١ — خطبة عبد الله بن عامر الحضرمي

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد أيها الناس : فإنَّ إمامكم إمامَ الهدى عثمانَ بن عفان ، قتلَهُ عليٌّ بن أبي طالب ظلاماً ، فطلبتم بدمه ، وقَاتَلْتُم من قَتَلَهُ ، فجَزَاكم الله من أهل مصر خيراً ، وقد أُصِيبَ مِنْكُمْ الْمَلَأُ الْأَخْيَارُ ، وقد جاءكم اللهُ بِإِخْوَانٍ لَكُمْ ، لهم بَأْسٌ مُيْتَقَى ، وعددٌ لَا يُحْصَى ، فلقُوا عدوكم الذين قتلوكم ، فبلغوا الغاية التي أرادوا

[١] وكان الذي سَدَّدَ لمعاوية رأيه في تسيير ابن الحضرمي كتاب كتبه إليه عباس بن صحر العبدى ، وفيه : « أما بعد : فقد بلدنا وقعتك بأهل مصر الذين بعوا على إمامهم ، وقتلوا خليفتهم طمعاً وبعياً ، فقرت بذلك العيون ، وشفيت بذلك النفوس ، وبردت أفئدة أقوام كانوا ائقطن عثمان كارهين ، ولعدوهم معارفين ، ولكم موالين ، وبك راضين ، فإن رأيت أن تبعث إلينا أميراً طيباً ذكياً ذا عفاف ودين إلى الطلب بدم عثمان فعلت ، فإننى لا إخال الناس إلا يجمعين عليك ، وإن ابن عباس عائب عن مصر والسلام » مكب إليه معاوية « أما بعد : فقد قرأت كتابك ، فعرفت نصيحتك ، وقبلت مشورتك . رحمة الله وسدده ، اثبت هداك الله على رأيك الرشيد ، فكأنك بالرجل الذي سألت قد أتاك ، وكأنتك بالجيش قد أطل عليك ، فسررت وحييت والسلام .

صابرين ، وَرَجَعُوا وَقَدْ نَالُوا مَا طَلَبُوا ، فَالْتَمَوْمْ ^(١) وساعدوهم ، وتذكروا ثأركم ،
لِنَشْفُوا صدوركم من عدوكم .

٢٧٢ — خطبة الضحاک بن عبد الله الهلالي

فقام إليه الضحاک بن عبد الله الهلالي فقال :

. . « قَبِّحَ اللَّهُ مَا جِئْتَنَا بِهِ ، وَمَادَعَوْتَنَا إِلَيْهِ ، جِئْتَنَا وَاللَّهُ بِمَثَلِ مَا جَاءَ بِهِ صَاحِبَاكَ :
طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ ، أَتَيْنَا وَقَدْ بَايَعُنَا عَلِيًّا وَاجْتَمَعْنَا لَهُ ، فَكَلَمْتُنَا وَاحِدَةً ، وَنَحْنُ عَلَى
سَبِيلِ مُسْتَقِيمٍ ، فَدَعَوَانَا إِلَى الْفُرْقَةِ ، وَقَامَا فِينَا بِزُخْرُفِ الْقَوْلِ ، حَتَّى ضَرَبْنَا
بَعْضُنَا بِبَعْضٍ عُذْوَانًا وَظُلْمًا ، فَاقْتَلْنَا عَلَى ذَلِكَ ، وَإِيمَ اللَّهِ مَا سَلِمْنَا مِنْ عَظِيمٍ وَبَالٍ
ذَلِكَ ، وَنَحْنُ الْآنَ مُجْمِعُونَ عَلَى بَيْعَةِ هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ ، الَّذِي أَقَالَ الْعَثْرَةَ ، وَعَفَا
عَنِ الْمَسِيءِ ، وَأَخَذَ بَيْعَةَ غَائِبِنَا وَشَاهَدَنَا ، أَفْتَأْمُرُنَا الْآنَ أَنْ نَخْتَلَعَ أَسْـيَافَنَا مِنْ
أَنْعِمَادِهَا ، ثُمَّ يَضْرِبَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ، لِيَكُونَ مَعَاوِيَةَ أَمِيرًا ، وَتَكُونَ لَهُ وَزِيرًا ،
وَنَعْدِلَ بِهَذَا الْأَمْرِ عَنْ عَلِيٍّ ؟ وَاللَّهِ لَيَوْمُّ مِنْ أَيَّامِ عَلِيٍّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ ، خَيْرٌ مِنْ بَلَاءِ مَعَاوِيَةَ وَآلِ مَعَاوِيَةَ ، لَوْ بَقُوا فِي الدُّنْيَا ، مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةٌ ^(٢) » .

فقام عبد الله بن حازم السلمي ، فقال للضحاک : « اسكت فلست بأهلٍ أَنْ
تتكلم في أمر العامة » ثم أقبل على ابن الحضرمي ، فقال : « نحن يدك وأنصارك ،
والقول ما قلت ، وقد فهمنا عنك ، فادْعُنَا أَنْتَ شِئْتَ » فقال الضحاک لابن حازم :
« يَا بَنَ السَّوْدَاءِ ^(٣) ، وَاللَّهِ لَا يَمُزُّ مَنْ نَصَرْتَ ، وَلَا يَذِلُّ بِخِذْلَانِكَ مَنْ

خَذَلْتَ » فتشاعرا

[١] ساعدوهم . [٢] ما ظرفية ، أي مادامت الدنيا باقية .

[٣] وكانت أمه سوداء حبشية يقال لها عجلى .

٢٧٣ - خطبة عبد الرحمن بن عمير القرشي

فقام عبد الرحمن بن مُعْمِر بن عثمان القرشي التيمي فقال :

« عبادَ الله : إننا لم ندْعُكم إلى الاختلاف والفرقة ، ولا نريد أن تقتتلوا وتتنازوا ^(١) ، ولكننا إنما ندعوكم إلى أن تجمعوا كلمتكم ، وتوازروا إخوانكم الذين هم على رأيكم ، وأن تلمؤوا شعثكم ، وتصلحوا ذات بينكم ، فمهلاً مهلاً رحمكم الله ، استمعوا لهذا الكتاب ، وأطيعوا الذي يقرأ عليكم » .

فأما قرئ عليهم الكتاب ، قال معظمهم : « سمعنا وأطعنا » وقال الأحنف ابن قيس : « أما أنا فلا ناقة لي في هذا ولا جمل ^(٢) » ، واعتزل أمرهم ذلك ، وقال عمرو بن مرحوم من عبد القيس : « أيها الناس ، الزموا طاعتكم ، ولا تنكثوا بيعتكم ، فتقع بكم واقعة ^(٣) ، وتصيبكم قارعة ^(٤) ، ولا يكن بعدها لكم بقية ، ألا إني قد نصحت لكم ولكن لا تحببون النصيحة » .

ثم إن الناس أقبلوا إلى ابن الحضرمي وكثر تبعه - وكان الأمير بالبصرة يومئذ زياد ابن أبيه استخلفه عبد الله بن عباس وقدم الكوفة على علي عليه السلام يعزيه عن محمد بن أبي بكر - فأفزع ذلك زياداً وهاله ، وخلى قصر الإمارة ، واستجار بالأزد فأجاروه ، وكتب إلى ابن عباس بالأمر ، وطلب إليه أن يرفع ذلك إلى أمير المؤمنين ، ليرى فيه رأيه ، وغلب ابن الحضرمي على ما يليه من البصرة وجباها ، وأجمعت الأزد على زياد ، وأعدوا له منبراً وسريراً وشُرطاً .

[١] النز : محركة اللب ، والتناز : التنازع والتداعي بالألقاب . [٢] أصل المثل للحارث بن عباد البكري حين قتل جساس بن مرة كليباً ، وهاجت الحرب بين بكر وتعلب (حرب البسوس) وكان الحارث قد اعتزلهما ، والقصة مشهورة . [٣] داهية .

٢٧٤ — خطبة زياد بن أبيه

فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا معشر الأزد : إنكم كنتم أعدائي ، فأصبحتم أوليائي وأولى الناس بي ، وإني لو كنت في بني تميم ، وابنُ الحضرمي فيكم ، لم أطمع فيه أبداً ، وأنتم دوني ، فلا يطمع ابنُ الحضرمي فيَّ وأنتم دوني ، وليس ابنُ آكلةِ الأكباد - في بقيةِ الأحزاب وأولياءِ الشيطان - بأدنى إلى الغلبةِ من أمير المؤمنين في المهاجرين والأنصار ، وقد أصبحتُ فيكم مضموناً ، وأمانةً مؤداةً ، وقد رأينا وقعَتكم يومَ الجمل ، فاصبرُوا مع الحق صبركم مع الباطل ، فإنكم لا تُحمدون إلا على النجدة ، ولا تُمذرون على الجبن » .

٢٧٥ — خطبة شيان الأزدي

فقام شيان الأزدي - ولم يكن شهد يومَ الجمل وكان غائباً - فقال :

« يا معشر الأزد : ما أبقت عواقب الجمل عليكم إلا سوءَ الذكر ، وقد كنتم أمس على عليٍّ عليه السلام ، فكونوا اليوم له ، واعلموا أن إسلامكم^(١) له ذلٌّ ، وخِذلانٌ لكم إياه عارٌ ، وأنتم حتى مِضماركم الصبر ، وعاقبتكم الوفاء ، فإن سارَ القوم بصاحبهم فسِيرُوا بصاحبكم ، وإن استمَدُّوا معاوية فاستمِدُّوا عليّاً عليه السلام ، وإن وادعوكم فوادعوهم » .

٢٧٦ — خطبة صبرة بن شيان

ثم قام صبرة ابنه ، فقال :

« يا معشر الأزد : إنا قلنا يومَ الجمل نمنع مِضرنا ، ونطيع أمتنا ، ونطلب دم

خليفتنا المظلوم ، فجددنا في القتال ، وأقننا بعد انهزام الناس ، حتى قُتِلَ منا مَنْ لا خير فينا بعده ، وهذا زياد جاركم اليوم ، والجار مضمون ، ولسنا نخاف من عليٍّ ما نخاف من معاوية ، فَهَبُوا لَنَا أَنْفُسَكُمْ ، وامنعوا جاركم ، أَوْ فَأَبْلِغُوهُ مَأْمَنَهُ .
فَقَالَتِ الْأَزْدُ : « إِنَّمَا نَحْنُ لَكُمْ تَبِعٌ فَأَجِירוهُ » .

٢٧٧ — خطبة الامام عليٍّ

واستنفر عليٌّ بني تميم أياماً لينهض منهم إلى البصرة مَنْ يكفيه أمر ، ابن الحضرمي ، ويردّ عادية بني تميم الذين أجاروه بها ، فلم يجبه أحد ، فخطبهم وقال :
« أليس من العجب أن ينصرني الأزد ^(١) ، وَتَمَخُّذُنِي مُضَرٌّ ؟ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ تَقَاعُدُ تَمِيمِ الْكَوْفَةِ بِي ، وَخِلَافُ تَمِيمِ الْبَصْرَةِ عَلَيَّ ، وَأَنْ أُسْتَنْجِدَ بِطَائِفَةٍ مِنْهَا تَشْخَصُ إِلَى إِخْوَانِهَا فَتَدْعُوهُمْ إِلَى الرَّشَادِ ، فَإِنْ أَجَابَتْ وَإِلَّا فَالْمُنَابَذَةُ وَالْحَرْبُ ، فَكَأَنِّي أَخَاطَبُ مُصَمًّا بِكُمَا لَا يَفْقَهُونَ حِوَارًا ، وَلَا يُجِيبُونَ نِدَاءً ، كُلُّ هَذَا جُبْنًا عَنِ الْبَأْسِ ، وَحُبًّا لِلْحَيَاةِ ، لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا ، وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا ^(٢) ، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيْمَانًا وَتَسْلِيمًا ، وَمُضِيًّا عَلَى اللَّقَمِ ^(٣) ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ ، وَجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُونَا يَتَصَاوَلَانِ ^(٤) تَتَصَاوَلُ الْفَحْلَيْنِ ، يَتَخَالَسَانِ ^(٥) أَنْفُسَهُمَا ، أَيُّهُمَا يَسْقَى صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ ، فَرَّةٌ لَنَا مِنْ عَدُونَا ،

[١] هم من العرب اليمانيين . [٢] قتلهم الأقارب في دات الله كثير ، قتل عليٌّ عليه السلام الجهم الغفير من بني عبد مناف وبني عبد الدار في يوم بدر وأحد وهم عشيرته وبنو عمه ، وقتل عمر بن الخطاب يوم بدر خله العاص بن هاشم بن المغيرة ، وقتل حمزة بن عبد المطلب شعبة بن ربيعة يوم بدر وهو ابن عمه ، ومثل ذلك كثير مذكور في كتب البيرة . [٣] لقم الطريق : الجادة الواضحة منها .

[٤] التصادول : أن يصول كل من القرنين على صاحبه .

[٥] التحاليل : التسالب ، أي يبي كل أن يسلب روح الآخر .

وَمَرَّةً لَعَدُونَا مِنَّا ، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بَعْدُونَا الْكَبْتَ^(١) ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ^(٢) ، وَمُتَبَوِّئًا أَوْطَانَهُ ، وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ ، مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ ، وَلَا اخْضَرَّ لِلْإِيمَانِ عُودٌ ، وَإِيمَ اللَّهُ لَتَخْتَلِبُنَّهَا دَمًا^(٣) ، وَاسْتَبْعُنَهَا نَدَمًا .

فَقَامَ إِلَيْهِ أُعَيْنُ بْنُ ضُبَيْعَةَ الْمُجَاشِعِيُّ^(٤) فَقَالَ :

« أَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَكْفِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا الْخَطْبَ ، وَأَتَكْفُلُ لَكَ بِقَتْلِ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، أَوْ إِخْرَاجِهِ عَنِ الْبَصْرَةِ » فَأَمَرَهُ بِالتَّهْيِئَةِ لِلشَّخْصِ ، فَشَخَّصَ إِلَى الْبَصْرَةِ .

٢٧٨ — خطبة أعين بن ضبيعة

فَلَمَّا قَدِمَهَا دَخَلَ عَلَى زِيَادَ ، وَهُوَ بِالْأَزْدِ مُقِيمٌ فَأَخْبَرَهُ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ فَأَتَى رَحْلَهُ ، فَجَمَعَ إِلَيْهِ رِجَالًا مِنْ قَوْمِهِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

« يَا قَوْمَ : عَلَى مَاذَا تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ، وَتُهَرِّيقُونَ دِمَاءَكُمْ ، عَلَى الْبَاطِلِ مَعَ السُّفَهَاءِ الْأَشْرَارِ ؟ وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا جِئْتُكُمْ حَتَّى عُيِّنَتْ إِلَيْكُمْ الْجُنُودُ ، فَإِنْ تُنْثَبُوا إِلَى الْحَقِّ يُقْبَلْ مِنْكُمْ وَيُكَفَّ عَنْكُمْ ، وَإِنْ أُيْتِمَ فَهُوَ وَاللَّهُ اسْتِئْصَالُكُمْ وَبَوَارِكُمْ » .

فَقَالُوا بَلْ نَسْمَعُ وَنَطِيعُ ، فَنَهَضَ بِهِمْ إِلَى جَمَاعَةِ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، فَخَرَحُوا إِلَيْهِ مَعَ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ وَوَأَفْقَهُمْ عَامَةً يَوْمَهُ يَنَاشِدُهُمُ اللَّهُ وَيَقُولُ : « يَا قَوْمَ لَا تَنْكُثُوا بَيْعَتَكُمْ ، وَلَا تُخَالِفُوا إِمَامَكُمْ ، وَلَا تَجْعَلُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ سَبِيلًا ، فَقَدْ رَأَيْتُمْ وَجَرَّتْكُمْ كَيْفَ

[١] الإذلال . [٢] جران البعير : مقدم عنقه ، وهو كناية عن التمكن كالبعير ياقى حرانه على الأرض . [٣] يقال لمن أسرف في الأمر : لتحتلبن دما ، وأصلها الناقة يفرط في حلبها فيحلب الحالب الدم . [٤] مجاشع بن دارم أبو قبيلة من تميم ، وأعين بن ضبيعة ، هو الذي نقر الجمل الذي كانت عليه طائفة يوم الجمل .

صنع الله بكم عند نكثكم يئمتكم وخلافكم »

فكفوا عنه وهم في ذلك يشتمونه وينالون منه فانصرف عنهم ، فلما أوى إلى رحله تبعه عشرة نفر يظن الناس أنهم خوارج فقتلوه ، وكتب زياد إلى الإمام بذلك ، فأشخص إليهم جارية بن قدامة .

٢٧٩ — خطبة جارية بن قدامه

فلما دخل البصرة بدأ بزياد ، فواجه ساعة وساءله ، ثم خرج من عنده ، فقام في الأزد فقال :

« جزاكم الله من حَيٍّ خيراً ، ما أعظم غناءكم ^(١) ، وأحسن بلاءكم ، وأطوعكم لأمركم ، لقد عرفتم الحق إذ ضيعة من أنكره ، ودعوتكم إلى الهدى إذ تركه من لم يعرفه » ثم قرأ عليهم كتاب علي عليه السلام ، فقام صبرة بن شيان ، فقال : « سمعنا وأطعنا ، ونحن لمن حارب أمير المؤمنين حرب ، ولن سالم سلم » ، إن كفيت ياجارية قومك بقومك فذاك ، وإن أحببت أن ننصرك نصرناك » وقام وجوه الناس فتكلموا بمثل ذلك ، فلم يأذن لأحد منهم أن يسير معه ، ومضى نحو بني تميم .

٢٨٠ — خطبة زياد

فقام زياد في الأزد فقال :

« يا معشر الأزد : إن هؤلاء كانوا أمس سلماً ، فأصبحوا اليوم حرباً ، وإنكم كنتم حرباً فأصبحتم سلماً ، وإني والله ما اخترتكم إلا على التجربة ، ولا أقت فيكم إلا على الأمل ، فما رضيتم أن أجرتوني ، حتى نصبتكم لي منبراً وسريراً ،

[١] أي كفايتكم ونفعكم .

وجعلتم لى شُرطا وأعواناً ومُنادياً وُجعة ، فا فقدتُ بحضرتكم شيئاً إلا هـذا
الدرهم لا أجبيه اليوم ، فإن لم أجبه اليوم أجبه غداً إن شاء الله ، واعلموا أن
حربكم اليوم معاويةَ أيسرُ عليكم فى الدنيا والدين من حربكم أمسٍ عليّ ، وقد قدّم
عليكم جاريةً بن قُدّامة ، وإعما أرسله علىّ ليصدّع أمر قومه ، والله ما هو بالأمر
المطاع ، ولو أدرك أمله فى قومه لرجع إلى أمير المؤمنين ، ولكن لى تبعاً ، وأنتم
الهامّة العظمى ، والجَمرة الحامية ، فقَدّموه إلى قومه ، فإن اضطرّ إلى نصركم ،
فسيروا إليه إن رأيتم ذلك » .

٢٨١ — خطبة أبى صبرة شيان

فقام أبو صبرة شيان فقال :

« يا زياد ، إني والله لو شَهِدت قومي يوم الجمل رجوت ألاّ يقاتلوا عليّ ، وقد
مضى الأمر بما فيه ، وهو يوم بيوم ، وأمر بأمر ، والله إلى الجزاء بالإحسان
أسرع منه إلى الجزاء بالسّيئ ، والنوبة مع الحق ، والعفو مع الندم ، ولو كانت هذه
فتنةً لدعونا القوم إلى إبطال الدماء ، واستئناف الأمور ، ولكنها جماعةٌ ، دماؤها
حرام ، وجروحها قيصاصٌ ، ونحن معك نحبُّ ما أحببت »
فعجب زياد من كلامه ، وقال : « ما أظنُّ فى الناس مثل هذا »

٢٨٢ — خطبة صبرة بن شيان

ثم قلم صبرة ابنه فقال :

« إنا والله ما أصبنا بمصيبة فى دين ولا دنيا ، كما أصبنا أمسٍ يوم الجمل ،

وإنا لنرجو اليوم أن يُنَحَّصَ^(١) ذلك بطاعة الله وطاعة أمير المؤمنين ، وأما أنت يا زياد ، فوالله ما أدركتَ أملكَ فينا ، ولا أذكرَ كُنَّا أملنا فيك ، دون ردك إلى دارك ، ونحن رادوك إليها غدًا إن شاء الله تعالى ، فإذا فعلنا فلا يكن أحدٌ أولى بك منا ، فإنك إلا تفعل لم تأت ما يُشبهك ، وإنا والله نخاف من حرب عليٍّ في الآخرة ، ما لا نخاف من حرب معاوية في الدنيا ، فقدَّم هواك ، وأخر هوانا ، فنحن معك وطوئُناكَ .

٢٨٣ — خطبة خنفر الحماني

ثم قام خنفر الحماني فقال :

« أيها الأمير : إنك لو رضيت منا بما ترضى به من غيرنا ، لم نرضَ ذلك لأنفسنا ، سر بنا إلى القوم إن شئت ، وإيم الله ما لقينا يوماً قط إلا اكتفينَا بِمَعْفُونَا^(٢) دون جُهدنا ، إلا ما كَانَ أَمْسَ »

أما جارية فإنه كلم قومه فلم يجيبوه ، وخرج إليه منهم أوباش فناوشوه بعد أن شتموه ، فأرسل إلى زياد والأزد يستصرخهم ، فسارت الأزد بزياد ، وخرج إليهم ابن الحضرمي وعلى خيله عبد الله بن حازم السلمي ، فاقتتلوا ساعة ، فالبثوا بني تميم أن هزموا ، وحصروا ابن الحضرمي في إحدى دور البصرة ، في عِدَّة من أصحابه ، وحرقت جارية الدار عليهم ، فهلك ابن الحضرمي في سبعين رجلاً ، وسارت الأزد بزياد ، حتى أوطنوه قصر الإمارة ومعه بيت المال ، وقالوا له : هل بقي علينا من جوارك شيء ؟ قال : لا ، فانصرفوا عنه ، وكثب زياد بذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام . (شرح ابن أبي الحديد م ١ ص ٣٤٨ ، ونهج البلاغة ١ : ٥٣)

[١] من محس الذنب بالنار كقطع أخضه مما يشوبه . [٢] المعفو : الريادة .

٢٨٤ — صعصعة بن صوحان ومعاوية

أرسل على كرم الله وجهه إلى معاوية بالشام كتاباً مُصْحَبَةً صَعَصَعَةَ بْنِ صُوحَانَ ، فسار به حتى أتى دمشق ، فأتى باب معاوية ، فقال لِأَذِنِهِ ، اسْتَأْذِنْ لِرَسُولِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ - وبالباب جماعةٌ من بنى أمية - فأخذته النعال والأيدى ، لقوله « أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » ، وكثُرَت عليه الجلبة ، فاتَّصَلَ ذلك بمعاوية ، فأذن له ، فدخل عليه ، فقال : السلام عليك يا بنى أبي سُفْيَانَ ، هذا كتاب أمير المؤمنين ، فقال معاوية : أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَتِ الرِّسْلُ تُقْتَلُ فِي جَاهِلِيَّةٍ أَوْ إِسْلَامٍ لَقَتَلْتُكَ ، ثم اعترضه معاوية في الكلام ، وأراد أن يستخبره ، ليعرف طَبْعاً أَوْ تَكَلُفًا ، فقال له ممن الرجل ؟ قال من نِزَارٍ ، قال وما كان نزار ؟ قال كان إذا غزا انكَمَشَ ^(١) ، وإذا اتى افْتَرَشَ ^(٢) ، وإذا انصرف احْتَرَشَ ^(٣) ، قال فمن أىّ أولاده أنت ؟ قال من ربيعة ، قال وما كان ربيعة ؟ قال : كان يطيل النِّجَادَ ^(٤) ، ويعول العباد ، ويضرب بيقاع الأرض العِمَادَ ، قال : فمن أىّ أولاده أنت ؟ قال من جَدِيلَةَ ، قال وما كان جديلة ؟ قال كان فى الحرب سيفاً قاطعاً ، وفى المَكْرُمَاتِ غيثاً نافعاً ، وفى اللقاء لَهَباً ساطعاً ، قال فمن أىّ أولاده أنت ؟ قال من عبد القيس ، قال وما كان عبد القيس ؟ قال كان حَسَنًا أبيض ^(٥) وهَّاباً ، يقدم لضيفه ما وجد ، ولا يسأل عما قَدَّ ، كثير المَرْق ، طَيِّبُ العَرَق ، يقوم للناس مقام الغيث من السماء ، قال ويحك يا بنى صُوحَانَ ! فما تركت لهذا الحى من قریش مجداً ولا نجراً ؟ قال بلى والله يا بنى أبي سُفْيَانَ ! تركت لهم ما لا يصلح

[١] انكَمَشَ وتَكَمَشَ : أسرع والكميش الرجل المريع . [٢] افترش فلانا : غلبه وصرعه .

[٣] احترش الشئ : جمعه وكسبه . [٤] حَمَلُ السيف ، وهو كناية عن طول القامة .

[٥] أى أبيض اللون كناية عن أنه حرّ لارقيق أو أبيض العرض فيه .

إِلَّا لَهُمْ ، تَرَكْتُ لَهُمُ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ وَالْأَصْفَرَ^(١) ، وَالسَّرِيرَ وَالْمِنْبَرَ^(٢) ، وَالْمَلِكَ إِلَى الْمَحْشَرِ ، فَفَرَحَ مَعَاوِيَةُ ، وَظَنَّ أَنَّ كَلَامَهُ يَشْتَمِلُ عَلَى قَرِيشٍ كُلِّهَا ، قَالَ صَدَقْتَ يَا بَنَ صُوحَانَ ، إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ ، فَعَرَفَ صَعَصَعَةُ مَا أَرَادَ ، فَقَالَ لَيْسَ لَكَ وَلَا لِقَوْمِكَ فِي ذَلِكَ إِصْدَارٌ وَلَا إِيرَادٌ^(٣) ، بَعُدْتُمْ عَنْ أَنْفِ^(٤) الْمَرْعَى ، وَعَلَوْتُمْ عَنْ عَذْبِ الْمَاءِ ، قَالَ وَلَمْ ذَلِكَ ؟ وَيَلَاكِ يَا بَنَ صُوحَانَ ! فَقَالَ الْوَيْلُ لِأَهْلِ النَّارِ ، ذَلِكَ لِبَنِي هَاشِمٍ ، قَالَ قُمْ ، فَأَخْرِجُوهُ . فَقَالَ صَعَصَعَةُ : الْوَعْدُ يَبْنَى وَيَبْنُوكَ لَا الْوَعِيدَ ، مِنْ أَرَادَ الْمَنَاجِزَةَ ، يَقْبَلُ الْمَحَاجِزَةَ^(٥) ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ لَشَيْءٍ مَا سَوَّدَهُ قَوْمُهُ ، وَوَدَّتُ أَنِّي مِنْ صُلْبِهِ ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى بَنِي أُمِيَّةٍ فَقَالَ : هَكَذَا فَتَكُنُ الرِّجَالُ !

(صَبَحَ الْأَعْمَى ١ : ٢٥٤ ، وَمَرُوجُ الذَّهَبِ ٢ : ٧٧)



وَرَوَى أَبُو عَلِيٍّ الْقَالِي هَذَا الْخَبَرَ فِي الْأَمَالِي بِصُورَةٍ أُخْرَى ، قَالَ :
« دَخَلَ صَعَصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ عَلَى مَعَاوِيَةَ أَوَّلَ مَا دَخَلَ عَلَيْهِ - وَقَدْ كَانَ يَبْلُغُ مَعَاوِيَةَ عَنْهُ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : مِمَّنَ الرَّجُلُ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ نِزَارٍ ، قَالَ : وَمَا نِزَارُ ؟ قَالَ : كَانَ إِذَا غَزَا النُّحُوشَ^(٦) ، وَإِذَا انْصَرَفَ انْكَشَ ، وَإِذَا لَقِيَ افْتَرَشَ ، قَالَ : فَمِنْ أَيِّ وَلَدِهِ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ رَبِيعَةٍ ، قَالَ : وَمَا رَبِيعَةٌ ؟ قَالَ : كَانَ يَغْزُو بِالْخَيْلِ ، وَيُغِيرُ بِاللَّيْلِ ، وَيَجُودُ بِالنَّيْلِ ، قَالَ : فَمِنْ أَيِّ وَلَدِهِ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ أُمِّهِرٍ^(٧) ،

[١] الْأَحْمَرُ : الذَّهَبُ ، وَالْأَبْيَضُ : الْفِصَّةُ (وَالسَّيْفُ أَيْضًا) وَالْأَصْفَرُ : الذَّهَبُ . كُنْيَاةٌ عَنِ الْعَفْيِ وَالثَّرْوَةِ (وَقَدْ كَانَ لِقَرِيشٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَرْكَزٌ تَحَارَى هَامًا) . [٢] كُنْيَاةٌ عَنِ الْمَلِكِ وَالْقُدْرَةِ الْحَطَائِيَّةِ . [٣] أَوْرَدَ إِلَيْهِ الْمَاءَ . وَأَصْدَرَهَا رَدًّا وَأَرْجَمَهَا . [٤] رَوْضَةُ أَنْفٍ لَمْ تَرَع .

[٥] وَفِي مَرُوجِ الذَّهَبِ : « مَنْ أَرَادَ الْمَشَاجِرَ قَبْلَ الْمَحَاوِرِ » وَالْوَارِدُ فِي الْأَمْثَالِ : « الْمَحَاجِزَةُ قَبْلَ الْمَنَاحِزَةِ » أَيْ الْمَسَاقِلَةُ قَبْلَ الْمَعَاجِلَةِ فِي الْقِتَالِ ، يَصْرَبُ لِمَنْ يَطْلُبُ الصَّلَاحَ بَعْدَ الْقِتَالِ .

[٦] لَمْ أَجِدْ هَذِهِ الْكَلِمَةَ فِي كُتُبِ اللُّغَةِ ، وَأَرَى أَنَّهَا مُحَرَّفَةٌ عَنْ (احْتَرَشَ) كَمَا وَرَدَ فِي رَوَايَةِ صَبْحِ الْأَعْمَى ، وَإِنْ اخْتَلَفَ تَأْلِيفُ الْجُمْلِ فِي الرِّوَايَتَيْنِ . [٧] وَفِي نَسْخَةٍ : « مِنْ أَسَدٍ ، قَالَ وَمَا أَسَدٌ ؟ »

قال : وما أمره ؟ قال : كان إذا طلب أفصى ^(١) ، وإذا أدرك أَرْضَى ، وإذا آب
أَنْصَى ^(٢) ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من جَدِيلَةٍ ، قال : وما جديلة ؟
قال : كَانَ يُطِيلُ النَّجَادَ ^(٣) ، وَيُمِدُّ الْجِيَادَ ، وَيُجِيدُ الْجِلَادَ ، قال : فمن أىّ ولده
أنت ؟ قال : من دُعْمِيٍّ ، قال : وما دُعْمِيٍّ ؟ قال : كَانَ نَارًا سَاطِعًا ، وَشَرًّا قَاطِعًا ،
وَخَيْرًا نَافِعًا ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من أفصى ، قال : وما أفصى ؟
قال : كَافٍ يَنْزِلُ الْقَارَاتِ ^(٤) ، وَيَكْثُرُ الْغَارَاتِ ، وَيَنْحِمِي الْجَارَاتِ ، قال : فمن أىّ
ولده أنت ؟ قال : من عبد القيس ، قال : وما عبد القيس ؟ قال : أَبْطَالٌ ذَادَةٌ ^(٥) ،
جَحَاجِحَةٌ ^(٦) سَادَةٌ ، صَنَادِيدُ قَادَةٍ ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من أفصى ،
قال : وما أفصى ؟ قال : كَانَتْ رِمَاحُهُمْ مُشْرَعَةً ^(٧) ، وَقُدُورُهُمْ مُتْرَعَةً ^(٨) ،
وَجِفَافُهُمْ مُفْرَعَةً ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من لُكَيْزٍ ، قال : وما لُكَيْزٍ ؟
قال : كَانَ يَبَاشِرُ الْقِتَالَ ، وَيَعَانِقُ الْأَبْطَالَ ، وَيُبَدِّدُ الْأَمْوَالَ ، قال : فمن أىّ ولده
أنت ؟ قال : من عَجَلٍ ، قال : وما عَجَلٍ ؟ قال : اللَّيْثُ الضَّرَّاعِمَةُ ^(٩) ، الْمَلُوكُ
الْقَمَاقِقَةُ ^(١٠) ، الْقُرُومُ الْقَشَاعِمَةُ ^(١١) ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من كعب ،
قال : وما كعب ؟ قال : كَانَ يُسَعِّرُ ^(١٢) الْحَرْبَ ، وَيُجِيدُ الضَّرْبَ ، وَيَكْشِفُ
الْكَرْبَ ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من مالك ، قال : وما مالك ؟ قال :

[١] أفصى إلى الشيء : وصل إليه . [٢] أنفى بعيره : هزله ، وأصى الثوب : أبله .
[٣] حائل السيف . [٤] الغارات : جمع قارة ، وهي الخيل الصدير . [٥] جمع ذائد ،
وهو المدافع . [٦] جمع جهجج : وهو السيد ، كالجهجج . [٧] مسددة . [٨] مملوءة .
[٩] جمع ضرغام ، وهو الأسد . [١٠] جمع ققام بالفتح ويضم ، وهو السيد .
[١١] القروم ، جمع قرم : كشهم ، وهو السيد ، والقشاعة : جمع قشعم ، بكسر ، وهو الرجل المس-
(كناية عن كثرة التجربة) والأسد . [١٢] سر الحرب : كنع ، وسعرها : أوقدها .

هو الهُمَامُ للهمام ، وَالْقَمَقَامُ للقمام ، فقال معاوية : ما تركت لهذا الحَيِّ من قريش شيئاً ، قال : بل تركتُ أكثره وأحبّه ، قال : وما هو ؟ قال : تركت لهم الْوَبَرَ وَالْمَدَرَ ^(١) وَالْأَبْيَضَ وَالْأَصْفَرَ ، وَالصَّفَا وَالْمَشْعَرَ ^(٢) ، وَالْقُبَّةَ وَالْمَفْخَرَ ، وَالسَّرِيرَ وَالْمِنْبَرَ ، وَالْمُلْكَ إِلَى الْمَحْشَرِ ، قال : أما والله لقد كَانَ يَسُوءُنِي أَنْ أَرَكَ أَسِيرًا ، قال : وأنا والله لقد كَانَ يَسُوءُنِي أَنْ أَرَكَ أَمِيرًا ، ثم خرج فبعث إليه ، فَرُدُّ ، ووصله وأكرمه .

(الأمالي ٢ : ٢٣٠)



وروى المسعودي في مروج الذهب قال :
« قال معاوية يوماً وعنده صمصمة ، وَكَانَ قَدِيمَ عَلَيْهِ بَكْتَابٌ عَلَى ، وعنده وجوه الناس : « الأرض لله ، وأنا خليفة الله ، فما آخِذُ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَهُوَ لِي ، وما تركت منه كَانَ جَائِزًا لِي » فقال صمصمة :

تَمْنِيكَ نَفْسُكَ مَا لَا يَكُونُ جَهْلًا ، مُعَاوِيَ لَا تَأْتَمِرْ

فقال معاوية : يا صمصمة تَعَلَّمْتَ الْكَلَامَ ، قال : العلم بالتعلم ، ومن لا يعلم يَجْهَلُ ، قال معاوية : ما أَحْوَجَكَ إِلَى أَنْ أُذِيقَكَ وَبَالَ أَمْرِكَ ، قال : ليس ذلك بيدك ، ذلك بيد الذي لَا يُؤَخِّرُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ، قال : ومن يَحْمُولُ بيني وبينك ؟ قال : الذي يَحْمُولُ بين المرء وقلبه ، قال معاوية : اتسع بَطْنُكَ

[١] كناية عن البادية ، والمدن : المدن والحضر . [٢] شعار الحج بالكسر : مناسكه وعلاماته ، والشميرة والشعارة بالفتح ، والمشر موضعها ، والمشر الحرام : بالزدلفة .

للكلام كما اتسع بطن البعير للشعير، قال : اتسع بطن من لا يشبع^(١) ، ودعا عليه من لا يجمع^(٢) .
(مروج الذهب ٢ : ٧٩)

٢٨٥ — خطبة عبد الله بن مسعود (المتوفى سنة ٣٢ هـ)

أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق المُرَاكَلَةُ التقوى . أكرمُ الملل ملة إبراهيم ، وخير السنن سنة محمد صلى الله عليه وسلم . خير الأمور أوساؤها ، وشر الأمور مُخَدَّثَاتُهَا . ما قل وكفى خير مما كثر وألهى . خير الغنى غنى النفس ، وخير ما أُلقي في القلب اليقين . الحمرِ جاعُ الآثام . النساءُ حِبَالَةُ الشيطان . الشباب شُعْبَةٌ مِنَ الْجَنُونِ . حب الكفاية مفتاح المعجزة . شر الناس من لا يأتى الجماعة إلا دُبُرًا ، ولا يذكر الله إلا هَجْرًا^(٣) . أعظم الخطايا اللسان الكذوب ، سبب المؤمن فسق ، وقتاله كفر ، وأكل لحمه معصية . من يتألَّ^(٤) على الله يكذبه ، ومن يغفر يغفر له . مكتوب في ديوان المحسنين : من عفا عفا الله عنه . الشقى من شقى في بطن أمه ، والسعيد من وعظ بغيره . الأمور بعواقبها . ولاك العمل

[١] يعرض معاوية إذ كان مبطانا (أى أكولا) وكذا أيضاً بطينا (أى عظيم البطن) ، وقد قال به سيدنا على في وقعة صفين :

أصربهم ولا أرى معاوية الماحظ العين العظيم الماوية

(والمأوية ما تحوى من الأعماء أى العظيم البطن) . [٢] دعا عليه : معطوف على لا يشبع أى اتسع بطن من دعا عليه من لا يجمع ، والمراد من لا يجمع النبي عليه الصلاة والسلام ، وقد دعا على معاوية بالنهم وعدم الشبع ، ومعنى لا يجمع أى لا يجمع الدنيا ولا يجمع إليها ، وهو تعريض آخر بمعاوية ، أما دعاء رسول الله عليه فقد روى ابن الأثير في أسد الباقية — ٤ : ٣٨٦ — قال : « عن ابن عباس رضى الله عنه قال : « كنت ألب مع الصبيان حياء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواريت خلف باب ، قال حياء ، فخطاني حطاة — والخطو : تحريك الشيء من عزاء — وقال اذهب فادع لى معاوية ، قال فحيت فقلت هو يأكل ، ثم قال : اذهب فادع لى معاوية ، قال : فحيت فقلت هو يأكل ، فقال : لا أشبع الله بطنه ، أخرج مسلم هذا الحديث بعينه لمعاوية » . [٣] المجر ككتف الذى يمشى مثقلا صاعقا : أى لا يعرف الله إلا وقت الشدة . [٤] تألى : أقسم .

خواتيمه . أشرف الموت الشهادة ، من يعرف البلاء يَصْبِر عليه . ومن لا يعرف البلاء ينكره . (إعجاز القرآن ١٢٢ ، العقد الفريد ٢ : ١٥٦ ، البيان والتبيين ٢ : ٢٧)

٢٨٦ — وصية دريد بن الصمة

قال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ لِمَالِكِ بْنِ عَوْفِ النَّضْرِيِّ قَائِدِ هَوَازِنَ يَوْمِ حُنَيْنٍ ^(١) :
 « يا مَالِكُ ، إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ رَئِيسَ قَوْمِكَ ، وَإِنْ هَذَا يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ مِنْ
 أَيَّامٍ ، مَالِي أَسْمَعُ رُغَاءَ الْبَعِيرِ ، وَنَهْيَ الْحَمِيرِ ، وَبَكَاءَ الصَّغِيرِ ؛ وَيُعَارِ ^(٢) الشَّاءُ . قَالَ :
 سَقَتَ مَعَ النَّاسِ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، قَالَ وَلَمْ ؟ قَالَ : أَرَدْتُ أَنْ أَجْعَلَ خَلْفَ
 كُلِّ رَجُلٍ أَهْلَهُ وَمَالَهُ ، لِيُقَاتِلَ عَنْهُمْ ، فَأَنْقَضَ بِهِ ^(٣) ، ثُمَّ قَالَ رَاعِي ^(٤) ضَانٍ وَاللَّهِ ،
 وَهَلْ يَرِدُ الْمَنْهَزِمُ شَيْءٌ ؟ إِنَّهَا إِنْ كَانَتْ لَكَ ، لَمْ يَنْفَعَكَ إِلَّا رَجُلٌ بِسَيْفِهِ وَرُمْحِهِ ،
 وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ ، فُضِّحَتْ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، وَيَحْكُ ، إِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ بِتَقْدِيمِ
 الْبَيْضَةِ ^(٥) بِيضَةَ هَوَازِنَ إِلَى نَحْوِ رَاخِلِ شَيْئًا ، أَرْفَعُهُمْ إِلَى مَمْتَنَعِ بِلَادِهِمْ ، وَعَلَيَاءِ
 قَوْمِهِمْ ، ثُمَّ أَلْقِ الصَّبَا ^(٦) عَلَى مَتُونِ الْخَيْلِ ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ ، لِحَقَّ بِكَ مِنْ وَرَاءِكَ ،
 وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ ، كُنْتَ قَدْ أَحْرَزْتَ أَهْلَكَ وَمَالَكَ . قَالَ لَا وَاللَّهِ مَا أَفْعَلُ ، إِنَّكَ قَدْ
 كَبَرْتَ وَذَهَلَ عَقْلُكَ . قَالَ دُرَيْدُ هَذَا يَوْمٌ لَمْ أَشْهَدْهُ ، وَلَمْ يَفْتُنِّي ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

[١] غزوة حنين كانت بين المسلمين وبين هوازن وتقيف سنة ثمان بعد الفتح انهزم فيها المسلمون أو لا
 ثم لمواشعهم وشددوا على عدوهم فهزمهم . [٢] اليعار : صوت الغنم أو المعزى أو الشديد
 من أصوات الشاء . [٣] يقال أنقض أصابعه : ضرب بها لتصوت ، وأنقض بالدابة : الصق لسانه
 بالحنك ثم صوت في حافتيه . [٤] يضرب به المثل في الحق فيقال : « أحق من راعي ضأن » .
 [٥] بيضة القوم : جماعتهم وأصلهم ، وفي الحديث : « ولا تلط عليهم عدوا من عدوهم فيستبيح بيضتهم »
 يريد جماعتهم وأصلهم . [٦] أى ذوى الصبا : أى الشبان .

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ أَخْبٌ فِيهَا وَأَضَعٌ^(١)
أَقُودُ وَطَفَاءَ الزَّمْعِ كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعٌ^(٢)

(سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٩ ، العقد الفريد ١ : ٤١)

٢٨٧ - وصية عمير بن حبيب الصحابي لبنيه

. أوصى مُعَمِّرُ بْنُ حَبِيبٍ بَنِيهِ فَقَالَ :

« يَا بَنِي إِيَّاكُمْ وَمَخَالَطَةُ السَّفَهَاءِ ، فَإِنْ مَجَالَسْتَهُمْ دَاءٌ ، وَإِنْ مِنْكُمْ يَحْلُمٌ عَنْ
السَّفِيهِ يُسَرِّبْ حِلْمَهُ ، وَمَنْ يُجِبِّهِ يَنْدَمُ ، وَمَنْ لَا يَقَرُّ بِقَلِيلٍ مَا يَأْتِي بِهِ السَّفِيهِ ، يَقْرُ
بِالْكَثِيرِ ، وَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ ، أَوْ يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَلْيُوطِّنْ قَبْلَ
ذَلِكَ عَلَى الْأَذَى ، وَلْيُوقِنْ بِالثَّوَابِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، إِنَّهُ مَنْ يُوَقِّنْ بِالثَّوَابِ مِنْ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَجِدُ مَسَّ الْأَذَى » . (الأمل ٢ : ٦٠)

٢٨٨ - وصية قيس بن عاصم المنقري لبنيه

أوصى قيس بن عاصم المنقري بنيهِ فَقَالَ :

« يَا بَنِي ، خُذُوا عَنِّي ، فَلَا أَحَدٌ أَصْلَحَ لَكُمْ مِنِّي ، إِذَا دَفَنْتُمُونِي فَانصرفوا إِلَى
رِحَالِكُمْ ، فَسُودُوا أَكْبَرَكُمْ ، فَإِنْ الْقَوْمُ إِذَا سُودُوا أَكْبَرَهُمْ خَلَقُوا آبَاهُمْ ، وَإِذَا
سُودُوا أَصْغَرَهُمْ ، أَزْرِي ذَلِكَ بِهِمْ فِي أَكْفَائِهِمْ ، وَإِيَّاكُمْ وَمَعْصِيَةَ اللَّهِ ، وَقَطِيعَةَ
الرَّحِمِ ، وَتَمَسَّكُوا بِطَاعَةِ أُمَرَائِكُمْ ، فَإِنَّهُمْ مِنْ رَفَعُوا ارْتَفَعُوا ، وَمَنْ وَضَعُوا انْضَعُوا ،
وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا الْمَالِ فَأَصْلِحُوهُ ، فَإِنَّهُ مَنبَهَةٌ لِلْكَرِيمِ ، وَجَنَّةٌ لِعَرِضِ اللَّئِيمِ ، وَإِيَّاكُمْ

[١] الحب : ضرب من العدو ، ووضعت الناقة وأوضعت : أسرع في سيرها .

[٢] الوطف : كثرة شعر الحاجبين والعينين ، والزمع جمع زمعة ، وهي هنة زائدة وراء الطلف أو

الشمرات المدلاة في مؤخر رجل الشاة ، والصدع : من الأوتال والإبل الفتى الشاب أقوى .

والمسألة ، فإنها أخِر^(١) كَسَبَ الرجل ، وإن أحداً لم يسأل إلا ترك الكسب ، وإياكم والنياحة ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عنها ، وادفونى فى ثيابى التى كنت أصلى فيها وأصوم ، ولا يعلم بكر بن وائل بمدفنى ، فقد كانت بينى وبينهم مشاحنات فى الجاهلية والإسلام ، وأخاف أن يُدْخِلُوا عليكم بى عاراً ، وخذوا عنى ثلاث خصال : إياكم وكلَّ عِرْقٍ لثيم أن تلبسوه ، فإنه إن يَسْرُرْكم اليوم ، يَسُوْكُمْ غداً ، واكْظِمُوا الغيظ ، واحذروا بنى أعداء آبائكم ، فإنهم على منهاج آبائهم ، ثم قال :

أحيا الضغائنَ آباءنا لسلفوا فلن تبيدَ وللآباء أبناء

(شرح ابن أبى الحديد م ٤ : ص ١٥٥ ، وتهذيب الكامل ١ : ١١)

٢٨٩ — وصية العباس بن عبد المطلب (المتوفى سنة ٣٢ هـ)

لابنه عبد الله

قال عبد الله بن عباس : قال لى أبى :

يا بُنَيَّ ، إني أرى أمير المؤمنين قد اختصَّك دون من ترى من المهاجرين والأنصار ، فاحفظ عنى ثلاثاً : لا يُجَرِّبَنَّ عليك كذباً ، ولا تَغْتَبْ عنده مُسَلِّماً ، ولا تُفْشِيَنَّ له سِرّاً . قال فقلت يا أبه . كلَّ واحدة منها خير من ألف ، فقال : كلَّ واحدة منها خير من عشرة آلاف . (تهذيب الكامل ١ : ١٥)

٢٩٠ — خطبة أكرم بن صيفى يدعو قومه إلى الاسلام

لما ظهر النبي عليه الصلاة والسلام بمكة ، ودعا الناس إلى الإسلام بعث أكرم بن صيفى ابنه حَيْشَاً ، فأتاه بخبره ، فجمع بنى تميم وقام فيهم خطيباً فقال :

[١] أخر بقصر الهرة لاغير : أى أدنى وأردل ، ومن رواه بالمدّ أخطأ .

« يا بني تميم : لَا تُخْضِرُونِي سَفِيهَا ، فَإِنَّهُ مَنْ يَسْمَعُ يَخْلُ^(١) ، إِنْ السَّفِيهِ يُوهِنُ مَنْ فَوْقَهُ ، وَيَتَبَّبُ مَنْ دُونَهُ^(٢) . لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ . كَبُرَتْ سِنِّي وَدَخَلْتَنِي ذِلَّةً ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنِّي حَسَنًا فَاقْبَلُوهُ ، وَإِنْ رَأَيْتُمْ مِنِّي غَيْرَ ذَلِكَ فَقَوِّمُونِي أَسْتَقِمَّ . إِنْ أَبْنَى شَافَةَ هَذَا الرَّجُلِ مَشَافَهَةً ، وَأَتَانِي بِخَبْرِهِ ، وَكَتَابَهُ بِأَمْرِ فِيهِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيَأْخُذُ فِيهِ بِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ ، وَيَدْعُو إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَخَلْعِ الْأَوْثَانِ ، وَتَرْكِ الْحَلْفِ بِالنِّيرَانِ ، وَقَدْ عَرَفَ ذُو الرَأْيِ مِنْكُمْ أَنَّ الْفَضْلَ فِيمَا يَدْعُو إِلَيْهِ ، وَأَنَّ الرَأْيَ تَرْكُ مَا يَنْهَى عَنْهُ ، إِنْ أَحَقَّ النَّاسُ بِمَعُونَةِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمُسَاعَدَتِهِ عَلَى أَمْرِهِ أَنْتُمْ ، فَإِنْ يَكُنِ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ حَقًّا ، فَهُوَ لَكُمْ^(٣) دُونَ النَّاسِ ، وَإِنْ يَكُنِ بَاطِلًا كُتِمَ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْكَفِّ عَنْهُ وَبِالْإِسْتِرْعَاءِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ أُسْقُفُ نَجْرَانَ يُحَدِّثُ بِصِفَتِهِ ، وَكَانَ سُفْيَانُ ابْنُ مُجَاشَعٍ يُحَدِّثُ بِهِ قَبْلَهُ ، وَسَمَّى ابْنَهُ مُحَمَّدًا ، فَكَوْنُوا فِي أَمْرِهِ أَوْلَا ، وَلَا تَكُونُوا آخِرًا ، ائْتُوا طَائِعِينَ قَبْلَ أَنْ تَأْتُوا كَارِهِينَ ، إِنْ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَوْلَمْ يَكُنْ دِينًا كَانَ فِي أَخْلَاقِ النَّاسِ حَسَنًا ، أَطِيعُونِي وَاتَّبِعُوا أَمْرِي ، أَسْأَلُ لَكُمْ أَشْيَاءَ لَا تُنْزَعُ مِنْكُمْ أَبَدًا ، وَأَصْبَحْتُمْ أَعَزَّ حَيٍّ فِي الْعَرَبِ ،

[١] خال : ظن ، ومصارعه إخال بالكسر وهو الأفصح ، وبنو أسد يقولون أحل بالفتح وهو القياس ،

وقوله « مَنْ يَسْمَعُ يَخْلُ » مثل ، معناه مَنْ يَسْمَعُ أَخْبَارَ النَّاسِ وَمَعَايِمَهُمْ يَقَعُ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِمُ الْمَكْرُوهُ .

[٢] وَ يَجْمَعُ الْأَمْثَالَ « وَيُثَبِّتُ مَنْ دُونَهُ » مِنْ أَثْبَتَهُ أَيْ ائْتَمَنَهُ بِالْجِرَاحِ ، وَالْمَعْنَى يَضَعُفُ وَيُوهِنُ ،

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَإِذْ يَنْفَكُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُذِيبُوا أَوْ يَهْتِكُوا أَوْ يُخْرِجُوا جُوكَ »

لِيُذِيبُوا أَيْ لِيُجَرِّحُوا جِرَاحًا لَا تَقُومُ مَعَهَا أَوْ لِيُجَسِّدُوا ، وَفِي سِرْحَانِ الْعُرُونِ « وَيَتَبَّبُ مَنْ دُونَهُ »

مِنْ تَبِيٍّ بِالتَّشْدِيدِ أَيْ أَهْلَكَ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيْبٍ » .

[٣] يَرِيدُ لِلْعَرَبِ .

وأكثرهم عدداً، وأوسعهم داراً ، فإنني أرى أمراً لا يجتنبه عزيزٌ إلا ذلك ، ولا يلزمه دليل إلا عزٌ ، إن الأول لم يدع للآخر شيئاً ، وهذا أمرٌ له ما بعده ، من سبق إليه غمر المعالي ^(١) ، واقتدى به التالى ، والعزيمة حزم ، والاختلاف عجز .
فقال مالك ^(٢) بن نويرة : قد خَرِفَ شيخكم ، فلا تتعرضوا للبلاء ، فقال أكنتم : ويل للشجى من الخلى ، وَالْهَنَفِ على أمرٍ لم أشهده ولم يسعنى ^(٣) .
ثم رحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فمات فى الطريق ، وبعث بإسلامه مع من أسلم ممن كان معه ^(٤) . (مجمع الأمثال ٢ : ٢١٨ ، سرح الميوس ص ١٤)

٢٩١ — وصية أبى طالب لوجوه قريش عند موته

لما حضرت أبى طالب ^(٥) الوفاة ، جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم فقال :
« يا معشر قريش : أنتم صفوة الله من خلقه ، وَقَلْبُ العرب ، فيكم السيد المطاع ، وفيكم المقْدَامُ الشجاع ، الواسع الباع ، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيباً إلا أحرزتموه ، ولا شرفاً إلا أدركتموه ، فلكم بذلك على الناس الفضيلة ، ولهم به إليكم الوسيلة ، والناس لكم حرب ، وعلى حربكم ألب ^(٦) ، وإني أوصيكم بتعظيم هذه البذية — يعنى الكعبة — فإن فيها مَرَضَاة للرب ، وقواماً

[١] من صمره الماء : أى غطاه . [٢] وقد أسلم ثم ارتد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فى بعض بى تميم ، وسار إليه خالد بن الوليد فقتله ، وقصته فى التاريخ مشهورة .

[٣] وفى سرح الميوس : ولم يسبقنى [٤] وذكر عن ابن عباس أن قوله تعالى : « وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ » نزل فى أكنتم ومن تبعه من أصحابه .

[٥] توفى فى السنة العاشرة من النبوة وهو ابن بضع وثمانين سنة ، وإسلامه مختلف فيه « اقرأ فصلاً طويلاً فى ذلك فى شرح ابن أبى الحديد م ٣ : ص ٣١١ » .

[٦] أى ذوو ألب ، والألب : التدبير على العدو من حيث لا يعلم .

للمعاش ، وثباتاً لِلوَطْأَةِ ، صَلُّوا أَرْحَامَكُمْ فَإِنْ فِي صَلَاةِ الرَّحِمِ مَنَسَأَةٌ ^(١) فِي الْأَجَلِ ،
وزيادة في العدد ، اتركوا الْبَغْيَ والعقوق ، ففيهما هلكت القرون قبلكم ، أجبوا
الداعي ، وأعطوا السائل ، فَإِنْ فِيهِمَا شَرَفَ الْحَيَاةِ والممات ، وعليكم بصدق
الحديث ، وأداء الأمانة ، فَإِنْ فِيهِمَا مَحَبَّةٌ فِي الْخَاصِّ ، وَمَكْرُمَةٌ فِي الْعَامِّ .

وإني أوصيكم بمحمد خيراً ، فإنه الأمين في قريش ، وَالصَّدِّيقُ فِي الْعَرَبِ ،
وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به ، وقد جاءنا بأمرٍ قَبْلَهُ الْجَنَانُ ^(٢) ، وأنكره
اللسان ، مخافة الشَّيْءَانِ ^(٣) ، وَائْتُمُّ اللَّهُ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى صَعَالِيكَ الْعَرَبِ وَأَهْلِ
الْأَطْرَافِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ النَّاسِ قَدْ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ ، وَعَظَّمُوا
أَمْرَهُ ، نَخَاضَ بِهِمْ غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ، وَصَارَتْ رُؤُسَاءُ قُرَيْشٍ وَصَنَادِيدُهَا أَذْنَابًا ،
وَدُورُهَا خِرَابًا ، وَضَعُفَاؤُهَا أَرْبَابًا ^(٤) ، وَإِذَا أَعْظَمَهُمْ عَلَيْهِ أَحْوَجُهُمْ إِلَيْهِ ، وَأَبْعَدَهُمْ
مِنْهُ أَخْطَاهُمْ عِنْدَهُ ، قَدْ مَحَضَّتْهُ ^(٥) الْعَرَبُ وَدَادَهَا وَأَصْفَتْ لَهُ بِلَادَهَا ، وَأَعْطَتْهُ
قِيَادَهَا ، يَامَعْشَرَ قُرَيْشٍ : كُونُوا لَهُ وُلاَةً ، وَلِحَزِيهِ حِمَامَةً ، وَاللَّهُ لَا يَسْلُكُ أَحَدَ سَبِيلَهُ
إِلَّا رَشِدًا ، وَلَا يَأْخُذُ بِهِدْيِهِ أَحَدٌ إِلَّا سَعِدَ ، وَلَوْ كَانَ لِنَفْسٍ مَدَّةٌ ، وَفِي أَجَلِي
تَأْخِيرٌ ، لَكَفَفْتُ عَنْهُ الْهَزَاهِرَ ^(٦) ، وَلِدَافَعْتُ عَنْهُ الدَّوَاهِيَ .

(بلوغ الأرب ١ : ٣٢٧)

٢٩٢ — خطبة مالك بن نمط

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

وقدم وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيهم مالك بن نمط

أبو ثور فقام بين يديه ثم قال :

[١] أى فسحة وامتداداً من نساء أى آخره . [٢] القلب . [٣] البغض والكرهية .
[٤] سادة . [٥] محضه الود ، وأعضه : أخلصه . [٦] الهزاهز والهزهزة : تحريك البلبا
والهروب الناس .

« يا رسول الله ، نَصِيَّةٌ ^(١) من هَمْدَانَ ، من كل حَاضِرٍ وَبَادٍ ، أَتَوَكَّ عَلَى قُلُوصِ نَوَاجٍ ^(٢) ، متصلةٌ بحبال الاسلام ، لا تأخذهم في الله لومة لائم ، من مِخْلَافٍ ^(٣) خَارِفٍ ^(٤) ، وَيَامٍ ، وشَاكِرٍ ، أهل السَّوَادِ والقُرَى ، أجابوا دعوة الرسول ، وفارقوا آلِهَةَ الْأَنْصَابِ ^(٥) ، عهدهم لا يُنْقَضُ ، ما أقام لَعْلَعٌ ^(٦) ، وما جرى الْيَعْفُورُ بِصُلْعٍ ^(٧) . » (صح الأعرابي ٢ : ٢٤٤)

٢٩٣ — سفانة بنت حاتم

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

حَدَّثَ الْإِمَامُ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ قَالَ : لما أَتَيْنَا بِسَبَايَا طَيِّئٍ ، كانت في النساء جارية جميلة — وهى سَفَّانَةُ بنت حاتم ^(٨) — فلما رَأَيْتُهَا أُعْجِبْتُ بِهَا ، فَقُلْتُ لِأَطْلُبْنَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَجْعَلَهَا مِنِّي ، فلما تَكَلَّمْتُ أَنْسَيْتُ جَمَالَهَا ، لما سمعت من فصاحتها ، فقالت :

« يا محمد : هلك الوالد ، وغاب الوافِدُ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُخَلِّيَ عَنِّي ، فلا تُشْمِتْ بِي أَحْيَاءَ الْعَرَبِ ، فَإِنِّي بِنْتُ سَيِّدِ قَوْمِي ^(٩) . كَانَ أَبِي يَفُكُّ الْعَانِي ^(١٠) ، وَيَحْمِي الدَّمَارَ ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ ، وَيُشْبِعُ الْجَائِعَ ، وَيُفَرِّجُ عَنِ الْمَكْرُوبِ ، وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَيُفْشِي السَّلَامَ ، وَلَمْ يَرُدِّ طَالِبَ حَاجَةٍ قَطُّ ، أَنَا بِنْتُ حَاتِمِ طَيِّئٍ »

[١] النصبة من القوم : الخيار ، وهمدان : من عرب اليمن . [٢] القلوص : جمع قلوص ، وهى من الإبل الشابة أو الباقية على السير ، والنواجى : جمع ناجية ، وهى المصرة فى السير . [٣] المِخْلَاف : الكورة . [٤] خارف : لقب مالك بن عبد الله أبى قبيلة من همدان ، ويام ، وشاكر ، قبيلتان من همدان باليمن . [٥] الأنصاب : جمع نصب بضم نين ، وهو حجر نصب وعبد من دون الله ، وقيل النصب جمع واحداً نصاب ، قبل هى الأصنام وقيل غيرها . [٦] اسم جبل . [٧] اليعفور : ولد البقرة الوحشية ، والصلع : الموضع لا ينبت شيئاً .

[٨] السفانة فى الأصل : اللؤلؤة . [٩] جواب الشرط محذوف وهذا تعليل له أى فافعل فإنى

[١٠] المانى : الأسير .

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا جارية هذه صفة المؤمن ، لو كان أبوك إسلامياً لترحمنا عليه ، خلوا عنها ، فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق ، والله يحب مكارم الأخلاق » . (الأغاني ١٦ : ٩٣)

٢٩٤ — خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء

. روى أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في عام جَدَب ، فقال : أتيناك يا رسول الله ، ولم يَبْقَ لنا صَبِي يَرْتَضِع ، ولا شَارِفٌ ^(١) تَجْتَرُ ، ثم أنشده :
 أتيناك وَالْعَذْرَاءُ يَدْمَى لَبَائِهَا ^(٢) وقد شُغِلَتْ أُمُّ الرَضِيعِ عَنِ الطِّفْلِ
 وَأَلْقَى بِكَفِّهِ الْفَتَى لاسْتِكَانَةٍ من الْجُوعِ حَتَّى مَاطِمِرَ وَلَا يُحْلِي ^(٣)
 وَلَا شَيْءٌ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ عِنْدَنَا سِوَى الْحَنْظَلِ الْعَامِيِّ وَالْعِلْهِزِ الْفَسَلِ ^(٤)
 وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا إِلَيْكَ فِرَارُنَا وَأَيْنَ فِرَارُ النَّاسِ إِلَّا إِلَى الرَّسُلِ ؟
 فقام النبي ﷺ يجرُّ رداءه حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :
 « اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا ، مَرِيئًا هَنِيئًا مَرِيئًا ^(٥) ، سَحًّا سَجَالًا ^(٦) ، غَدَقًا ^(٧)
 طَبَقًا ^(٨) ، دِيمًا دِرْرًا ^(٩) ، تُخْبِي بِهِ الْأَرْضَ ، وَتُنْبِتُ بِهِ الزَّرْعَ ، وَتُدْرِثُ بِهِ الضَّرْعَ ،

[١] الشارف من النوق : المسة الهرمة كالشارفة . [٢] أى يدمى صدرها لامتئائها بنفسها في الخدمة حيث لا تجد ماته عطية من يخدمها من الجذب وشدة الرمان . [٣] أى ما يفر وما ينفع ، أو ما يأتى بكلمة ولا فعلة مرة ولا حلوة . [٤] العامي : الذى أتى عليه عام ، قال الشاعر : « من أن شباك طال طامى » والعلمر : طعام من الدم والوركان يتخذ في الجاعة ، والفسل : الردى . الردل من كل شىء .
 [٥] الربيع الحصب ، أى تخصب به الأرض التى يربى عليها . [٦] أى متداول بين البلاد ، ينال كل منها نصيبه منه ، والسجل بالفتح : النصيب والدلو المملوءة العظيمة ، ويقال الحرب سجال : أى نصرتها بين القوم متداولة سجل منها على هؤلاء وآخر على هؤلاء . [٧] الغدق : الماء الكثير .
 [٨] أى مائثاً للأرض منطياً لها ، يقال غيث طبق : أى عام واسع يطبق الأرض .
 [٩] هو جمع درة بالكسر يقال للسحاب درة : أى صب واندفاق ، وقيل الدرر : الدار ، كقوله تعالى : « دِينًا قِيَمًا » أى قائماً .

واجعله سُقْيَا نَافِعَةً ، عاجلاً غيرَ رَائِيٍّ^(١) ،

فوالله ما ردَّ رسول الله صلى الله عليه وآله يده إلى نَحْرِهِ ، حتى أَلْقَت السماء أَرْوَاقَهَا^(٢) ، وجاء الناس يَضِجُونَ : الفرقَ الفرقَ يا رسول الله ، فقال : اللهم حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا ! فأنجَاب^(٣) السحاب عن المدينة ، حتى استدار حولها كالإِكليل ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه^(٤) .
(شرح ابن أبي الحديد م ٣ ص ٣١٦)

٢٩٥ - أبو زيد الطائي يصف الأسد

قال عثمان بن عفان رضى الله عنه يوماً لأبى زُبَيْد : حَرَمَلَةٌ بن المنذر الطائي - وَكَانَ نصرانياً - يَا أَخَا تَبَعَ الْمَسِيحَ ، أَشْمِعْنَا بِمَعْضِ قَوْلِكَ ، فَقَدْ أُنبِئْتُ أَنَّكَ تَجِيدُ ، فَأَنشَدَهُ قَصِيدَةً لَهُ فِي وَصْفِ الْأَسَدِ ، فَقَالَ عثمان : تَالله تَفْتَأُ تَذَكُرُ الْأَسَدَ مَا حَيَّيْتُ ! وَالله إِنِّي لَأَحْسِبُكَ جَبَانًا هَرَابًا ، قَالَ : كَلًّا ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُ مِنْهُ مَنَظَرًا ، وَشَهِدْتُ مِنْهُ مَشْهَدًا ، لَا يَبْرَحُ ذِكْرُهُ يَتَجَدَّدُ وَيَتَرَدَّدُ فِي قَلْبِي ، وَمَعْدُورٌ أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ مَلُومٍ ، فَقَالَ لَهُ عثمان : وَأَنَّى كَانَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : « خَرَجْتُ فِي صِيَابَةٍ^(٥) أَشْرَافٍ مِنْ أَبْنَاءِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ ، ذَوِي هَيْئَةٍ وَشَارَةٍ^(٦) حَسَنَةٍ ، تَرْمِي بِنَا الْمَهَارَى^(٧) بِأَكْسَائِهَا^(٨) ، وَنَحْنُ نَزِيدُ الْحَارِثِ ابْنِ أَبِي شَمْرٍ النَّسَّانِي مَلِكِ الشَّامِ ، فَاخْرَوْطُ^(٩) بِنَا السَّيْرَ فِي سَحَابَةِ الْقَيْظِ ، حَتَّى

[١] أَيْ غَيْرَ بَطِيءٍ . [٢] أَلْقَتِ السَّحَابَةُ أَدْوَاقَهَا أَيْ مَطَرَهَا وَوَبَلَهَا .

[٣] انْكَشَفَ . [٤] النَّوَاجِذُ : أَقْصَى الْأَضْرَاسِ .

[٥] الصِّيَابَةُ بِالتَّشْدِيدِ وَتَخْفُفٍ : الْخَالِصُ وَالصَّيْمُ وَالْحِيَارُ مِنَ النَّعْيِ .. [٦] الشَّارَةُ : الْهَيْئَةُ وَاللِّبَاسُ وَالزِينَةُ ، وَالْجَمَالُ . [٧] مَهْرَةٌ بِنَ حِيدَانَ (بَفَتْحِ الْمِيمِ وَالْمَاءِ) : حَتَّى تَنْسَبَ إِلَيْهِ الْإِبِلُ الْمَهْرِيَّةُ ، وَجَمْعُهَا مَهَارَى (بَفَتْحِ الْمِيمِ وَالرَّاءِ) وَمَهَارٌ (مَقْصُوصًا) وَمَهَارَى . [٨] الْأَكْسَاءُ : جَمْعُ كَسَاءٍ (كَقَفْلٍ وَعَنْقٍ) وَكَسَاءٌ كُلُّ شَيْءٍ : مُؤَخَّرُهُ . [٩] اخْرَوْطُ بِهِمُ الطَّرِيقَ : طَالَ وَامْتَدَّ .

إِذَا عُصِبَتِ الْأَفْوَاهُ ، وَذُبُلَتِ الشِّفَاهُ ، وَشَالَتِ ^(١) الْمِيَاهُ ، وَأَذْكَتِ الْجَوَزَاءُ الْمِعْزَاءُ ^(٢) ، وَذَابَ الصَّيْهَبُ ^(٣) ، وَصَرَ الْجُنْدُبُ ^(٤) ، وَأَضَافَ الْمُصْفُورُ الضَّبَّ فِي وَكْرِهِ ، وَجَاوَرَهُ فِي جُحْرِهِ ، قَالَ قَائِلٌ : أَيُّهَا الرِّكْبُ ، غُورُوا ^(٥) بِنَا فِي دَوْحِ هَذَا الْوَادِي ، وَإِذَا وَادٍ قَدْ بَدَّلْنَا كَثِيرَ الدَّغَلِ ^(٦) ، دَائِمَ الْغَلَلِ ^(٧) ، أَشْجَارُهُ مُغْنَةٌ ^(٨) ، وَأَطْيَارُهُ مُرْنَةٌ ^(٩) ، فَخَطَطْنَا رِحَالَنَا بِأُصُولِ دَوَحَاتٍ كَنَهَبِلَاتٍ ^(١٠) ، فَأَصْبَنَّا مِنْ فَضْلَاتِ الْمَزَاوِدِ ، وَأَتْبَعْنَاهَا الْمَاءَ الْبَارِدَ ، فَإِنَّا لَنَصِيفُ حَرَّ يَوْمِنَا وَمُمَاطِلَتِهِ ، إِذْ صَرَ أَقْصَى الْخَيْلِ أَذْنِيهِ ^(١١) ، وَخَفَصَ الْأَرْضَ بِيَدَيْهِ ، فَوَاللَّهِ مَا لَبِثَ أَنْ جَالَ ، ثُمَّ تَحَمَّجَمَ ^(١٢) فَبَالَ ، ثُمَّ فَعَلَ فَعْلَهُ الْفَرَسُ الَّذِي يَلِيهِ وَاحِدًا فَوَاحِدًا ، فَتَضَعَضَعَتِ الْخَيْلُ ، وَتَكَمَّمَكَمَتِ ^(١٣) الْإِبِلُ ، وَتَقَهَّقَرَتِ الْبُغَالُ ، فَبَنَافِرٍ بِشِكَالِهِ ^(١٤) ، وَنَاهَضَ بِعِقَالِهِ ، فَعَلَمْنَا أَنَا قَدْ أَتَيْنَا ، وَأَنَّهُ السَّبْعُ لَا شَكَّ فِيهِ ، فَفَزِعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا إِلَى سَيْفِهِ ، فَاسْتَلَّهُ مِنْ جُرْبَانِهِ ^(١٥) ، ثُمَّ وَقَفْنَا رَزْدَقًا أَرْسَالًا ^(١٦) ، وَأَقْبَلَ أَبُو الْحَارِثِ مِنْ

[١] قلت . [٢] أذكت : أشعلت ، والمعزاء من المعز بالتحريك : وهو الصلابة ، مكان أمعر وأرض معزاء ، كناية عن اشتداد الحر . [٣] الصيهب : الصخرة الصلبة والموضع الشديد وكل موضع تحمى عليه الشمس حتى يشوى اللحم عليه . [٤] نوع من الجراد ، وصر : صوت . [٥] الغور والغور : الدخول في الشيء ، والدوح : جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة . [٦] الدغل : الشجر الكثير الملتف ، واشتراك البت وكثرته . [٧] الغل والغليل والغلة : العطش أو شدته أي دائم العطش إلى الماء . [٨] أغن الذباب صوت ، ويقال : واد مغن وهو الذي صار فيه صوت الذباب ، ولا يكون الذباب إلا في واد محصب معشب ، والعمة (بالصم) صوت في الحيشوم ، والأغن : الذي تشكلم من قبل خياشيمه عن يعن بالفتح وهو أغن ، ومنه قالوا واد أغن أي كثير العشب لأنه إذا كان كذلك أله الذباب وفي أصواتها غنة ، وروسة غناء كذلك ، أو تمر فيها الرياح غير صافية الصوت لكثافة عشبها . [٩] رنت وأرنت : صاحت . [١٠] السكهيل : شجر عظام ، والمزاود : جمع مروء كنبر ، وهو وعاء الزباد . [١١] صر الحمار بأذنه وصرها وأصر بها : سواها ونصبها للاستماع . [١٢] التحمجة وملتحمهم : صياح الفرس حين يقصر في الصهيل ويستعين بنفسه ، وصوته إذا طلع العلف . [١٣] خامت وفزعت ، كعمكته فتكمكم : جبينه وخومته . [١٤] الشكال : الجبل الذي تشد به قوائم الدابة . [١٥] الجرمان : نغم السيف . [١٦] الرزدق : الصف من الناس ، والأرسال : جمع رسل كسبب وهو القطيع من كل شيء .

أَجْتَه ، يتظالم ^(١) في مَشِيَّتِهِ ، كَأَنَّهُ مَجْنُوبٌ أَوْ فِي هِجَارٍ ^(٢) ، لِيَصْدُرَهُ نَحِيْطٌ ^(٣)
وَلِبْلَاعِيهِ غَطِيْطٌ ^(٤) ، وَلِطَرْفِهِ وَمِيْضٌ ، وَلَأَرْسَاغِهِ تَقْيِضٌ ^(٥) ، كَأَنَّمَا يَخْبِيهِ
هَشِيْمًا ، أَوْ يَطَأُ صَرِيْعًا ^(٦) ، وَإِذَا هَامَةً كَالْمَجْنُنِّ ^(٧) ، وَخَذَّ كَالْمُسَنَّ ، وَعَيْنَا
سَجْرَاوَانِ ^(٨) كَأَنَّهُمَا سَرَاجَانِ يَتَقَدَّانِ ، وَقَصْرَةٌ رَبِيْلَةٌ ^(٩) ، وَلِهْزِمَةٌ رَهْلَةٌ ^(١٠)
وَكَتْدٌ مُغْبِطٌ ^(١١) ، وَزَوْرٌ مُفْرَطٌ ^(١٢) وَسَاعِدٌ مُجْدُولٌ ، وَعَضْدٌ مُفْتُولٌ ، وَكَفٌّ
شَتْنَةُ الْبَرَائِنِ ^(١٣) إِلَى مَخَالِبٍ كَالْمَحَاجِنِ ^(١٤) ، فَضْرِبَ يَدَيْهِ فَازْهَجَ ^(١٥)
وَكَشَرَ ^(١٦) فَأَفْرَجَ عَنْ أُنْيَابٍ كَالْمَعَاوِلِ ، مَصْقُولَةٌ ، غَيْرَ مَفْلُولَةٍ ، وَفَمٌ أَشْدَقُ ^(١٧)
كَالْفَارِ الْأَخْوَقِ ^(١٨) ، ثُمَّ تَمَطَّى فَاسْرَعَ بِيَدَيْهِ ، وَحَفَزَ ^(١٩) وَرَكِيهَ بِرَجْلَيْهِ ، حَتَّى
صَارَ ظِلُّهُ مِثْلَيْهِ ، ثُمَّ أَقْعَى ^(٢٠) فَاقْشَعَرَ ، ثُمَّ مَثَلَ فَافْكَهَرَ ^(٢١) ، ثُمَّ تَجَهَّمَ فَازْبَارَ ^(٢٢)
فَلَا وَذُو ^(٢٣) يَبْتُهُ فِي السَّمَاءِ ، مَا اتَّقَيْنَاهُ إِلَّا بِأَخْرِ لَنَا مِنْ فَرَازَةٍ ، كَانَ ضَخْمٌ

- [١] من ظلم كنع إذا غمز في مشيه . [٢] جنبه : قاده إلى جنبه ، فهو حنّيب ومجنوب ومجنّب والهجار : حمل يشد في رسغ رجل البعير ثم يشد إلى حقوه ، وإن كان مرحولاً شد إلى الحقب .
[٣] المحيط : الزبير ، والناحط : من يعمل شديداً . [٤] شط البعير غطيظاً هدر ، والناثم صوت وكدا المدبوح والمخنوق . [٥] تقيض الأصابع والأضلاع والمفاصل : أصواتها .
[٦] ثمر صريم : أي مقطوع . [٧] المجن : الررس . [٨] عين سجرأ : خالطت بياض حمرة . [٩] القصرة : أصل العنق ، والربالة بالفتح : كثرة اللحم وهي رلّة ومتريلة .
[١٠] اللهرمتان نبتان تحت الأذنين ، والجمع لهازم ، ورهل لحمه : كفرح اضمح وورم من غير داء
[١١] الكتد : مجتمع الكتفين ، أو السكاهل ، أو ما بين السكاهل إلى الظهر ، وأعبط البات غطى الأرض ، وكشف وتداني ، وأرس مبطلة بفتح الباء ، أي وكاهل معطى بالشعر .
[١٢] من أفرطه إذا ملأه حتى أسال الماء فهو مفرط . [١٣] شتنة : أي غليظة خشنة ، شتنة كفه : كفرح وكرم ، والدرائن : جمع برثن كبرقع وهو مخلب الأسد . [١٤] المحاجن : جمع محجن كذا ومكنسة : الماء المعوجة ، وكل معطوف معوج . [١٥] أرمح : أثار الفار ، والرمح (كشمه وسبب) الفبار . [١٦] كشر عن أسنانه : أبدى . [١٧] من الشدق (كسب) وهو سـ الشدق . [١٨] من الحوق (كسب أيضاً) وهو السعة ومنه مغازة خوفاً . [١٩] حفزه دفعه . [٢٠] أقعى : جلس على استه مفترشاً رجله ناصباً يديه . [٢١] م : قام منتصباً والكفهر من الوجوه : الضارب لونه إلى البقرة مع غلط ، والمتعبس . [٢٢] تجهمه وحهمه (ك : وسمع) استقبله بوجهه كربه ، وازبار : تنفث . [٢٣] ذو : بمعنى الذي في لغة طي :

« غيبي من ذو عندهم ما كفانيا » .

الْجَزَارَةُ ^(١) ، فَوَقَصَهُ ^(٢) ، ثُمَّ نَقَضَهُ نَقْضَةً ، فَقَضَقُض ^(٣) مَتْنِيَهُ ، فَجَعَلَ يَلْغُ فِي دَمِهِ ، فَذَمَرَتْ ^(٤) أَصْحَابِي ، فَبَعَدَ لَأْيِي ^(٥) مَا اسْتَقْدَمُوا ، فَهَجَّجْنَاهُ ^(٦) بِهِ ، فَكَّرَ مَقْشَعِرَ الزُّبْرَةِ ^(٧) ، كَأَن بِهِ شَيْهَمًا ^(٨) حَوْلِيًّا ، فَاخْتَلَجَ ^(٩) رَجُلًا أَعْجَرَ ذَا حَوَايَا ، فَنَقَضَهُ نَقْضَةً تَرَايَلَتْ مِنْهَا مَفَاصِلُهُ ، ثُمَّ هَمَّهِمْ فَقَرَّ قَرَّ ^(١٠) ، ثُمَّ زَفَرَ فَبَرَّبَر ^(١١) ، ثُمَّ زَارَ بَجَرَ جَرَّ ^(١٢) ، ثُمَّ لَحَظَ ، فَوَاللَّهِ لِحَلَّتْ الرِّقُّ يَتَطَايَرُ مِنْ تَحْتِ جَفْوَنِهِ ، عَنْ شِمَالِهِ وَيَمِينِهِ ، فَأَزْغَشَتِ الْأَيْدِي ، وَأَصْطَطَكَّتِ الْأَرْجُلُ ، وَأَطَّتْ ^(١٣) الْأَضْلَاعُ ، وَارْتَجَّتِ الْأَسْمَاعُ ، وَشَخَّصَتِ ^(١٤) الْعَيُونُ ، وَتَحَقَّقَتِ الظُّنُونُ ، وَانْخَزَلَتْ ^(١٥) الْمُتُونُ ، وَلَحِقَتْ الظُّهُورُ بِالْبُطُونِ ، ثُمَّ سَاءَتْ الظُّنُونُ ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : اسْكُتْ قَطَعَ اللَّهُ لِسَانَكَ ! فَقَدْ أَرَعِبْتَ قُلُوبَ الْمَسَامِينِ » . (الْأَعْيَانُ ١١ : ٢٣ ، وَالْحَمَاسُ وَالْأَصْدَادُ ص ١١٢)

٢٩٦ — تَتِمَّةُ فِي الْحَكْمِ ^(١٦)

مِنْ كَلَامِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
« إِنْ اللَّهُ قَرَنَ وَعْدَهُ بِوَعِيدِهِ لِيَكُونَ الْعَبْدُ رَاغِبًا رَاهِبًا . لَيْسَتْ مَعَ الْعَزَاءِ مُصِيبَةٌ . الْمَوْتُ أَهْوَنُ مِمَّا بَعْدَهُ وَأَشَدُّ مِمَّا قَبْلَهُ . ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كُنَّ عَلَيْهِ :

[١] الجزارة : بالقسم اليدان والرحلان والعنق . [٢] وقس عقه : كسرهما . [٣] من نقض البناء أى هدمه ، وقضقض : مرق . [٤] الدمع : الملامة ، والحض والنهد . [٥] اللأى : الأبطا ، والاحتباس . [٦] هجج بالأسد : صاح . [٧] البربة (كمرصة) هى الشعرا تتبع بين كتفى الأسد . [٨] الشيهم : ما عظم شوكة من ذكران اقناعد ، والحولى : ما أتى عليه حول . [٩] اختلج : جذب وانزع ، والأعجر : السمين ، عجر : كعرج غلظ وسمن وصخم بطنه ، والحوايا : جمع حاوية ، وهى ما تحرى من الأمعاء أى استدار ، والمعنى أنه عظيم البطن . [١٠] الهمهمة : تردد الرئير فى الصدر ، وكل صوت معه بحج ، والفرقرة : هدير البعير . [١١] البربرة : الجلبة والصباح . [١٢] الجرجرة : صوت برده البعير فى خنجرته . [١٣] الأطيط : صوت الرجل والإيل إذا أنت نعباً أو خيلاً ، وصوت الظهر ، والجرف من الجوع . [١٤] شحس بصره كنع : فتح عينيه وجعل لا يطرف . [١٥] الانخزال والخنزل : مشية فى تناقل . ومتنا الظاهر : مكسفا الصلب عن يمينه وشماله . [١٦] فى كتب الحديث الشريف مأثور أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وجوامع كلامه ، وفى نهج البلاغة ، وشرح ابن أبى الحديد عليه وغيرهما كثير من حكم الإمام على كرم الله وجهه فأقرأها هنالك .

الْبَغْيُ ، وَالنُّكُثُ ، والمكر . ذَلْ قَوْمُ أُسْنَدُوا أَمْرَهُمْ إِلَى امْرَأَةٍ ، لَا يَكُونُنْ قَوْلُكَ
لَعْنًا فِي عَفْوٍ وَلَا عَقُوبَةٍ . إِذَا فَاتَكَ خَيْرٌ فَأَدْرِكْهُ ، وَإِنْ أَدْرَكَكَ شَرٌّ فَامْسِكْهُ
إِنْ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ عِيُونًا تَرَكَ . احْرِصْ عَلَى الْمَوْتِ تُوهَبَ لَكَ الْحَيَاةُ . - قَالَ لَخَالِدِ
ابْنِ الْوَلِيدِ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى أَهْلِ الرَّدَّةِ - رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً أَعَانَ أَخَاهُ بِنَفْسِهِ . أَطْوَعُ
النَّاسَ لِلَّهِ أَشَدَّهُمْ بَغْضًا لِمَعْصِيَتِهِ . إِنْ اللَّهُ يَرَى مِنْ بَاطِنِكَ مَا يَرَى مِنْ ظَاهِرِكَ ،
إِنْ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ أَشَدَّهُمْ تَوَلِيًّا لَهُ . لَا تَجْعَلْ سِرَّكَ مَعَ عَلَانِيَتِكَ ، فَيَمْرُجَ^(١)
أَمْرُكَ ، خَيْرُ الْخَصْلَتَيْنِ لَكَ أَبْغَضُهُمَا إِلَيْكَ . صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ .
وَمِنْ كَلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

« مِنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَ الْخِيَارُ فِي يَدِهِ . أَشَقَى الْوَلَاةُ مَنْ شَقِيَّتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ . اتَّقُوا
مَنْ تُبَغِّضُهُ قُلُوبُكُمْ . أَعْقَلَ النَّاسَ أَعْذَرُهُمُ لِلنَّاسِ . لَا تُؤْجَلْ عَمَلُ يَوْمِكَ لَعْدِكَ .
مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الشَّرَّ كَانَ جَدِيرًا أَنْ يَقَعَ فِيهِ . مَا الْحَمْرُ صِرْفًا بِأَذْهَبَ لِلْعَقُولِ مَنْ
الطَّمَعُ . قَلِمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ . مُرُّ ذَوَى الْقَرَابَاتِ أَنْ يَتَزَاوَرُوا وَلَا يَتَجَاوَرُوا .
نَحْمَضُ عَنِ الدُّنْيَا عَيْنَكَ وَوَلَّ عَنْهَا قَلْبَكَ . وَإِيَّاكَ أَنْ تُهْلِكَ كَمَا أَهْلَكَتَ مَنْ كَانَ
قَبْلَكَ ، فَقَدْ رَأَيْتَ مَصَارِعَهَا ، وَعَايَنْتَ سُوءَ آثَارِهَا عَلَى أَهْلِهَا ، وَكَيْفَ عَرَى مِنْ
كَسَتْ ، وَجَاعٍ مِنْ أَطْعَمَتْ ، وَمَاتٍ مِنْ أَحْيَتْ . احْفَظْ مِنَ النِّعْمَةِ احْتِفَازَكَ
مِنَ الْمَصِيبَةِ ، فَوَاللَّهِ لَهِيَ أَخَوْفُهُمَا عِنْدِي عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَدْرِكَ وَتَخْذَعَكَ . الدُّنْيَا
أَمَلٌ مَخْتَرَمٌ وَأَجَلٌ مُنْتَقِصٌ ، وَبَلَاغٌ إِلَى دَارٍ غَيْرِهَا ، وَسِيرٌ إِلَى الْمَوْتِ لَيْسَ فِيهِ
تَعْرِيجٌ ، فَارْحَمِ اللَّهَ امْرَأَةً فَكَّرَ فِي أَمْرِهَا ، وَنَصَحَ لِنَفْسِهَا ، وَرَاقِبِ رَبَّهُ ، وَاسْتَقَالَ
ذَنْبَهُ . إِيَّاكُمْ وَالْبَطْنَةَ فَإِنَّهَا مَكْسَلَةٌ عَنِ الصَّلَاةِ ، مَفْسَدَةٌ لِلْجَوْفِ ، مُؤَدِيَةٌ إِلَى السَّقَمِ .
رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً أَهْدَى إِلَى عِيُونِي ، أَفْلَحَ مَنْ حَفِظَ مِنَ الطَّمَعِ وَالْغَضَبِ وَالْهَوَى نَفْسَهُ . »

ومن كلام عثمان رضى الله عنه :

« مَا يَزَعُ ^(١) الله بالسلطان أكثر مما يَزَعُ بالقرآن . يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك . أنتم إلى إمام فعّال أحوج منكم إلى إمام قوّال - قاله يوم صعد المنبر فأرتج عليه » .

ومن كلام ابن عباس رضى الله عنه :

« صاحب المعروف لا يقع ، فإن وقع وجد مُتَّكَا . الْحِرْمان خير من الامتنان . مِلَاك أمركم الدين ، وزينتكم العلم ، وحصون أعراضكم الأدب ، وعزكم الحلم ، وحليتم الوفاء . القِرابَةُ تُقَطَّع ، والمعروف يُكْفَر ، ولم يُرَ كالمودة . لا تُنْكَرِ سَفِيهاً ولا حليماً ، فإن السفية يؤذيكم ، والحليم يَقْلِيْكُمْ ^(٢) ، واعمل عمل من يعلم أنه مجزى بالحسنات ، مأخوذ بالسيئات » .

ومن كلام ابن مسعود رضى الله عنه :

« ما أَلْذَخان على النار بأدَلّ من الصاحب على الصاحب ، الدنيا كلها غموم ، فما كَانَ منها فى سرور فهو ربح » .
ومن كلام المغيرة بن شعبه :

« إن المعرفة لتنفع عند الكلب العقور ، والجل الصئول ^(٣) ، فكيف بالرجل الكريم ! » .

ومن كلام أبي الدرداء :

« السُّودَدُ اصطناع البشيرة ، واحتمال الجريرة ، والشرف كَفُ الأذى ، وبذل الندى ، والغنى قلة التمنى ، والفقر شره النفس »

[١] يكف . [٢] يفضك . [٣] صؤل الجمل : وائب الناس أو صار يقتلهم ويهدو عليهم .

ومن كلام أبي ذرٍّ :

« إن لك في مالك شريكين : الحِذْثَانُ ^(١) والوارث ، فإن قَدَرْتَ ألا تكون

أَخْسَرَ الشركاءَ حظاً فافعل » . (مجمع الأمثال للميداني ٢ : ٢٧٦ ، ونهاية الأرب ٣ : ٤)

استدراك ما فات من .

العصر الجاهلي

سقط بعض الموضوعات من العصر الجاهلي في أثناء الطبع ، ولم أُنَبِّه لها إلا بعد البدء في طبع عصر صدر الإسلام ، فرأيت إرجاءها إلى آخر الجزء محافظة على انتظام سلسلة الترقيم ، وهامى ذى :

٢٩٧ — خطبة هاشم بن عبد مناف في قريش وخزاعة

تنافرت قريش وخزاعة ^(٢) إلى هاشم بن عبد مناف ، فخطبهم بما أذعن

له الفريقان بالطلعة ، فقال في خطبته :

« أيها الناس ، نحن آل إبراهيم ، وذرية إسماعيل ، وبنو النضر بن كِنَانَةَ ^(٣)

وبنو قُصَيِّ بن كلاب ، وأرباب مكة ، وسُكَّانَ الحَرَمِ ، لنا ذروة الحَسَبِ ، ومعدن

المجد ، وإِسْكَالٍ في كُلِّ حِلْفٍ ^(٤) يجب عليه نصرته ، وإجابة دعوته ، إلا مادعا

[١] حدثان الدهر : نوبه وأحداثه . [٢] خزاعة : حى من الأزد ، سموا بذلك لأنهم تغزوا عن قومهم (أى تخلفوا عنهم وانقطعوا) في إقبالهم من اليمن ، وذلك أنه لما تفرقت الأزد من اليمن في البلاد نزل بنو مارن على ماء بين زبيد وزمع ، وأقبل بنو عمرو بن عامر فالتحقوا بهم فزولوا مكة .

[٣] النضر : الحد الثاني عشر للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقصى الجد الرابع . [٤] الحلف : العهد بين القوم والصداقة ، والصديق يخاف لصاحبه أن لا يعدر به ، وقوله « إسكل في كل » أى لكل في صاحبه صديق يجب عليه نصرته .

إلى حقوق عشيرة ، وَقَطَعَ رَحِمَ ، يابني قصى : أنتم كنصني شجرة أيهما كُسِرَ
أوحشَ صاحِبَهُ ، والسيِّف لا يَصَانُ إِلَّا بِغِمْدِهِ ، وراى العشيرة يصيبه سهمُهُ ،
وَمَنْ أَتَحَكَّهُ ^(١) اللجَّاجُ أخرجهُ إلى البنى .

أيها الناس ، الحلم شرف ، والصبر ظفر ، والمعروف كَنْزٌ ، والجود سُودٌ
والجهل سَفَهٌ ، والأيام دُولٌ ، والذهر غَيْرٌ ^(٢) ، والمرء منسوب إلى فعله ، ومأخوذ
بفعله ، فاصْطَنَعُوا المعروف تكسبوا الحمد ، ودعوا الفضول تُجَانِبْكُمْ السفهاء ،
وَأَكْرَمُوا الجليس يَغْمُرُ نَادِيَكُمْ ، وحاموا الخَلِيطَ يُرْغَبُ فِي جِوَارِكُمْ ، وأنصفوا
من أنفسكم يُوثَقَ بكم ، وعليكم بمكارم الأخلاق فَإِنَّهَا رَفْعَةٌ ، وإياكم والأخلاق
الدَّنيَّةَ فَإِنَّهَا تَضَعُ الشرف ، وتهدم المجد ، وإن تَهَنَّأَ ^(٣) الجاهل أهون من
جَرِيرَتِهِ ^(٤) ، ورأس العشيرة يحمل أثقالها ، ومقام الحليم عظة لمن انتفع به .
فَقَالَتْ قريش : « رضينا بك أبا نُضْلَةٍ » ، وهى كنيته .

(بلوغ الأرب ١ : ٣٢٢)

٢٩٨ — منافرة عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية ^(٥)

تنافر عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية إلى النجاشى ملك الحبشة ، فأبى

[١] أغضبه . [٢] أى ذو غير ، وغير الدهر : أحداثه المميرة ، جمع غيرة بالكسر ، أو مفرد
وجعه أغيار . [٣] ننبه عن الأمر : كفه وزجره . [٤] فى الأدل « حزيرته » ، وفى
كتب اللغة : « حزرة المال ، وحزيرته : خياره » ولامعنى لها هنا ، وأرى أنها مصحفة عن « حزيرته » .
[٥] وسبب ذلك أن عبد المطلب كان له جار يهودى يقال له أذينة ، يتجر وله مال كثير ، فماظ ذلك
حرب بن أمية ، وكان نديم عبد المطلب ، فأعزى به فتیاناً من قريش ليقتلوه ، ويأخذوا ماله ، فقتله عامر بن
عبد مناف بن عبد الدار ، وصهر بن عمرو بن كعب التيمي ، جدّ أبى بكر رضى الله عنه ، فلم يعرف
عبد المطلب قاتله ، فلم يزل يبحث حتى عرفهما ، وإذا هما قد استجارا بحرب بن أمية ، فأبى حرباً ولأمه
وطلبهما منه فأخفاهما ، فتفاظلا فى القول ، حتى تنافرا الى النجاشى فلم يدخل بينهما ، فجعل بينهما نفيل بن
عبد العزى جدّ عمر بن الخطاب فنهر عبد المطلب عليه ، فترك عبد المطلب نادمة حرب ، ونادم عبد الله بن
جدعان التيمي ، وأخذ من حرب مائة ناقة ، فدفعها إلى ابن عم اليهودى ، وارتفع ماله إلا شيئاً هلك ، فمرمه
من ماله .

أن ينفر^(١) بينهما ، فجعل بينهما نُفَيْلُ بن عبد العُزَّى بن رياح ، فقال لحرب :
 « يا أبا عمرو : أتنافر رجلا هو أطول منك قامَةً ، وأعظم منك هامَةً ،
 وأوسم منك وسامةً^(٢) ، وأقل منك ملامَةً ، وأكثر منك وَلَدًا ، وأجزل عَفْدًا^(٣)
 وأطول منك مِذْوَدًا^(٤) ، وإني لأقول هذا وإنك لبعيدُ الغَضَبِ ، رفيعُ الصَّوْتِ
 في العرب ، جَلْدُ المَرِيرَةِ^(٥) ، جليل العشيرة ، ولكنك نافرت مُنْفَرًا » .
 فغضب حرب وقال : إن من انتكاس^(٦) الزمان أن جُعِلت حكا ..

(تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٦ ، وتاريخ الطبري ٢ : ١٨١)

٢٩٩ — مقال قبيصة بن نعيم لامرئ القيس بن حجر

قدم على امرئ القيس بن حُجْر الكِنْدِيِّ بعد مقتل أبيه رجال من قبائل
 بني أسد ، وفيهم قَبِيصَةُ بن نَعِيم يسألونه العفو عن دم أبيه^(٧) ، فخرج عليهم في
 قَبَاءٍ وَخُفٍّ وعمامة سوداء — وكانت العرب لَا تَعْتَمُ بالسواد إلا في التَّراتِ —
 فلما نظروا إليه قاموا له ، وَبَدَرُ إليه قبيصة فقال :

« إنك في المحلِّ والقَدَرِ ، والمعرفة بتصرف الدهر ، وما تُحْدِثُهُ أيامه ، وتَنَقَّلُ
 به أحواله ، بحيث لا تحتاج إلى تذكير من واعظ ، ولا تبصير من مجرب ،
 ولك من سُودَدَ مَنْصِبِكَ ، وَشَرَفَ أَعْرَاقِكَ^(٨) ، وكرم أَصْلِكَ في العرب ،
 مُحْتَدٍ^(٩) يحتمل ما مُحْمَلٌ عليه ، من إقالة العَثْرَةِ ، ورجوعٍ عن الهَفْوَةِ ، ولا تتجاوز

[١] نفره عليه : قضى له عليه بالغبية . [٢] الوسامة : الحسن والجمال . [٣] الصفد : العطاء .
 [٤] اللذود : اللسان . [٥] المريرة : الحبل الشديد القتل ، والمزيمة . [٦] أى انقلاب الزمان
 من انتكس أى وقع على رأسه ، وفي الطبري : انتكاث بالثاء من انتكاث الحبل وهو انتفاخه .
 [٧] وكانت بنو أسد (وهم من الضرية) خاضعة للملوك كندة ، وآخر ملك عليهم هو حجر أبو
 امرئ القيس ، وقد ثاروا عليه وقتلوه لأنه كان قد عسف في حكمه لهم ، واشتط عليهم في الإتاوة التي
 يؤدونها إليه . [٨] الأعراق : جمع عرق وهو أصل كل شيء . [٩] المحند : الأصل .

الهمم إلى غايةٍ إلا رَجَعَتْ إليك ، فوجدتُ عندك من فضيلة الرأي ، و صيرة
الفهم ، وَكَرَّمَ الصَّفْح ، ما يطول رَغَبَاتِهَا ، ويستغرق طَلِبَاتِهَا ، وقد كَانَ الذى
كَانَ من الخطْبِ الجَلِيل ، الذى بَحَمَّتْ رزيتُهُ نِزَاراً واليمن ، ولم تُخْصَصْ بذلك
كِندةٌ دوننا ، للشرف البارِع كَانَ لِحُجْر ، التاجُ والعمَّةُ فوق الجبين الكريم ،
وإخاء الحمد وطيب الشَّيْم ، ولو كَانَ يُفْذَى هالكٌ بالانفس الباقية بعده لما بَخَلَتْ
كرامَتُهَا على مثله ، ولكنه مَضَى به سبيلٌ لا يرجعُ أخراه على أولاه ، وَلَا
يَلْحَقُ أقصاه أدناه .

فأحمد الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك في إحدى ثلاث :
إمّا أَنْ اخْتَرْتَ من بنى أَسَدَ أَتْرَفَهَا بَيْتًا ، وأَعْلَاهَا في بناء المَكْرُمَاتِ صوتًا ،
فَقَدْ نَاهَ إِلَيْكَ بِنِسْمَةٍ ^(١) ، تذهب مع شَفَرَاتِ حُسَامِكَ بِبَاقٍ فَصَرَّتِهِ ^(٢) ،
فنقول : رجل امْتَحِنَ بهالكِ عَزِيزٍ ، فلم يَسْتَلْ سَخِيمَتَهُ ^(٣) إِلَّا تَمَكَّنَتْهُ مِنَ الْإِتْقَامِ ،
أَوْفَدَاءَ بِمَا يَرُوحُ ^(٤) على بنى أَسَدٍ من نَعْمَاهَا ، فهى أَلُوفٌ تَجَاوِزُ الْحِسْبَةَ ، فَكَانَ ذَلِكَ
فِدَاءً رَجَعْتَ بِهِ الْقُضْبُ ^(٥) إِلَى أَجْفَانِهَا ، لم يرددها تَسْلِيطُ الْإِخْنِ ^(٦) عَلَى الْبِرَاءِ ،
وإِمَّا أَنْ وَادَعْتَنَا إِلَى أَنْ تَضَعَ الْحَوَامِلَ ، فَتُسْذِلَ الْأُزُرَ ، وَتُعَقِّدَ الْحُمُرَ فُوقَ الرَايَاتِ .
فبكى امرؤ القيس ساعة ، ثم رفع رأسه فقال :

٣٠٠ - رد امرئ القيس عليه

« لقد علمت العرب أنه لَا كُفَّ لِحُجْرٍ فِي دَمٍ ، وَأَنَّى إِنِ اعْتَاضَ بِهِ جَمَلًا وَلَا

[١] النسم : سحر عريض تشد به الرحال ، والقطعة منه ندعة . [٢] الفصرة : أصل العنق .
[٣] السخيمة : الحقد . [٤] يرجع ، وأراح الإبل : ردها إلى المراح بالضم أى المأوى ، والعم :
الإبل والشاة أخص بالإبل ، وهو المراد هنا . [٥] السيوف . [٦] الإخن : جمع إحنة ،
وهى الحقد .

ناقة ، فأكتسب به سبة الأبد ، وفَتَّ العَضْدُ ^(١) ، وأما النظرة ^(٢) فقد أوجبها الأجنَّةُ في بطُون أمهاتها ، وإن أكون لعطبها سبباً ، وستعرفون طلائع كِنْدَةَ من بعد ذلك ، تحمل في القلوب حنقاً ، وفوق الأسنة علقاً ^(٣) :
إذا جالت الحرب في مآزقٍ تُصافِحُ فيه المنايا النفوسا
أتقيمون أم تنصرفون ؟ »

قالوا : « بل ننصرف بأسوأ الاختيار ، وأبلى الاجترار ، بمكروه وأذية ، وحرب وبليّة » ثم نهضوا عنه وقبيصة يتمثل :
لعلك أن تستوخِمَ الورْدَ إنْ غَدَتِ كَتَابُنَا في مآزِقِ الحربِ تُطْرِ ^(٤)
فقال امرؤ القيس : « لا والله ، ولكن أستعذِبُه ، فرؤيدا ، ينفرج لك دُجَاهَا
عن فُرسان كِنْدَةَ وكتائبِ حَمِيرٍ ، ولقد كَانَ ذِكْرُ غيرِ هذا بي أولى ، إذ كنت
نازلاً برَبْعِي ^(٥) ، ولكنك قلتَ فأوجبت » فقال قبيصة : « ما يُتَوَقَّعُ فوق
قدر المعاتبة والإعتاب ^(٦) » فقال امرؤ القيس : « هو ذاك » .

(صبح الأعشى ٢ : ٢١٦ والأغانى ٨ : ٧٢)

٣٠١ — بين مهلهل بن ربيعة ومرة بن ذهل بن شيبان
لما قتل جَسَّاس ^(٧) بن مُرَّة بن ذُهَل الشَّيْبَانِي كُلَيْب ^(٨) بن ربيعة التغلبيّ ،

[١] فته : كسره ، وهو كناية عن الصعف والوهن . [٢] الإمهال . [٣] أى دماً .

[٤] تستوخمه : أى تحمده وخيما . [٥] الربيع : المنزل .

[٦] أعتبه : أرضاه . [٧] وسبب ذلك أن البسوس بنت بنقد التميمية خالة جساس كان لها جار من جرم يقال له سعد بن شمس ، وكانت له ذقة يقال لها سراب ، وكان كليب قد حمى أرضاً من أرض العالية ، في أنف الربيع ، فلم يكن يرعاه أحد إلا لابل حساس لمصاهرة بينهما — وكانت جلييلة بنت مرة أخت جساس تحت كليب — فخرجت سراب في لابل حساس ترعى في حمى كليب ، ونظر إليها كليب فأناكرها فرماها بهم فأصاب ضرعها ، فوكت حتى بركت بفناء صاحبها وضرعها ينحب دماً ولبناً . فلما نظر إليها صرخ بالدل ، فخرجت البسوس فضربت يدها على رأسها ، ونادت وادلاء وسمها جساس فسكتها ، وقال لها : ليقتلن غداً على أعظم من ناقة جارك ، ولم يزل يتوقع غرة كليب حتى أمكنته منه الفرصة فقتله ، ونشبت من أحل ذلك الحرب (حرب البسوس) بين بكر وتغلب ابني وائل أربعين سنة « وبنو شيبان بطن من بكر » .
[٨] اسمه وائل بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن قليب بن وائل

تَشْمَرُ أَخُوهُ مُهْلِيلٌ^(١)، واستعد لحرب بكر، وجمع إليه قومه، فأرسل رجالاً منهم إلى بنى شيبان، فأتوا مرة بن ذهل بن شيبان (أبا حساس) وهو فى نادى قومه، فقالوا له :

« إناكم أتيتم عظيمًا بقتلكم كليبًا بناب^(٢) من الإبل ، فقطعتم الرّحِم ، وانتهكتم الحرّمة ، وإنا كَرِهْنَا الْعَجَلَةَ عَلَيْكُمْ دُونَ الْإِعْذَارِ إِلَيْكُمْ ، وَنَحْنُ نَعْرِضُ عَلَيْكُمْ خِلَالًا أَرْبَعًا ، لَكُمْ فِيهَا نَخْرَجُ ، وَإِنَّا فِيهَا مَقْنَعٌ ، فَقَالَ مَرَّةٌ : وَمَاهِي ؟ قَالُوا : تُخَيِّبُنَا كَلِيبًا ، أَوْ تَدْفَعُ إِلَيْنَا جَسَاسًا قَاتِلَهُ فَنَقْتُلُهُ بِهِ ، أَوْ هَمَامًا^(٣) فَإِنَّهُ كُفٌّ لَه ، أَوْ تَمَكِّنُنَا مِنْ نَفْسِكَ ، فَإِنْ فِيكَ وَفَاءٌ مِنْ دَمِهِ ، فَقَالَ : « أَمَّا إِحْيَائِي كَلِيبًا ، فَهَذَا مَا لَا يَكُونُ ، وَأَمَّا جَسَاسٌ فَإِنَّهُ غَلَامٌ طَعَنَ طَعْنَةً عَلَى عَجَلٍ ، ثُمَّ رَكِبَ فَرَسَهُ ، فَلَا أَدْرَى أَىُّ الْبِلَادِ احْتَوَى عَلَيْهِ ، وَأَمَّا هَمَامٌ فَإِنَّهُ أَبُو عَشْرَةٍ ، وَأَخُو عَشْرَةٍ ، وَعَمَّ عَشْرَةٍ ، كُلُّهُمْ فُرْسَانٌ قَوْمُهُمْ ، فَلَنْ يَسْلَمُوهُ لِي ، فَأَدْفَعَهُ إِلَيْكُمْ يُقْتَلُ بِجَرِيرَةٍ^(٤) غَيْرِهِ ، وَأَمَّا أَنَا فَهَلْ هُوَ إِلَّا أَنْ تَجُولَ الْخَيْلَ جَوْلَةً غَدًا ، فَأَكُونَ أَوَّلَ قَتِيلٍ بَيْنَهُمَا ؟ فَمَا أَتَعْجَلُ الْمَوْتَ ، وَلَكِنْ لَكُمْ عِنْدِي خَصْمَتَانِ ، أَمَّا إِحْدَاهُمَا فَهَؤُلَاءِ بَنَى الْبَاقُونَ ، فَعَلَّقُوا فِي عُنُقِ أَهْلِهِمْ شَتْمَ نِسْعَةٍ ، فَاذْبَحُوا بِهِ إِلَى رَحَالِكُمْ ، فَادْبَحُوهُ ذَبْحَ الْجَزُورِ ، وَإِلَّا فَالْفُ نَاقَةُ سَوْدِ الْحَدَقِ ، مُحَرُّ الْوَبَرِ ، أَقِيمْ لَكُمْ بِهَا كَفِيلًا مِنْ بَنِي وَائِلٍ ، فَغَضِبَ الْقَوْمُ وَقَالُوا : لَقَدْ أَسَأْتَ ، تَبَذَّلْنَا وَلَدَكَ ، وَتَسَوْمُنَا اللَّبَنَ مِنْ دَمِ كَلِيبٍ ؟ وَنَشَبَتْ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ » .

(العقد الفريد ٣ : ٧٨ ، والسكامل لابن الأثير ١ : ١٩٠ ، والأغانى ٤ : ١٤١)

وإنما لقب كليباً لأنه كان إذا سار أخذ معه جروكاً ، فإذا مرّ بروضه أو موضع بعجه ، صر به ثم ألقاه فى ذلك المكان وهو يصيح ويهوى ، فلا يسمع صواحه أحد إلا أنجسه ولم يفر به ، وكان يقال كليب وائل ثم اختصروا فقالوا كليب فعلم عليه . [١] اسمه عدى بن ربيعة ، وإنما قيل له المهلهل لأنه أزل من هاهل الشعر أى أرقه . [٢] الناقة المسنة . [٣] هو همام بن مرة أخو حساس ، وكان ندياً لمهلهل . [٤] الجريرة : الجريمة .

٣٠٢ — ما دار من الحديث بين المنذر بن النعمان الأكبر

وبين عامر بن جوين الطائي

وقد عامر بن جوين الطائي على المنذر بن النعمان الأكبر ، جد النعمان بن المنذر ، وذلك بعد انقضاء ملك كِنْدَةَ ، ورجوع الملك إلى نَحْم ، وكان عامر قد أجاز امرأ القيس بن حُجْر ، أيام كَانَ مقيماً بالجَبَلَيْنِ ^(١) ، وقال كلمته التي يقول فيها :

هَذَاكَ لَا أُعْطِي مَلِيكَ ظُلَامَةً وَلَا سُوقَةً حَتَّى يَثُوبَ ابْنُ مَنْدَلَةَ ^(٢)

[١] الحلان : سلمى وأجأ (كجبل) شرق المدينة ، وهما لطيفي ، قال رجل من بني سلامان جاور في طي :

ألفت مساكن الجابين إني رأيت العوث يألمها العريب

(والعوث قبيلة من طي) . [٢] قال صاحب اللسان : « ابن مندلة رجل من سادات العرب ، قال عمرو بن جوين فيما زعم السرياني ، أو امرؤ القيس فما حكى القراء :

وَأَبَيْتَ لَا أُعْطِي مَلِيكَ مَقَادَتِي وَلَا سُوقَةً حَتَّى يَثُوبَ ابْنُ مَنْدَلَةَ »

وقال الميداني في شرح المثل « لا غزو إلا العقيب » — ج ٢ : ص ١٣١ — : « يقال عقب الرجل : وهو أن يعز مرة ثم يئى من سبه ، وأول من قال ذلك حجر بن الحارث بن عمرو آكل المرار (أبو امرئ القيس) وذلك أن الحارث بن مندلة ملك السأم ، وكان من ملوك سُلَيْح من ملوك الضجاعم (سُلَيْح كجريح قبيلة بالبحر ، والصداغم كانوا ملوكاً للشأم) وهو الذي ذكره مالك بن جويس الطائي في شعره فقال :

هَذَاكَ لَا أُعْطِي رَئِيساً مَقَادَةً وَلَا مَلِكاً حَتَّى يَثُوبَ ابْنُ مَنْدَلَةَ

وكان قد أعار على أرض نجد ، وهي أرض حجر بن الحارث هذا ، وذلك على عهد بهرام جور ، وكان بها أهل حجر فوجد القوم خلوا ، (الخلو بالضم : الذين ذهبوا من الحي ، ومن حضر منهم أيضاً) ووجد حجراً قد غزا أهل نجران ، فاستاق ابن مندلة مال حجر ، وأخذ امرأته هند الهنود (وهي هند بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية) ووقع بها فأعجبها ، وكان آكل المرار شجاعاً كبيراً ، وابن مندلة شاباً جميلاً ، فقالت له : النجاء النجاء ، فإني وراءك طالباً حثيثاً ، وجعاً كثيراً ، ورأياً صليباً ، وحزماً وكيداً ، فخرج ابن مندلة مندا إلى الشأم (أى سمرق) فلما رجع حجر وجد ماله قد استيق ، ووجد هنداً قد أخذت ، فقال : من أعار عليكم ؟ قالوا ابن مندلة ، قال : مذكم ؟ قالوا : ثمنني ليال ، فقال حجر : لا غزو إلا العقيب ، فأرسلها مثلاً بمعنى غزوه الأول والثاني .

ثم حدث في طلب ابن مندلة ، حتى دفع إلى واد دون مدبر ابن مندلة فكمين فيه ، وبعث سدوس ابن شيدان ، فقال له : اذهب متنكراً إلى القوم حتى تعلم لنا علمهم ، فانطلق حتى انتهى إلى ابن مندلة ، ثم رجع إلى حجر فحدثه بحديث امرأته مع ابن مندلة ، فضرب حجر بيده على المرار (والمرار كغراب : شجرة

وَكَانَ الْمُنْذِرُ ضَعْفًا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ : يَا عَامِرُ ، لَسَاءَ مَثْوَى أَثْوَيْتَهُ رَبُّكَ وَثَوِيكَ ^(١) ، حِينَ حَاوَلْتَ إِصْبَاءَ طَلَمْتِهِ ^(٢) وَمَخَالَفَتَهُ إِلَى عَشِيرِهِ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كُنْتَ كَرِيمًا لِأَثْوَيْتَهُ مُكْرَمًا مُوَقَّرًا ، وَلِجَانِبَتِهِ مُسَلِّمًا ، فَقَالَ لَهُ : آيَتُ اللَّعْنِ ^(٣) لَقَدْ عَلِمْتَ أَبْنَاءَ أَدَدَ ^(٤) إِنِّي لِأَعَزُّهَا جَارًا ، وَأَكْرَمُهَا جَوَارًا ، وَأَمْنَعُهَا دَارًا ، وَلَقَدْ أَقَامَ وَافِرًا ، وَزَالَ شَاكِرًا ، فَقَالَ لَهُ الْمُنْذِرُ : « يَا عَامِرُ ، وَإِنَّكَ لَتَخَالُ هُضْبَاتِ أَجَا ذَاتِ الْوَبَارِ ^(٥) ، وَأَفْنِيَاتِ سَلَمَى ذَاتِ الْأَغْفَارِ ^(٦) ، مَا نِعَمَاتِكَ مِنَ الْمَجْرِ ^(٧) الْجَرَّارِ ، ذِي الْعَدَدِ الْكَثَّارِ ^(٨) ، وَالْحُصْنِ وَالْمِهَارِ ^(٩) ، وَالرَّمَاكِ الْجَرَّارِ ^(١٠) ، وَكُلِّ مَاضِي الْفَرَارِ ^(١١) ، يَدُ كُلِّ مِسْعَرٍ كَرِيمِ النَّجَّارِ ^(١٢) ؟ قَالَ عَامِرُ : آيَتُ اللَّعْنِ ، إِنْ بَيْنَ

مرّة إذا أكل منها الإبل تقلصت مشاورها) فأكل منها من العصب ، فسحقته العرب آكل المرار ، (وقيل : آكل المرار هو أبوه الخارث) ، ثم خرج حتى أغار على ابن مندله فقتله ثم قتل هنداً وأنشأ يقول :
 إن من يأمن النساء بشيء سعد هند الجاهل مغرور
 كل أنثى وإن تبينت منها آية الحب ، حبها خيتور
 (والخيتور : كل شيء لا يدوم على حالة واحدة ، ويصحل كالسراب ، وكالذي ينزل من الهواء في شدة الحر كنسج العكبوت) .

وذكر أبو الفرج الأصبهاني هذه القصة في الأذنى (١٥ : ٨٢) ولكنه روى أن الذي أغار على حجر هو زياد بن الهبولة قال : « ثم إن زياد بن الهبولة بن عمرو بن عوف بن ضحيم بن حمادة بن سعد ابن سليح الأنصافي أغار عليه وهو ملك في ربيعة بن نزار ، وكان قد غزا بريقة البحرين فبلغ زيادا غزاته فأقبل حتى أدار في مملكة حجر فأخذ مالا كثيرا وسبي امرأة حجر إلى آخر القصة » .

[١] ثوى المكان وبه : نزل ، وأثواه : أضاعه ، والمثوى : المنزل ، والثوى : كنى البيت المهيأ له ، والضيف وهو المراد هنا . [٢] الظلة العجوز ، وصدا الرجل مال إلى الجهل والفتوة وأصبته المرأة ، والمراد حاولت رد عره السالف إليه . [٣] آيت اللعن نحية جاهلية أى آيت أن تأتي ما تلعن به .

[٤] هو أدد بن زيد بن يشجب (يضم الجيم) بن عريب (بفتح العين) بن زيد بن كهلان بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وبنو أدد : هم مذحج وطى والأشعر .

[٥] الوبار : شجرة حامضة شائكة . [٦] الغمر بالتحريك صغار السكّال .

[٧] الحجر : الجبش العظيم . [٨] الكثير . [٩] الحصن : جمع حصان وهو الفرس الذكر والمار : جمع مهر وهو ولد الفرس . [١٠] الحرار والأحرار : جمع حر وهو خيار كل شيء .

[١١] الفرار : حذو الرمح والسهم والسيوف . [١٢] يقال هو مسعر حرب أى موقد نارها كأنه آلة لسعر الحرب أى إيقادها ، والنحار : الأصل .

تلك الهُضَيْبَاتِ وَالرَّعَانِ ^(١) ، والشَّعَابِ وَالْمُصَّدَانِ ^(٢) ، لَفْتِيَانَا أَبْطَالَا ، وكهولا
أَزْوَالَا ^(٣) ، يضربون الْقَوَانِسَ ^(٤) ، ويستنزلون الفوارس ، بالرماح المداعس ^(٥)
لم يَتَّبِعُوا الرَّعَاءَ ^(٦) ، ولم تُرَشَّحْهُمْ ^(٧) الإِماء ، فقال الملك : يا عامر لو قد تجاوزت
الخليل في تلك الشعاب صهيلا ، كانت الأصوات قَمَقَمَةً ^(٨) وصليلا ، وَفَغَرَّ
المَوْتُ ^(٩) ، وأعجز الفوت ، فتقارشت الرِّمَاحُ ^(١٠) ، وَحَمَى السلاح ، لَتَسَاقَى
قَوْمُكَ كَأَسَا لَا صُخُورَ بعدها ، فقال : مهلاً أبيت اللعن ، إن شَرَابِنَا وَبَيْلَ ،
وَحَدَّنَا أَلِيلَ ^(١١) ، وَمَعَجَمَنَا صَلِيبَ ^(١٢) ، ولقاءنا مَهْيَبَ ، فقال له : يا عامر ، إنه
لقليلُ بَقَاءِ الصَّخْرَةِ الصَّرَاءِ ^(١٣) على وقع المَلَاطِيسِ ^(١٤) ، فقال : أبيت اللعن ،
إِنَّ صَفَاتِنَا عِزُّ المَرَادِيسِ ^(١٥) ، فقال : لَا وَقِظَنَّ قَوْمُكَ مِنْ سِنَةِ الغفلة ، ثم
لَأَعْقِبَنَّهُمْ بعدها رَقْدَةً لَا يَهْبُ راقدها ، ولا يَسْتَيْقِظُ هاجدها ^(١٦) ، فقال له

-
- [١] الرَّعَان : جمع رعن (كشمس) وهو أنف يتقدم الجبل ، والجبل الطويل ويجمع أيضاً على رعون .
[٢] الشعب : بالفتح الجبل وبالكسر الطريق في الجبل ، ومسيل الماء في بطن أرض ، أو ما انفرج
بين الجبلين ، المصد (كشمس وكتف) والمصاد (كسحاب) الهضبة العالية وجمعه أمصدة ومصدان .
[٣] أزوال : جمع زول ، وهو الشجاع . [٤] القوانس : جمع قوس كجمر ، والقوس
والقونوس : أعلى بيضة الحديد . [٥] المداعس جمع مدعس ، وهو الرمح الذي لا يثنى .
[٦] الرعاء : بالضم والكسر ، الرعاة : جمع راع . [٧] الترشيح : الزينة .
[٨] القمقة حكاية صوت السلاح ، وتحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت .
[٩] أي وفتر الموت فاه : أي فتحه . [١٠] تقارشت الرماح تداخلت في الحرب .
[١١] حاد ، وألله تأليلاً حده . [١٢] عجم العود كنصر إذا غصه ليعرف صلابته من خوره
والمعجم اسم مكان منه وصلب أي صلب وهو كناية عن شدتهم ومنعتهم . [١٣] صخرة صراء : صماء .
[١٤] اللطس : كبير ، والملاطس : العول الغليظ لكسر الحجارة .
[١٥] الصفاة : الحجر الصلد الصخيم ، ويقال ناقة عبر أسفار (بتثنية العين) أي قوية على السفر نشق
مامرت به ، تقطع الأسفار عليها ، وكذا الرجل الجريء على الأسفار الماصي فيها القوي عليها ، والمردس
والمرداس : شيء صلب عريض تدك به الأرض ، وردسها دكها به ، وردس الحجر بالحجر (كنصر وضرب)
كسره ، ومعنى العبارة إن صفاتنا تحمل دك المراديس فلا تنحطم تحتها ، كناية عن صلابتهم وشدتهم .
[١٦] الهجود : النوم .

عامر: إن البنى أباد عمراً^(١)، وصَرَخَ حُجْرًا^(٢)، وكانا أعزَّ منك سلطانًا، وأعظم شاكًا، وإن لقيتَنَا لم تَلَقْ أنْكَاسًا ولا أُغْسَاسًا^(٣)، فَهَبْشَ وَصَانِعَكَ^(٤) وَصَنَائِعَكَ^(٥)، وَهَلُمَّ إِذَا بَدَا لَكَ، فنحن الألى قَسَطُوا^(٦) على الأملاك قبلك، ثم أتى راحلته فركبها، وأنشأ يقول:

تَعْلَمُ (أَيَّتَ اللَّعْنِ) أَنْ قَنَاتَنَا تَزِيدُ عَلَى غَمْرِ الثَّقَافِ تَصَعُّبًا^(٧)
أَتُوجِدُنَا بِالْحَرْبِ؟ أُمُّكَ هَابِلٌ رُوَيْدُكَ بَرَقًا، لَا أَبَالِكَ، خُلْبًا^(٨)

[١] هو عمرو بن المذر بن ماء السماء ملك الحيرة، وكان يلقب مضط الحجارة لشدة ملكه، وقوة سياسته (وهو عمرو بن هند) وأمه هند بنت الحارث بن عمرو عمة امرئ القيس بن حجر بن الحارث، وكان سبب قتله أنه قال يوماً لجلسائه: هل تعلمون أن أحداً من العرب يأنف أن تخدم أمه أمي؟ قالوا: ما نعرفه إلا أن يكون عمرو بن كلثوم التلبي، فإن أمه لبلى بنت مهمل بن ربيعة، وعمها كليب وائل، وزوجها كلثوم بن عتاب، وابنها عمرو، فسكت مضط الحجارة على ما في نفسه وبعث إلى عمرو بن كلثوم يستريه، ويسأله أن تزور أمه أمه، فقدم عمرو بن كلثوم في رسالة من بني تغلب، ومعه أمه لبلى، فنزل على شاطئ الفرات، وبلغ عمرو بن هند قدومه، فأمر فضربت خيامه بين الحيرة والفرات، وأرسل إلى وجوه أهل مملكته، فصنع لهم طعاماً، ثم دعا الناس إليه فقرب إليهم الطعام على باب السراشق، وجلس هو وعمرو بن كلثوم وخوادم أصحابه في السراشق، ولأمه هند قبة في حاسب السراشق، ولبلى أم عمرو ابن كلثوم معها في القبة، وقد قال مضط الحجارة لأمه إذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق إلا الطرف فتجى خدمك عنك، فإذا دنا الطرف فاستحدي لبلى ومريها فتناولك الشيء بعد الشيء، ففعلت هند ما أمرها به ابنها، فلما استدعى الطرف، قالت هند لبلى: تناولى ذلك الطبق. قالت لنقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها، فألحت عليها، فقالت لبلى وادلاء يا آل تغلب فسمعا ولداها عمرو بن كلثوم، مثار الدم في وجهه والقوم يشربون، فمرف عمرو بن هند الشر في وجهه، وثار ابن كلثوم إلى سيف ابن هند وهو معلق في السراشق وليس هناك سيف غيره فأخذ، ثم ضرب به رأس مضط الحجارة فقتله، وخرج مادي بآل تغلب فانهبوا ماله وخيله، وسبوا الدماء، وساروا فلحقوا بالحيرة (تاريخ الكامل لابن الأثير ١: ١٩٧)

[٢] هو حجر بن الحارث (أبو امرئ القيس) وقد تقدم خبره.

[٣] الانكاس: جمع نكس بالكسر وهو الضميف، والأعساس: جمع غس بالصم وهو الضميف أيضاً.

[٤] هبش: جمع، والوضائع: جمع وضيفة، أنمال القوم وما يأخذه السلطان من الخراج والمطور، والصنائع: جمع صنيفة: يقال هو صنيفة فلان، وصديقه إذا اصطلمه وأدبه وخرجه ورياه، والمعنى: فتجهز للحرب، واجمع الأموال اللازمة لذلك واحشد رجالك المدربين على القتال. [٥] أى جاوروا.

[٦] الثقف: ما تسوى به الرماح. [٧] هبلته أمه (كفرح) فقدته، والبرق الحب: المطمع الخلف.

إِذَا خَطَرْتُ دُونِي جَدِيلَةً بِالْقَنَا
أَبَيْتُ الَّتِي تَهْوَى ، وَأَعْظَيْتُكَ الَّتِي
فَإِنْ شَدَّتْ أَنْ تَزْدَارِنَا فَاتِ تَعْتَرِفْ
وَإِنَّكَ لَوْ أَبْصَرْتَهُمْ فِي مَجَالِهِمْ
وَذَكَرَكَ الْعَيْشَ الرَّخِيَّ جِلَادُهُمْ
فَأَغْضِ عَلَى غِيظٍ وَلَا تَرُمِ الَّتِي
وَحَامَتِ رِجَالُ الْعَوْتُ دُونِي تَحْدُبًا^(١)
تَسُوقُ إِلَيْكَ الْمَوْتَ أَخْرَجَ أَكْهَبًا^(٢)
رِجَالًا يُذِيلُونَ الْحَدِيدَ الْمَعْقَرَبًا^(٣)
رَأَيْتَ لَهُمْ جَمْعًا كَشِيفًا وَكَوْكَبًا^(٤)
وَمَلْهُيَ بِأَكْنَافِ السَّيْرِ وَمَشْرَبًا^(٥)
تُحْكَمُ فِيكَ الزَّاعِيَّ الْمُحْرَبًا^(٦)
(ذيل الأملى ص ١٧٩)

٣٠٣ — قيس بن رفاعه والحارث بن أبي شمر الغساني

كَانَ قَيْسُ بْنُ رِفَاعَةَ يَفْدُ سَنَةً إِلَى النُّعْمَانِ اللَّخْمِيِّ بِالْعِرَاقِ ، وَسَنَةً إِلَى
الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمْرِ الْغَسَّانِيِّ بِالشَّامِ^(٧) ، فَقَالَ لَهُ يَوْمًا وَهُوَ عِنْدَهُ : يَا بْنَ رِفَاعَةَ ،
بَلِّغْنِي أَنَّكَ تَفْضِلُ النُّعْمَانَ^(٨) عَلَى ؟ قَالَ :

[١] خطر الرجل بسيفه ورمحه رفعه مرة ووسعه أخرى ، وجديلة والعوث من طيء ،
وتحدب به تعلق ، وتحدب عليه تعطف . [٢] الحرج كسبب لونان من بياض وسواد خرج كفرح فهو
أخرج ، وظليم أخرج وهو الذي لون سواده أكثر من بياضه كلون الرماد ، والكهبة : الدهمة (السواد)
أو عبرة مشربة سوادا ، كهت كفرح وكرم فهو أكهت وكاهب . [٣] ازداره : راره (اقتل من
الريارة) واعترف الشيء عرفه ، وأدال ثوبه إذا أطال ذيله قال كثير :

على ابن أبي العاصي دلاص حصينة أجاد المسدي سردما فأذالها

والحديد : الدروع ، وشئ معقرب : أى معوج معطوف ، يريد أنها دروع مررودة (الرد والسرود
بالمفتح تداخل حلق الدرع بعضها فى بعض) والمعنى تحمداً بطلا قد لبسوا الدروع السابعة المزرودة ، وماك
معنى آخر وهو : يقال أذال فرسه إذا أهانه ، والحديد : أى الفرس الحديد السير أى السريع ، والمعقرب
الشديد الحلق الختمه . وحمار معقرب الحلق أى ملووز مجسم شديد ، فالعنى : تحمداً بطلا يجهدون فى ميدان
القتال أفراسهم كرا وصولاً على الأعداء . [٤] السكوكبة : الجمادة . [٥] السدير والخورتق :
قصران بنهما النعمان الأكبر بالحيرة . [٦] الرمح الزاعجى : هو الذى إذا مز كان كمويه يجرى
معضها فى بعض لايته ، والحرب : المحدد .

[٧] كن الماذرة ملوك الحيرة من لحم ، والفاسنة : ملوك الشام من الأزدي . فكلاهما من أصل ينى ،
وكان بينهما أحقاد وأضغان وحروب . [٨] النعمان بن المنذر .

« وكيف أفضله عليك أبيت اللعن ؟ فوالله لآفأك أحسن من وجهه ، ولأثك أشرف من أبيه ، ولأبوك أشرف من جميع قومه ، ولشمالك أجود من يمينه ، ولجزمانك أنفع من نداءه ، ولقليلك أكثر من كثيره ، ولثمادك^(١) أغزر من غديره ، ولكرسيك أرفع من سريريه ، ولجدولك أغمر من بحوره ، وليومك أفضل من شهوره ، ولشهرك أمد من حوله ، ولحولك خير من حقه^(٢) ، ولزائدك أوري من زنده ، ولجندك أعز من جنده ، وإنك لمن غسان أرباب الملوك ، وإنه لمن لحم الكثيري النوك^(٣) ، فكيف أفضله عليك^(٤) ؟ » .

(الأمل ١ : ٢٦١ ومروج الذهب ١ : ٢٩٨)

٣٠٤ — قس بن ساعدة عند قيصر

وكان قس بن ساعدة يفد على قيصر ويذوره ، فقال له قيصر يوماً : ما أفضل العقل ؟ قال : معرفة المرء بنفسه ، قال : فما أفضل العلم ؟ قال : وقوف المرء عند علمه ، قال : فما أفضل المروءة ؟ قال : استبقاء الرجل ماء وجهه ، قال : فما أفضل المال ؟ قال : ما فُضي به الحقوق .

(الأمل ٢ : ٩٣)

٣٠٥ — رواد مذحج يصفون ما ارتادوا من المراعي

عن أشياخ من بني الحرث بن كعب قالوا :
« أجذببت بلاد مذحج فأرسلوا رواداً^(٥) ، من كل بطن رجلاً ، فبعثت بنو زيد رائداً ، وبعثت النخع رائداً ، وبعثت جعفي رائداً ، فلما رجع الرواد قيل

[١] الثماد : الماء الغليل لأمادة له . [٢] الحب بالضم وبصوتين : ثمانون سنة أو أكثر ، والذهر ، والسنة أيضاً . [٣] النوك بالضم والفتح : الحق . [٤] وذكر المسعودي أن هذا الحديث كان بين حسان بن ثابت الأحمري ، وبين الحرث بن أبي شمر . [٥] الرواد : جمع رائد ، وهو المرسل في طلب الكلاء .

لرائدِ بنى زبيد ماوراءك ؟ قال : رأيت أرضاً مؤشمة^(١) البقاع ، ناتحة^(٢) النقع^(٣) ،
مستحلسة^(٤) الغيطان^(٥) ضاحكة^(٦) القرين^(٧) واعدة^(٨) وأخر بوفائها ، راضية أرضها
عن سمائها . وقيل لرائد جعفي : ما وراءك ؟ قال : « رأيت أرضاً جمعت السماء^(٩) »
أقطارها ، فأمرعت^(١٠) أصبارها^(١١) ، ودبنت^(١٢) أوعارها^(١٣) ، فبطنانها غمقة^(١٤) ،
وظهرانها غدقة^(١٥) ، ورياضها مستوسقة^(١٦) ، ورقاقها رائخ^(١٧) ، وواطئها
سائخ^(١٨) ، وماشيها^(١٩) مسرور ، ومضرمها^(٢٠) محسور . وقيل للنخعي
ماوراءك ؟ فقال : « مداحي^(٢١) سيل ، وزهاء^(٢٢) ليل ، وغيل^(٢٣) يواصي غيلاً ،
قد ارتوت أجزازها^(٢٤) ، ودمت عزازها^(٢٥) ، والتبدت أقوازها^(٢٦) ، فرأيتها

- [١] أوشت الأرض : إذا بدا فيها شيء من النبات (وأوشمت السماء : إذا بدا فيها برق) .
[٢] النقع : جمع نقع (كشمس) وهو الأرض الحرة الطين يستنقع فيها الماء ، وناتحة : أى
راشحة ، من التتح وهو خروج العرق من الجلد .
[٣] القوط ، والعيط ، والعاط ، والعائط المطنن الواسع من الأرض وجمعه عرط (باضم) وأعواط
وغيطان ، وغياط ، واستحلست البت إذا غطى الأرض أو كاد يغطيها . [٤] القرين : مجارى الماء
من الربو إلى الرياس جمع قرى كرمى . [٥] أى تمت تمام نباتها وخيرها ، وأخر : أحلى .
[٦] السماء هنا المطر ، يريد أن المطر جاد بها ، فطال البت ، فصار المطر كأنه قد جمع أكمافه .
[٧] مرع الوادى مثل الراء مراعة وأمرع : أعشب وأحصب فهو مرع ومرع ، وأصبارها : نواحيها
جمع صبر بالكسر والضم . [٨] دبنت : لبنت . [٩] الطنان : جمع نطن ، وهو العامض من
الأرض أى المطنن منها ، وغمقة : ندية . [١٠] الظهران : جمع ظهر ، وهو ما ارتفع يسيراً ، وغدقة :
كثيرة البلل والماء . [١١] منتظمة . [١٢] الرقاق : الأرض اللينة من غير رمل ، ورائخ : مفرط
اللين ، يقال : ربحت المجين إذا كثرت ماء ، وراخ المحين يربخ . [١٣] أى تسوخ رجلاه فى الأرض
من لينها ، وتسوخ وتتوخ واحد . [١٤] الماشى : صاحب الماشية ، مشى الرجل وأمشى : كثرت
ماشيته . [١٥] المصرم : الفقير المقل . [١٦] مداحى : جمع مدحى اسم مكان من دحا الأرض يدحوها
ويدحاها دحوا : أى بسطها . [١٧] أى الزهاء الشخص ولما جعل نباتها زهاء ليل لشدة خضرته .
[١٨] الغيل : الماء الجارى على وجه الأرض ، ويواصي : يواصل . [١٩] الأجزاز : جمع جزز
(بصميتين) وهى التى لم يصبها المطر ، أو التى قد أكل نباتها ، أو التى لا تنبت . [٢٠] دمت : لين
(وروى دمت كفرح) ودمت لان ، والعزاز : الأرض الصلبة . [٢١] الأنوار : جمع قوز
(كشمس) وهو المستدير من الرمل .

أَنَقِ^(١) وراعيها سَنَقِ^(٢) فلا قَضَضَ^(٣) ولا رَمَضَ^(٤) ، عازِبُهَا^(٥) لا يُفَزَعُ ،
وَوَارِدُهَا لا يُنْكَعُ^(٦) ، فاختاروا مَرَادَ^(٧) النخعي . (الأملئ ١ : ١٨٣)

٣٠٦ — إحدى ملكات الين وخاطبوها

وذكروا أن ملكة كانت بِسَبَأَ^(٧) ، فأتاها قوم يخطبونها ، فقالت : ليصف
كل رجل منكم نفسه ، وَلْيَصُدُقْ وَلْيُوجِزْ ، لَا تَقْدَمَ إِن تَقْدَمْتُ ، أَوْ أَدَعِ إِن
تَرَكْتُ ، عَلَى عِلْمٍ ، فَتَكَلَّمَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يَقَالُ لَهُ مُدْرِكُ ، فَقَالَ : « إِن أَبَى كَانَ فِي
الْعَزَالِ بَاذِخٌ^(٨) ، وَالْحَسَبُ الشَّامِخُ ، وَأَنَا شَرِسُ الْخَلِيقَةِ ، غَيْرِ رَعْدِيدٍ^(٩) عِنْدَ
الْحَقِيقَةِ » قَالَتْ : لَا عِتَابَ عَلَى الْجَنْدَلِ فَأَرْسَلْتُهَا مِثْلًا^(١٠) ، ثُمَّ تَكَلَّمَ آخَرُ مِنْهُمْ
وَيُقَالُ لَهُ ضَبِيسُ بْنُ شَرِمٍ فَقَالَ : « أَنَا فِي مَالٍ أَثِمْتُ^(١١) ، وَخَلَقِي غَيْرُ خِيِثٍ ،
وَحَسَبِي غَيْرُ عِيْثٍ^(١٢) ، أَحْذُوا الزَّمَلَ بِالزَّمَلِ ، وَأَجْزِي الْقَرْضَ^(١٣) بِالْقَرْضِ »
فَقَالَتْ : لَا يَسْرُكُ غَائِبًا مَنَ لَا يَسْرُكُ شَاهِدًا ، فَأَرْسَلْتُهَا مِثْلًا . ثُمَّ تَكَلَّمَ آخَرُ
مِنْهُمْ ، يَقَالُ لَهُ شَمَّاسُ بْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ : « أَنَا شَمَّاسُ بْنُ عَبَّاسٍ ، مَعْرُوفٌ بِالنَّدَى
وَالْبَاسِ ، حَسَنُ الْخَلْقِ فِي سَجِيَّةٍ ، وَالْعَدْلُ فِي قَضِيَّةٍ ، مَالِي غَيْرُ مَحْظُورٍ عَلَى الْقُلِّ
وَالْكُثْرِ ، وَبَابِي غَيْرُ مَحْجُوبٍ عَلَى الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ » قَالَتْ : الْخَيْرُ مَتَّبِعٌ وَالشَّرُّ مَحْذُورٌ

[١] أى معجب بالمرعى . [٢] من سنق كفرح أى شتم واتخم ، وراعيها : الذى يرعاها .
[٣] القفض : الحصى الصغار ، يريد أن السبات قد غطى الأرض فلا ترى هناك قصصاً ، والرمض : أن
يحمى الحصى والحجارة من شدة الحر ، يقول : ليس هناك رمض لأن السبات قد غطى الأرض .
[٤] العازب : الذى يعزب بأبله أى يبعد بها فى المزمع . [٥] أى لا يمنع . [٦] أى مرعى .
[٧] سبأ : بلدة باليمن . [٨] العالى . [٩] الرعيد : الجبان . [١٠] قال الميدانى :
« يضرب فى الأمر الذى لُذِّقَ وقع لأمرد له ، قاله أبو عمرو » . [١١] كثير : عظيم .
[١٢] لم أجِدْ فى كتب اللغة وصفاً من مادة عث على فعل ، وإنما الذى فيها « رَحَلَ عَثَّ بِمَنْعِ الدِّينِ أَوْ
ضَيْلِ الْجِسْمِ » وسياق الفواصل يرجح أن الوصف الذى هنا فعل ، وأرى أن معناه « شين معيب من دشت
السهة الصوف إذا أكلته فهو نثيث بمعنى مشوث » . [١٣] القرض : القطم .

فأرسلتها مثلاً . ثم قالت : اسمع يا مدرك ، وأنت يا ضئيس ، لن يستقيم معك معاشره لعشير حتى يكون فيك ما لين عريكة ^(١) ، وأما أنت يا شماس ، فقد حلت مني محل الأهنع ^(٢) من الكنانة ، والواسطة ^(٣) من القلادة ، لدمانة ^(٤) خلقك ، وكرم طباعك ، ثم اسع يحد أودع ، فأرسلتها مثلاً ، وتزوجت شماساً .
(مجمع الأمثال ٢ : ١١٨)

٣٠٧ — خطبة عامر بن الظرب العدواني وقد خطبت ابنته

خطب صمصعة بن معاوية إلى عامر بن الظرب العدواني ابنته عمرة فقال :
« يا صمصعة إنك جئت تشتري مني كبدى ، وأرحم ولدى عندي ، منعك ، أو بعثك ، النكاح خير من الأئمة ^(٥) ، والحسيب كفء الحسيب ، والزوج الصالح أب بعد أب ، وقد أنكحتك خشية ألا أجد مثلك ، أفر من السر إلى العلانية ، أنصح ابناً ، وأودع ضعيفاً قوياً ، ثم أقبل على قومه فقال :
« يا معشر عدوان : أخرجت من بين أظهركم كريمتكم ، على غير رغبة عنكم ، ولكن من خط له شيء جاءه ، رب زارع نفسه حصيداً سواه ، ولولا قسم الحظوظ على قدر الجود ، ما أدرك الآخر من الأول شيئاً يعيش به ، ولكن الذي أرسل الحيا ^(٦) ، أنبت المرعى ، ثم قسمه أكلاً ^(٧) ، لكل فم بقلة ، ومن الماء جرعة ، إنكم ترون ولا تعلمون ، لن يرى ما أصف لكم إلا كل ذي قلب واع ^(٨) ،

[١] العريكة : الطبيعة ورجل ابن العريكة : أى سلس الخلق . [٢] الأهنع آخر سهم في الكنانة رديئاً كان أو جيداً أو هو أفضل سهامها لأنه يدخر لشدة أو هو أردوها ، والراد هنا الثانى .
[٣] واسطة القدر : الجوهرة الفاخرة التى تجعل وسطه . [٤] الدمانة : السهولة .
[٥] الأئمة : الدين لأزواج لهم من الرجال والنساء الواحد منهما ، أيم كجيد سواء كان تزوج من قبل أم لم يتزوج ، وامرأة أيم بكرة كانت أو ثيباً ، وقد آمت تيم أيماً وأئمة وأبوماً ، وفي الحديث : « أنه كان يتعوذ من الأئمة » . [٦] الحيا : المطر . [٧] الأكل : ما يؤكل والرزق .
[٨] حافظ .

ولكل شيء راعٍ ، ولكل رزق ساعٍ ، إما أكيسُ وإما أحمقُ ، وما رأيت شيئاً إلا سمعت حسبه ، ووجدت مسه ، وما رأيت موضوعاً إلا مصنوعاً ، وما رأيت جائياً إلا داعياً ، ولا غائماً إلا خائباً ، ولا نعمة إلا ومعها بؤس ، ولو كان يُحْيِيَتُ النَّاسَ الدَّاءُ ، لأحياهم الدواء ، فهل لكم في العلم العليم ؟ قيل ماهو ؟ قد قلت فأصبت ، وأخبرت فصدقت ، فقال : أموراً شتى ، وشيئاً شياً ، حتى يرجع الميت حياً ، ويعود لا شيء شيئاً ، ولذلك خلقت الأرض والسموات ، فتولوا عنه راجعين ، فقال : وَيْلُهَا ^(١) نصيحة لو كان مَنْ يَقْبَلُهَا .

(مجمع الأمثال ١ : ٢١١ ، البيان والتبيين ٢ : ٣٧ ، والعقد الفريد ٣ : ٢٢٣)

٣٠٨ — وصية عامر بن الظرب العدواني لقومه

وَكَانَ عَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ الْعَدَوَانِي سَيِّدَ قَوْمِهِ ، فَلَمَّا كَبُرَ وَخَشِيَ عَلَيْهِ قَوْمُهُ أَنْ يَمُوتَ ، اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، وَقَالُوا : إِنَّكَ سَيِّدُنَا وَقَائِلُنَا وَشَرِيفُنَا ، فَاجْعَلْ لَنَا شَرِيفًا وَسَيِّدًا وَقَائِلًا بَعْدَكَ ، فَقَالَ :

« يَا مَعْشَرَ عَدَوَانٍ : كَلَفْتُمُونِي بَغْيًا ، إِنْ كُنْتُمْ شَرَّفْتُمُونِي فَإِنِّي أُرِيْتُمْ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِي ، فَأَتَى لَكُمْ مِثْلِي ؟ أَفَهَمُوا مَا أَقُولُ لَكُمْ ، إِنَّهُ مِنْ جَمْعِ بَيْنِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ لَمْ يَجْتَمِعَا لَهُ ، وَكَانَ الْبَاطِلُ أَوْلَى بِهِ ، وَإِنْ الْحَقُّ لَمْ يَزَلْ يَنْفِرُ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَلَمْ يَزَلِ الْبَاطِلُ يَنْفِرُ مِنَ الْحَقِّ .

يَا مَعْشَرَ عَدَوَانٍ : لَا تَشْمَتُوا بِالذَّلَّةِ ، وَلَا تَفْرَحُوا بِالْعِزَّةِ ، فَبِكُلِّ عَيْشٍ يَعِيشُ الْفَقِيرُ مَعَ الْغَنِيِّ ، وَمَنْ يَرَّ يَوْمًا يُرَّ بِهِ ^(٢) ، وَأَعِدُّوا لِكُلِّ أَمْرٍ جَوَابَهُ ، إِنْ مَعَ

[١] يقال للمستجاء ويله : أى ويل لأمه ، كقولهم : لا ب لك يريدون لا أب لك وركبوه وجعلوه كالغنى الواحد . [٢] أى من رأى يوماً على عدوه رأى مثله على نفسه .

السفاهة الندامة ، والعقوبة نكال وفيها ذمامة ^(١) ، ولليد العليا ^(٢) العاقبة
والقود ^(٣) راحة ، لا لك ولا عليك ، وإذا شئت وجدت مثلك ، إن عليك كما أن
لك ، وللكرة الرعب ، وللصبر الغلبة ، ومن طلب شيئاً وجده ، وإن لم يجده
يوشك أن يقع قريباً منه . (مجمع الأمثال ٢ : ١٨٣)

٣٠٩ — وصية دويد بن زيد لبنيه

لما حضرت دويد ^(٤) بن زيد الوفاة قال لبنيه :
« أوصيكم بالناس شراً ، لا ترحموا لهم عبزة ، ولا ثقيلوهم عبزة ^(٥) ، قصروا
الأعنة ، وطولوا الأسنة ، واطعنوا شزراً ^(٦) ، واضربوا هزراً ^(٧) ، وإذا أردتم
المحاجة ، فقبل المناجزة ، والمرء يعجز لا المحالة ، بالجد ^(٨) لا بالكد ، التجلد
ولا التبلد ، والمنية ولا الدنية ، ولا تأسوا على فائت وإن عز فقده ، ولا تحنوا
إلى ظاعن وإن ألف قربه ، ولا تطعموا فتطبعموا ، ولا تهنوا فتخزعو ^(٩) ، ولا
يكونن لكم المثل السوء » إن الموصين بنو سهوان ^(١٠) « إذا ميت فأزحبو ^(١١)

-
- [١] الدمامة بالفتح ويكسر ، والذمة : العهد ، والكفالة ، والحق ، والحرمة . [٢] اليد العليا :
المعطية ، والسفلى : السائلة ، وفي الحديث : « اليد العليا خير من اليد السفلى » ، وهو حث على الصدقة .
[٣] القود : القصاص . [٤] هو دويد بن زيد بن نهد الحميري ، ومن من المعمرين . قيل عاش
أربعمائة وستاً وحمدين سنة ، (قالوا : ولا يمد العرب معمرأ إلا من عاش مائة وعشرين سنة فصاعداً) .
[٥] أقال الله عبثته : رده من سقوطه . [٦] الطعن في الجواب عيباً وشملاً .
[٧] هز اللحم : قطعه قطعاً كبيراً ، والهبرة (بالفتح) القطعة المجتمعة منه وضرب هز وهير هابر :
أى يقطع اللحم . [٨] الطبع محركة : الدنس . [٩] الوهن : الضعف ، والحراة : (كنباهة)
اللين والرخاوة خرع : ككرم ، وخرع كفرح ضعف ، فهو خرع ، وخريع ، وانكسر .
[١٠] قال الميداني في مجمع الأمثال « ١ : ٦ » : « هذا مثل تخطيط في تفسيره كثير من الناس ، قال بعضهم :
لأنما يحتاج إلى الوصية من يسهو ويغفل ، فأما أنت فغير محتاج إليها لأنك لا تسهو ، وقال بعضهم : يريد
بقوله بنو سهوان جميع الناس لأن كلمهم يسهو ، والأصوب في معناه أن يقال : إن الذين يوصون بالشيء
يستولى عليهم السهو حتى كأنه موكل بهم ، يضرب لمن يسهو عن طلب شيء أمر به ، والسهوان : السهو ،
وبحور أن يكون صفة أى بنو رجل سهوان ، وهو آدم عليه السلام حين عهد إليه فيها ونسب ، يقال رجل
سهوان وساه ، أى إن الذين يوصون لابد أن يسهوا لأنهم بنو آدم عليه السلام » . [١١] أزحبه : وسعه .

خَطَّ مَضْجَعِي ، وَلَا تَضْنُوا عَلَيَّ بِرُحْبٍ ^(١) الْأَرْضِ ، وَمَا ذَلِكَ بِمُؤَدٍّ إِلَيَّ رَوْحاً ^(٢) ، وَلَكِنْ حَاجَةٌ نَفْسٍ خَافَتْهَا الْإِشْفَاقُ » .

قال أبو بكر بن دُرَيْدٍ فِي حَدِيثٍ آخِرٍ إِنَّهُ قَالَ :

الْيَوْمَ مُيِّنَنِي لِذُوَيْدٍ يَتُّهُ يَا رَبِّ نَهَبَ صَالِحَ حَوَيْتُهُ
وَرَبِّ قِرْنٍ بَطِلٍ أَرْدَيْتُهُ وَرَبِّ غَيْلٍ حَسَنٍ لَوَيْتُهُ ^(٣)
وَمِمِّصَمٍ مَخْضَبٍ ثَنَيْتُهُ لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ بَلَى أَبْلَيْتُهُ ^(٤)
أَوْ كَانَ قِرْنِي وَاحِداً كَفَيْتُهُ

(أُمَالِي السَّيِّدِ الْمَرْتَضَى ١ : ١٧١)

٣١٠ - وصية زهير بن جناب الكلبي

وأوصى زُهَيْرُ بْنُ جَنَابٍ الْكَلْبِيَّ ^(٥) بَنِيهِ فَقَالَ :

« يَا بَنِيَّ : قَدْ كَبُرَتْ سِنِّي ، وَبَلَغَتْ حَرَسًا ^(٦) مِنْ دَهْرِي ، فَأَحْكَمْتَنِي
التَّجَارِبَ ، وَالْأُمُورَ تَجَرِبَةً وَاخْتِبَارًا ، فَاحْفَظُوا عَنِّي مَا أَقُولُ وَعَوِّهِ ، إِيَّاكُمْ وَالْخَوَارَ
عِنْدَ الْمَصَائِبِ ، وَالتَّوَاكُلَ عِنْدَ النِّوَابِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ دَاعِيَةٌ لِلْغَمِّ ، وَشِمَاتَةٌ لِلْعَدُوِّ ،
وَسُوءُ ظَنٍّ بِالرَّبِّ ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَكُونُوا بِالْأَحْدَادِ مَقْتَرِينَ ، وَلَهَا آمَنِينَ ، وَمِنْهَا
سَاخِرِينَ ، فَإِنَّهُ مَا سَخِرَ قَوْمٌ قَطُّ إِلَّا ابْتَلُوا ، وَلَكِنْ تَوَقَّعُوهَا ، فَإِنَّمَا الْإِنْسَانُ فِي
الدُّنْيَا غَرَضٌ ^(٧) تَعَاوَرَهُ الرُّمَاتُ ، فَتَقَصَّرُ دُونَهُ ، وَمَجَاوِزُ لِمَوْضِعِهِ ، وَوَاقِعٌ عَنِ يَمِينِهِ
وَشِمَالِهِ ، ثُمَّ لَا يَبْدُو أَنَّهُ مُصِيبُهُ » .

(أُمَالِي السَّيِّدِ الْمَرْتَضَى ١ : ١٧٣)

[١] الرُّحْبُ : بِالْفُحْمِ مَصْدَرٌ ، وَبِالْفَتْحِ وَصْفٌ . [٢] أَي رَاحَةٌ ، أَوْ هُوَ بِالْفُحْمِ أَيُّ وَمَا ذَلِكَ
بِمَرْجِعٍ إِلَى رُوحِي . [٣] الْبَيْلُ : الْمَاعِدُ الرِّبَاسُ الْمَتَلِيُّ . [٤] الْمَمِصَمُ : مَوْضِعُ السَّوَارِ أَوْ الْيَدِ ،
وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا . [٥] هُوَ زُهَيْرُ بْنُ جَنَابٍ الْكَلْبِيُّ ، قِيلَ عَاشَ مَائَتَيْنِ وَعَشْرِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ
مَائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ ، وَقِيلَ أَرْبَعُمِائَةٍ وَخَمْسِينَ ، وَكَانَ يَدْعِي الرُّكَاكِينَ لَصِحَّةِ رَأْيِهِ . [٦] الْحَرَسُ مِنَ الدَّهْرِ :
الطَّوِيلُ ، وَحَرَسَ : كَسَمِعَ عَاشَ زَمَانًا طَوِيلًا . [٧] الْغَرَضُ : الْهَدَفُ ، وَتَعَاوَرَهُ (تَعَاوَرَهُ)
أَي تَدَاوَلَهُ .

٣١١ — وصية النعمان بن ثواب العبدى لبنيه

كَانَ لِلنَّعْمَانِ بْنِ ثَوَابِ الْعَبْدِيِّ بَنُونَ ثَلَاثَةٌ: سَعْدٌ وَسَعِيدٌ وَسَاعِدَةٌ ، وَكَانَ أَبُوهُمْ ذَا شَرَفٍ وَحِكْمَةٍ ، وَكَانَ يُوصِي بَنِيهِ ، وَيُحْمِلُهُمْ عَلَى أَدْبِهِ ، أَمَا ابْنُهُ سَعْدُ فَكَانَ شَجَاعًا بَطْلًا مِنْ شَيَاطِينِ الْعَرَبِ ، لَا يُقَامُ لِسَبِيلِهِ ، وَلَمْ تَفُتَّهُ طَلِبَتُهُ قَطُّ ، وَلَمْ يَفِرَّ عَنْ قِرْنٍ ؛ وَأَمَا سَعِيدُ فَكَانَ يُشَبِّهُ أَبَاهُ فِي شَرَفِهِ وَسُودَدِهِ ؛ وَأَمَا سَاعِدَةُ فَكَانَتْ صَاحِبَةً شَرَابٍ وَنَدَامَى وَإِخْوَانٍ ، فَلَمَّا رَأَى الشَّيْخُ حَالَ بَنِيهِ دَعَا سَعْدًا ، وَكَانَ صَاحِبَ حَرْبٍ ، فَقَالَ :

« يَا بُنَيَّ إِنْ الصَّارِمَ يَنْبُو ، وَالْجَوَادَ يَكْبُو ، وَالْأَثَرَ يَعْفُو ^(١) ، فَإِذَا شَهِدْتَ حَرْبًا ، فَرَأَيْتَ نَارَهَا تَسْتَعِرُّ ، وَبَطْلَهَا يَنْخَطِرُ ، وَبَحْرَهَا يَزْخَرُ ، وَضَعِيفَهَا يُنْصَرُ ، وَجَبَانَهَا يَحْجُرُ ، فَأَقْلِلِ الْمُسْكْتَ وَالْإِنْتِظَارَ ، فَإِنْ الْفِرَارُ غَيْرُ عَارٍ ، إِذَا لَمْ تَكُنْ طَالِبَ نَارٍ ، فَإِنَّمَا يُنْصَرُونَ هُمْ ^(٢) ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ صَيِّدَ رِمَاحِهَا ، وَنَظِيطِخَ نِطَاحِهَا .
وَقَالَ لِابْنِهِ سَعِيدٍ ، وَكَانَ جَوَادًا : « يَا بُنَيَّ لَا يَبْخُلُ الْجَوَادُ ، فَايْذُلِ الطَّارِفَ وَالتَّلَادَ ^(٣) ، وَأَقْلِلِ التَّلَاحَ ^(٤) ، تُذْكَرُ عِنْدَ السَّمَاحِ ، وَابْلُ ^(٥) إِخْوَانِكَ ، فَإِنْ وَفَيْهِمْ قَلِيلٌ ، وَاصْنَعِ الْمَعْرُوفَ عِنْدَ مُحْتِمِلِهِ » .

وَقَالَ لِابْنِهِ سَاعِدَةَ ، وَكَانَ صَاحِبَ شَرَابٍ : « يَا بُنَيَّ إِنْ كَثُرَ الشَّرَابُ ، تَفْسَدَ الْقَلْبُ ، وَتَقَلَّلَ الْكَسْبُ ، وَتُجِدَّ اللَّعِبُ ^(٦) ، فَأَبْصُرْ نَدِيمَكَ ، وَاحْمِرْ حَرِيمَكَ ، وَأَعِزَّ غَرِيمَكَ ^(٧) وَاعْلَمْ أَنَّ الظُّمَأَ الْقَامِحَ ^(٨) ، خَيْرٌ مِنَ الرَّيِّ الْفَاضِحِ ، وَعَلَيْكَ بِالْقَصْدِ فَإِنْ فِيهِ بَلَاغًا » .
(بحج الأمثال ١ : ٤٨)

[١] عفا الأثر : درس واهى . [٢] أى طلاب النار . [٣] الطاروف والطريف : المال المستحدث ، والتالذ ، والليد ، والتلاد ، والتلذ : المال القديم الأصلى الذى ولد عندك .
[٤] التلاحى : التنازع ، ولاجاه ملاحاة ولحاء تارعه . [٥] اختبر . [٦] أى تجعله جدًا ، والجد (بالكسر) ضد الهزل . [٧] الريم : المدين (وهو الدائن أيضا) . [٨] معناه العطش الشاق خير من رى يفضح صاحبه ، وفتح المير قوحاً : رفع رأسه عند الحوض وامتنع من الشرب فهو قامح ، وفتح البعير : اشتد عطشه حتى فتر شديداً .

٣١٢ — وصية قيس بن زهير لبني النمر بن قاسط

جاور قيس بن زهير العبسي^(١) بعد يوم الهبأة النمر بن قاسط ، وتزوج

منهم ، وأقام فيهم حتى ولد له ، فلما أراد الرحيل عنهم قال :

« يا معشر النمر : إن لكم عليّ حقاً ، وأنا أريد أن أوصيكم ، فأمركم بخصال ،
وأنهاكم عن خصال ، عليكم بالأناة ، فإن بها تدرك الحاجة ، وتنال الفرصة ،
وتسويد من لا ثعابون بتسويدة ، وعليكم بالوفاء ، فإن به يعيش الناس ، وإعطاء
من تريدون إعطاءه قبل المسألة ، ومنع من تريدون منعه قبل الإلحاح ، وإجارة
الجار على الدهر ، وتنفيذ المنازل عن بيوت اليتامى ، وخطط الضيف بالعيال .

وأنهاكم عن الغدر ، فإنه عار الدهر ، وعن الرّهان ، فإنني به تكليت مالكا
أخى ، وعن البغى ، فإنه قتل زهيراً أبى^(٢) ، وعن الإعطاء في الفضول ، فتمعجروا

[١] هو صاحب حرب داحس والغبراء ، وكان من قصته أنه تراهن هو وحذيفة بن بدر سيد بني ديان
على فرسيهما داحس (فرس قيس) والغبراء (فرس حذيفة) — وقيل إنهما تراهنا على داحس والغبراء
فرسى قيس ، والخطار والحفاء فرسى حذيفة — وتواصما الرهان على مائة بعير ، ثم قادوهما إلى رأس
الميدان ، وفي طرف الغاية شعاب كثيرة ، فأكن حمل بن بدر في تلك الشعاب فتيانا على طريق المرسين ،
وأمرهم إن جاء داحس سابقاً أن يردوا وجهه عن الغاية ، فأرسلوهما فأحصرا ، لما شارف داحس الغاية
ودنا من الفتية ، وثبوا في وجهه وردوه عنها ، وعلم قيس بذلك ، ومث حذيفة بن بدر ابنه مالكا إلى
قيس يطلب منه حق السبق ، فقال قيس كلا لأمظنك به ، فتناول ابن حذيفة من عرض قيس وشتمه وأغلط
له ، وكان إلى جنب قيس رمح قطعته به فدق صلبه ، واجتمع الحيان وأدّوا دية المقتول ، وأخذوا حذيفة
دفعاً للشر ، ثم إن قومه ندموه فعاد الشر بينهم ، وقامت الفتى بين الحيين ، وعدا حذيفة على مالك بن زهير
أنهى قيس قتله ، وكان الريح بن زياد عمهما معزلاً الحرب ، فلما سمع بمقتل ابن أخيه مالك شقّ ذلك عليه
وقاتل بني ديان ، ثم توالى أيام الحروب بينهم ، وكان أعطاهم يوم الهبأة حتى أصلح بينهم الحرث بن عوف
وهرم بن سنان المريان ، وحلاديات القتلى ثلاثة آلاف بعير .

[٢] وسبب مقتل زهير بن جذيمة العبسي أنى قيس ، أن هوازن بن منصور كانت تؤتى الإتاوة زهير
ابن جذيمة — ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد — فأنت مجبوز من هوازن إلى زهير بسمن في نحي (النحي
كحمل الزق ، أو ما كان للسمن خاصة) فاعتذرت إليه ، وشكبت السنين اللواتي تنابن على الناس ، مدانه
فلم يرض طعمه ، فدعها أى دفعها بقوس في يده فسقطت فبدت عورتها ، فغضب من ذلك هوازن وحقدته
إلى ما كان وصدرها من الغيط ، وكانت يومئذ قد كثرت بنو عامر بن صعصعة فثاروا إليه فقاتلوه حتى قتلوه .

عن الحقوق ، وعن السَّرَفِ في الدماء ، فإن يوم الهَبَاءِ ^(١) ألزمنى العار ، ومنع
الحُرْمَ إلامن الأكفاء ، فإن لم تصيبوا لهنَّ الأكفاء ، فإن خير منّا كهنَّ القبور ،
(أو خير منازلها) ، واعلموا أنى كنت ظالماً مظلوماً ، ظلمنى بنو بدر بقتلهم مالكا
أخى ، وظلمتهم بأن قتل من لا ذنب له .

(العقد الفريد ٣ : ٢٢٤ ، وأملى السيد المرتضى ١ : ١٤٩ ، وشرح البيون ص ٩٠)

٣١٣ - نصيحة الجمانة بنت قيس بن زهير لجدها الربيع بن زياد

كان قيس بن زهير العبسى قد اشترى من مكة درعاً حسنةً ، تسمى ذات
الفضول ، ووردَ بها إلى قومه ، فرآها عمه الربيع بن زياد ، وكان سيد بنى عبس ،
فأخذها منه غصباً ، فقالت الجمانة بنت قيس لأبيها : دعنى أناظر جدّى ، فإن
صلح الأمر بيننا ، وإلا كنت من وراء رأيك ، فأذن لها ، فأتت
الربيع فقالت :

« إذا كان قيس أبى ، فإنك يا ربيع جدّى ، وما يجب له من حق الأبوّة
علىّ ، إلا كالذى يجب عليك من حق البنوّة لى ، والرأى الصحيح تبعته العناية ،
وتجملنى عن محضه النصيحة ، إنك قد ظلمت قيساً بأخذ درعه ، وأجد مكافأته
إياك سوء عزمه ، والمعارض منتصر ، والبادى أظلم ، وليس قيس ممن يخوف
بالوعيد ، ولا يردعه التهديد ، فلا تركنن إلى منابذته ، فالحزم فى متاركته ،

[١] وكان حذيفة بن بدر وأخوه نزلا مع أصحابهما فى جفر الهباءة ، فاتبهم قيس ومن معه حتى أدركهم
فيه ، وقد أرسلوا خيولهم ونزعوا سلاحهم (وكان حذيفة قد أخذ علامين من بنى عبس ، فقتلهم ، وهما
يستغيثان يا أبتاه حتى ماتا) فشد قيس والربيع ومن معهما عليهم ، وهم ينادون ليكم ليكم ، يمدى أنهم
يجيبون نداء الصبية لما قتلوا ينادون يا أبتاه ، مناشدوهم الله والرحم ، فلم يفلوا منهم ، وقتلوا حذيفة وحملوا
أخاه ، ومثلوا بحذيفة فقطعوا مذاكيره وحملوها فى فيه وجعلوا لسانه فى استه ، وأسرف قيس فى النكاية
والقتل ، وكانت فزارة تسمى هذه الواقعة البوار ، ولكن قيساً ندم بعد ذلك ورثى حمل بن بدر ، وهو
أول من رثى مقتوله .

والحربُ مَثَلَةٌ للعباد ، ذَهَابَةٌ بالطَّارِفِ والتَّلَادِ ، والسَّلْمُ أَرْخَى للبال ، وَأَبْقَى
لِلنَّفْسِ الرِّجَالِ ، وبحقِّ أقول : لقد صَدَعْتُ بِحُكْمٍ ، وما يدفعُ قولي إلا غيرُ
ذِي فَهْمٍ ، ثم أنشأت تقول :

أَبِي لَا يَرَى أَنْ يَتْرِكَ الدَّهْرَ دِرْعَهُ وَجَدِّي يَرَى أَنْ يَأْخُذَ الدَّرْعَ مِنْ أَبِي
فِرَائِي أَبِي رَأَى الْبَخِيلَ بِمَالِهِ وَشَيْمَةُ جَدِّي شَيْمَةُ الْخَائِفِ الْأَبِي

(بلاغات النساء ص ١٢٥)

٣١٤ - وصية حصن بن حذيفة لبيته

وأوصى حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري بني بدر فقال :

« اسمعوا مني ما أوصيكم به : لَا يَتَّكِلَنَّ آخِرُكُمْ عَلَى أَوَّلِكُمْ ، فَإِنَّمَا يُدْرِكُ
الْآخِرُ مَا أَدْرَكَهُ الْأَوَّلُ ، وَأَنْكِحُوا الْكُفَّاءَ الْغَرِيبَ ، فَإِنَّهُ عِزٌّ حَادِثٌ ، وَإِذَا
حَضَرَكُمْ أَمْرَانِ ، فَخُذُوا بِخَيْرِهِمَا صَدْرًا ^(١) ، فَإِنْ كُلُّ مَوْزِدٍ مَغْرُوفٌ ، وَاصْحَبُوا
قَوْمَكُمْ بِأَجَلِ أَخْلَاقِكُمْ ، وَلَا تُخَالَفُوا فِيمَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ، فَإِنَّ الْخِلَافَ يُزْرَى بِالرَّئِيسِ
الْمُطَاعِ ، وَإِذَا حَدَثَ مِنْكُمْ قَارِعٌ ^(٢) ، ثُمَّ قُولُوا الصَّدَقَ ، فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْكَذِبِ ،
وَصُونُوا الْخَيْلَ فَإِنَّهَا حُصُونُ الرِّجَالِ ، وَأَطِيلُوا الرِّمَاحَ فَإِنَّهَا قُرُونُ الْخَيْلِ ، وَأَعِزُّوا
الْكَبِيرَ بِالْكَبِيرِ ، فَإِنِّي بِذَلِكَ كُنْتُ أَغْلِبُ النَّاسَ ، وَلَا تَغْزُوا إِلَّا بِالْعِيُونِ ^(٣) ،
وَلَا تَسْرَحُوا حَتَّى تَأْمَنُوا الصَّبَّاحَ ^(٤) ، وَأَعْطُوا عَلَى حَسَبِ الْمَالِ ، وَأَعْجِلُوا
الضَّيْفَ بِالْقَرَى ^(٥) ، فَإِنْ خَيْرَهِ أَعْجَلُهُ ، وَاتَّقُوا فَضِيحَاتِ الْبَغْيِ ، وَفَلَتَاتِ الْمِزَاحِ ،

[١] المصدر : الرجوع . [٢] ربع : كنع انتظر وتحبس ، وربع الحبل : قتله من أربع طاقات ،
والعنى إذا حدثت فتأنوا وتمهلوا ، أو فأحكموا القول . [٣] العيون : جمع عين وهي خيار كل شيء .
[٤] الصباج الغارة : أي ولا تسرحوا مقاتلتكم حتى تأمنوا الغارة .
[٥] قرى الضيف يغريه قرى : أحسن إليه ، والقرى أيضاً ما قرى به الضيف .

ولا تُجِيرُوا على الملوك ، فإن أيديهم أطول من أيديكم » .

(أمالي السيد المرتضى ٢ : ١٦٨)

٣١٥ — وصف عصام الكندية أم إياس بنت عوف بن محم الشيباني

لما بلغ الحارث بن عمرو ملك كِنْدَةَ جمالاً أمُّ إياس بنت عوف بن محم الشيباني ، وكما لها وَقُوَّةٌ عقلها ، أراد أن يتزوجها ، فدعا امرأة من كِنْدَةَ ، يقال لها عِصَامُ ، ذات عقل ولسان ، وأدب وبيان ، وقال لها : اذهبي حتى تعلمي لي علم ابنة عوف ، فضت حتى انتهت إلى أمها أُمَامَةَ بنت الحارث ، فأعلمتها ما قدمت له ، فأرسلت أُمَامَةَ إلى ابنتها وقالت : أي بُنْيَّةُ ، هذه خالتك أتت إليك لتنظر إلى بعض شأنك ، فلا تَسْتُرِي عنها شيئاً أرادت النظر إليه ، من وجهه وخلق ، وناطقها فيما اسْتَنْطَقَتْكَ فيه ، فدخلت عصام عليها ، فنظرت إلى ما لم تَرَ عَيْنُهَا مثله قَطُّ بهجةً وحسناً وجمالاً ، فإذا هي أكمل الناس عقلاً ، وأفصحهم لساناً ، فخرجت من عندها وهي تقول : (تَرَكَ الْخِدَاعَ مَنْ كَشَفَ الْقِنَاعَ) فذهبت مثلاً ، ثم أقبات إلى الحارث فقال لها : (ما وراءك يا عِصَامُ) ؟ فأرسلها مثلاً ، قالت : (صَرَخَ الْمَخْضُ عَنْ الزُّبْدِ ^(١)) ، فذهبت مثلاً . قال أخبريني ، قالت : أخبرك صدقاً وحقاً :

« رأيت جَبْهَةً كالمرآة الصَّقِيلَةِ ، يَرِينُهَا شَعْرٌ خَالِكٌ ، كأذ ناب الخيل المضفورة ^(٢) ، إن أُرْسَلَتْهُ خِلَتُهُ السَّلاسلَ ، وإن مَشَطَتْهُ قَلَتَ عُنَا قِيدُ كَرَمٍ جَلَاهَا الْوَابِلُ ^(٣) ، وحاجبين كأنهما خُطًّا بِقَلَمٍ ، أَوْ سُودًا بِحُمَمٍ ^(٤) قد تقوَّسا على

[١] مخض اللبن : أخذ زبده ، والتصرح : تبين الأمر ، وهو مثل يضرب للأمر إذا انكشف وتبين

[٢] في الأصل « المضفورة » وهو تحريف وصوابه « المضفورة » . [٣] المطر الشديد الضخم

القطر . [٤] الحُم : الفعم .

عنى الظبية العَبْهَرَة ^(١) ، التى لم يرُ عنها قانص ، ولم يُذعرها قَسَوْرَة ^(٢) ، بينهما أنف كَحَدِّ السيف المصقول ^(٣) ، لم يَخْنِس ^(٤) به قِصْر ، ولم يَمُضِ ^(٥) به طول ، حَفَّتْ به وَجْهَتَانِ كَالْأَرْجَوَانِ ^(٦) ، فى بياضٍ مَحْضٍ كَالْجَمَانِ ^(٧) ، شُقٌّ فيه فم كَالخَاتَمِ ، لذيذ المُبْتَسَمِ ، فيه ثَنَائِيَا غُرٌّ ، ذوات أَشْرٍ ^(٨) ، وأسنانٌ تبدو كَاللُّدُرِّ ، وريقٌ كَالخمر له نَشْرُ الرُّوضِ بالسَّحَرِ ، يتقلب فيه لِسَانٌ ، ذو فصاحة وبيان ، يحرِّكه عقلٌ وافر ، وجواب حاضر ، تلتقى دونه شَفَتَانِ حِراوان كَالوَرْدِ ، يَجْلِبَانِ ريقاً كَالشَّهْدِ ، تحت ذلك عنق كَابْرِيقِ الْفِضَّةِ ، رُكْبَ فى صدر كَصَدْرِ تَمَالِ دُمِيَّةٍ ^(٩) ، يتصل بها عَضْدَانِ مَمْتَلِئَانِ لَحْمًا ، مُكْتَنِزَانِ ^(١٠) شَحْمًا ، وذراطان ليس فيهما عَظْمٌ يُحَسُّ ، ولا عِرْقٌ يُحَسُّ ، رُكْبَتِ فيهما كَفَّانِ ، دقيقٌ قَصَبُهُمَا ، لَيْنٌ عَصَبُهُمَا ، تُعْقَدُ إِنْ شئتَ مِنْهُمَا الْأَنَامِلُ ، وَتُرَكَّبُ الْفُصُوصُ فى حُفْرِ الْمَفَاصِلِ ، وقد تَرَبَّعَ فى صدرها حُقَّانِ ، كَأَنَّهُمَا رُمَاتَانِ ، يَخْرِقَانِ عَلَيْهَا نِيَابَهَا ، تحت ذلك بطنٌ طَوِيٌّ كَطَيِّ الْقُبَاطِيِّ ^(١١) الْمُدْمَجَةِ ، كُسْبَى عَكْنَا ^(١٢) كَالْقِرَاطِيسِ الْمُدْرَجَةِ ^(١٣) تحيط تلك الْعُكْنُ بِسُرَّةِ كَمُذْهِنٍ ^(١٤) الْعَاجِ الْمَجْلُوءِ ، خلف ذلك ظَهْرٌ كَالْجَذْوَلِ ، ينتهى إلى خَصْرِ ، لَوْلَا رَحْمَةُ اللَّهِ لَأَنْبَتَرَ ، تحته كَفَلٌ ^(١٥)

[١] العبهره والعبهر : الرقبة البشرة الدامعة البياض ، والسمينة المتلثة الجسم .

[٢] القسورة : الرماة من الصيادين ، الواحد قسور .

[٣] فى مجمع الأمثال « الصنيع » وهو السيف الصقيل المحرب . [٤] خنس عنه كضرب وكرم :

تأخر « والخنس : محركة تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل فى الأرنبة ، خنس كفرح فهو أخنس

وهى غنساء » . [٥] وفى جهرة الأمثال « ولم يمن » . [٦] الأرجوان : صغ أحمر .

[٧] الجمان : اللؤلؤ ، أو حنوت أشكال اللؤلؤ من فضة . [٨] أشر الأسنان : التحيز الذى فيها .

[٩] الدمية : الصورة المنقشة من الرخام أو طام . [١٠] اكتنز : اجتمع وامتلأ .

[١١] القباطى (بضم الأول مع تشديد الآخر) وقاطى (بفتح الأول مع تخفيف الآخر) جمع قبطية

(بالضم على غير قياس وقد تكسر) : ثياب كتان بيض رفاق كانت تعمل فى مصر .

[١٢] البكن : جمع عكنة (كفرصة) وهى ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمنا . [١٣] الطوية .

[١٤] المدهن : قارورة الدهن . [١٥] عجز .

يُقْعِدُهَا إِذَا نَهَضَتْ ، وَيُنْهَضُهَا إِذَا قَعَدَتْ ، كَأَنَّهُ دِعْصُ^(١) رَمْلٍ ، لَبْدَةُ سَقُوطِ
الطَّلِّ ، يَحْمِلُهُ نَحْدَانُ لَفَاوَانٍ^(٢) ، كَأَنَّهُمَا نَضِيدُ الْجُمَانِ ، تَحْتَهُمَا سَاقَانِ ، خَدَلْتَانِ^(٣)
كَالْبَرْدِيِّ ، وَشَيْتَا بَشْعِرِ أَسُودَ ، كَأَنَّهُ حِلْمَقُ الزَّرْدِ ، يَحْمِلُ ذَلِكَ قَدَمَانِ ، كَحَذْوِ
اللِّسَانِ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ ، مَعَ صَفَرِهَا كَيْفَ تَطِيقَانِ حَمْلَ مَا فَوْقَهُمَا ، فَأَمَّا مَا سِوَى
ذَلِكَ . قَرَكْتَ أَنْ أَصْفَهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ أَحْسَنُ مَا وَصَفُهُ وَاصِفٌ بِنَظْمٍ أَوْ نَثْرٍ ، فَأَرْسَلَ
الْمَلِكُ إِلَى أَبِيهَا نَخْطِبُهَا ، فَزَوَّجَهُ إِيَّاهَا^(٤) .

(العقد الفريد ٣ : ٢٣٥ ، وجمع الأمثال ٢ : ١٤٣ ، وجهرة الأمثال ٢ : ٢٧)

٣١٦ — وصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم إلياس

فلما نُحِلَّتْ إِلَى زَوْجِهَا قَالَتْ لَهَا أُمُّهَا أُمَامَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ .

« أَى بَنِيَّةُ : إِنْ الْوَصِيَّةُ لَوْ تَرَكْتُ لِفَضْلِ أَدَبٍ ، تَرَكْتُ لَذَلِكَ مِنْكَ ،
وَلَكِنِّي تَذَكُّرَةٌ لِلْعَافِلِ ، وَمَعُونَةٌ لِلْعَاقِلِ ، وَلَوْ أَنَّ أَمْرَأَةً اسْتَعْنَتْ عَنِ الزَّوْجِ
إِغْنَى أَبْوِيهَا ، وَشِدَّةَ حَاجَتِهِمَا إِلَيْهَا ، كُنْتُ أَغْنَى النَّاسَ عَنْهُ ، وَلَكِنِ النَّسَاءُ
لِلرِّجَالِ خُلِقْنَ ، وَلَهْنٌ خُلِقَ الرِّجَالُ :

أَى بَنِيَّةُ : إِنْكَ فَارَقْتِ الْجَوْ الَّذِي مِنْهُ خَرَجْتِ ، وَخَلَفْتِ الْعُشَّ الَّذِي فِيهِ
دَرَجْتِ ، إِلَى وَكَرٍ لَمْ تَعْرِفِيهِ ، وَقَرِينَ لَمْ تَأَلْفِيهِ ، فَأَصْبَحَ بِمِلْكِهِ^(٥) عَلَيْكَ رَقِيبًا
وَمَلِيكًا ، فَكُونِي لَهُ أَمَةً يَكُنْ لَكَ عَبْدًا وَشِيكًا^(٦) . يَا بَنِيَّةُ : احْمِلِي عَنِّي عَشْرَ

[١] الدعص : الكتيب من الرمل المجتمع . [٢] اللفاء : الفخذ الضخمة (والضخمة الفخذين) .

[٣] ساق خدلة : ممتلئة ضخمة (والجدلة المرأة الغليظة الساق المستديرتها وفي العقد : « خدلجان »

(بفتح الحاء والذال وتشديد اللام) والجدلة : المرأة الممتلئة الذراعين والساقين .

[٤] في مجمع الأمثال وجهرة الأمثال ، أن الذي تزوج أم إلياس هو الحارث بن عمرو ، والحارث هذا هو جد امرئ القيس ، وذكر صاحب العقد أن الذي تزوجها هو عمرو بن حجر ، وأنها ولدت له الحارث ابن عمرو جد امرئ القيس غير أنا نلاحظ أنه قال في مقدمة هذا الوصف : « ثم أقبلت عصام إلى الحارث فقال لها ما وراءك يا عصام ؟ . . . الخ » . [٥] أملكها إياها : زوجه ، فملكها ملكاً مثلت الميم .

[٦] الوشيك : المريب ، أى يكن عبداً سريع الإجابة .

خصال تكن لك ذخراً وذكرًا ، الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لموقع عينه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشتم منك إلا أطيب ريح ، والكحل أحسن الحسن ، والماء أطيب الطيب المفقود ، والتعهد لوقت طعامه ، والهدوء عنه عند منامه ، فإن حرارة الجوع ملهبة ، وتنقيص النوم مفضبة ، والاحتفاظ ببيته وماله ، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله ، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والإرعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير ، ولا تفشى له سرًا ، ولا تعصى له أمرًا ، فإنك إن أفشيت سره ، لم تأمنى غدره ، وإن عصيت أمره ، أو غرت صدره ، ثم اتقى م ذلك الفرخ إن كان ترحًا ، والا ككتاب عنده إن كان فرحًا ، فإن الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكوفى أشد ما تكونين له إعظامًا ، يكن أشد ما يكون لك إكرامًا ، وأشد ما تكونين له موافقة ، يكن أطول ما تكونين له مُرافقةً ، واعلمى أنك لا تصلين إلى ما تحبين ، حتى تؤثرى رضاه على رضاك ، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت ، والله يخبرك .

(مجمع الأمثال ٢ : ١٤٣ ، والعقد المريد ٣ : ٢٢٣)

٣١٧ — لبيد بن ربيعة يصف بقلة

وفد على النعمان بن المنذر عامر بن مالك مُلاعبِ الأُسنةِ في رهطٍ من بني جعفر بن كلاب ، فيهم لبيد بن ربيعة ، فطعن فيهم الربيع بن زياد العبسي ، وذكر معايبهم - وكان نديمًا للنعمان ، وكانت بنو جعفر لهم أعداء - فلم يزل بالنعمان حتى صدّه عنهم ، فدخلوا عليه يومًا ، فأوا منه جفاء - وقد كان يكرمهم ويقربهم - فخرجوا غضابًا ، وليد متخلف في رحالهم ، يحفظ متاعهم ، ويغدو بإبلهم كل صباح يراها - وكان أحدثهم سنًا - فأتاهم ذات ليلة وهم يتذاكرون

أمر الربيع ، فسألهم عنه فكتموه ، فقال : والله لا حَفِظْتُ لَكُمْ متاعاً ، ولا سَرَّحت لكم بغيراً ، أو تخبروني فيم أنتم ؟ وكانت أم لبيد يتيمة في حِجْرِ الربيع ، فقالوا : خالك قد غلبنا على الملك ، وَصَدَّ عَنَّا وجهه ، فقال لبيد : هل تقدرُونَ على أن تجمعوا بيني وبينه ، فأزجره عنكم بقول مُمَضٍّ مؤلم ، لا يلتفت إليه النعمان بعده أبداً ؟ قالوا : وهل عندك شيء ؟ قال : نعم . قالوا : فَإِنَّا نَبْلُوك . قال : وما ذاك ؟ قالوا : تَشْتُم هذه البَقْلَةَ - وَقُدَّامَهُمْ بَقْلَةٌ دَقِيقَةُ الْقَضْبَانِ ، قَلِيلَةُ الْأَوْرَاقِ ، لاصِقَةٌ بِالْأَرْضِ ، تدعى التَّرْبَةَ - فقال :

« هذه التَّرْبَةُ التي لا تُذْكَرُ (١) نَاراً ، ولا تُؤْهِلُ (٢) داراً ، ولا تُسْرُجَاراً ، عُوْدُهَا ضَّئِيلٌ ، وَفَرْعُهَا كَلِيلٌ (٣) ، وخيرها قليل ، أقبح البقول مَرْعَى ، وأقصرها فَرْعاً ، وأشدّها قَلْعاً ، فَتَعَسَّأَ لَهَا وَجَدْعاً (٤) ، بلدها شاسِعٌ (٥) ، وَنَبْتُهَا خَاشِعٌ ، وَآكِلُهَا جَانِعٌ ، والمقيم عليها قانع (٦) ، فَالْقَوَا بِي أَخَا بَنِي عَبَسَ ، أَرُدَّهُ عَنْكُمْ بِتَعَسٍ (٧) وَنُكْسٍ ، وأتركه من أمره في لَبَسٍ » .

فلما أصبحوا غَدَوْا به معهم إلى النعمان ، فذكروا حاجتهم ، فاعترض الربيع ، فرجز به لبيد وَجَزَأَ ما لَبِثَ معه النعمان أن تَقَرَّزَ منه ، وأمره بالانصراف إلى أهله . (مجمع الأمثال ٢ : ٣٣ ، جهرة الأمثال ٢ : ١١٦ ، الأغاني ١٤ : ٩١ ،

أبناء نجباء الأبناء ص ١٧١ ، وأمالى السيد المرتضى ١ : ١٣٥)

٣١٨ — محالس بن مزاحم وقاصِر بن سلمة عند النعمان بن المنذر
كان مُحَالِسُ بْنُ مُزَاحِمٍ الْكَلْبِيُّ ، وَقَاصِرُ بْنُ سَلَمَةَ الْجُدَامِيُّ . يباب النعمان

[١] تذكري : تشمل . [٢] أى ولا تؤدم أهل دار من الإهالة (ككتابة) وهى كل ما يؤتم به ، ويقال شريدة مأهولة : أى فيها إهالة . [٣] ضئيف . [٤] قطعاً . [٥] بعيد . [٦] أى سائل . [٧] التمس : الهلاك .

ابن المنذر، وكان بينهما عداوة، فأتى قاصر إلى ابن قرّة تني وهو عمرو بن هند أخو النعمان بن المنذر، وقال: إن مخالسا هجاك، وأنشده في ذلك أبياتا، فلما سمع عمرو ذلك أتى النعمان، فشكا مخالسا وأنشده الأبيات، فأرسل النعمان إلى مخالسا، فلما دخل عليه قال: « لا أم لك! أتهجو امرأ هو ميتا خير منك حيا، وهو سقيما خير منك صحيحا، وهو غائبا خير منك شاهدا؟ فبحرمة ماء المزن^(١)، وحق بأبي قابوس^(٢)، لأن لاح لي أن ذلك كان منك، لأنزِعَنَّ غلصمتك من قفاك، ولأطعمنك لحماك ».

قال مخالسا: « أبيت اللعن؟ كلا، والذي رفع ذروتك بأعمادها، وأمات حسادك بكادها، ما بلغت غير أقاويل الوشاة، ونائم العصاة، وما هجوت أحدا، ولا أهجو امرأ ذكرت أبدا، وإني أعوذ بحدك الكريم، وعزيتك القديم، أن ينالني منك عقاب، أو يفاجئني منك عذاب، قبل الفحص والبيان، عن أساطير أهل البهتان ».

فدعا النعمان قاصرا فسأله، فقال قاصر: « أبيت اللعن! وحقك لقد هجاه وما أروانيها سواء » فقال مخالسا: « لا يأخذن أيها الملك منك قول امرئ آفك^(٣)، ولا تؤرذني سبيل المهالك، واستدل على كذبه بقوله: إني أرويته مع ما تعرف من عداوته »، فعرف النعمان صدقه فأخرجهما.

فلما خرجا، قال مخالسا لقاصر: « شقي جدك، وسفل خدك، وبطل كيدك، ولاح للقوم جرّمك، وطاش عني سهمك، ولأنت أضيق حجرا من

[١] المزن: السحاب أو أبيضه أو ذو الماء، جمع مزنة. [٢] يعني نفسه وأبو قابوس كنيته.

[٣] كذاب.

فَذَرَفْتُ^(١) ، إِنَّ أُمَامِي مَالاً أُسَامِي^(٢) . رَبِّ سَامِعٍ بِخَبَرِي لَمْ يَسْمَعْ بِعُذْرِي .
 كُلُّ زَمَانٍ لِمَنْ فِيهِ . فِي كُلِّ يَوْمٍ مَا يُكْرَهُ . كُلُّ ذِي نُصْرَةٍ سَيُخْذَلُ . تَبَارَكُوا
 فَإِنَّ الْبِرَّ يَنْمِي^(٣) عَلَيْهِ الْعَدَدُ . وَكُفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ فَإِنَّ مَقْتَلَ الرَّجُلِ بَيْنَ فِكَيْهِ .
 إِنَّ قَوْلَ الْحَقِّ لَمْ يَدْعُ لِي صَدِيقًا . لَا يَنْفَعُ مَعَ الْجَزَعِ التَّبَقُّ . وَلَا يَنْفَعُ مِمَّا هُوَ
 وَاقِعُ التَّوَقُّ . سَتُسَاقُ ، إِلَى مَا أَنْتَ لَاقٍ . فِي طَلَبِ الْمَعَالِي يَكُونُ الْعَنَاءُ . الْاِقْتِصَادُ
 فِي السَّعْيِ أَبْقَى لِلْجَمَامِ^(٤) . مَنْ لَمْ يَأْسَ^(٥) عَلَى مَا فَاتَهُ وَدُعَ بِدُئِهِ ، وَمَنْ قَنِمَ بِمَا
 هُوَ فِيهِ قَرَّتْ عَيْنُهُ . التَّقَدُّمُ قَبْلَ التَّنَدُّمِ^(٦) . أَصْبَحُ عِنْدَ رَأْسِ الْأَمْرِ أَحَبُّ إِلَى مَنْ
 أَنْ أَصْبَحَ عِنْدَ ذَنْبِهِ . لَمْ يَهْلِكْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظْتَكَ . وَيَلُ لِعَالَمٍ أَمْرٌ مِنْ جَاهِلِهِ .
 يَتَشَابَهُ الْأَمْرُ إِذَا أَقْبَلَ ، فَإِذَا أَدْبَرَ عَرَفَهُ الْكَيْسُ وَالْأَحْمَقُ . الْوَحْشَةُ ذَهَابُ
 الْأَعْلَامِ^(٧) . الْبَطَرُ عِنْدَ الرِّخَاءِ مُحَقٌّ وَالْعِجْزُ عِنْدَ الْبَلَاءِ أَفَنٌ^(٨) . لَا تَغْضَبُوا مَنْ
 الْيَسِيرِ ، فَرُبَّمَا جَنَى الْكَثِيرِ . لَا تُجْبِيُوا فِيهَا لَمْ تُسْأَلُوا عَنْهُ . وَلَا تَضْحَكُوا مِمَّا
 لَا يُضْحِكُ مِنْهُ . حِيلَةٌ مِنْ لَا حِيلَةَ لَهُ الصَّبْرُ . كُونُوا جَمِيعًا فَإِنَّ الْجَمْعَ غَالِبٌ ،
 تَثَبُّتُوا . وَلَا تَسَارِعُوا فَإِنَّ أَحْزَمَ الْفَرِيقَيْنِ الرَّكِينُ . رَبُّ نَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا . اذْرِعُوا
 اللَّيْلُ وَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا . فَإِنَّ اللَّيْلَ أَخْفَى لِلْوَيْلِ . وَلَا جَمَاعَةٌ لِمَنْ اخْتَلَفَ . تَنَاءُ وَافِي
 الدِّيارِ وَلَا تَبَاغَضُوا . فَإِنَّهُ مَنْ يَجْتَمِعُ يَتَقَعَّقُ^(٩) عَمْدُهُ . أَلْزَمُوا النِّسَاءَ الْمَهَابَةَ^(١٠)

[١] ذرعت عينه كضرب : سال دمهها ، وذرف العين دمهها أسالته ، وهو مثل يضرب لمن رأى الأمر

يف حقيقته . [٢] ساماه : باراه في السمو . [٣] يزيد وي جمع الأمثال « يبق » .

[٤] أي أبقى للقرّة ، من حم الفرس جاما (بالفتح) ترك الضراب فتجمع مؤه ، وجم الماء يجم بهم

يم وكسرهما جوما كثر واجتمع ، والبترا تراجع ماؤها ، والجمام بالفتح أيضاً : الراحة . [٥] يحرن .

[٦] أي ففكر في التقدم قبل أن تندم . [٧] الأعلام جمع علم وهو سيد القوم .

[٨] الضعف الرأي والمقل ، وفي الأصل أمن وهو تحريف . [٩] تققع : اضطرب

بشك ، وفي الأصل منه بدل عمده وهو تحريف ، وهذا مثل معناه لا بد من الافتراق بعد الاحتجاج ،

والمختار هو وقع بينهم الشر فتفرقوا ، أو من غبط بكثرة العدد واتساق الأمر فهو

يخضع الزوال والانتشار . [١٠] أي أن يهابوكم ويوقروكم ، وفي الأصل « المهابة » وهو تصحيف .

نِعْمَ لَهُوَ الْفَرَّةُ ^(١) الْمَغْزَل . إِنْ تَعِشْ تَرَمَا لَمْ تَرَهُ . قَدْ أَقْرَ صَامِتٍ . الْمِكْثَارُ كحَاطِبٍ ^(٢) لَيْلٍ . مِنْ أَكْثَرِ أَسْقَطٍ ^(٣) . لَا تَجْعَلُوا سِرّاً إِلَى أُمَّةٍ . لَا تَقْرَءُوا فِي الْقَبَائِلِ ، فَإِنَّ الْغَرِيبَ بِكُلِّ مَكَانٍ مَظْلُومٌ ، عَاقِدُوا الثَّرْوَةَ ^(٤) . وَإِيَّاكُمْ وَالْوَشَائِظَ ^(٥) فَإِنَّ مَعَ الْقِلَّةِ الذَّلَّةَ : لَوْ سُئِلَتِ الْعَارِيَةُ قَالَتْ أُنْبِئِي لِأَهْلِي ذُلًّا . الرِّسُولُ مُبْلَغٌ غَيْرُ مَلُومٍ . مِنْ فَسَدَتِ بَطَانَتُهُ غَصَّ بِالْمَاءِ . أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ جَابَةً ^(٦) . الذَّلَالَةُ عَلَى الْخَيْرِ كِفَاعُهُ . إِنْ الْمَسْأَلَةُ مِنْ أَوْعَفِ الْمَسْكِنَةِ . قَدْ تَجْوَعُ الْحَرَّةُ وَلَا تَأْكُلُ بِشَدِيدِهَا ^(٧) . لَمْ يَحْزَرْ سَالِكُ الْقَصْدِ ، وَلَمْ يَنْعَمْ قَاصِدُ الْحَقِّ . مِنْ

[١] الشريفة . [٢] الحاطب : الذي يجمع الحطب ، وهو حطب ليل : أى مخطط فى كلامه .

[٣] أسقط كلمة ، وأسقط فى كلمة أى أخطأ .

[٤] عاقدوا : حالفوا ، والثروة : كثرة العدد من الناس . [٥] يقال هم وشيطة فى قومهم أى حشوفهم . [٦] جابة بمعنى إجابة ، اسم وضع موضع المصدر ، ومثلها الطانة والظانة والغارة والعارية ، قال المفصل : أول من قال ذلك سهيل بن عمرو ، وكان تزوج صفية بنت أبى جهل بن أبى هشام ، فولدت له أنس بن سهيل ، نخرج معه ذات يوم ، فوقف بحزورة مكة (والحزورة كقصور : الرابية الصغيرة) فأقبل الأخنس بن شريق الثقفى ، فقال : من هذا ؟ قال سهيل : أبى ، قال الأخنس : حيّاك الله يافقى ! قال : لا ، والله ما أبى فى البيت ، انطلقت إلى أم حطلة ونحن دقيفاً ، فقال أبوه : أساء سمعاً فأساء جابة فأرساها مثلاً . [٧] أى لا تعيش بسبب ثديها وبما يغفل عليها من أجره الإرضاع ، يضرب فى صيانة الرجل نفسه عن خسيس المكاسب ، وذكروا أن أول من ذله الحارث بن سليل الأسدى ، وكان شيخاً كبيراً وكان حليفاً لعلمة بن خصصة الطائى ، فراره فنظر إلى ابنته الزباء ، وكانت من أبلى أهل دهرها فأعجب بها ، فقال له : أنتيك خاطباً ، وقد يذكح الحاطب ، ويدرك الطالب ، ويمنج الراغب ، فقال له علمة : أنت كعب كرم يقبل ملك العفر ، ويؤخذ منك العفو ، فأقم ننظر فى أمرك ، ثم انكفأ إلى أمها فقال إن الحارث بن سليل سيد قومه حسباً ومنصباً وبنياً ، وقد خطب إلينا الزباء ، فلا ينصرفن إلا بمحاجته فقالت امرأته لا بنتها : أى الرجال أحب إليك ؟ الكهل الجعجاء (أى السيد) ، الواصل المتاح ، أم الفتى الوضاح ؟ قالت : لا ، بل الفتى الوضاح ، قالت : إن الفتى يعيرك ، وإن الشيخ يعيرك ، وليس الكهل الفاضل ، الكثير النائل ، كالحديث السن ، الكثير المنى ، قالت : يا أمتاه ، إن الفتاة تحب الفتى كحب الرعاء أتيق الكلاء ، قالت : أى بنية ، إن الفتى شديد الحجاب ، كبير العتاب ، قالت إن الشيخ يبلى شبابى ، ويدنس ثيابى ، ويشمت بى أنزاعى ، فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها ، فتزوجها الحرث على مئة وحسين من الإبل وخادم . وألف درهم ، فماتت بها ثم رحل بها إلى قومه ، فبينما هو ذات يوم جالس ببناء قومه وهى إلى جانبه إذ أقبل إليه شباب من بني أسد يعتلجون ، (أى يتصارعون ويتقاتلون) فتفست الصمداء ، ثم أرخت عينها بالبكاء ، فقال لها : ما ييكك ؟ قالت : مالى وللشيوخ ، الناهضين كالفروخ ، فقال لها : مكلك أملك تجوع الحررة ولا تأكل بشديها ، الحق بأهلك فلا حاجة لى فيك .

شَدَّدَ نَفَرٌ ، ومن تراخى تَأَلَّفَ . الشرف التغافل . أَوْفَى القول أَوْجَزُهُ . أصوب الأمور تَرَكَ الْفُضُول . التفرير مِفْتَاحُ الْبُؤْس . التواني والعجز ينتجان الهَلَكَةَ . لكل شيء ضَرَاوَةٌ ^(١) . أحوج الناس إلى الغنى من لا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْغِنَى ، ومم الملوك . حُبُّ الْمَدْحِ رَأْسُ الضِّيَاعِ . رِضَا النَّاسِ غَايَةٌ لَا تُبْلَغُ . لَا تَكْرَهُ سُخْطَ مَنْ رِضَاهُ الْجَوْرُ . معالِجَةُ الْعَفَافِ مَشَقَّةٌ فَتَعَوَّذْ بِالصَّبْرِ . اقْصُرْ لِسَانَكَ عَلَى الْخَيْرِ وَأَخِرْ الْغَضَبَ ، فَإِنَّ الْقُدْرَةَ مِنْ وَرَائِكَ . مَنْ قَدَرَ أَزْمَعَ . أَمْرُ أَعْمَالِ الْمُقْتَدِرِينَ الْإِتْقَامُ . جَازٍ بِالْحَسَنَةِ وَلَا تَكْفِي بِالسَّيِّئَةِ . أَغْنَى النَّاسَ عَنْ الْحِقْدِ مَنْ عَظُمَ عَنْ الْمَجَازَاةِ . مَنْ حَسَدَ مَنْ دُونَهُ قَلَّ عُذْرُهُ . مَنْ جَعَلَ لِحُسْنِ الظَّنِّ نَصِيبًا رَوَّحَ عَنْ قَلْبِهِ . عِيٌّ الصَّمْتُ أَحْمَدُ مِنْ عِيِ الْمَنْطِقِ . النَّاسُ رِجَالَانِ مُحْتَرَسٌ وَمُحْتَرَسٌ مِنْهُ . كَثِيرُ النَّصْحِ يَهْجُمُ عَلَى كَثِيرِ الظَّنَّةِ ^(٢) . مِنْ أَلَحَّ فِي الْمَسْأَلَةِ أَبْرَمَ ^(٣) . خَيْرُ السَّخَاءِ مَا وَافَقَ الْحَاجَةَ . الصَّمْتُ يَكْسِبُ الْمَحَبَّةَ . لَنْ يَغْلِبَ الْكَذِبُ شَيْئًا إِلَّا غَلَبَ عَلَيْهِ الصِّدْقُ . الْقَلْبُ قَدْ يُتَّهَمُ وَإِنْ صَدَقَ اللِّسَانُ . الْإِنْقِبَاضُ عَنِ النَّاسِ مَكْسَبَةٌ لِلْعِدَاوَةِ ، وَتَقْرِيبُهُمْ مَكْسَبَةٌ لِقَرِينِ السُّوءِ . فَكُنْ مِنَ النَّاسِ بَيْنَ الْقَرْبِ وَالْبَعْدِ . فَإِنْ خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا . فُسُولَةٌ ^(٤) الْوُزَرَاءُ أَضَرُّ مِنْ بَغْضِ الْأَعْدَاءِ . خَيْرُ الْقُرْنَاءِ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ ، وَعِنْدَ الْخَوْفِ حُسْنُ الْعَمَلِ . مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ زَاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهِ وَاعِظٌ . وَتَمَكَّنَ مِنْهُ عَدُوهُ عَلَى أَسْوَأِ عَمَلِهِ . لَنْ يَهْلِكَ أَمْرٌ حَتَّى يَمْلَأَ ^(٥) النَّاسُ عَتِيدَ فِعْلِهِ . وَيَشْتَدُّ دَلَى قَوْمِهِ . وَيُعْجَبُ بِمَا ظَهَرَ مِنْ

[١] يقال: ضَرَى الْكَلْبُ بِالصَّيْدِ (كَفَرَح) صَرَاوَةٌ أَيْ تَعَوُّدٌ ، وَكَلَبَ صَارَ ، وَأَضْرَأَ صَاحِبُهُ عَوْدَهُ وَأَضْرَأَ بِهِ : أَغْرَاهُ ، وَضَرَّاهُ أَيْضًا تَضَرِيَةً . [٢] التَّهْمَةُ . [٣] أَبْرَمَهُ : أَضْجَرَهُ وَأَلَهَ . [٤] فَسْلٌ فَسُولَةٌ فَهُوَ فَسْلٌ أَيْ رَذْلٌ لَامْرُوءَةٍ لَهُ ، وَالْوُزَرَاءُ ، جَمْعُ وَزِيرٍ وَهُوَ النَّصِيرُ وَالظَّهِيرُ . [٥] فِي الْأَصْلِ « يَمْلِكُ » وَأَرَى صَوَابَهُ يَمْلُ .

مروءته . ويغتر بقومه . والأمر يأتيه من فوقه . ليس للمختال في حسن الثناء نصيب . لا نكأ مع العدم . إنه من أتى المكروه إلى أحد بدأ بنفسه . العي أن تتكلم فوق ما تسد به حاجتك . لا ينبغي لعامل أن يثق بإخاء من تضطره إلى إخائه حاجة . أقل الناس راحة الحقوق . من تعمّد الذنب لا تحل رحمته دون عقوبته ، فإن الأدب رفق ، والرفق يُمن .

(جهرة الأمثال ١ : ٣٢٠ ، وجمع الأمثال ٢ : ١٤٥)

٣٢١ — وصية أكثم بن صيفي لطي

وقال أكثم بن صيفي في وصية كتب بها إلى طي :
« أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم . وإياكم ونكاح الحمقاء ، فإن نكاحها غرر^(١) ، وولدها ضياع . وعليكم بالخيال فأكرموها ، فإنها حصون العرب ، ولا تضعوا رقاب الإبل في غير حقها . فإن فيها ثمن الكريمة^(٢) ، ورقوء الدم^(٣) ، وبألبانها يُتحف الكبير^(٤) ، ويُغذى الصغير ، ولو أن الإبل كُلفت الطحن لطحنت . ولن يهلك امرؤ عرف قدره . والعُدْم^(٥) عُدْم العقل ، لا عُدْم المال . ولرجل خير من ألف رجل . ومن عتب على الدهر طالت معتبته . ومن رضى بالقسم^(٦) طابت معيشته . وآفة الرأي الهوى . والمادة أملك^(٧) . والحاجة مع المحبة خير من البُغض مع الغنى . والدنيا دُول ، فما كان لك أتاك على ضعفك ، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك . والحسد داء ليس له دواء . والشماتة تُعقِب . ومن يرَ يوماً

[١] الغرر : الخطر ، عرر بنفسه تفريراً : عرصها للهلكة والاسم الغرر . [٢] يريد مهرها .
[٣] رقا الدم : جف ويمكن ، والرقوء كصبور ما يوضع على الدم ليرقته ، والمعنى أنها تنطى في الديان فتحقن بها الدماء . [٤] التحفة : البر واللطف والطرفة ، وقد أتحفته تحفة . [٥] العدم بالضم وبضمين وبالتحريك الفقدان وغلب على فقدان المال . [٦] القسم : القدر .
[٧] وفي رواية : « المادة أملك من الأدب » .

يُرَبِّهِ . قبل الرِّمَاءُ مُتَمَلِّئاً الْكَفَّائِينَ^(١) . النَّدَامَةُ مع السَّفَاهَةِ . دِعَامَةُ الْعَقْلِ الْحَلْمُ .
خَيْرُ الْأُمُورِ مَغَبَّةُ الصَّبْرِ . بَقَاءُ الْمُوَدَّةِ عَدْلٌ^(٢) . التَّعَاهُدُ . من يَزُرُّ غِبًّا يَزِدُّ حَبًّا .
التَّغْرِيرُ مِفْتَاحُ الْبُؤْسِ . من التَّوَانِي والعَجْزُ تُتَجَّتِ^(٣) الْهَلَكَةُ . لِكُلِّ شَيْءٍ
ضَرَاوَةٌ . فَضَّرَ لِسَانَكَ بِالْخَيْرِ . عَنِ الصَّمْتِ أَحْسَنُ مِنْ عَنِ الْمَنْطِقِ . الْحَزْمُ حِفْظُ
مَا كُتِّفَتْ وَتَرَكُ مَا كَفِيَتْ . كَثِيرُ النَّصِيحِ يَهْجُمُ عَلَى كَثِيرِ الظَّنَّةِ . من أَلْفَ ، من
المَسْأَلَةِ ثَقُلَ . من سَأَلَ فَوْقَ قَدْرِهِ اسْتَحَقَّ الْحَرَمَانَ . الرَّفَقُ يُنَمِّنُ ، وَالْخُرْفُ شَوْمٌ .
خَيْرُ السَّخَاءِ مَا وَافَقَ الْحَاجَةَ . خَيْرُ الْعَفْوِ مَا كَانَ بَعْدَ الْقُدْرَةِ » (جمع الأمثال ٢ : ٨٧)

٣٢٢ - أمثال أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِي (وَبَزْرَجَهْر) الْفَارِسِيِّ^(٤)

« الْعَقْلُ بِالتَّجَارِبِ . الصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ^(٥) . الصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ^(٦) .
الْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ . رَبٌّ بَعِيدٌ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ . الْقَرِيبُ مَنْ قَرُبَ
نَفْعُهُ . لَوْ تَكَاشَفْتُمْ مَا تَدَاغَمْتُمْ . خَيْرُ أَهْلِكَ مَنْ كَفَاكَ ، خَيْرُ سِلَاحِكَ مَا وَقَاكَ . خَيْرُ
إِخْوَانِكَ مَنْ لَمْ تَخْبُرْهُ . رَبٌّ غَرِيبٌ نَاصِحٌ الْجَيْبِ^(٧) ، وَابْنٌ أَبٍ مَتَّهِمُ الْغَيْبِ ، أَخُوكَ

[١] الرِّمَاءُ مصدر رَامَى كَالرَّمَامَةِ ، وَالْكَفَّائِينَ جمع كَفَانَةٍ وَهِيَ جَعْبَةُ السَّهَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ مَعْنَاهُ : تَوَخَّذْ لِلْأَمْرِ
أَهْبَتَهُ قَبْلَ وَقْعِهِ وَمِثْلَهُ قَوْلُهُمْ « قَبْلَ الرَّمَى يَرِيشُ السَّهْمُ » أَيْ يَوْضَعُ لَهُ الرِّيشَ . [٢] الْعَدْلُ : الْإِسْتِقَامَةُ
أَيْ بَقَاءُ الْمُوَدَّةِ فِي اسْتِقَامَةِ التَّعَاهُدِ وَالْحِرْصِ عَلَى سَلَامَةِ شُرُوطِهِ . [٣] وَيُرْوَى تُتَجَّتْ الْفَاقَةُ .
[٤] هَكَذَا فِي الْعَقْدِ الْمَرِيدِ ، وَلَيْسَ مِنَ الْمَيَسُورِ تَمْيِيزُ أَمْثَالِ أَحَدِهِمَا مِنْ أَمْثَالِ الْآخَرِ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ ، عَلَى
أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ بِبَنَاهَا أَمْثَالٌ لغير أَكْثَمَ ، (وَلَعَلَّهُ تَمَثَّلَ بِهَا) وَأُخْرَى لَهُ قَدْ وَرَدَتْ فِي تَنَاقُلِ كَلَامِهِ الَّذِي أوردته
أَتَفَاءً ، وَلَكِنِّي آثَرْتُ إِيرادَ الْمَقَالِ بِرَمْتِهِ كَمَا جَاءَ فِي الْعَقْدِ ، وَبَزْرَجَهْرُ : مَرْكَبٌ مِنْ بَزْرَجٍ مَعْرَبٌ بِزْرَكٍ
أَيْ الْكَبِيرِ ، وَمِهْرٌ أَيْ الرُّوحُ وَهُوَ بَزْرَجَهْرُ بْنُ الْبَحْتِكَنْ وَزِيرُ كَسْرَى أَنْوَشِرَوَانَ مَلِكِ الْفَرَسِ ، وَكَانَ
سَدِيدَ الْفِكْرِ ، حَصِيفَ الرَّأْيِ . [٥] الْمُنَاسِبُ وَالنَّسِيبُ : الْقَرِيبُ ، مِنَ النِّسْبَةِ (بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ)
وَهِيَ : الْقَرَابَةُ ، وَبَيْنَهُمَا مَنَاسِبَةٌ أَيْ مَشَاكَلَةٌ ، هَذَا يَنْسَبُ ذَاكَ أَيْ يَقَارِبُهُ شَبْهًا .

[٦] فِي الْأَصْلِ « مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ » رَهُوَ بِحَرْفٍ ، وَأَرَاهُ مِنْ صَدَقَ غَيْبَهُ أَوْ غَيْبَتَهُ أَيْ مِنْ صَدَقَ فِي
مُودَتِهِ ، وَحِفْظُ الْأَخَاءِ ، فِي الْغَيْبَةِ لَا فِي الْحَضَرِ فَحَسْبُ . [٧] جَيْبُ الْقَمِيصِ طَوْقُهُ ، وَهُوَ نَاصِحُ الْجَيْبِ
أَيْ الْمَلَبِ كُنْيَاةً عَنْ أَنَّهُ خَالِصُ الطَّوِيَةِ لَا غَشٍّ فِيهِ .

مَنْ صَدَقَكَ ، الأخ مرآة أخيه إذا عَزَّ أخوك فَهَنْ^(١) . مُكْرَهُ أَخَاكَ لَا بَطْلَ^(٢) .
تَبَاعَدُوا فِي الدِّيارِ وَتَقَارَبُوا فِي الْمَحَبَةِ . أَيُّ الرِّجالِ الْمَهْذَبُ^(٣) ؟ مَنْ لَكَ بِأَخِيكَ
كَلَهُ . إِنَّكَ إِنْ فَرِحْتَ لَأَقِ فَرَحًا . أَحْسِنْ يُحْسِنَ إِلَيْكَ أَرْحَمَ تُرَحَّم . كَمَا
تَدِينُ تُدَانَ^(٤) . مَنْ يَرِ يَوْمًا يُرِ بِهِ ، وَالدهِرَ لَا يُغْتَرُّ بِهِ ، عَيْنٌ عَرَفَتْ
فَذَرَفَتْ^(٥) . فِي كُلِّ خَبْرَةٍ عِبْرَةٌ ، مِنْ مَأْمَنِهِ يُؤْتَى الْحَذِرُ . لَا يَعْدُو الْمَرْءُ رِزْقَهُ
وَإِنْ حَرَصَ . إِذَا نَزَلَ الْقَدَرُ نَحَى الْبَصَرَ ، وَإِذَا نَزَلَ الْحَيْنُ نَزَلَ بَيْنَ الْأُذُنِ
وَالْعَيْنِ^(٦) . الْحَرَمُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ . الْغِنَاءُ رُقِيَّةُ الزَّناهِ^(٧) . الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ .
خَيْرُ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ . مَنْسَأَقُ إِلَى مَا أَنْتَ لَاقٍ . خُذْ مِنَ الْعَافِيَةِ مَا أُعْطِيَتْ .
مَا لِلْإِنْسَانِ إِلَّا الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ . إِنَّمَا لَكَ مَا أَمْضَيْتَ . لَا تَتَكَلَّفْ مَا كُفِّيتَ .
الْقَلَمُ أَحَدُ اللِّسَانِينَ . قَلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارِينَ ، رُبَّمَا ضَاقتِ الدُّنْيَا بِاثْنَيْنِ . لَنْ

[١] فِي الْمِيدَانِي : هَذَا الْمَثَلُ لِهَدِيلِ بْنِ هَبيرةَ التَّعَلْبِيِّ ، وَكَانَ أَطَارَ عَلَى بَنِي صَبَةِ فَغَنِمَ فَأَقْبَلَ بِالْعِائِمِ . فَقَالَ لَهُ
أَصْحَابُهُ قَسَمًا بَيْنَنَا ، فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ أَنْ تُشَاغِبُنِي بِالْأَقْدَامِ أَنْ يَدْرَكَكُمْ الطَّلَبُ فَأَهْوَى ، فَعِنْدَهَا قَالَ : « إِذَا عَزَّ
أَخُوكَ فَهَنْ » ثُمَّ نَزَلَ فَتَقَسَّمُ بَيْنَهُمُ الْغَنَائِمُ ، وَمِمَّا نَامَ : مِيسَرَتَكَ صَدِيقَكَ لَيْسَتْ بِضِيمٍ يَرْكَبُكَ مِنْهُ فَتَدْخُلُكَ الْحَمِيَّةُ
بِهِ ، إِنَّمَا هُوَ حَسَنُ خَلْقٍ وَتَفْصَلُ ، فَإِذَا طَاسَرَكَ فَيَاسِرُهُ .

[٢] قَالَ أَبُو حَنْشٍ : وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي دِرَّازَةَ يُقَالُ لَهُ بِيَرَسٌ أَحْبَبَ أَنْ تَنَاسَأَ مِنْ أَشْجَعٍ فِي دِرَّازَةَ
يُشْرَبُونَ فِيهِ — وَكَانُوا قَدْ قَتَلُوا لِأَخَوَاتِهِ السَّيِّئَةَ — فَأَطْلَقَ بِخَالٍ لَهُ يُسَمَّى أَبَا حَنْشٍ ، فَقَالَ لَهُ هَلْ لَكَ فِي
ظَارٍ فِيهِ ظِبَاءٌ لَعَلَّا نَصِيبُ مِنْهَا — وَيُرْوَى : هَلْ لَكَ فِي فَنِيَّةٍ بَارِدَةٍ — ثُمَّ أَطْلَقَ بِهِ حَتَّى أَقَامَهُ عَلَى فَمِ الْعَارِ ،
وَدَفَعَهُ فِيهِ فَقَالَ : صَرَبًا أَبَا حَنْشٍ ، فَقَالَ «عَضُّهُمْ» : إِنْ أَبَا حَنْشٍ لَبَطْلٌ ، فَقَالَ أَبُو حَنْشٍ : مُكْرَهُ أَخَاكَ لَا بَطْلَ ،
فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا . [٣] فِي الْمِيدَانِي : أَوَّلُ مَنْ قَالَهُ النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِي حَيْثُ قَالَ :

وَلَسْتُ بِمُسْتَقْبَقٍ أَخًا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعْتٍ : أَيُّ الرِّجَالِ الْمَهْذَبُ ؟

[٤] الدِّينُ بِالْكَسْرِ : الْجَزَاءُ دَانَهُ يَدِينُهُ دِينًا بِالْفَتْحِ وَيَكْسِرُ ، وَمَعْنَى الْمَثَلِ كَمَا تَجَارَى تَجَازَى : أَيُّ كَمَا
تَعْمَلُ تَجَازَى ، إِنْ حَسَنًا فَحَسَنَ ، وَإِنْ سَيِّئًا فَسَيِّئًا ، وَقَوْلُهُ تَدِينُ : أَرَادَ تَعْمَلُ فَسَمِيَ الْإِبْدَاءُ جَرَاءً
لِلْمُطَابَقَةِ وَالْمُوَافَقَةِ ، وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : « فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِمْ مِثْلَ مَا أَعْتَدَى عَلَيْهِكُمْ » .
وَيَجُوزُ أَنْ يَجْرِيَ كِلَاهُمَا عَلَى الْجَزَاءِ أَيُّ كَمَا تَجَازَى أَنْتَ النَّاسَ عَلَى صَنِيعِهِمْ كَذَلِكَ تَجَارَى عَلَى صَنِيعِكَ .

[٥] فِي الْأَصْلِ « عَيْنٌ رَفَتْ » وَهُوَ تَشْوِيهِ ، وَصَوَابُهُ « عَيْنٌ عَرَفَتْ فَذَرَفَتْ » .

[٦] الْحَيْنُ : الْهَلَاكُ ، وَقَوْلُهُ : نَزَلَ بَيْنَ الْأُذُنِ وَالْعَيْنِ أَيُّ يَسْمَعُ وَمَرَأَى مِنْ نَزَلَ بِهِ لَا مُخْتَفِئًا عَنْهُ .

[٧] زَنِ يَزِي زِي وَزَنَاهُ .

تَعْدَمُ الحُسْنَاءُ ذَامًا ^(١) . لَمْ يَعْدَمِ الغَاوِي لَانِمًا . لَا تَكُ فِي أَهْلِكَ كَالْجِنَازَةِ ^(٢) .
لَا تَسْخَرَنَّ مِنْ شَيْءٍ فَيَجُوزَ بِكَ ، أَخْرَ الشَّرَّ فَإِذَا شَتَّتَ تَعَجَّلْتَهُ . صَغِيرُ الشَّرِّ
يُوشِكُ أَنْ يَكْبُرَ . يُبْصِرُ الْقَلْبُ مَا يَعْمَى عَنْهُ الْبَصَرُ . الْحُرُّ حُرٌّ وَإِنْ مَسَّهُ الضَّرُّ .
الْعَبْدُ عَبْدٌ وَإِنْ سَاعَدَهُ جَدٌّ ^(٣) . مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ اسْتَبَانَ أَمْرَهُ . مَنْ سَرَّهُ بَنُوهُ
سَاءَتْهُ نَفْسُهُ . مَنْ تَعَظَّمَ عَلَى الزَّمَانِ أَهَانَهُ . مَنْ تَعَرَّضَ لِلسُّلْطَانِ آذَاهُ ، وَمَنْ
تَطَامَنَ لَهُ تَخَطَّاهُ . مَنْ خَطَا يَخْطُو ^(٤) . كُلُّ مَبْذُولٍ تَمْلُولُ . كُلُّ مَمْنُوعٍ مَرْغُوبٌ
فِيهِ . كُلُّ عَزِيزٍ تَحْتَ الْقُدْرَةِ ذَلِيلٌ . لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ . لِكُلِّ زَمَانٍ رَجَالٌ .
لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ . لِكُلِّ عَمَلٍ ثَوَابٌ . لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ . لِكُلِّ سِرٍّ مُسْتَوْدَعٌ .
قِيَمَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ مَا يُحْسِنُ . اطْلُبْ لِكُلِّ غَلَقٍ ^(٥) مُفْتَاحًا . أَكْثَرُ فِي الْبَاطِلِ
يَكُنْ حَقًّا . عِنْدَ الْقَنْطِ ^(٦) يَأْتِي الْفَرْجُ . عِنْدَ الصَّبَاحِ يُحْمَدُ الشَّرِيُّ ^(٧) .

[١] الدام : والذيم العيب ، قال الميداني : « وأول من تكلم بهذا المثل فيما زعم أهل الأخبار حي بنت مالك بن عمرو العدوانية (وحي : بضم الحاء ، وتشديد الباء المفتوحة) وكانت من أجل النساء ، فسمع بجماله ملك غسان يخطبها إلى أبيها ، وحكمه في مهرها ، وسأله تعجيلها ، فلما عزم الأمر ، قالت أمها لاتباعها : إن لنا عند الملامسة رشحة فيها هنة ، فإذا أردتن إدخالها على زوجها ، فطينيها بما في أصدافها ، فلما كان الوقت أمجلهن زوجها ، فأغفلن تطيبها ، فلما أصبح قيل له : كيف وجدت أهلك : طروقتك ، البارحة ؟ فقال ما رأيت كالليلة قط لولا رويحة أنكرتها ، فقالت هي من خلف الستر « لا تعدم الحسنة داما » فأرسلتها مثلاً .

[٢] الجنازة بالكسر : الميت ، ويفتح ، أو بالكسر الميت ، وافتح السرير ، أو حكمه ، أو بالكسر السرير مع الميت ، والمراد هنا الميت ، وهذا المثل والمثلان قبله في الأصل مشوطة مختلطة مكذبة : « لن تعدم الحسنة ما لم يعدم الغاوي لا يمالأ بك في أهلك كالجنازة » . [٣] الجد : الخط .

[٤] يريد : من حاول الخطو وعالجه استطاعه ومرت عليه ، أي أن من أراد أمراً وتحيل له وأخذ في معالجته وممارسته ، تم له ما يبغي ، وهو كقولهم : إنما العلم بالتعلم ، « ورفع يخطو في المثل حسن لأن الشرط ماض » . [٥] الملقى : القفل كالملاق . [٦] القنط والقنوط : اليأس .

[٧] السرى : السير ليلاً ، ويردئ « عند الصباح يحمد القوم السرى » وهو من يضرب للرجل يحتل المشقة رجاء الراحة ، وفي الميداني : « أن أول من قال ذلك خالد بن الوليد لما بعث إليه أبو بكر رضي الله عنهما وهو باليمامة أن سر إلى العراق ، فأراد سلوك المغازة ، فقال له رافع الطائي : قد سلكتها في الجاهلية ، هي خمس للإبل الواردة (فلاة خمس بكسر الحاء : بعد وردما حتى يكون ورد النعم اليوم

الصدق مَنجاة ، والكذب مَهْوَاة . الاعتراف يهدم الاقتراف . ربّ قول أنفذ
من صَوَّل . رب ساعة ، ليس بها طاعة . رب عَجَلَة تُعَقِّبُ رَيْثًا ^(١) . بعض الكلام
أقطع من الحسام . بعض الجهل أبلغ من الحِلْم . ربيع القلب ما اشتهى . الهوى
شديد العمى . الهوى الإله المعبود . الرأى نائم ، والهوى يقظان . غلب عليك من
دعا إليك . لا راحة لحسود ولا وفاء . لا سرورَ كَطِيبِ النَّفْسِ . العمر أقصر من أن
يحتمل إلهَجْر . أحق الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة . خير العلم ما نفع . خير القول
ما أتبع البِطْنَة ^(٢) . تذهب الفِطْنَة . شر العمى عمى القلب . أوثق العُرَى كلمة
التقوى ^(٣) . النساء حباثل الشيطان . الشباب شُعبَة من الجنون . الشقى من شَقِيَ
في بطن أمه . السعيد من وُعِظ بغيره . لكل امرئ في بدنه شُغل . من يَعْرِفِ
البلاء يَصْبِرْ عليه . المقادير تُرِيك ما لا يخطر ببالك . أفضل الزاد ما نُزِدَ للمعاد .

الرابع سوى اليوم الذى شربت فيه) ولا أظنك تقدر عليها إلا أن تحمل من الماء ، فاشترى مائة شارب
(الشارب النافعة المسنة) فمطشها ثم سقاها الماء حتى رويت ، ثم سلك الممازة ، حتى إذا مضى يومان
وخاف العطش على الناس والحيل ، وخشى أن يذهب ما فى بطون الإبل نحر الإبل ، واستخرج ما فى
بطونها من الماء ، فسقى الناس والحيل ومضى ، فلما كان فى الليلة الرابعة . قال رافع : انظروا هل ترون
سدرأ عظماً (السدر بالكسر شجر النبق) فإن رأيتموها وإلا فمهر الهلاك ، فنظر الناس فرأوا السدر
فأخبروه فكبر وكبر الناس ، ثم هجموا على الماء فقال خالد رحزاً منه « عند الصباح يحمد القوم السرى »
[١] الريث : الإبطاء ، ويروى تهب ريثاً ، وفى الميدانى : « أن أول من قال ذلك مالك بن عوف
ابن أبى عمرو بن عوف بن محلم الشيباني ، وكان سنان بن مالك بن أبى عمرو بن عوف بن محلم شام غيما ،
فأراد أن يرحل بامرأته وهى أخت مالك بن عوف ، فقال له مالك : أين تظعن يا أختي ؟ قال : أطلب موقع
هذه السعابة . قال : لا تفعل فإنه ربما خيلت ، وليس فيها قطر ، وأنا أخاف عليك فأبى ، ومضى معرض
له مروان الفرط بن زنباع العبسى ، فأعجله عنها واطلق بها ، وجعلها بين بناته وأחותه ولم يكشف لها سترها
فقال مالك بن عوف لسنان : ما فعلت أختي ؟ قاله : فتتني عنها الرماح ، فقال مالك : « رب عجلة تهب
ريثاً . ورب فروة يدعي ليثاً ، ورب غيث لم يكن غيثاً » ، فأرسلها مثلاً ، يضرب للرجل يشدد حرصه على
حاجة ، ويخرق فيها حتى تذهب كلها » .

[٢] البطنة : الامتلاء الشديد من الطعام . [٣] انظر خطبة عبد الله بن مسعود .

الفَحْلُ أَنَحَى لِلشَّوْلِ ^(١) . صَاحِبُ الحِطْوَةِ غَدًا ، من بَلَغَ المَدَى . عَوَاقِبُ الصَّبْرِ مَحْمُودَةٌ . لَا تُبْلَغُ الغَايَاتُ بِالأَمَانِي . الصَّرِيعة ^(٢) عَلَى قَدَرِ العَزِيمَةِ . الضَّيْفُ مُبْتَنَى أَوْ يَذُمُّ . من تَفَكَّرَ اعتَبَرَ . كَمْ شَهِيدٍ لَكَ لَا يَنْطِقُ . لَيْسَ مِنْكَ مَنْ غَشَّكَ . مَا نَظَرَ لَأَمْرٍ مِثْلُ نَفْسِهِ . مَا سَدَّ فَقْرَكَ إِلَّا مَلِكُ يَمِينِكَ . مَا عَلَى عَاقِلٍ ضِيعَةٌ . الغِنَى فِي العُرْبَةِ وَطَنٌ . المُقِلُّ فِي أَهْلِهِ غَرِيبٌ ، أَوَّلُ المَعْرِفَةِ الِاخْتِبَارُ . يَدُكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَتْ سَلَاءً . أَنْفُكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَجْدَعَ ^(٣) . من عُرِفَ بِالكَذِبِ جَازِ صَدَقِهِ ^(٤) . الصَّحَّةُ دَاعِيَةُ السَّقَمِ . الشَّبَابُ دَاعِيَةُ الهَرَمِ . كَثْرَةُ الصِّيَاحِ مِنَ الْفُشْلِ . إِذَا قَدُمْتَ المَصِيبَةَ تَرَكْتَ التَّعْزِيَةَ . إِذَا قَدُمَ الْإِخَاءُ سَمَّجَ الثَّنَاءُ . العَادَةُ أَمْلَكُ مِنَ الْأَدَبِ . الرِّفْقُ يُخَيِّنُ وَالْخُرْقُ شَوْمٌ . المَرْأَةُ رِيحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْزَمَانَةٍ ^(٥) .

[١] الشول : جمع شائلة وهي من الإبل ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر خف لبنها ، وأحمى : أعمل من الخاية . [٢] الصريعة : قطع الأمر (والعزيمة) . [٣] وبروى « منك أمك وإن كان أجدع » وفي الميداني : « أول من قال ذلك قنفذ بن جمونة المازني للربيع بن كعب المازني ، وذلك أن الربيع دفع فرساً كان قد أبرّ على الخيل (أى زاد) كرمًا وجودة إلى أخيه كيش ليأتي به أهله ، وكان كيش أنوك مشهوراً بالحق ، وكان رجل من بني مالك يقال له قراد بن جرم قدم على أصحاب الفرس ليصيب منهم عرة فيأخذها ، وكان داهية فكث فيهم مقما لا يرفون نسبه ولا يظهره هو ، فلما نظر إلى كيش راكباً الفرس ركب ناقته ثم عارضه ، فقال يا كيش : هل لك في عانة لم أرمثلها سمناً ولا عظماً (المانة : القطيع من حمر الوحش) وغير معها من ذهب ؟ فأما الآن (بضمتين جمع أمان) فتروح بها إلى أهلك فتملأ قدورهم ، وتمرح صدورهم ، وأما العير فلا انتقار بعده ، قال له كيش : وكيف لنا به ؟ قال : أما لك به ، وليس يدرك إلا على فرسك هذا ، ولا يرى إلا بليل ، ولا يراه ذيرى ، قال كيش : فدونك ، قال : نعم وأمسك أنت راحتي ، فركب قراد الفرس وقال : انتظرنى في هذا المكان إلى هذه الساعة من غد ، قال : نعم ومضى قراد : فلم يزل كيش ينتظره حتى أمسى من غده وحاح ، فلما لم ير له أنراً انصرف إلى أهله وقال في نفسه : إن سألتني أخى عن الفرس قلت تحول ناقة ، فلما رآه أخوه الربيع عرف أنه خدع عن الفرس ، فقال له : أين الفرس ؟ قال : تحول ناقة ، قال : فما فعل السرج ؟ قال : لم أذكر السرج فاطلب له علة ، فصرعه الربيع ليقتله ، فقال له قنفذ بن جمونة : إله عما فاتك ، فإن أنفك منك وإن كان أجدع ، فذهبت مثلاً .

[٤] في مجمع الأمثال (٢ : ١٧٥) : « من عرف بالصدق جاز كذبه ، ومن عرف بالكذب لم يحز صدقه » . [٥] الفهيمان : هو كالحازن والوكيل المحافظ لما تحت يده ، والقائم بأموال الرجل بلعة الفرس .

الدال على الخير كفاعله . المحاجزة قبل المناجزة . قبل الرماية تملأ الكنائس . لكل ساقطة لاقطة . مقتل الرجل بين فكّيه . ترك الحركة غفلة . الصمت حُبسة . مَنْ خَيْرَ خَيْرَ . إن تسمع تُخطر^(١) . كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة . قيّدوا النعم بالشكر . من يزرع المعروف يحصد الشكر . لا تغتر بمودة الأمير إذا غشك الوزير . أعظم من المصيبة سوء الخلف منها . من أراد البقاء فليوطن نفسه على المصائب . لقاء الأحبة مسألة للهم . قطيعة الجاهل كصلة العاقل . من رضى على نفسه كثر الساخط عليه . قتلت أرض جاهلها ، وقتل أرضاً عارفها . أدوا الداء الخلق الدني ، واللسان البدي . إذا جعلك السلطان أخاً فاجعله رباً . احذر الأمين ولا تأمن الخائن . عند الغاية يُعرف السبق . عند الرهان يُحمد المضمار . السؤال وإن قل ، أكثر من النوال وإن جل . كفى المعروف بمثله أو انشره . لا خلة^(٢) مع عيلة . لا مروءة مع ضرّ ، ولا صبر مع شكوى . ليس من العدل ، سرعة العذل^(٣) . عبدٌ غيرك حرٌّ مثلك . لا يعدم الخيار ، من استشار . الوضع من وضع نفسه . المهين من نزل وحده . من أكثر أهجر^(٤) . كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع » . (العقد الفريد ١ : ٢٧٢)

* *

ومن أمثال أكثم بن صيفي أيضاً :

« في الجريرة تشترك العشيرة^(٥) . إذا قرع الفؤاد ذهب الرقاد . هل

[١] أى إن تمتع أذهنه للأقاويل تمطر وإبلا منها .

[٢] الخلة : الصداقة المختصة لا خلل فيها ، والعيلة الفقر . [٣] اللوم .

[٤] الامهجار : الاخاش وهو أن يأتي في كلامه بالفحش .

[٥] مثل يضرب في الحث على المواساة .

يُهْلِكُنِي فَقَدْ مَا لَا يَعُودُ؟ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ يَرْمِيَنِي امْرُؤٌ بِدَائِهِ . رَبِّ كَلَامٍ ، لَيْسَ فِيهِ
اِكْتِسَامٌ . حَافِظٌ عَلَى الصَّدِيقِ ، وَلَوْ فِي الْحَرِيقِ . لَيْسَ يَبْسِيرُ ، تَقْوِيمُ الْعَسِيرِ .
إِذَا أُرِدْتَ النَّصِيحَةَ ، فَتَاهَبِ لِلظَّنَّةِ . مَتَى تَعَالَجَ مَالٌ غَيْرَكَ تَسْأَمُ . غَثُّكَ خَيْرٌ مِنْ
سَمِينِ غَيْرِكَ . لَا تَنْطَحُ جَمَاءً ^(١) ذَاتَ قَرْنٍ . قَدْ يُبْلَغُ الْخَضَمُ بِالْقَضَمِ ^(٢) . قَدْ صَدَعَ
الْفِرَاقُ ، بَيْنَ الرَّفَاقِ . اسْتَأْنَوْنَا ^(٣) أَخَاكُم ، فَإِنْ مَعَ الْيَوْمِ غَدًا . الْحُرُّ عَزُوفٌ ^(٤)
لَا تَطْمَعُ ، فِي كُلِّ مَا تَسْمَعُ .

(جمرة الأمثال ٢ : ١٠٣)

٣٢٣ — كلمات هند بنت الحُسن الإيادية

أَتَى رَجُلٌ هِنْدَ بِنْتَ الْحُسْنِ الْإِيَادِيَّةِ يَسْتَشِيرُهَا فِي امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا ، فَقَالَتْ :
« انْظُرْ رَمَكَاءَ ^(٥) جَسِيمَةً ، أَوْ بَيْضَاءَ وَسِيمَةً ، فِي بَيْتٍ جَدِّ ، أَوْ بَيْتٍ حَدِّ ،
أَوْ بَيْتِ عَزٍّ » قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنَ النِّسَاءِ شَيْئًا ، قَالَتْ : « بَلَى ، شَرُّ النِّسَاءِ تَرَكْتُ ،
السُّوَيْدَاءُ الْمَمْرَاضُ ^(٦) ، وَالْحُمَيْرَاءُ الْمُخِيَاضُ ^(٧) الْكَثِيرَةُ الْمُظَاظُ ^(٨) » .
وَقِيلَ لَهَا : أَيُّ النِّسَاءِ أَسْوَأُ ؟ قَالَتْ : « الَّتِي تَقْعُدُ بِالْفِنَاءِ ، وَتَمَلُّ الْإِنَاءِ ،
وَتَمْدُقُ ^(٩) مَا فِي السَّقَاءِ » قِيلَ : فَأَيُّ النِّسَاءِ أَفْضَلُ ؟ قَالَتْ : « الَّتِي إِذَا مَشَتْ
أَغْبَرَتْ ^(١٠) ، وَإِذَا نَطَقَتْ صَرَّصَرَّتْ ^(١١) ، مُتَوَرِّكَةً جَارِيَةً ^(١٢) ، فِي بَطْنِهَا
جَارِيَةً ، يَتْبَعُهَا جَارِيَةٌ ^(١٣) » .

[١] الجماء : الشاة بلا قرن مؤنث الأجم . [٢] التضم : الأكل بأطراف الأسنان ، والحضم : الأكل
بأقصى الأضراس ، ومعنى المثل : قد تدرك الغاية البعيدة بالرفق . [٣] انظروا .
[٤] من عزفت نفسه عنه إذا زهدت فيه وانصرفت عنه أي أنف راغب عن الدنيا .
[٥] الرمكاء : السمراء ، والرمكة كحمة لون الرماد . [٦] المراض : المسقام .
[٧] الكثيرة الحيض . [٨] المظاظ : المنازعة والمشاراة . [٩] تمزج .
[١٠] أثارت الفبار في مشيتها . [١١] أحدثت صوتها . [١٢] أي حاملة لها على وركها .
[١٣] أي هي مثنات .

قيل : فأى الغلمان أفضل ؟ قالت : « الْأَسْوَقُ الْأَعْنَقُ ^(١) ، الذى إن شَبَّ كَأَنَّهُ أَحْمَقُ » قيل : فأى الغلمان أفسل ^(٢) ؟ قالت : « الْأَوْيَقِصُ ^(٣) القصير العَضُدُ ، العظيم الحاوية ^(٤) ، الْأَغْيَبِرُ الْغِشَاءُ ، الذى يُطِيعُ أُمَّهُ ، وَيَعْصِي عَمَّهُ » .
(الأمل ٢ : ٢٦٠)



وقيل لها : أى الرجال أَحَبُّ إليك ؟ قالت : السَّهْلُ النَجِيبُ ، السَّمُوحُ الْحَسِيبُ ، النَّذْبُ ^(٥) الْأَرِيبُ ، السيد المَهْيَبُ ، قيل لها : فهلبقى أحد من الرجال أفضل من هذا ؟ قالت : نعم ، الْأَهْيَفُ الْهَفْهَفُ ^(٦) ، الْأَنْفُ الْعِيَّافُ ، الْمُفِيدُ الْمُتَلَّافُ ، الذى يُخَيِّفُ وَلَا يَخَافُ ، قيل لها : فأى الرجال أَبْغَضُ إِلَيْكَ ؟ قالت : الْأَوْرَهُ ^(٧) النَّثُومُ ، الْوَكَلُ السَّثُومُ ، الضَّعِيفُ الْحَيْزُومُ ، اللَّيْمُ الْمَلُومُ ، قيل لها : فهلبقى أحد شر من هذا ؟ قالت : نعم ، الْأَحْمَقُ النَّزَّاعُ ، الضَّائِعُ الْمُضَاعُ ، الذى لَا يُهَابُ وَلَا يُطَاعُ ، قالوا : فأى النساء أحب إليك ؟ قالت : الْبَيْضَاءُ الْعَطِرَّةُ ، كَأَنَّهَا لَيْلَةُ قَمَرَةٍ ^(٨) ، قيل : فأى النساء أَبْغَضُ إِلَيْكَ ؟ قالت : الْعِنْفِصُ ^(٩) الْقَصِيرَةُ ، التى إن اسْتَنْطَقْتَهَا سَكَتَتْ ، وإن سَكَتَتْ عَنْهَا نَطَقَتْ .
(ذيل الأمل ص ١٢٠)

[١] الأسوق : الطويل الساق ، والأعناق : الطويل العنق .

[٢] أفعل من فسل : ككرم وعلم وعى فسالة وفسولة وهو فسل أى رذل لا مروءة له .

[٣] الأويقص : تصغير أوقص وهو الذى يدنو رأسه من صدره .

[٤] ما تحوى من الأمعاء أى استدار .

[٥] الذب : الخفيف فى الحاجة الطريف النجيب ، والأريب : العاقل . [٦] الأهيف وصف من

لهيف بالتحريك ، وهو رقة الخاصرة ، والقميص الهفاف ، أى الرقيق الشفاف . [٧] الأور :

الأحق من ورده كفرح . [٨] ليلة قمر وقراء ومقبرة : فيها القمر . [٩] العنفس : المرأة

البديهة القليلة الحياء ، والقليلة الجسم الكثيرة الحركة .



وقال لها أبوها يوماً : أى المال خير؟ قالت : « النخل ، الراسخات في الوخل ، المطعمات في المخل ^(١) » قال : وأى شيء؟ قالت : « الضأن ، قرية لا وباء بها ، تُنتجها رُحالا ^(٢) ، وتخلبها علالا ^(٣) ، وتجزؤها جُفالا ^(٤) ، ولا أرى مثلها مالا » قال : فالإبل مالكِ تُؤخرينها؟ قالت : « هي أذكّار الرجال ، وإرقاء الدماء ، ومهور النساء » قال : فأى الرجال خير؟ قالت :

خير الرجال المَرهقون كما خيرُ تِلّاع البلاد أوطؤها ^(٥)

قال : أيهم؟ قالت الذي يُسأل ولا يسأل ، ويُضيف ولا يُضاف ، ويُصلح ولا يُصلح .
قال : فأى الرجال شر؟ قالت : « الشطيظ النطيظ ، ^(٦) الذي معه سُويظ ^(٧) ، الذي يقول أذر كوني من عبد بني فلان ، فإني قاتله أو هو قاتلي » . قال : فأى النساء خير؟ قالت : « التي في بطنها غلامٌ ، تحمل على وركها غلامًا ، يمشي وراءها غلامٌ » قال : فأى الجمال خير؟ قالت : « السبجل الرّجل ^(٨) ، الراحلة الفجل » .
قال : أرايتك الجذع ^(٩) ، قالت : لا يضرب ، ولا يدع ، قال : أرايتك الثني ^(١٠) ؟
قالت : يضرب ، وضرابه وفي ^(١١) ، قال : أرايتك السدس ^(١٢) ، قالت :
ذاك العرس ^(١٣) . (ذيل الأمل من ١٠٨)

[١] الخل : الشدة والجذب واقطاع المطر . [٢] الرخال جمع رخل كحمل وكثف وهو الأتق من أولاد الصأن . [٣] يقال عاليت الناقة ، وهو أن تحلب أول النهار ووسطه وآخره ، والاسم علال ككتاب . [٤] الجفال : الكثير من الصوف .
[٥] المَرهق : من يغشاه الناس والأضياف . [٦] الشطيظ : الذي لا لحيمة له ، والنطيظ : الهذيان (بكسر الهاء والراء) وهو الكثير الكلام يأتي بالخطأ والصواب عن غير معرفة .
[٧] تصغير سوط . [٨] السبجل والرّجل : البعير الضخم الكثير اللحم . [٩] أرايتك : كلمة تقولها العرب بمعنى أخبرني ، الجذع : البعير إذا كان في السنة الخامسة . [١٠] البعير إذا كان في السادسة وألقى نتيته . [١١] قال أبو علي : الصواب أني أى بطني . [١٢] السدس : البعير إذا كان في الثامنة . [١٣] العرس : الأسد .



وقيل لها : أى الخيل أحب إليك ؟ قالت : « ذو الميعة الصنيع ^(١) ،
السليط التليع ^(٢) ، الأيّد الضليع ^(٣) ، الملهب ^(٤) السريع » فقيل لها : أى
الغيوث أحب إليك ؟ قالت : « ذو الهيدب المنبثق ^(٥) ، الأضخم المؤتلق ^(٦)
البصخب المنبتق ^(٧) » وقيل لها : ما مائة من المعز ؟ قالت : مؤيل يشف الفقر
من ورائه ، مال الضعيف ، وحرّفة العاجز » قيل : فما مائة من الضأن ؟ قالت
« قرية لا حى بها » قيل : فما مائة من الإبل ؟ قالت : « نخ ^(٨) ، جمال ومال ،
ومنى الرجال » . قيل : فما مائة من الحيل ؟ قالت : « طغى من كانت له ولا
يوجد » قيل : فما مائة من الحمُر ؟ قالت : « عازبة ^(٩) الليل ، وخزى المجلس ، لا لبن
فيخلب ، ولا صوف فيججز ، إن ربطَ غيرُها ^(١٠) أدلى ، وإن ترك ولى ، وقيل
لها : من أعظم الناس في عينك ؟ قالت : « من كانت لي إليه حاجة » .

(شرح العيون ص ١٨٤)

[١] ماع المرس يبيع : جرى ، وصناعة الفرس : حسن القيام عليه ، صنعت فرسى صنعا وصنعة (بفتح
الصاد وبهما) والصنيع ذاك المرس . [٢] السليط : الشديد ، والحديد من كل شيء ، والتليع :
الطويل العنق من التلع بفتحتين وهو طول العنق . [٣] الأيّد ككيس : القوى ، من آاد يثيد أيدا
أى قوى واشتد ، والضليع وصف من ضلع كفصح ضلالة ، وهى القوة وشدة الأصلاع .
[٤] هو الذى يجتهد فى عدوه حتى يثير المبار ، من ألهب . [٥] الهيدب : السحاب المتدلى ،
والمنبتق : المنبعج بالمطر . [٦] الضخم : كشمس وسبب وأحمد وغراب : العظيم من كل شيء ، واثلق
البرق وتألق : لمع . [٧] الصخب : وصف من الصخب كسبب وهو شدة الصوت ، والمنبتق : المنفجر .
[٨] نخ كفر : أى عظم الأمر ونغم ، تقال وحدها وتكرر ، نخ بنج الأول منون مكسور ، والثانى مسكن ،
ويقال فى الأفراد : بنج ساكنة الخاء ، وبنج مكسورة ، وبنج مكسورة منونة ، وبنج منونة مصومة ، ويقال
بنج بنج مسكنين ، وبنج بنج منونين مكسورين ، وبنج بنج مكسورين مشددين منونين كقوله تعالى عند الرما والإعجاب بالشيء .
[٩] يقال : جل عازب : أى لا يروح على الحى من العزوب وهو الغيبة والذهاب ، وقولها : خرى
المجلس ، أى بما تحدثه من التهيق المزعج والإدلاء . [١٠] أدلى : الهير : الحمار (وغلب على الوحشى) ،
وأدلى : أى أخرج قضيه ليبول أو يضرب .

وقالت: « أَخْبِثُ الذَّنَبَ ذَنْبَ النُّضَا ^(١) ، وَأَخْبِثُ الْأَفَاعِي أَفْعَى الْجَذْبِ ،
وَأَسْرِعِ الظُّبَاءَ ظُبَاءَ الْحُلْبِ ^(٢) ، وَأَشْدِ الرِّجَالَ الْأَعْجَفَ ^(٣) ، وَأَجْمِلِ النِّسَاءَ الْفَخْمَةَ
الْأَسِيلَةَ ^(٤) ، وَأَقْبِحِ النِّسَاءَ الْجَهْمَةَ الْقَفْرَةَ ^(٥) ، وَآكُلِ الدُّوَابَّ الرَّغُوثَ ^(٦) ،
وَأَطِيبِ اللَّحْمَ عُوْذُهُ ^(٧) ، وَأَغْلِظِ الْمَوَاطِيَّ الْحَصَى عَلَى الصَّفَا ، وَشِرِّ الْمَالَ مَا لَا
يَزْكِي ^(٨) وَلَا يُذَكِّي ^(٩) ، وَخَيْرِ الْمَالَ سِكَّةَ مَأْبُورَةٍ ^(١٠) ، أَوْ مُهْرَةَ مَأْمُورَةٍ ^(١١) »
(مجمع الأمثال ١ : ١٧٤)

خطب الكهان

٣٢٤ — الكاهن الخزاعي يُنْقَرُ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ
عَلَى أُمِيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ

وَلِي هَاشِمٍ بَعْدَ أَبِيهِ عَبْدِ مَنْفٍ ، مَا كَانَ إِلَيْهِ مِنَ السَّقَايَةِ وَالرَّفَادَةِ ^(١٢)

[١] النضا : شجر له جمر يبقى طويلا . [٢] الحلب : نبت ، قال حمزة : « العرب تسمى ضروباً
من البهائم بضروب من المراعي تنسبها إليها ، فيقولون : ظبي الحلب ، وتيس الريلة (والربل محرّكة نبات
شديد الخضرة) ، وشيطان الحماطة (والحماطة كسحابة : شجر شبيه بالتين ، أحب شجر إلى الحيات) . الخ
وذلك كله على قدر طباع الأمكنة والأغذية المأكلة في طباع الحيوان . [٣] من المعجف بالتحريك وهو
ذهاب السمن . [٤] الطويلة المسترسلة . [٥] الجهم : مؤنث الجهم وهو الوجه الغليظ المجتمع
السمج ، والقفرة : القليلة القفر بالتحريك أي الشعر . [٦] الرغوث : كل مرضعة كالمرغث .
[٧] ما طاذ بالعظم من اللحم . [٨] ذكي كرضى نهما وزاد كزكا يزكو . [٩] ذكي تذكية :
سمن وبدن (بضم الدال) . [١٠] السكة : السطر من النخل ، والمأبورة : المصلحة ، من أبرت العجل
آبره إذا لقحته وأصلحته . [١١] مأمورة : أي كثيرة الولد ، من آسرهما الله أي كثرها ، وكان
يفهم أن يقال مؤمرة ، ولكنه أتبع مأبورة — اقرأ في كتاب بلاغات النساء ص ٨ فصلا طويلا في كلام
هند بنت الحس وأختها جمعة .

[١٢] السقاية : هي إسقاء الحبيج الماء العذب ، والرفادة : خرج كانت تخرجه قريش في كل موسم من
أموالها ، فتدفعه إليه ، فيصنع به طعاماً للحاج يأكله من لم يكن له سعة ولا زاد .

فخسده أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على رياسته وإطعامه ، وكان ذا مال ، فتكلف أن يصنع صنيع هاشم ، فعجز عنه ، فشمت به ناس من قريش ، فغضب ونال من هاشم ، ودعاه إلى المنافرة ، فكره هاشم ذلك لِسِنِّه وقدره ، فلم تدعه قريش حتى نافره على خمسين ناقة سُود الحَدَق يَنَحِّرُها بيطن مكة ، والجلاء عن مكة عشر سنين ، فرضى بذلك أمية ، وجعلا بينهما الكاهن الخُزَاعِيّ - وهو جد عمرو بن الحَمِق ، ومنزله بِعُسْفَان ^(١) ، وكان مع أمية هَمْهَمَة بن عبد العُزَيّ الفِهْرِيّ ، وكانت ابنته عند أمية ، فقال الكاهن :

« والقمر الباهر ، والكوكب الزاهر ، والنّمام الماطر ، وما بالجوّ من طائر ، وما اهتدى بعلم ^(٢) مسافر ، من مُنْجِدٍ وغاز ^(٣) ، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر ، أوّل منه وآخر ، وأبوهمة بذلك خابر » .

ففضى لهاشم بالغلبة ، وأخذ هاشم الإبل ، فنحرها وأطعمها ، وغاب أمية عن مكة بالشّام عشر سنين ، فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٦ ، والسيرة الحلبية ١ : ٤ ، وتاريخ الطبري ٢ : ١٨٠)

٣٢٥ — عوف بن ربيعة الأسدي يتكهن بمقتل حجر بن الحارث

كان حُجْر بن الحارث (أبو امرئ القيس) ملك بني أسد ، وكان له عليهم إتاوة ^(٤) كل سنة لما يحتاج إليه ، فبقى كذلك دهرًا ، ثم بعث إليهم من ينجي ذلك منهم ، ونفجر يومئذ بتهامة ، فطردوا رسله وضربوهم ، فبلغ ذلك

[١] عسفان : موضع على مرحلتين من مكة . [٢] العلم : ما نصب في الطريق يهتدى به .

[٣] أنجد : أتى نجداً ، وغاز وأغار : أتى غوراً . [٤] خراج .

حجراً ، فسار إليهم ، فأخذ سَرَوَاتِيهِمْ^(١) وخيارهم ، وجعل يقتلهم بالعصا (فسئوا عبيد العصا) وأباح الأموال ، وصيرهم إلى تهامة ، وجبس جماعة من أشرافهم منهم عبيد بن الأبرص الشاعر ، فقال شعراً يستعطفه فيه ، ومنه قوله :

أنت المليك عليهمُ وهم العبيد إلى القيامة

فرق لهم وعفا عنهم ، وردهم إلى بلادهم ، فلما صاروا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم وهو عوف بن ربيعة بن عامر الأسدي ، فقال لهم : يا عبادي ، قالوا : لبيك ربنا ، فقال : « من الملك الصلَّهَبُ^(٢) ، الغلابُ غير المغلَّب^(٣) ، في الإبل كأنها الرُّبْرُب^(٤) ، لا يُقْلِقُ رأسه الصَّخَبُ^(٥) ، هذا دمه ينشعب^(٦) ، وهو غداً أول من يُسْتَلَب^(٧) » قالوا : ومن هو ؟ ربنا . قال : « لولا تجيش^(٨) نفس جاشية ، لأخبرتكم أنه حُجْرٌ ضاحية^(٩) » .

فركبوا كل صعب وذلول ، حتى بلغوا عسكر حجر ، فهجموا عليه في قبته فقتلوه . (تاريخ الكامل لابن الأثير ١ : ١٨٣ ، والشمز والشمراء ص ٣١ ، والأغاني ٨ : ٦٣)

٣٢٦ - كاهن بني الحارث بن كعب يحذرهم غزو بني تميم

كَانَ بنو تميم قد أغاروا على لَطِيْمَةٍ^(١) لكسرى ، فيها مسك وغبر وجوهر كثير ، فأوقع كسرى بهم ، وقتل الْمُقَاتِلَةَ ، وبقيت أموالهم وذرائعهم في مساكنهم لا مانع لها ، وبلغ ذلك بني الحارث بن كعب من مذحج ، فحشى

[١] سروات جمع سراة بالفتح وهي اسم جمع سرنى كنى من سرو سروا وهو المروءة و شرف .

[٢] حجر صلَّهَب : شديد صلب ، والصلَّهَب أيضاً : الشديد من الإبل ، والرجل الطويل ، وفي الشمز والشمراء والأغاني « الأصهب » ومن معانيه الأسد . [٣] المغلَّب : المغلوب مراراً (وهو

أيضاً المحكوم له بالغبلة . ضد) . [٤] الربرب : القطيع من بقر الوحش . [٥] يتفجر .

[٦] جاشت النفس وتحيشت ارتفعت من حزن أو فزع . [٧] حلانية ، يقال فعله ضاحية : أى علانية .

[٨] اللطيمة : المير تحمل الطيب وبزّ التجار .

بعضهم إلى بعض ، وقالوا اغتسموا بنى تميم ، فاجتمعت بنو الحارث وأحلافها من
بند وحزم بن ريان في عسكر عظيم ، وساروا يريدون بنى تميم ، فحذرهم كاهن
كان مع بنى الحارث واسمه سلمة بن المغفل ، وقال :

« إنكم تسيرون أعقاباً ^(١) ، وتغزون أحباباً ^(٢) ، سعداً ورباباً ، وتردون
مياهاً جباباً ^(٣) ، فتلقون عليها ضرباً ، وتكون غنيمتكم تراباً ^(٤) ، فأطيعوا
أمرى ولا تغزوا تميماً » ولكنهم خالفوه وقاتلوا بنى تميم ، فهزموا هزيمة نكراء .
(تاريخ الكامل لابن الأثير ١ : ٢٢٧ ، والأغانى ١٥ : ٧٠)

٣٢٧ - أحد كهان اليمن يفصل في أمر هند بنت عتبة

كان الفاكه بن المغيرة المخزومي أحد فتيان قريش ، وكان قد تزوج هند
بنت عتبة ، وكان له بيت للضيافة يمشاه الناس فيه بلا إذن ، فقال ^(٥) يوماً في
ذلك البيت ، وهند معه ، ثم خرج عنها وتركها نائمة ، فجاء بعض من كان يغشى
البيت ، فلما وجد المرأة نائمة ولّى عنها ، فاستقبله الفاكه بن المغيرة ، فدخل على
هند وأنبهها ، وقال : من هذا الخارج من عندك ؟ قالت : والله ما انتهت حتى
أنبهتني ، وما رأيت أحداً قط ، قال : الحق بأبيك ، وخاض الناس في أمرهم ،
فقال لها أبوها : يا بنية العار ^(٦) وإن كان كذباً ، بثني شأنك ، فإن كان الرجل
صادقاً دسست عليه من يقتله ، فيقطع عنك العار ، وإن كان كاذباً حاكمته إلى

[١] أى يسير بعصم عتب بعض ، فريقاً في إثر فريق ، وقد ذكر ابن الأثير أنهم كانوا نحو ثمانية
آلاف ، ولا يعلم في الجاهلية جيش أكثر منه ومن جيش كسرى بذي قار ومن يوم جيلة ، وروى
أبو الفرج الإصبهاني أنه اجتمع من منجج ولها اثنا عشر ألفاً . [٢] هذه العاصلة والفاصلتان قبلها ،
وردت في الأصل بحرفه هكذا : « إنكم تسيرون أعياناً ، تغزون أحياناً ، سعداً ورياناً » .

[٣] الجباب والأجباب جمع جب ، وهو اللز الكثيرة الماء الجيدة القعر . [٤] أورد صاحب الأغاني
من هذه القعر الست ، الفقرة الأولى والرابعة والسادسة ، وعراها إلى المأمور الحارثي وهو كاهن أيضاً .
[٥] قال قتيلا وقيلولة ومقيل : نام في القائلة وهي نصف النهار . [٦] أى اتقى العار .

بعض كهان اليمين ، قالت : والله يا أبتِ إنه لكاذب ، فخرج عتبة فقال : إنك رميت ابنتي بشيء عظيم ، فإما أن تُتيّن ما قلت ، وإلا فاحكميني إلى بعض كهان اليمين ، قال : ذلك لك ، فخرج الفاكه في جماعة من رجال قريش ، ونسوة من بني مخزوم ، وخرج عتبة في رجال ونسوة من بني عبد مناف ، فلما شارفوا بلاد الكاهن تغيّر وجهه هند ، وكسّف بالها ، فقال لها أبوها : أى بنية ، ألا كان هذا قبل أن يشتهر في الناس خروجنا ؟ قالت : يا أبت والله ما ذلك لمكروه قبلى ، ولكنكم تأتون بشراً يخطئ ويصيب ، ولعله أن يسمنى بِسَمَةٍ تبقى على ألسنة العرب ، فقال لها أبوها : صدقت ، ولكنى سأخبرُهُ لك ، فصفر بفرسه ، فلما أدلى عمداً إلى حبة بُرٍّ ، فأدخلها في إحليله ، ثم أوكى ^(١) عليها وسار ، فلما نزلوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم ، فقال له عتبة : إنا أتيناك في أمر ، وقد خبأنا لك خبيثة ، فما هى ؟ قال : بُرّة ، فى كَمَرَةٍ ^(٢) ، قال : أريد أئين من هذا ، قال : « حَبَّةُ بُرٍّ » فى إحليل مُهرٍ ، قال : صدقت ، فانظر فى أمر هؤلاء النسوة ، فجعل يمسح رأس كل واحدة منهن ، ويقول : قومي لشأنك ، حتى إذا بلغ إلى هند مسح يده على رأسها ، وقال : « انهضى غير رقحاء ^(٣) ولا زانية ، وستلدين ملكاً يسمى معاوية » .

فلما خرجت أخذ الفاكه بيدها ، فنثرت يده من يدها ، وقالت : إليك عني ، والله لأحرصن أن يكون ذلك الولد من غيرك ، فتزوجها أبو سفيان ، فولدت له معاوية .

(المقدّميريد ٣ : ٢٢٤ ، وصحح الأعمش ١ : ٣٩٨ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : من ١١١)

[١] الوكاء ككتاب : حبل يشد به رأس القرية ، ووكاها وأوكاها وأوكى عليها شدتها بالوكاء .
[٢] الكمرة : رأس الذكر . [٣] الرقحاء : البنى التى تكتسب بالفجور ، من الرقاحة كفصاحة وهى الكسب والتجارة ، هذا ما ورد فى ابن أبي الحديد ، وفى غيره « رسحاء » والرسحاء : الفبيحة ، والرسحاء أيضاً : القليلة لحم العجز والمهذين والأول أنسب .

٣٢٨ - خمسة نفر من طيٍّ يمتحنون سواد بن قارب الدوسي

خرج خمسة نفرٍ من طيٍّ من ذوى الحِجَابِ والرأى ، منهم بُرْجُ بن مُسْنَرٍ ، وهو أحدُ الْمُعَمَّرِينَ ، وَأَنْيَفُ بن حارثة بن لَأْمٍ ، وعبد الله بن سعد بن الحَشْرَجِ أبو حاتم طيٍّ ، وعارف الشاعر ، ومُرَّة بن عَبْدِ رُضَى ، يريدون سَوَادَ بن قارب الدَّوسِي ، لِيَمْتَحِنُوا علمه ، فلما قَرُبُوا من السَّرَاةِ ، قالوا : اِيْخَبْنَا كُلُّ رَجُلٍ مَنَا خَبِيْثًا ، وَلَا يُخْبِرْ بِهِ صَاحِبَهُ ، لِيَسْأَلَهُ عَنْهُ ، فَإِنْ أَصَابَ عَرَفْنَا عِلْمَهُ ، وَإِنْ أَخْطَأَ ارْتَحَلْنَا عَنْهُ ، نَخْبَأُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ خَبِيْثًا ، ثُمَّ صَارُوا إِلَيْهِ ، فَأَهْدُوا لَهُ إِبِلًا وَطُرْفًا مِنْ طُرْفِ الْخَيْرَةِ ، فَضَرَبَ عَلَيْهِمْ قَبَةً ، وَنَحَرَ لَهُمْ ، فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثُ دَعَا بِهِمْ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ .

فتكلم بُرْجُ - وكان أَسَنُّهُمْ - فقال : « جَادَكَ السَّحَابُ ، وَأَمْرَعَكَ الْجَنَابُ ^(١) ، وَضَفَّتْ عَلَيْكَ النَّعَمُ الرَّغَابُ ^(٢) ، نَحْنُ أَوْلُو الْآ كَالٍ ^(٣) ، وَالْحَدَائِقُ وَالْأَغْيَالِ ^(٤) ، وَالنَّعَمُ الْجُفَالِ ^(٥) ، وَنَحْنُ أَصْهَارُ الْأَمْلاكِ ، وَفُرْسَانُ الْعِرَاكِ - يُورَى عَنْهُمْ أَنَّهُمْ مِنْ بَكْرٍ وَائِلٍ - » .

فقال سواد : « وَالسَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ، وَالْعَمَرُ وَالْبَرَضُ ^(٦) ، وَالْقَرَضُ

[١] أمرع : أخصب ، والجناب : ماحول الدار . [٢] الصاق : السابغ الكثير ، يقال : خبر فلان صاف على قومه : أى سابغ عليهم ، والرضايب : الواسعة الكثيرة جمع رغبة . [٣] الآ كال : جمع أكل (كقفل وعنق) الرزق والمط من الدنيا . [٤] الأغيال جمع غيل كشمس : وهو الماء الجارى على وجه الأرض . [٥] الجفال : الكثيرة . [٦] العمر : الماء الكثير ، ويقال : رجل غمر الحاق إذا كان واسع الحلق سخيا ، والبوض : الماء القليل ، ويقال : فلان يتبرض حقه : أى يأخذه قليلا قليلا .

والفَرَضِ^(١) ، إنكم لأهلُ الهَضَابِ الشَّمِ^(٢) ، والنخيلِ العُمِّ ، والنَّخُورِ الضَّمِّ^(٣) من أجأ العَيْطَاءِ ، وسَلَمِي ذاتِ الرُّقْبَةِ السَّطَمَاءِ^(٤)

قالوا : إنا كذلك ، وقد خَبَأَ لك كل رجل منا خبيئًا ، لتخبرنا باسمه وخبيئته ، فقال لبرج : « أقسم بالضياء والحَلَكِ^(٥) ، والنجوم والفَلَكِ ، والشروق والدَّالِكِ^(٦) ، لقد خَبَأَتْ بُرْثُنُ فَرْنِ^(٧) ، في إعْلِيْطِ مَرْنِ^(٨) ، تحت آسِرَةِ الشَّرْنِ^(٩) » قال : ما أخطأت شيئًا ، فمن أنا ؟ قال : أنت بُرْجُ بنِ مُسْهِرٍ ، عُصْرَةُ الْمُعْمَرِ^(١٠) ، وَثَمَالُ الْمُحَجَّرِ^(١١) .

ثم قام أنيف بن حارثة ، فقال : ما خبيئى وما اسمي ؟ فقال : « والسحاب والتراب ، والأَصْبَابُ والأَحْدَابُ^(١٢) والنَّعَمُ الكُثَابُ^(١٣) ، لقد خَبَأَتْ قُطَامَةُ فَسِيطِ^(١٤) ، وقُدَّةَ مَرِيطِ^(١٥) ، في مَدَرَةٍ من مَدِيٍّ مَطِيطِ^(١٦) » قال : ما أخطأت شيئًا ، فمن أنا ؟ قال : « أنت أنيف ، قَارِي الضَّيْفِ ، وَمُعْمَلُ السَّيْفِ ، وَخَالِطُ الشَّتَاءِ بالصَّيْفِ » .

[١] الفرس : ما تعطيه لتقضاء ، والفرس : ما فرضته على نفسك فوهبته أوجدت به لغير ثواب .
[٢] الشم : الطوال ، وكذا العم . [٣] أجأ وسلمي : حبلا طوي ، والعَيْطَاءُ : الطويلة ، وكذا السطماء . [٤] الحلك : شدة السواد . [٥] دلكت الشمس دلوكاً : غربت أو اصفرت ، والدلك : وقت الدلوك . [٦] البرثن : ظفر كل ما لا يصيد من السباع والطيور مثل الحمام والضب والفأرة فإذا كن مما يصيد ، قيل لظفره محلب . [٧] المرح : شجر تقود منه النار ، والإعْلِيْطُ : وعاء ثمر المرنج ، والعرب تشبه به آذان الحيل . [٨] الآسرة والإيسار : القدر الذي يشد به خشب الرجل ، وشرخا الرجل حاناه . [٩] المعمر : الذي ذهب مثله ، والعصرة : الملبأ والمجاة .
[١٠] الثمال : الفيات الذي يقوم بأمر قومه ، والمحجر : الملبأ (بصيغة اسم المفعول) المضيق عليه .
[١١] الأصباب : جمع صب كسبب : وهو ما انخفض من الأرض ، والأحْدَابُ جمع حدب كسبب أيضاً : وهو ماعلا . [١٢] الكثيرة . [١٣] القطامة : ما قطنته بفيك ، والقطم بأطراف الأسنان ، والفسيط : قلادة الظفر . [١٤] القدّة : الريشة ، والمريط من السهام : الذي قد تمطرط ريشه أى تنف [١٥] المدرة : قطعة طين يابسة ، والمدى : جدول صغير يسيل فيه ما هريق من ماء البئر ، والمطيط : الماء الحائر في أسفل الحوض .

ثم قام عبد الله بن سعد . فقال : ما خبيثي وما اسمي ؟ فقال سواد : « أقسم
للسَّوَامِ العازِب ^(١) ، والوقيرِ الكارب ^(٢) ، والمُجِدِّ الراكب ، والمُشِيحِ
الحارب ^(٣) ، لقد خَبَّأتُ نُفَاةً قَنَنَ ^(٤) ، في قَطِيعٍ قَدَمَرَن ^(٥) ، أو أديمٍ قد
جَرَنَ » . قال : ما أخطأت حرفاً ، فمن أنا ؟ قال : أنت ابن سعدِ النَّوَالِ ، عطاؤك
سِجَال ^(٦) ، وَشَرُّكَ عُضَال ، وَعَمَدُكَ طِوَال ، ويبتك لا يُنَال .

ثم قام عارف ، فقال : ما خبيثي وما اسمي ؟ فقال سواد : « أقسم بنَفَنَفِ
اللُّوحِ ^(٧) ، والماءِ المسفوح ^(٨) ، والفضاءِ المندُوح ^(٩) ، لقد خَبَّأتُ زَمْعَةً طَلًّا
أَعْقَرَ ^(١٠) ، في زَغْنَفَةٍ ^(١١) أديمٍ أحمر ، تحت حِلْسٍ نِضْوٍ أَدْبَرَ ^(١٢) » قال :
ما أخطأت شيئاً ، فمن أنا ؟ قال : « أنت عارف ذو اللسانِ العَضْبِ ، والقلبِ
النَّدْبِ ^(١٣) ، وَالْمَضَاءِ الغَرَبِ ^(١٤) ، مَنَاعِ السَّرْبِ ^(١٥) ، وَمُيَيْحِ النَّهْبِ » .

ثم قام مُرَّةُ بن عَبدِ رُضَى ، فقال : ما خبيثي وما اسمي ؟ فقال سواد :
« أقسم بالأرضِ والسماءِ ، والبروجِ وَالْأَنْوَالِ ^(١٦) ، والظلمةِ والضياءِ ، لقد خَبَّأتُ
دِمَّةً ^(١٧) ، في رِمَّةٍ ^(١٨) ، تحت مَشِيطِلَةٍ ^(١٩) » . قال : ما أخطأت شيئاً ، فمن أنا ؟

[١] السَّوَام : المال الراعى من الإبل ، والعازِب : البعيد . [٢] الوقير : القطيع من الغنم ،
والكارِب : القريب . [٣] المشيح : الجاد ، في لغة هذيل ، وفي غيرها الحاذِر ، والحارب : السَّالِبُ ،
حربه حرباً كطلبه طلباً : سلّه ماله . [٤] النفاة : ما تنفنه من فيك ، والفنن : واحد أمان
الأشجار وهي أغصانها . [٥] القطيع : ما يقطع من الشجر ، ومرن وحرن : لان .
[٦] أى يتداول بين الناس ، لكل فريق منه نصيب . [٧] النفنن واللوح واحد ، وهما الهواء
وإنما أضاف لما اختلف اللغزان ، فكأنه أضاف الشيء إلى غيره . [٨] المصبوب .
[٩] الواسع . [١٠] الطلا : ولد الظبي ساعة يولد ، والصغير من كل شيء ، والأدبر من الطاء :
ما يعلو بياضه حمرة ، والزمعة : الشعر المتدليات في رجل الأرنب . [١١] زطاف الأديم : أطرافه
مثل اليدين والرجلين ، ومالا خير فيه جمع زعنفة بتكر الزاي والنون ، ومنه قيل لردال الناس الرطاف .
[١٢] الحلس للبعير كالبرذعة للحافر ، والنضو : المهزول من الإبل وغيرها ، والأدبر : الذي أصابه
الدبر (بالتحريك) وهو قرحة الدابة . [١٣] الدكى : الحد . [١٤] السرب بالفتح :
الماشية كلها ، وبالسكسر القطيع من الطباء والنساء وغيرها . [١٥] الأنواء : جمع نوء (كسهم)
النجم : مال للغروب . [١٦] الدمة : القملة . [١٧] الرمة : العظام الدالية .
[١٨] اللمة : الشعر المجاوز لشحمة الأذن ، والمشيظ : المشوط .

قال : « أنت مُرَّة ، السريع الكُرَّة ، البَطِيء الفرَّة ، الشديد المِرَّة ^(١) » .
 قالوا : فأخبرنا بما رأينا في طريقنا إليك ، فقال : « والناظر من حيث
 لا يُرى ، والسامع قبل أن يُتأجى ، والعالم بما لا يُدرى ، لقد عنت لكم
 عُقابٌ عَجْزاء ^(٢) ، في شغائب ^(٣) دَوْحة جرءاء ، تحمل جدلاً ^(٤) ، قماريتم ^(٥)
 إمَّيْدًا وإمَّارِجلاً » فقالوا : كذلك ، ثم مه ؟ قال : « سَنَحَ لكم قبل طلوع الشَّرْق ^(٦) ،
 سَيْدٌ أَمَقٌ ^(٧) ، على ماء طَرَق ^(٨) » قالوا : ثم ماذا ؟ قال : « ثم تيس أفرق ^(٩) ،
 سَنَدٌ في أبرق ^(١٠) ، فرماه الغلام الأزرق . فأصاب بين الوايلة ^(١١) والمِرْفَق ^(١٢) » .
 قالوا : صدقت ، وأنت أعلم من تحمل الأرض ، ثم ارتحلوا عنه . (الأمل ٢ : ٢٩٢)

٣٢٩ — حديث مصاد بن مذعور القينى

كَانَ مَصَادُ بْنُ مَذْعُورٍ الْقَيْنِيَّ رَئِيسًا ، قَدْ أَخَذَ مِرْبَاعَ ^(١٣) قَوْمِهِ دَهْرًا ، وَكَانَ
 ذَا مَالٍ ، فَنَدَّ ذَوْدَهُ ^(١٤) مِنْ أَذْوَادِهِ ، فَخَرَجَ فِي بَغَائِهَا ^(١٥) ، قَالَ : فَإِنِ لَنِ
 طَلَبُهَا ، إِذْ هَبَطْتُ وَادِيًا شَجِيرًا ^(١٦) كَشِيفَ الظَّلَالِ ، وَقَدْ تَفَسَّخْتُ أَيْنًا ^(١٧) ،
 فَأَنْخَتُ رَاحَتِي فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ ، وَحَطَطْتُ رَحْلِي ، وَرَسَعْتُ ^(١٨) بَعِيرِي ، وَاضْطَجَعْتُ

[١] المرَّة : اقوة . [٢] المعراء : التى ابيض ذنبها ، (وى غير هذا الموضع : التى كبرت عجيزتها) .
 [٣] الشغازب جمع شغوب كمصفور وهو الغصن الناعم الرطب ، والدوحة : الشجرة العظيمة .
 [٤] الجدل : العصو وجمعه جدول . [٥] تبادلتم . [٦] الشرق : الشمس ، والرب تقول
 لا أفل ذلك ماطلع شرق ، وشرقت الشمس : طلعت ، وأشرقت : أضاءت . [٧] السيد : الذئب ،
 والأمق : الطويل . [٨] الطرق : الماء الذى بولت فيه الإبل ، يقال : ماء طرق ومطروق .
 [٩] الأمرق من الشاء : البعيد ما بين خصيه . [١٠] سند فى الجبل : صعد ، والأبرق والبرقاء
 والبرقة كفرصة : غلظ من الأرض فيه حجارة ودرل ، وجبل أبرق : إذا كان فيه لوانان .
 [١١] الوايلة : رأس العضد الذى إلى المنكب .

[١٢] المرباع : ربع العنينة ، وكان يختص به الرئيس فى الجاهلية [١٣] ندَّ : شرد ، والذود :
 ثلاثة أبهره إلى العشرة ، أو خمسة عشر ، أو عشرون ، أو ثلاثون [١٤] طلبها
 [١٥] كثير الشجر . [١٦] تمباً وكلالا . [١٧] شددت رسفه

في بُرْدِي ، فإذا أَرْبَعُ جَوَارٍ ، كأنهن اللآلى ، يَرْعَيْنَ بَهْمًا لَهْنًا ، فلما خالطت عيني السُّنَّةُ ، أقبلن حتى جلسن قريبًا مني ، وفي كف كل واحدة منهن حَصَيَاتٌ تَقْلِبُهُنَّ ، نَخَطَّتْ إحداهن ثم طَرَقَتْ ^(١) ، فقالت : « قلن يا بناتِ عَرَافٍ ، في صاحب الجمل النِّيَافِ ^(٢) ، والْبُرْدِ الْكَثَافِ ^(٣) ، والجِرْمِ ^(٤) لَخْفَافِ ^(٥) » ، ثم طَرَقَتْ الثانية ، فقالت : « مُضِلُّ أذْوَادٍ عَلَا كَيْدُ ^(٦) ، كُومِ صَلَاحِيهِ ^(٧) . منهن ثلاثٌ مَقَاحِدُ ^(٨) ، وأربعٌ جَدَائِدُ ^(٩) ، شُسُفٌ صَمَارِدُ ^(١٠) » ، ثم طرقت الثالثة فقالت : « رَعَيْنِ الْفَرْعِ ^(١١) ، ثم هَبَطْنَ الْكَرْعَ ^(١٢) ، بين الْعَقِدَاتِ وَالْجَرَعِ ^(١٣) » فقالت الرابعة : « لِيَهْبِطِ الْغَائِطُ الْأَفْيَحُ ^(١٤) ، ثم ليظهرَ فِي الْمَلَأِ الصَّخْصَحِ ^(١٥) ، بين سَدِيرٍ وَأَمْلَحِ ^(١٦) ، فهناك الذَّوْدُ رِتَاعٌ يَمُنْعَرَجُ الْأَجْرَعُ » قال : فقامت إلى جملي فشددت عليه رحله وركبت ، ووالله ما سألتهم مَنْ هُنَّ وَلَا يَمْنُنُ هُنَّ ؟ فلما أدبرت ، قالت إحداهن : « أَبْرَحُ ^(١٧) فَتَيَّ إِنْ جَدَّ فِي طَلَبٍ ، فإله غيرهن نَشَبَ ^(١٨) ، وسيثوبُ عَنْ كَثَبٍ ^(١٩) ،

[١] الطرق : ضرب الكاهن بالحصى . [٢] جل نياف ككتاب وشداد : طويل في ارتفاع .
[٣] الكثيف . [٤] الجسد . [٥] الخفيف . [٦] أضل دابته : قدماه ، والعلاكد :
الصلاب الشداد جمع علكد (بكسر وزبرج وقنند) . [٧] بغير أ كوم ، وناقه كوما : عطيفة السنام
والجمع كوم ، والصلاحد : العظام الشداد ، واحداها صلاحد بالضم . [٨] المقاحد جمع مقحاد ، وهي الفليضة
السنام (والفحدة كرقبة : السنام أو أصله) . [٩] الحدايد جمع جدود كصبور : وهي التي انقطع لبنها
[١٠] شسف جمع شاسف : وهو الياس صمرا وهزالا ، والسمارد جمع صمرد كزبرج : القليلة اللبن
[١١] الفرع جمع فرعة وهي أعلى الجبل . [١٢] الكرْع : ماء السماء ينزل فيستقع ، وسمى كرعا
لأن الماشية تكرع فيه . [١٣] العقيدات جمع عقدة : وهي مائة قدم من الرمل ، والجرع جمع جرعة
بالسكون وبحرك : المزملة لإمدادية التبت لاوعوثة فيها ، أو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل أو الدعس
لا يثبت ، أو الكتيب جانب منه رمل وحانب حجارة كالأجرع والجرباء . [١٤] الغائط : المطمئن
من الأرض ، والأفحج : الواسع . [١٥] الملا : الفضاء ، والصحصح والصحصاح ولصحصحان :
ما استوى من الأرض . [١٦] سدير وأملح : موضعان . [١٧] أبرح : أشد . [١٨] المال الأصيل من
الناطق والصامت . [١٩] يثوب : يرجع ، والكثب : القرب .

فَفَزَعَ قَلْبِي وَاللَّهِ قَوْلُهَا ، فَقُلْتُ : وَكَيْفَ هَذَا ، وَقَدْ خَلَّفْتُ بَوَادِيَّ عَرَجًا
عُكَامِسًا ^(١) ؟ فَكَرَبْتُ السَّمْتَ ^(٢) الَّذِي وَصَفَ لِي ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْمَوْضِعِ ،
فَإِذَا ذَوْدِي رَوَاتِعُ ، فَضَرَبْتُ أَعْجَازَهُنَّ ، حَتَّى أَشْرَفْتُ عَلَى الْوَادِي الَّذِي فِيهِ إِبِلِي ،
فَإِذَا الرِّعَاءُ تَدْعُو بِالْوَيْلِ ، فَقُلْتُ مَا شَأْنُكُمْ ؟ قَالُوا : أَغَارَتْ بَهْرَاءُ عَلَى إِبِلِكَ ،
فَأَسْحَقَتْهَا ^(٣) ، فَأَمْسَيْتُ وَاللَّهِ مَالِي مَالٌ غَيْرُ الذَّوْدِ ، فَرَمَى اللَّهُ فِي نَوَاصِيهِنَّ
بِالرُّغْسِ ^(٤) ، وَإِنِّي الْيَوْمَ لَأَكْثَرُ بَنِي الْقَيْنِ مَالًا . (الأملئ ١ : ١٤٣) .

٣٣٠ - حَدِيثُ خُنَافِرِ بْنِ التَّوَمِ الْحَمِيرِيِّ مَعَ رَأْيِهِ شِصَارَ

كَانَ خُنَافِرُ بْنُ التَّوَمِ الْحَمِيرِيُّ كَاهِنًا ، وَكَانَ قَدْ أُوتِيَ بِسَطْرَةٍ فِي الْجِسْمِ ،
وَسَعَةً فِي الْمَالِ ، وَكَانَ عَاتِيًا ، فَلَمَّا وَفَدَتْ وَفُودُ الْيَمَنِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَوُظِّعَ الْإِسْلَامُ ، أَغَارَ عَلَى إِبِلِ لِمُرَادٍ فَاسْتَحْصَاهَا ، وَخَرَجَ بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، وَلَحِقَ
بِالشَّخْرِ ، فَخَالَفَ جَوْدَانَ بْنَ يَحْيَى الْفِرْضَمِيَّ ، وَكَانَ سَيِّدًا مَنِيْعًا ، وَنَزَلَ بِوَادٍ مِنْ
أَوْدِيَةِ الشَّخْرِ ، مُخَصِّبًا كَثِيرَ الشَّجَرِ مِنَ الْأَيْكِ وَالْعَرِينِ ^(٥) ، قَالَ خُنَافِرُ : وَكَانَ
رَأْيِي ^(٦) فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَكَادُ يَتَغَيَّبُ غَنًى ، فَلَمَّا شَاعَ الْإِسْلَامُ فَقَدَتْهُ مَدَّةٌ طَوِيلَةٌ ،
وَسَاءَ نِي ذَلِكْ ، فَبَيْنَا أَنَا لَيْلَةً بِذَلِكَ الْوَدَايِ نَائِمًا ، إِذْ هَوَى هُوِيَّ الْعُقَابِ ، فَقَالَ :
خُنَافِرُ ؟ فَقُلْتُ : شِصَارُ ؟ فَقَالَ : اسْمَعْ أَقْلُ ، قُلْتُ : قُلْ أَسْمَعْ ، فَقَالَ : «عِهْ تَغْنَمُ ،
لِكُلِّ مَدَّةٍ نِهَآيَةٌ ، وَكُلُّ ذِي أَمَدٍ إِلَى غَايَةٍ ، قُلْتُ : أَجَلُ ، فَقَالَ : كُلُّ دَوْلَةٍ إِلَى

[١] العرج : نحو حسنة من الإبل ، والعكاس : الكثير . [٢] الطريق .

[٣] استأصلها . [٤] الرغس : البركة والنعاء .

[٥] الأيك : الشجر الملتف الكثير ، والغيضة تنبت السدر والأراك ، أو الجماعة من كل الشجر ،
والعرين : جماعة الشجر . [٦] الرأي : ما يترأى للإنسان من الجن فيجب .

أجل ، ثم يُتَّاح لها جَوْلٌ^(١) ، أُنْتُسِخَتْ النُّحْلُ ، وَرَجَعَتْ إِلَى حَقَائِقِهَا الْمِلَلُ ،
إِنَّكَ سَجِيرٌ^(٢) مَوْصُولٌ ، والنُّصْحُ لَكَ مَبْدُولٌ ، وَإِنِّي آنَسْتُ^(٣) بِأَرْضِ الشَّامِ
نَفْرًا مِنْ آلِ الْعُدَامِ^(٤) ، حُكَّامًا عَلَى الْحُكَّامِ ، يَذْبُرُونَ^(٥) ذَارِؤَتِي مِنَ الْكَلَامِ ،
لَيْسَ بِالشَّعْرِ الْمُؤَلَّفُ ، وَلَا السَّجْعِ الْمُتَكَلَّفُ ، فَأَصْغَيْتُ فَرْجِي رَتُّ ، فَعَاوَدْتُ
فُظِّلِفْتُ^(٦) ، فَقُلْتُ : بِمِ تَهَيَّنِمُونَ^(٧) ، وَإِلَّامَ تَعْتَرُونَ^(٨) ؟ قَالُوا : « خِطَابُ
كُبَّارِهِ^(٩) ، جَاءَ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ ، فَاسْمَعِ يَا شِصَارُ ، عَنْ أَصْدَقِ الْأَخْبَارِ ،
وَاسْمُكَ أَوْضَحُ الْآثَارِ ، تَنْجُ مِنْ أَوَارِ^(١٠) النَّارِ » ، فَقُلْتُ : وَمَا هَذَا الْكَلَامُ ، فَقَالُوا :
« فُرْقَانٌ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ ، رَسُولٌ مِنْ مُضَرَ ، مِنْ أَهْلِ الْمَدَرِ ، ابْتُعِثَ فَظْهَرِ ،
لِجَاءِ بِقَوْلٍ قَدْ بَهَرَ ، وَأَوْضَحَ نَهْجًا قَدْ دَثَرَ ، فِيهِ مَوَاعِظٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ ، وَمَعَاذٌ لِمَنْ
ازْدَجَرَ ، أُلْفَ بِالْأَيِّ الْكُبَرِ » قُلْتُ : وَمَنْ هَذَا الْمُبْعُوثُ مِنْ مُضَرَ ؟ قَالَ :
« أَحْمَدُ خَيْرِ الْبَشَرِ ، فَإِنْ آمَنْتَ أُعْطِيتَ الشَّيْرَ^(١١) ، وَإِنْ خَالَفتَ أُصْلِيَتْ سَقَرًا ،
فَآمَنْتَ يَا خَنَافِرَ ، وَأَقْبَلْتَ إِلَيْكَ أَبَادِرَ ، لِحَاوِسِ كُلِّ كَافِرٍ ، وَشَايِعِ كُلِّ مُؤْمِنٍ
طَاهِرٍ ، وَإِلَّا فَهُوَ الْفِرَاقُ ، لَا عَنْ تَلَاقٍ » ، قُلْتُ : مَنْ أَيْنَ أَبْغَى هَذَا الدِّينَ ؟ قَالَ :
مِنْ ذَاتِ الْإِحْرَيْنِ^(١٢) وَالنَّفَرِ الْيَمَانِيِّ ، أَهْلُ الْمَاءِ وَالطِّينِ » قُلْتُ : أَوْضِخْ ،
قَالَ : « الْحَقُّ يَمُتُّ بِذَاتِ النَّحْلِ ، وَالْحَرَّةُ ذَاتِ النَّعْلِ^(١٣) ، فَهَنَّاكَ أَهْلُ الطَّوْلِ

[١] الجول : الدَّحُول . [٢] السَّجِيرُ : الصَّدِيقُ ، وَالشَّجِيرُ : الْغَرِيبُ ، وَقِيلَ يَقَالُ السَّجِيرُ
وَالشَّجِيرُ لِلصَّدِيقِ . [٣] أَبْصُرْتُ . [٤] الْعُدَامُ : قَبِيلَةٌ مِنَ الْجُنِّ ، كَذَا قِيلَ .
[٥] ذَبَرْتُ الْكِتَابَ ؟ قَرَأْتَهُ (وَذَبَرْتُهُ أَيْضًا : كَتَبْتَهُ كَرَبْرَتُهُ) . [٦] مَنَعْتُ .
[٧] الْهَيْئَةُ : الصَّوْتُ الْحَيُّ . [٨] تَنْتَبِهُونَ . [٩] كَبِيرٌ . [١٠] الْأَوَارُ : حَرَّ النَّارِ .
[١١] مَا يَنْبَغِي بِالسَّكُونِ : الْخَيْرُ وَحَرَكُ السَّجْعِ . [١٢] الْحَرَّةُ (بِالْفَتْحِ) أَرْضُ ذَاتِ حَبَابَةِ نَخْرَةٍ سَوْدٍ
وَتَجْمَعُ عَلَى حَرَاتٍ وَحَرَارٍ وَحَرَيْنِ وَأَحْرَيْنِ . [١٣] النَّعْلُ : الْمَكَانُ الْعَلِيظُ مِنَ الْحَرَّةِ .

والفضل ، والمواساة والبذل ، ثم املتس^(١) عني ، فبت مذعوراً أراعي الصباح ،
فلما برق لي النور ، امتطيت راحتي ، وآذنت^(٢) أغبدي ، واحتملت بأهلي ،
حتى ورذت الجوف ، فرددت الإبل على أربابها ، بحولها وسقاً بها^(٣) ، وأقبلت
أريد صنعاء ، فأصبت بها معاذ بن جبل أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فبايعته على الإسلام ، وعلمني سوراً من القرآن ، فمن الله على بالهدى بعد الضلالة ،
والعلم بعد الجهالة . (الأمل ١ : ١٣٣)

٢٢١ — شافع بن كليب الصدفي يتكهن بظهور النبي صلى الله عليه وسلم
قديم على تبّع الآخر ملك اليمن ، قبل خروجه لقتال المدينة^(٤) ، شافع بن
كليب الصدفي^(٥) ، وكان كاهناً ، فقال له تبّع : هل تجد لقوم ملكا يوازي
ملكي ؟ قال : لا ، إلا مُلْكَ غَسَّان ، قال : فهل تجد ملكاً يريد عليه ؟ قال :
« أجده لبار مبرور ، ورائد^(٦) بالقهور^(٧) ، ووصف في الزبور ، فضلت

[١] أفك . [٢] أعلت . [٣] الحول جمع حائل وهي الأنثى من أولاد الإبل ، والسقاب جمع
سقب كشمس وهو الذكر .

[٤] قال ابن إسحق : « كان تبّع الآخر حين أقبل من المشرق بعد أن ملك البلاد جعل طريقه على
على المدينة ، وكان حين مر بها في بدايته لم يهجم أهلها ، وخلف بين أظهرهم ابناً له ، فقتل غيلة ، فقدمها
وهو يجمع على تخريبها واستئصال أهلها ، فجمع له الأنصار حين سمعوا ذلك وخرجوا لقتاله ، فترجم الأنصار
أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار وبقرونه بالليل ، فيعجه ذلك منهم ، ويقول : والله إن قومنا لكرام ، فبينما هو
على ذلك إذ جاءه حبران من أحبار اليهود من بني قريظة عالمان راسخان في العلم ، فقالا له : قد سمعنا
ما تريد أن تفعل ، وإليك إن أبيت إلا ذلك ، حيل بينك وبينه ، ولم نأمن عليك حاجل العقوبة ، فقال :
ولم ذلك ؟ قال : إنها مهاجر (بفتح الجيم) نبي يخرج من هذا الحرم من قريش تكون داره وقراره ،
فانهى عما كان يريد ، وأعجبه ما سمع منهما ، واتبعهما على دينهما ، وكان هو وقومه أصحاب أوثان ، وخرج
متوجهاً إلى اليمن ، فدعا قومه إلى اليهودية فأبوا عليه ، ثم أطبقوا على دينه ، فمن هنالك وعن ذلك كان
أصل اليهودية باليمن (سيرة ابن هشام ١ : ١١ ، والكامل لابن الأثير ١ : ١٤٦) .

[٥] الصدفي نسبة إلى صدف كسكتف : بطن من كندة . [٦] الرائد في الأصل : المرسل في طلب
الكلأ من الرود وهو الطلب ، يعني به نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ، فقد كان رائداً لأمته يرتاد لها الخير
قال عليه الصلاة والسلام في أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه : « إن الرائد لا يكذب أهله » .

[٧] جاء في معجم البلدان : « القهر (كشمس) أسافل الحجاز مما يلي نجد من قبل الطائف ،

أُثْمَتُهُ فِي الشُّفُورِ^(١) ، يَفْرِجُ الظُّلْمَ بِالنُّورِ ، أَحْمَدُ النَّبِيِّ ، طَوَّبَ لَأُثْمَتِهِ حِينَ يَجِي ،
أَجْدُ بَنِي لُؤَيٍّ ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي قُصَيٍّ .

فَنَظَرَ تَبَعَ فِي الزُّبُورِ ، فَإِذَا هُوَ يَجِدُ صِفَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
(تاريخ الكامل لابن الأثير ١ : ١٤٦)

٣٣٢ — سَطِيحُ الذَّنْبِيِّ^(٢) يَعْبُرُ رُؤْيَا رَبِيعَةَ بْنِ نَصْرِ اللَّخْمِيِّ

وَرَأَى رَبِيعَةُ بْنُ نَصْرِ اللَّخْمِيِّ مَلَكَ الْيَمِينِ - وَقَدْ مَلَكَ بَعْدَ تَبْعِ الْآخِرِ - رُؤْيَا
هَالَتْهُ ، فَلَمْ يَدْعُ كَاهِنًا ، وَلَا سَاحِرًا ، وَلَا عَاطِفًا ، وَلَا مَنْجِمًا مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ إِلَّا
جَمَعَهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رُؤْيَا هَالَتْنِي وَقَطَعْتُ^(٣) بِهَا ، فَأَخْبِرُونِي
بِهَا وَتَأْوِيلَهَا ، قَالُوا لَهُ : اقْضُصْهَا عَلَيْنَا نَخْبِرُكَ بِتَأْوِيلِهَا ، قَالَ : إِنِّي إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ
بِهَا لَمْ أَطْمَئِنَّ إِلَى خَبَرِكُمْ عَنْ تَأْوِيلِهَا ، فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ تَأْوِيلَهَا إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا قَبْلَ أَنْ

وَأَنشَدَ لِحَدَاشِ بْنِ زَهْرٍ :

دَعَاوَا جَانِبِي ، إِنِّي سَأُنْزِلُ جَانِبًا لَكُمْ وَاسْمًا بَيْنَ الْيَمَامَةِ وَالْقَهْرِ
وَأَقُولُ : هَذَا الْوَصْفُ يَنْطَبِقُ عَلَى مَكَّةَ فَهِيَ رَاقِعَةٌ جَنُوبِي الْحِجَازِ . . . الخ فاللعى : « أجد ملكاً يزيد على
ملكك لراند يظهر بتلك القاع » أما كلمة القهور فلم أجدها في معجم ، ولعل الكاهن جمع « القهر »
على قهور ، لإقامة الفاصلة ، أو هو على حد قول امرئ القيس :

يَزِلُ الْغَلَامُ الْحَفَّ عَنْ صَهْوَاتِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفَوَاءُ بِالْمَنْزِلِ

[١] السفر (كحل) الكتاب الكبير ، أو جزء من أجزاء التوراة ، وفي كتب اللغة أنها تجمع على
أسفار ، ولعله جمعها على سفور للمحافظة على السجع أيضاً .

[٢] اسمه ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدى بن مازن غسان ، وكان يقال له الذئبي
نسبة إلى ذئب بن عدى ، وكان من العمريين قيل طاش ثلثمائة سنة وقيل سبعمائة ، وزعموا أنه لم يكن له
رأس ولا عنق ، وأن وجهه كان في صدره ، وأنه كان جسداً ملقى لا جوارح له ، وكان لا يقدر على
الجلوس إلا إذا غضب ، فإنه ينتفخ فيجلس ، وكان له سرير من الجريد والخوص ، إذا أريد نقله إلى مكان
يطوى من رجليه إلى جيجيته كما يطوى الثوب فيوضع على ذلك السرير ، وإذا أريد استخباره ليخبر عن
الغيبات يحرك كما يحرك سقاء اللبن فينتفخ ويمتلئ ويعلموه النفس فيسأل فيجبر عما يسأل عنه ، (كذا)
وأن كاهنة بني سعد بن هذيم وكانت بأطال الشام لما حضرته الوفاة طلبت سطيحاً وشقاً (وسياق ذكره)
وتفقت في فهمها ، وذكرت أن سطيحاً يخلفها في كهانتها ، ثم ماتت في يومها ذلك .

[٣] فطع بالأمر كمرح فطاعة : إذا هاله وغلبه .

أخبره بها ، فقال له رجل منهم : فإن كان الملك يريد هذا ، فليبعث إلى سَطِيحٍ وشَقٍّ ، فإنه ليس أحد أعلم منهما فيها ، يُخبرانه بما سأل عنه ، فبعث إليهما ، فقدم عليه سَطِيح قبل شَقٍّ ، فقال له : إني قد رأيت رؤيا هالتي وقَطَعْتُ بها ، فأخبرني بها ، فإنك إن أَصَبْتَهَا أَصَبْتَ تَأْوِيلَهَا . قال : أَفَعَلَ « رَأَيْتَ مُحَمَّةً ^(١) ، خرجت من ظُأْمَةٍ ^(٢) ، فوقعت بأَرْضٍ تَهْمَةٌ ^(٣) ، فَأَكَلَتْ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ جُجْمَةٍ ^(٤) » ، فقال له الْمَلِكُ : ما أَخْطَأْتَ مِنْهَا شَيْئاً يا سَطِيح ، فما عندك في تَأْوِيلِهَا ؟ فقال : « أَحْلِفْ بِي بين الْحَرَّتَيْنِ ^(٥) من حَفَشٍ ، لِيَهْبِطَنَّ أَرْضَكُمْ الْحَبَشُ ، فَلْيَمْلِكَنَّ مَا بَيْنَ أُبَيْنَ ^(٦) إِلَى جُرَشٍ ^(٧) » فقال له الملك : وأيّك يا سَطِيح . إن هذا لنا لغائظٌ مُوجِعٌ ، فتى هو كَأَنَّ ، أفي زَمَانِي هذا أم بعده ؟ قال : « لا ، بل بعده بَحِينٌ ، أَكْثَرُ مِنْ سَتِينَ أَوْ سَبْعِينَ ، يَمْضِينَ مِنَ السَّنِينَ » قال : أفيدوم ذلك من مَلِكِهِمْ أم يَنْقُطِعُ ؟ قال : « لا ، بل يَنْقُطِعُ لِيَضْعُ وسبعين من السنين ، ثُمَّ يُقَتِّلُونَ بها أَجْمَعِينَ ، ويخرجون منها هَارِينَ » قال : ومن يَلِي ذلك مِنْ قَتْلِهِمْ وإِخْرَاجِهِمْ ؟ قال : « يَلِيهِ إِرَمٌ ^(٨) ذِي يَزَنَ ، يخرج عليهم من عَدَنَ ، فلا يترك أحداً منهم باليمن » قال : أفيدوم ذلك من سُلْطَانِهِ أم يَنْقُطِعُ ؟ قال : بل يَنْقُطِعُ ، قال : ومن يَقْطَعُهُ ؟ قال نَبِي زَكَّى ، يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنْ قِبَلِ الْعَلِيِّ

[١] الحمة وتجمع على حم : الفحمة والرماد وكل ما احترق من النار ، وتطلق الحمة على الجمر مجازاً باعتبار ما يشبه إليه وهو المراد هنا . [٢] الظلمة : الظلام ، وسترى في تعبير الرؤيا أنها إشارة إلى الأحباش السود . [٣] التهمة بالتحريك : الأرض المنصوبة إلى البحر ، كالتهم بحركة أيضاً كأنهما مصدران من تهامة ، لأن التهام منصوبة إلى البحر (ويقال أيضاً : أرض تهمة كفرجة أى شديدة الحر ، من التهم بالتحريك وهو شدة الحر) و ابن الأثير « بهمة » بالباء يقال : أرض بهمة كفرجة أى بكثيرة البهيمى ، والبهيمى بالضم اسم نبت ، والضبط الأول عندى أرجح . [٤] أى كل نفس . [٥] الحرمة : أرض ذات حجارة سود نخرة ، [٦] مخلاف باليمن منه مدينة عدن . [٧] مخلاف باليمن من جهة مكة . [٨] الإرم كعنب وكتف : العلم (بالتحريك) أو خاص بعاد ، والعلم سيد القوم ، أى يتولاه سيد بنى ذى يزن ، وهو سيف بن ذى يزن .

قال : وممن هذا النبي ؟ قال : « رجل من ولد غالب بن فهر ، بن مالك بن النضر ، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر » قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال : « نعم ، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون ، يستعد فيه المحسنون ، ويشقى فيه المسيئون » .
قال : أحق ما تُخبرنا يا سطيح ؟ قال : « نعم ، والشفق ، والغسق ^(١) ،
والفلق ^(٢) إذا انشق ، إن ما أنباتك به لحق » .

٣٣٣٠ — شق أنمار ^(٣) يعبر رؤيا ربيعة بن نصر أيضاً

ثم قدم عليه شق ، فقال له كقوله لسطيح ، وكتمه ما قال سطيح ، لينظر أيتفقان أم يختلفان ، قال : « نعم ، رأيت حُمّة ، خرجت من ظلمة ، فوقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كل ذات نسمة » . فلما سمع الملك ذلك قال : ما أخطأت يا شق منها شيئاً ، فما عندك في تأويلها ؟ قال : « أحلف بما بين الحرّتين من إنسان ، لينزلن أرضكم السودان ، فليغلبن على كل طفلة ^(٤) البنان ، وليملكن ما بين أبين إلى نجران ^(٥) » فقال له الملك : وأبيك يا شق ، إن هذا لنا لغائظ موجه ، فتى هو كائن : أفى زمانى أم بعده ؟ قال : « لا ، بعده بزمان ، ثم يستنقذك منهم عظيم ذو شان ، ويذيقهم أشدّ الهوان » قال : ومن هذا العظيم الشأن ؟ قال : « غلام ليس بدني ولا مدّن ^(٦) ، يخرج عليهم من

[١] الشفق : الحمرة في الأفق من الغروب إلى قريب العتمة ، والغسق : ظلمة أول الليل .

[٢] الفلق : الصبح أو ما انفاق من عموده . [٣] هو شق بن مصعب بن يشكر بن رهم بن أقر

ابن قيس بن عجر بن أنمار بن نزار ، وزعموا أنه كان شق إنسان (أى نصفه) له يد واحدة ورجل

واحدة وعين واحدة . [٤] . مؤنث طفل : وهو الرخصى الناعم من شيء . [٥] مخلاف شمالي اليمن .

[٦] اللقي : مسهل عن دنى ، والدنى : القصر عما ينبغي له أن يفعله ، وفي ابن الأثير « مزن »

بالزاي والزن : المنهم ، من أزننته بكدا أى اتهمته به .

يبت ذى يَرَن (١) « قال أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول مُرْسَل ، يأتى بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك فى قومه إلى يوم الفصل . قال : وما يوم الفصل ؟ قال : « يوم تُجْزَى فيه الولاية ، يدعى فيه من السماء بِدَعَوَات ، يسمع منها الأحياء والأموات ، وَيُجْمَع فيه بين الناس للميقات ، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات » قال : أحق ما تقول ؟ قال : « إى ورب السماء والأرض ، وما بينهما من رَفَع وَخَفَضَ ، إن ما أنبأتك به لحق ما فيه أمض (٢) »

فوقع فى نفس ربيعة بن نصر ما قالوا ، فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس ، يقال له سابور فأسكنهم الحيرة ، فمن بقية ولده النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وهو النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر .
(سيرة ابن هشام ١ : ٨ ، والكامل لابن الأثير ١ : ١٤٦)

٣٣٤ — وفود عبد المسيح بن ببيعة على سطيح

عن ابن عباس رضى الله عنه قال :

« لما كان ليلة ولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ارتجح إيوان كسرى ، فسقطت

[١] وخبر ذلك أن زرعة بن كعب الملقب بذي نواس أحد ملوك التبايسة باليمن (وكان قد تهود وتمصب لليهودية وحل عليها قبائل اليمن) اصطهد نصارى نجران لأن يهوديا بنجران عدا أهلها على ابنين له فقتلوهما ظلماً ، فتوسل إلى ذى نواس باليهودية ، واستنصره عليهم ، فحصى له ولدينه وغزاهم ، ويقال إن رجلاً من أهل نجران أهلك من القتل ، وسار إلى قيصر الروم يستنجد به على ذى نواس ، فبعث قيصر إلى نجاشي الحبشة يأمره بنصرة النصارى ، فجهز نجاشياً إلى اليمن ، فركبوا البحر إليها ، ولقيهم ذو نواس فيمن معه فدارت الدائرة عليه ، وملك الحبشة اليمن ، ولما طال البلاء من الحبشة على أهلها خرج سيف بن ذى يزن الحميرى وقدم على قيصر يوستنثيان يستنجد به على الحبشة وأبى ، وقال : الحبشة على دين النصارى ، فرجع إلى كسرى أوشروان واستعان به ، فأمدّه بجيش ممن كانوا فى سجنونه ، فقاتلوا الأحباش وهزمهم ، واسترد سيف عرش آبائه على فريضة يؤديها كل عام للعرس حتى قتل ، فأرسل كسرى عاملاً على اليمن واستمرت حملاته إلى أن كان آخرهم باذان فأسلم ، وصارت اليمن إلى الإسلام فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . [٢] أى شك أو باطل .

منه أربع عشرة شُرْفَة ، فعظم ذلك على أهل مملكته ، فما كَانَ أَوْشَكَ أَنْ كُتِبَ
إِلَيْهِ صَاحِبُ الْيَمَنِ يُخْبِرُهُ أَنْ بِحِيرَةِ سَاوَةِ ^(١) غَاضَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ
صَاحِبُ السَّمَاءِ يُخْبِرُهُ أَنْ وَادِى السَّمَاءِ ^(٢) انْقَطَعَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ
صَاحِبُ طَبَرِيَّةٍ أَنْ الْمَاءَ لَمْ يَجْرِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي بَحِيرَةِ طَبَرِيَّةٍ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ صَاحِبُ
فَارِسٍ يُخْبِرُهُ أَنْ بِيُوتِ النَّيْرَانِ تَحَدَّتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَلَمْ تَخْمُدْ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَلْفِ سَنَةٍ ،
فَلَمَّا تَوَاتَرَتْ الْكُتُبُ أُبْرَزَ سَرِيرُهُ وَظَهَرَ لِأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ ، فَقَالَ
الْمُؤَبَّدَانِ ^(٣) : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنِّي رَأَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا هَالَتْنِي ، قَالَ لَهُ : وَمَا رَأَيْتُ ؟ قَالَ :
رَأَيْتُ إِبِلًا صَعَابًا ، تَقُودُ خَيْلًا عِرَابًا ، قَدْ اقْتَحَمَتْ دَرَجَةً وَانْتَشَرَتْ فِي بِلَادِنَا ،
قَالَ : رَأَيْتُ عَظِيمًا ، فَمَا عِنْدَكَ فِي تَأْوِيلِهَا ؟ قَالَ : مَا عِنْدِي فِيهَا وَلَا فِي تَأْوِيلِهَا
شَيْءٌ ، وَلَكِنْ أُرْسِلُ إِلَى عَامِلِكَ بِالْحِيرَةِ يُوجِّهُ إِلَيْكَ رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ
أَصْحَابُ عِلْمٍ بِالْحَدِثَانِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَبْدَ الْمَسِيحِ بْنِ مُبَقِيلَةَ الْغَسَّانِي ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ أَخْبَرَهُ
كَسْرَى الْخَبَرَ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، وَاللَّهِ مَا عِنْدِي فِيهَا وَلَا فِي تَأْوِيلِهَا شَيْءٌ ،
وَلَكِنْ جَهَّزْنِي إِلَى خَالِ لِي بِالشَّامِ يُقَالُ لَهُ سَطِيطِيجُ قَالَ : جَهِّزْهُ ، فَلَمَّا قَدِمَ إِلَى
سَطِيطِيجَ وَجَدَهُ قَدْ اخْتَضَرَ ، فَنَادَاهُ فَلَمْ يَجِبْهُ ، وَكَلِمَةً فَلَمْ يَرِدْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَسِيحِ :
أَصَمُّ أَمْ يَسْمَعُ غِطْرِيْفُ الْيَمَنِ يَا فَاصِلَ الْخُطَّةِ أَعْيَتْ مَنْ وَمَنْ ^(٤)
أَتَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنْ أَيْضَ فَضْفَاضَ الرَّدَاءِ وَالْبَدَنُ ^(٥)

[١] هكذا في العقد الفريد ، وفي السيرة الحلبية . « وورد عليه كتاب من صاحب إيليا (بالتمام) يخبره
أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة » وفي معجم البلدان : « ساوة مدينة حسنة بين الرى وهمدان في
وسط ، بينها وبين كل واحد من همدان والرى ثلاثون فرسجاً ، وفي حديث سطيج في أعلام النبوة :
« وجدت نار فارس ، وطارت بحيرة ساوة . . . الخ » ومنه يستفاد أنها في فارس .

[٢] موضع بين الكوفة والشَّام . [٣] الموبدان والموبد : فقيه الفرس وحاكم الخوس .

[٤] الغطريف : السيد الشريف . [٥] الفضفاض : الواسع .

رسول قيل العُجْم يَهْوِي لِلْوَتْنِ لَا يَرْهَبُ الرَّعْدَ وَلَا رَبِّبَ الزَّمَنِ ^(١)
 فرفع إليه رأسه وقال : « عبد المسيح ، على جمل مُشِيح ^(٢) ، إلى سَطِيح ، وقد
 أوفى على الضَّرِيح ^(٣) ، بعثك ملك بني ساسان ، لارتجاج الإيوان ، وخمود
 النيران ، ورؤيا الموبذآن ، رأى إبلا صعباً ، تقود خَيْلاً عِراباً ، قد اقتحمت في
 الواد ، وانتشرت في البلاد . يا عبد المسيح : إذا كثرت التلاوة ^(٤) ، وظهر
 صاحب الهراوة ^(٥) ، وفاض وادى السماوة ، وَغَاضَتْ بِحِيرَة سَاوَة ، وخمدت
 نار فارس ، فليست بابل للفرس مُقَاماً ، ولا الشام لسطيح شاماً ، يملك منهم
 ملوك وَمَلِكَات ^(٦) ، عدد سقوط الشُرُفَات ، وكل ما هو آتٍ آتٍ » ثم قال :
 إِنْ كَانَ مُلْكُ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَطَهُمْ فَإِنْ ذَا الدَّهْرِ أَطْوَاراً دَهَارِيرُ ^(٧)
 مِنْهُمْ بَنُو الصَّرْحِ بِهَرَامٍ وَإِخْوَتُهُ وَالْهَرُزَانُ وَسَابُورُ وَسَابُورُ
 فَرَبْعَا أَصْبَحُوا يَوْمًا بِمَنْزِلَةٍ تَهَابُ صَوْنَهُمُ الْأَسَدُ الْمَهَاصِيرُ ^(٨)
 حَثُّوا الْمَطْيَى وَجَدُّوا فِي رِحَالِهِمْ فَمَا يَقُومُ لَهُمْ سَرْجٌ وَلَا كُورُ ^(٩)
 وَالنَّاسُ أَوْلَادُ عَلَاتٍ فَنَ عَلَمُوا أَنْ قَدْ أَقَلَّ فَمَحْتُورٌ وَمَهْجُورُ ^(١٠)
 وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ فَالْخَيْرُ مُتَّبِعُ وَالشَّرُّ مَحْذُورُ

[١] القيل : الملك ، أو هو دون الملك الأعلى . [٢] حادّ سريع . [٣] أى القبر ، والمراد الموت . [٤] أى تلاوة القرآن . [٥] الهراوة : العصا الضخمة ، وصاحبها هو النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان يمسك العصا كثيراً عند مشيه . [٦] قال صاحب الميزة الحلبية : « لم أفهم على أنه ملك منهم من النساء إلا واحدة وهى بوران ، ملكت سنة ثم هلكت » .
 [٧] أفرطهم : تركهم وزال عنهم ، قال تعالى : « لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ، وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ » أى متروكون فيها ، ودهر دهارير : أى شديد (كليلة ليلاء ويوم أيوم . [٨] المهاصيل جمع مهيصر أو مهيصر وهو الأسد من الهصر وهو الكسر والجذب والإمالة . [٩] الكور : الرجل بأداته .
 [١٠] أولاد العلات : أولاد أمهات شتى من رجل واحد .

ثم أتى كسرى فأخبره بما قاله سطيح فغمة ذلك ، ثم تعزى ، فقال : إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً يدور الزمان ، فهلكوا كلهم في أربعين سنة ، وكان آخر من هلك منهم في أول خلافة عثمان رضى الله عنه .

(المقد الفريد ١ : ١٠٨ ، والسيرة الحلبية ١ : ٧٠ ، والمختصر في أخبار البشر لأبي المداء ١ : ١١٠)

٣٣٥ — شق وسطيح ينبئان بأصل ثقيف

عن ابن الكلبي قال : « كَانَ قَسِيٌّ - وهو ثَقِيفٌ ^(١) - مقيمًا باليمن ، فضاقت عليه موضعه وَنَبَأَ ^(٢) به ، فَأَتَى الطَّائِفَ ، وهو يومئذ منازل فَهَمَّ وَعَدَّوَانَ بنى عمرو بن قيس بن عِيلَانَ ، فانتهى إلى الظَّرْبِ الْعَدَّوَانِي ، فوجده نائمًا تحت شجرة فأيقظه ، وقال : من أنت ؟ قال : أَنَا الظَّرْبُ ، قال : عَلَى أَلِيَّةٍ ^(٣) ، إن لم أقتلك ، أو تحلف لى لَتَزَوِّجَنِي ابنتك ، ففعل ، وانصرف الظرب وَقَسِيٌّ معه ، فلقيه ابنه عامر بن الظرب ، فقال : من هذا معك يا أَبَتِ ؟ فقصَّ قصته ، قال عامر : لله أبوه ! لقد ثَقِفَ ^(٤) أمره ، فسمى يومئذ ثقيفًا ، وَغَيَّرَ الظرب بتزويجه قَسِيًّا ، وقيل زوجت عبدًا ، فسار إلى الكهان يسألهم ، فانتهى إلى شِقِّ بن مُضْعَبِ الْبَجَلِيِّ ، وَكَانَ أَقْرَبَهُمْ منه ، فلما أَتَاهُ انتهى إليه قال : إنا قد جئناك فى أمر فما هو ؟ قال : « جئتم فى قَسِيٍّ ، وَقَسِيٌّ عَبْدُ إِيَادٍ ، أَبَقَ ^(٥) ليلة الواد ، فى وَجٍّ ^(٦) »

[١] هو أبو العبلة المشهورة ، وهو ثقيف بن منه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان بن مضر ، وقد اختلف النسابون فى نسب ثقيف ، فقال قوم : لهم من هوازن ، وهو القول الذى يزعمه الثقفيون ، وعليه جمهور الناس ، ويرعم آخرون أن ثقيفا من إياد بن نزار بن معد بن عدنان ، وأن النعم أحوه لأبيه وأمه ، ثم افترا ، فصار أحدهما فى عداد هوازن والآخر فى عداد مذحج ، وقال قوم آخرون إن ثقيفا من بقايا ثمود من المرسى القديمة التى نادت وانقرصت . قال الحاج على المنبر : يزعمون أنا من بقايا ثمود فقد كذبهم الله بقوله : « وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى » وقال مرة أخرى : واتن كنا من بقايا ثمود لما نجا من صالح إلا خيارهم - اقرأ كلمة عن نسب ثقيف فى شرح ابن أبى الحديد م ٢ ص ٣٩٢ ، والعقد الفريد ٣ : ٨ ، والاغانى ٤ : ٧٤ ، ومروج الذهب ٢ : ٦٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٣ . [٢] نبأه منزله : لم يوافقه . [٣] الألية : اليمن . [٤] ثقف ككرم وفرح صار حاذقًا خفيًا فطأ وثقف الشيء كفرح : ظمربه . [٥] هرب . [٦] وج : اسم واد بالطائف .

ذاتِ الأنداد ، فوالى سعداً ليُفَاد ، ثم لوى بغير معاد « يعنى سعد بن قيس ابن عَيْلَانَ بن مضر ، ثم توجه إلى سطيج الذئبي حتى من غَسَّان - ويقال إنهم حى من قُضاعة تُزُول في غَسَّان - فقالوا : إنا جئناك في أمر فها هو ؟ قال : « جئتم في قسيّ ، وقسيّ من ولد ثمود القديم ، ولدت له أمه بصَحْرَاءَ تَرِيمٌ ^(١) ، فالتقطه إِيَاد وهو عَدِيم ، فاستعبده وهو مُلِيم ^(٢) » ، فرجع الظرب وهو لا يدري ما يصنع في أمره ، وقد وكَّد عليه في الحَلِفِ والتزويج ، وكانوا على كفرهم يُوفون بالقول ، فلهذا يقول من قال إن ثقيفاً من ثمود ، لأن إِيَاداً من ثمود .

(الأغاني ٤ : ٧٥)

٣٣٦ — تنافر عبد المطلب بن هاشم والثقفين إلى عزي سلمة الكاهن
كان لعبد المطلب بن هاشم مال بالطائف يقال له : ذو الهَرَم ^(٣) ، فقلبه عليه خِنْدِف بن الحارث الثَّقَفِيّ ، فنافروهم عبد المطلب إلى عَزَى سلمة الكاهن - أو إلى نُفَيْل بن عبد العزى جد عمر بن الخطاب ^(٤) - فخرج عبد المطلب مع ابنه الحارث ، وليس له يومئذ غيره ، وخرج الثقفون مع صاحبهم ، وحربُ بن أُمَيَّة معهم على عبد المطلب ، فنقِدَ ماء عبد المطلب ، فطلب إليهم أن يسقوه ، فأبَوْا ، فبلغ العطش منه كل مَبْلَغ ، وأشرف على الهلاك ، فبينما عبد المطلب يُثِير بعيره ليركب ، إذ فجَّر الله له عيناً من تحت جِرائه ، فحمد الله وعلم أن ذلك منه ، فَشَرِبَ وشرب أصحابه رِيَّهم ، وترودوا منه حاجتهم ، وَنَقِدَ ماء الثقفين ، فطلبوا إلى عبد المطلب أن يسقيهم فأنعم عليهم ، فقال له ابنه الحارث لَا نُحْنِئَنَّ

[١] رام يريم ريماً : تباعد . [٢] ألام فهو ملِيم : أتى ما يلام عنه

[٣] ضبطه في القاموس المحيط بفتح فسكون ، والصحيح أنه بالتحريك كما يدل على ذلك الأسجاع الآتية

[٤] وصارة معجم ياقوت : « فنافروهم عبد المطلب إلى الكاهن القضاعي وهو سلمة بن أبي حية

فخرجوا إليه إلى الشام » .

على سيفي حتى يخرج من ظهري ، فقال عبد المطلب : لا سقّينهم فلا تفعل ذلك بنفسك فسقام ، ثم انطلقوا ، حتى أتوا الكاهن ، وقد خبئوا له رأس جرّادة ، في خرّزة مزّادة^(١) ، وجعلوه في قلادة كاب لهم يقال له سوّار ، فلما أتوا الكاهن إذا هم ببقرتين تسوقان بينهما بخرجاً^(٢) كلتاها تزعم أنه ولدها ، ولدتا في ليلة واحدة ، فأكل النمر أحد البخرجين ، فهما ترأّمان^(٣) الباقي ، فلما وقفنا بين يديه . قال الكاهن : هل تدرون ما تريد هاتان البقرتان ؟ قالوا : لا . قال الكاهن : « ذهب به ذوجسد أربد^(٤) ، وشّدق مرمع^(٥) ، وناب معلق^(٦) ، ما للصغرى في ولد الكبرى حق^(٧) » فقضى به للكبرى ، ثم قال ما حاجتكم ؟ قالوا : قد خبأنا لك خبئاً ، فأنبئنا عنه ، ثم نخبرك بحاجتنا ، قال : « خبأتكم لي شيئاً طارفسطع ، فتصوّب فوق ، في الأرض منه بقع ، فقالوا : لآده ، أي يئنه . قال : « هو شيء طار ، فاستطار ، ذو ذنب جرّار ، وساق كالمنشّار ، ورأس كالسّمار » فقالوا : لآده ، قال : « إن لآده فلآده^(٨) » ، هو

[١] المرادة : الراوية ، والمرزة : السير يخرّزه .

[٢] الخرج : ولد النقرة . [٣] رُمّت ولدها : عطفت عليه ولزمته . [٤] من الريدة (كصفرة) : لون إلى الغبرة . [٥] رمع كنعن روماناً (بالتحريك) وترمع : تحرك واضطرب ، وقوله مرمع : اسم فاعل من رمع المصعف ، يشير إلى أنه مفترس كاسر . [٦] من أعلق الصائد إذا عاق الصيد في حياته أي نشب . [٧] روى ابن الأعرابي إلآده فلآده ساكن الهاء ، ويردّ إلآده فلآده مكسور الهاء منونة ، قال ياقوت في معجمه : « يقول إن لم تكن قولي بيأماً فلا بيان » وقال الزمخشري في المستقصى : « إن لآده فلآده بفتح الدال ويكسر ، وهي كلمة فارسية معناه الضرب قد استعملتها العرب في كلامها ، وأصله أن الموتور كن يلقى وائر فلا يتعرض له فيقال له ذلك ، والمعنى إليك إن لم تضربه الآن فلا تضربه أبداً ، والتقدير إن لا يكن ده ولا يكون ده أي إن لا يوجد صرب الساعة ، فلا يوجد صرب أبداً ، ثم اتسموا فيه ، فصار به مثلاً في كل شيء لا يقدم عليه الرجل ، وقد حان حينه ووجب إحداثه من قضاء دين قد حل أو حاجة طلبت ، أو ما أشبه ذلك من الأمور التي لا يسوغ تأخيرها » . وقال المذري : « قالوا معناه إلآده فلا هذه ، يعني أن الأصل إلآده فلآده بالذال المعجمة ، فعربت بالذال غير المعجمة كما قالوا يهودا ثم عرب فصار يهودا .

رَأْسَ جَرَادَةٍ ، فِي خُرَزِ مَزَادَةٍ ، فِي عُتُقِ سَوَارِ ذِي الْقِلَادَةِ » ، قَالُوا : صَدَقْتَ ، فَأَخْبَرْنَا فِيمَ اخْتَصَمْنَا إِلَيْكَ ؟ قَالَ : « أَحْكُمُ بِالضِيَاءِ وَالظُّلَمِ ، وَالْبَيْتِ وَالْحَرَمِ ، أَنْ الْمَسَالَذَا الْمَهْرَمَ ، لِلْقُرَشِيِّ ذِي الْكُرَمِ » ، فَقَضَى بَيْنَهُمْ ، وَرَجَعُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ عَلَى حَكْمِهِ . (مجمع الأمثال ١ : ٣٠ ، ومعجم البلدان ٨ : ٤٦٠)



وَرَوَى الْجَاهِظُ لِعَزَى سَامَةً أَنَّهُ قَالَ :
« وَالْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، وَالْعُقَابِ وَالصَّقَعَاءِ ^(١) ، وَاقْعَةُ بَيْقَعَاءِ ^(٢) ، لَقَدْ نَفَرَ
الْمَجْدُ بَنَى الْعُشْرَاءِ ^(٣) ، لَلْمَجْدِ وَالسَّنَاءِ ^(٤) » . (البيان والتبيين ١ : ١٥٩)
٣٣٧ — مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنُ هَاشِمٍ فِي مَنَامِهِ مِنْ حَفْرِ زَمْزَمَ
وَلِيَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنُ هَاشِمٍ السَّقَايَةَ وَالرَّفَادَةَ بَعْدَ عَمِّهِ الْمَطْلَبِ ، وَشَرُفَ فِي
قَوْمِهِ ، وَعَظَّمُ شَأْنَهُ ، ثُمَّ إِنَّهُ حَفَرَ زَمْزَمَ ، وَهِيَ بَثْرُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا
السَّلَامُ ، الَّتِي أَسْقَاهُ اللَّهُ مِنْهَا ، وَكَانَتْ جُرْهُمُ قَدْ دَفَنْتَهَا ^(٥) ، وَكَانَ سَبَبُ حَفْرِهِ
إِيَّاهَا أَنَّهُ قَالَ :

« يَبْنَى أَنَا نَائِمٌ بِالْحِجْرِ إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَالَ : احْفَرِ طِيبَةً ، قُلْتُ : وَمَا طِيبَةٌ ؟
فَذَهَبَ وَتَرَكَنِي ، فَلَمَّا كَانَ الْعَدُ رَجَعْتُ إِلَى مَضْجَعِي ، فَنَمْتُ فِيهِ ، فَجَاءَنِي فَقَالَ :

[١] الصَّقَعَةُ بِالضَّمِّ : بَيَاضٌ فِي وَسْطِ رِءُوسِ الطَّيْرِ وَغَيْرِهَا ، وَهُوَ أَصْفَعٌ ، وَهِيَ صَقَعَاءُ (وَالصَّقَعَاءُ أَيْضاً الشَّمْسُ) . [٢] الْبَقَعَاءُ : اسْمُ مَاءٍ . [٣] الْعُشْرَاءُ : قَوْمٌ مِنْ فَرَارَةٍ ، وَنَفَرَهُ عَلَيْهِ : قَضَى لَهُ عَلَيْهِ بِالْغَلْبَةِ . [٤] السَّنَاءُ : الرِّعَاةُ .

[٥] وَذَلِكَ أَنَّ جَرَهْمَا لَمَّا اسْتَحَفَّتْ بِأَمْرِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، وَارْتَكَبُوا الْأُمُورَ الْغِيَامَ ، قَامَ فِيهِمْ رَئِيسُهُمْ مِصَاصُ بْنُ صَمْرَةَ خَطِيبًا وَوَعَظَهُمْ فَلَمْ يَرَعَوْا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ عَمِدَ إِلَى غَزَالَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ كَانَا فِي الْكَعْبَةِ وَمَا وَجَدَ فِيهَا مِنَ الْأَمْوَالِ أَى السُّيُوفِ وَالْدُرُوحِ الَّتِي كَانَتْ تَهْدَى إِلَيْهَا ، وَدَفَنَهَا فِي بَثْرِ زَمْزَمَ ، وَكَانَتْ قَدْ نَصَبَ مَأْوِمًا خَلْفَهَا مِصَاصٌ بِاللَّيْلِ وَأَعْمَقَ الْحَفْرَ وَدَفَنَ فِيهَا ذَلِكَ وَطَمَ الْبَثْرَ ، وَمَا زَالَتْ مَطْمُومُهُ إِلَى زَمَنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ .

احفرِ بَرَّةً ، قلت : وما بَرَّةٌ ؟ فذهب وتركنى ، فلما كَانَ من الغد رجعت إلى مضجعى ، فنمت فيه ، فجاءنى فقال : احفرِ المذنونة ، قلت : وما المذنونة ؟^(١) فذهب عنى ، فلما كَانَ الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه ، فجاءنى فقال : احفرِ زمزم ، إنك إن حفرتها لا تَنَدَم ، فقلت : وما زمزم ؟ قال : « تراثٌ من أهلك الأعظم ، لا تُنَزَفُ أبداً ولا تُذَمَّ »^(٢) ، تَسْقِي الحَجِيجَ الأعظم ، مثل نَعَامٍ جَافِلٍ لم يُقَسِّمِ^(٣) ، يَنذِرُ فيها نَازِرٌ لِمُنْعِمٍ ، تكون ميراثاً وَعَقْدٌ مُحْكِمٍ ، ليس كبعض ما قد تعلم ، وهى بين الفَرث والدم^(٤) ، عند نُقْرة الغراب الأعصم^(٥) ، عند قَرِيَّة النمل .

فلما يَبَيَّنَ له شأنها ، ودله على موضعها ، وعرف أنه قد صدق ، غدا بِمَعُولِهِ رَمْعَهُ ابنة الحارث ليس له ولد غيره ، فحفر بين أساف ونائلة ، فى الموضع الذى تنحر فيه قريش لأصنامها ، وقد رأى الغراب ينقرُ هناك ، فلما بدا له الطوى^(٥) كَبُرَ ، ففرفت قريش أنه قد أدرك حاجته .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٥ ، والسيرة الحلبية ١ : ٣١ ، وسيرة ابن هشام ١ : ٩٠)

خطب الكواهن

٣٣٨ — الشعثاء الكاهنة تصف سبعة إخوة

كَانَتْ عَثْمَةُ بِنْتُ مَطْرُودِ الْبَجَلِيَّةِ ذَاتَ عَقْلٍ وَرَأْيٍ مُسْتَمَعٍ فِي قَوْمِهَا ، وَكَانَتْ

[١] طيبة ، وبرة ، والمذنونة : أسماء لزمزم . [٢] نزلت البئر : تزحت كنزوت بالصم ، وبثزيمة بالفتح وذميم وذميمة بزيادة الميم لأنها تَذَمُّ . [٣] جفل النعام : أسرع وذهب فى الأرض ، ولم يقسم : لم يفرق . [٤] أى فى محلها ، والفَرث : السرجين فى الكرش ، وذلك بين أساف ونائلة ، (وأساف ككتاب وسحاب : صنم وضعه عمرو بن لحي على الصفا ، ونائلة على المروة تجاه الكعبة) ، وكانت قريش تهيج عندهما ذبايحها التى تنقرب بها . [٥] الأعصم : قيل أحمر المنقار والرجلين ، وقيل أبيض البطن ، وقيل أبيض الجاحين ، وقيل أبيض إحدى الرجلين . [٦] الطوى : البئر .

لها أخت يقال لها خَوْد، وكانت ذات جمال وَمِيسَم^(١) وعقل، نخطب سبعة إخوة غُلْمَة من بطن الأزْد خودا إلى أبيها، فأتَوْه وعليهم الحُلُك اليمانية، وتحتهم النجائب الفُرّه^(٢)، فقالوا: نحن بنو مالك بن غَفَيْلَة ذى النَحْيَيْنِ، فقال لهم: انزلوا على الماء، فنزلوا ايلتهم، ثم أصبحوا قَادِينَ فى الحُلُك والهيئة، ومعههم رَيْبَة^(٣) لهم يقال لها الشَّعْثَاء: كَاهِنَة، فَرَّوْا بِوَصِيدِهَا^(٤) يتعرضون لها، وكلهم وَسِيم جميل، وخرج أبوها، فجلسوا إليه، فرحَّبَ بهم، فقالوا: بلغنا أن لك بنتاً، ونحن كما ترى شَبَاب، وكلنا يَمْنَع الجانب، وَيَمْنَح الراغب، فقال أبوها: كلِّم خِيَار، فأقيموا نرى وأينا، ثم دخل على ابنته، فقال: ما تَرَيْنِ، فقد أَتَاكِ هؤلاء القوم؟ فقالت: «أُنْكِحْنِي على قدرى، ولا تَشْطُطْ فى مَهْرِي، فَإِنْ تُخْطِئْنِي أَحْلَامُهُمْ، لا تُخْطِئْنِي أَجْسَامُهُمْ، لعلِّي أُصِيب وَلَدًا، وَأَكْثُرُ عَدَدًا» فخرج أبوها، فقال: أخبرونى عن أفضالك.

قالت ربيبتهم الشَّعْثَاء الكاهنة: «أَسْمَعْ أَخْبِرْكَ عَنْهُمْ: هم إخوة، وكلهم أُسْوَة^(٥). أما الكبير فَالِك، جَرِيء فَاتِك، يُتَوَّب السَّنَابِك^(٦)، ويستصغر المهالك. وأما الذى يَلِيهِ فَالْعَمْر، بحرٌ غَمْر^(٧)، يَقْصُرُ دُونَهُ الْفَخْر، نَهْد^(٨)، صَقْر. وأما الذى يَلِيهِ فَعَلْقَمَة، صَلِيب الْمَعْجَمَة^(٩)، مَنِيْع الْمَشْتَمَة^(١٠)، قليل الْجَمْعَمَة^(١١)

[١] الميسم والوسامة: أثر الحسن. [٢] النجائب جمع نجيب: وهو البير والفرس إذا كانا كريمين عتيقين، والفره: (كقفل وركع وكتب) جمع فاره، وهو من الدواب الجيد السير النشيط الحفيف. [٣] الريبة: الحاضة. [٤] الوصيد: الفناء (بالكسر) والعبة. [٥] الأسوة: القدوة. [٦] السنايك جمع سنيك كقنفذ: وهو طرف الحافر، أى أنه يجهد الحيل فى حومة الوغى. [٧] الفمر: معظم البحر، والكريم الواسع الخلق. [٨] النهد: الأسد والكريم. [٩] من عجم العود إذا عضه ليعرف صلابته من خوره. [١٠] المشتمة: مصدر شتم، والمعنى: أنه فى حرز من أن يشتم ويسب عرضه، لحسن فعله وكرم خلقه. [١١] الجمجمة: إخفاء الشيء فى الصدر.

وأما الذى يليه فعاصم ، سَيِّدُ نَاعِمٍ ^(١) ، جَلْدُ صَارِمٍ ، أَبِي حَازِمٍ ، جِيْشُهُ غَانِمٍ ، وَجَارُهُ سَالِمٍ . وَأما الذى يليه فَتَوَّابٌ ، سَرِيعُ الْجَوَّابِ ، عَتِيدُ الصَّوَابِ ^(٢) ، كَرِيمُ النَّصَابِ ^(٣) ، كَلَيْتِ الْغَابِ . وَأما الذى يليه فَمُذْرِكٌ ، بَذُولٌ لِمَا يَمْلِكُ ، عَزُوبٌ ^(٤) عَمَّا يَتْرِكُ ، يُفْنِي وَيُهْلِكُ . وَأما الذى يليه فَجَنْدَلٌ ، لِقَرْنِهِ مُجَدَّلٌ ^(٥) ، مُقْبِلٌ ^(٦) لِمَا يُحْمَلُ ، يُعْطَى وَيَبْذُلُ ، وَعَنْ عَدُوهِ لَا يَنْكُلُ ^(٧) .

فبشاورت أختها فيهم ، فقالت أختها عثمة : « تَرَى الْفَتَيَانَ كَالَّذِخْلِ ، وَمَا يُذْرِيكَ مَا الدَّخْلُ ؟ » ^(٨) اسمعى منى كلمة ، إِنْ شَرَّ الْغَرِيبَةِ يُعْلَنُ ، وَخَيْرُهَا يُذْفَنُ ، أَنْكَحْنِي فِي قَوْمِكَ وَلَا تَغْرُزْكَ الْأَجْسَامُ ، فَلَمْ تَقْبَلْ مِنْهَا ، وَبَعَثَتْ إِلَى أَبِيهَا : أَنْكَحْنِي مَدْرَكًا ، فَأَنْكَحَهَا أَبُوْهَا عَلَى مَائَةِ نَاقَةٍ وَرُعَاتِهَا ، وَحَمَلَهَا مَدْرِكٌ ، فَلَمْ تَلِثْ عِنْدَهُ إِلَّا قَلِيلًا ، حَتَّى صَبَحَهُمْ فَوَارِسٌ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ ، فَاقْتَتَلُوا سَاعَةً ، ثُمَّ إِنْ زَوْجَهَا وَإِخْوَتَهُ وَبَنِي عَامِرٍ أَنْكَشَفُوا ، فَسَبَّوْهَا فِيمَنْ سَبَّوْا ، فَبَيْنَا هِيَ تَسِيرُ بِكَتْ ، فَقَالُوا : مَا يُفْكِيكَ ، أَعَلَى فِرَاقِ زَوْجِكَ ؟ قَالَتْ : قَبِيْحَةٌ اللَّهِ ، قَالُوا : لَقَدْ كَانَ جَمِيلًا ! قَالَتْ : قَبِيْحَ اللَّهِ جَمَالًا لَا نَفْعَ مَعَهُ ، إِنَّمَا أَبْكِي عَلَى عَصِيَانِي أُخْتِي ، وَقَوْلُهَا : « تَرَى الْفَتَيَانَ كَالَّذِخْلِ ، وَمَا يُذْرِيكَ مَا الدَّخْلُ » وَأَخْبَرْتَهُمْ كَيْفَ خَطَبَوْهَا ، فَقَالَ لَهَا رَجُلٌ مِنْهُمْ يُكْنَى أَبُو نَوَاسٍ شَابٌ أَسْوَدُ أَنْفٍ ^(٩) مُضْطَرِبُ الْخَلْقِ : أَتَرْضَيْنِ بِي ، عَلَى أَنْ أَمْنَعَكَ مِنْ ذُنَابِ الْعَرَبِ ؟ فَقَالَتْ لِأَصْحَابِهِ : أَكْذَلِكَ هُوَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، إِنَّهُ مَعَ مَا تَرَيْنَ لَيَمْنَعُ الْحَلِيلَةَ ^(١٠) ،

[١] نعم كسمع ونصير وصرب فهو ناعم : أى ذو تنعم وترفة . [٢] العتيد : الحاضر الميأ .
[٣] النصاب : الأصل . [٤] بعيد . [٥] جدله : صرعه على الجدالة (كسحابة) وهى الأرض .
[٦] حامل . [٧] نكل عنه كضرب ونصر وعلم : نكص وجبن . [٨] الدخل : ما يطن فى
الشيء ، وهو مثل يضرب للرجل له منظر ولا يخبر له . [٩] الأنفوه : وصف من العوه بالتحريك
وهو سعة الفم . [١٠] الزوجة .

وَتَتَّقِيهِ الْقَبِيلَةَ ، قالت : هذا أَجَلُ جِمال ، وَأَكْمَلُ كِمال ، قد رَضِيتَ بِهِ ،
فَرُجَوْهَا مِنْهُ . (مجمع الأمثال للبديائي ١ : ٩١)

٣٣٩ — طريفة الخير تتكهن بسيل العَمِّ وخراب سد ما رَبِّ

قال عبد الملك بن عبد الله بن بَدْرُون في شرح قصيدة الوزير عبد المجيد
ابن عَبْدُون ، التي قالها في رثاء دولة بنى الأفطس بالأندلس :

كَانَ أَوَّلُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْيَمِينِ فِي أَوَّلِ تَمْزِيْقِهِمْ ، تَمَرُّ بْنُ عَامِرٍ مُزَيَّقِيَاءَ ^(١) ،
وَكَانَ سَبَبُ خُرُوجِهِ ، أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ كَاهِنَةٌ ، يُقَالُ لَهَا « طَرِيفَةُ الْخَيْرِ » ،
وَكَانَتْ رَأَتْ فِي مَنَامِهَا أَنَّ سَحَابَةَ غَشِيَتْ أَرْضَهُمْ فَأَرَعَدَتْ وَأَبْرَقَتْ ، ثُمَّ صَعَقَتْ ،
فَأَحْرَقَتْ كُلَّ مَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ ، فَفَزِعَتْ طَرِيفَةُ لِذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا ، وَأَتَتْ الْمَلِكَ
عَمْرًا ، وَهِيَ تَقُولُ : « مَا رَأَيْتُ الْيَوْمَ ، أَزَالُ عَنِ النَّوْمِ ، رَأَيْتُ غَيْمًا رَعَدَ
وَبَرَقَ ^(٢) » ، طَوِيلًا ثُمَّ صَعَقَ ، فَمَا وَقَعَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا احْتَرَقَ » ، فَلَمَّا رَأَى مَا دَاخَلَهَا
مِنَ الْفَزَعِ سَكَنَهَا ، ثُمَّ إِنْ عَمْرًا دَخَلَ حَدِيقَةَ لَهُ ، وَمَعَهُ جَارِيتَانِ مِنْ جَوَارِيهِ ،
فَبَلَغَ ذَلِكَ طَرِيفَةَ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ وَخَرَجَ مَعَهَا وَصِيفٌ ^(٣) ، لَهَا اسْمُهُ سِنَانٌ ، فَلَمَّا
بَرَزَتْ مِنْ بَيْتِهَا عَرَضَ لَهَا ثَلَاثُ مَنَاجِيدَ مُتَنَصِّبَاتٍ عَلَى أَرْجُلِهِنَّ ، وَاضْعَاتُ
أَيْدِيهِنَّ عَلَى أَعْيُنِهِنَّ - وَهِيَ دَوَابٌّ تُشَبِّهُ الْيَرَاعِيْعَ ^(٤) - فَقَعَدَتْ إِلَى الْأَرْضِ وَاضْعَةً
يَدَيْهَا عَلَى عَيْنَيْهَا ، وَقَالَتْ لَوْصِيفُهَا : إِذَا ذَهَبْتَ هَذِهِ الْمَنَاجِيدَ فَأَخْبِرْنِي ، فَلَمَّا
ذَهَبَتْ أَعَامَهَا ، فَانْطَلَقَتْ مُسْرِعَةً ، فَلَمَّا عَارَضَهَا خَلِيجُ الْحَدِيقَةِ الَّتِي فِيهَا عَمْرُو ،

[١] لَقِبَ بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ كُلَّ يَوْمٍ حُلَّتَيْنِ ، وَيَمْرُقُهُمَا بِالْعَتَمِيِّ ، يَكْرَهُ الْعَوْدَ مِيزًا ، وَيَأْنِفُ أَنْ
يَلْبَسَهَا غَيْرَهُ . [٢] رَعَدَتْ السَّمَاءُ وَبَرَقَتْ (كَنَصَر) ، وَأَعَدَّتْ السَّمَاءُ وَأَبْرَقَتْ ، وَأَنْكَرَ الْأَصْمَعِيُّ
الرَّبَاعِي فِيهِمَا . [٣] الْوَصِيفُ : الْحَادِمُ وَالْحَادِمَةُ . [٤] الْيَرَاعِيْعُ : دَوَابٌّ نَحْوُ الْفَأَرَةِ لَكِنْ ذَنْبُهُ
وَأُذُنَاهُ أَطْوَلُ مِنْهَا ، وَرِجْلَاهُ أَطْوَلُ مِنْ يَدَيْهِ عَكْسَ الزَّرَامَةِ .

وثبت من الماء سُلْحَفَاةً ، فوقعت في الطريق على ظهرها ، وجعلت تروم
 الانقلاب فلا تستطيع ، وتستعين بذنبها ، فتَحْشُو التراب على بطنها من جَنْبَاتِهِ ،
 وتقذف بالبول قذفاً ، فلما رأتها طريفة جلست إلى الأرض ، فلما عادت السلحفاة
 إلى الماء ، مضت إلى أن دخلت على عمرو ، وذلك حين انتصف النهار في ساعةٍ
 شديدة الحرّ ، فإذا الشجر يتكفأ من غير ريح ، فلما رآها عمرو استحيا منها ، وأمر
 الجاريتين بالتنحي ، ثم قال لها يا طريفة : فكهمت وقالت : « والنور والظلماء ،
 والأرض والسماء ، إن الشجر لهالك ، ولعمودن الماء كما كان في الزمان السالك » .
 قال عمرو : ومن خبرك بهذا ؟ قالت : « أخبرتنى المناجد ، بسنين شدائد ، يقطع
 فيها الولد الوالد » قال : ما تقولين ؟ قالت : « أقول قول التّدْمان لهفًا ، لقد رأيت
 سُلْحَفَاً ^(١) ، تجرّف التراب جرّفاً ، وتقذف بالبول قذفاً ، فدخلت الحديقة ، فإذا
 الشجر من غير ريح يتكفأ » قال عمرو : وما ترين ؟ قالت : « داهية دهياء ،
 من أمور جسيمة ، ومصائب عظيمة » قال : وما هو ؟ وَيْلَكَ ! قالت : « أجل ،
 إنّ فيه الويل ، ومالك فيه من قِيل ^(٢) ، وإن الويل فيما يحيى به السيل » فألقى
 عمرو نفسه عن فراشه ، وقال : ما هذا يا طريفة ؟ قالت : « هو خطب جليل ،
 وحزن طويل ، وخلف قليل » . قال : وما علامة ما تذكرين ؟ قالت : « اذهب
 إلى السد ، فإذا رأيت جرّداً يُكثِرُ يديه في السدّ الحفَر ، ويقلب برجليه من
 أجلّ الصخر ، فاعلم أن غمّر النعمر ^(٣) ، وأنّ قد وقع الأمر » . قال : وما هذا
 الذي تذكرين ؟ قالت : « وعدّ من الله نزل ، وباطل بطل ، ونكال بنا نكل ،

[١] يقال : سلحفاة وسلحفاء وسلحفا ، ويقال أيها سلحفا ساكنة اللام مفتوحة الحاء .

[٢] قلّ قيلًا : نام في القائلة وهي نصف النهار ، والمراد هنا الإقامة والمكث .

[٣] النمر : الماء الكثير .

فبغيرك يا عمرو فليكن الشَّكْلُ ^(١) ، فانطلق عمرو فإذا الجرذ يقلب برجليه
صخرة ما يقابلها خمسون رجلاً ، (كذا) فرجع إلى طريفة فأخبرها الخبر وهو يقول :
أبصرت أمراً عَادَنِي مِنْهُ أَلَمٌ وهاج لي من هوله بَرْحُ السَّقَمِ ^(٢)
من جُرْذٍ كَفَحَلٍ خِثْزِيرِ الْأَجَمِ أو كَبْشٍ صِرْمٍ مِنْ أَفَارِيقِ الْغَنَمِ ^(٣)
يَسْحَبُ صَخْرًا مِنْ جَلَامِيدِ الْعَرَمِ لَهُ مَخَالِيبُ وَأَنْيَابُ قُضْمٍ ^(٤)
مَا فَاتَهُ سَخْلًا مِنَ الصَّخْرِ قَصَمٍ ^(٥)

فقلت طريفة : وإن من علامات ما ذكرت لك أن تجلس فتأمر بزجاجة
فتوضع بين يديك ، فإن الريح تملؤها من تراب البَطْحَاءِ ^(٦) ، من سهلة ^(٧)
الوادي ورملة ، وقد علمت أن الجنان مُظْلَمَةٌ لا يدخلها شمس ولا ريح ، فأمر
عمرو بزجاجة فوضعها بين يديه ، ولم يمكث إلا قليلاً حتى امتلأت من تراب
البطحاء ، فأخبر عمرو طريفة بذلك وقال لها : متى يكون هُلك السدِّ ؟ قالت
له : فيما بينك وبين سبع سنين . قال : ففي أيها يكون ؟ قالت : « لا يعلم بذلك
إلا الله ، ولو علمه أحد لعلمته ، ولا تأتي على ليلة فيما بيني وبين سبع السنين إلا
ظننت الهلاك في غدها ، أو في مساءها ، ثم رأى عمرو في نومه سيل العَرَمِ ،
وقيل له : آية ذلك أن ترى الحصباء في سَعَفِ النخل ، فنظر إليها ، فوجد
الحصباء فيها قد ظهرت ، فعلم أن ذلك واقع ، وأن بلادهم ستخرب ، فكنتم ذلك

[١] الشكل كسبب ونقل : الموت والهلاك . [٢] البرح : الشدة . [٣] الأجم جمع أجمة وهي
الشجر الكثير اللثف ، والصرم : الجماعة ، والفرقة تجمع على فرق ، وجمع الجمع أفراق ، وجمع جمع الجمع
أفاريق ، والجلاميد جمع جلود كعصفور : الصخر . [٤] العرم : السد يصترض به الوادي (ومن معانيه
أيضا المطر الشديد ، والجرذ ، وواد جاء السيل من قبله) [٥] سحله كنع : قشره ونخته ، وقصمه كسره
[٦] البطحاء والأبطح : مسيل واسع فيه دفاق الحصى . [٧] السهلة بالكسر : تراب كالرمل
يجيء به الماء ، وأرض سهلة كفرحه : كثيرتها .

وأخفاه ، وأجمع على بيع كل شيء له بأرض مأرب^(١) وأن يخرج منها هو وولده^(٢) ، فخرج ثم أرسل الله تعالى على السد^(٣) السيل فهدمه .

(شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ص ٩٨)



وقال أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني :

• • وسارت القبائل من أهل مأرب حين خافوا سيل العرم ، وعليهم مزيقياء ،
ومعهم طريفة الكاهنة ، فقالت لهم :

[١] مأرب : مدينة باليمن ، وكانت في الزمان الأول قاعدة التبابعة ، وهي مدينة بلقيس ، بينها وبين صنعاء نحو أربع مراحل ، وتسمى سبأ باسم بانيتها سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

[٢] وقد خشي أن يستنكر الناس عليه ذلك ، فأمر أحد أولاده إذا دعاه لما يدعوه إليه أن يتأبى عليه ، وأن يفعل ذلك به في الملأ من الناس ، وإذا لطمه ، برفع هو يده ويلطمه ، ثم صنع طعاماً وبعث إلى أهل مأرب أن عمرواً صنع يوم مجد وذكر ، فاحضروا طعامه ، فلما جلس الناس للطعام جلس عنده ابنه الذي أمره بما أمر ، فجعل يأمره بأمر فيتأبى عليه . وبنهاه فلا ينتهي ، فرفع عمرو يده فلطمه على وجهه فلطمه ابنه ، وكان اسمه ملكاً ، فصاح عمرو وادلاه يوم نحر عمرو يهيج صبي ويصرب وجهه ، وحلف ليقتلته ، فلم يزلوا بعمرو يرغبون إليه حتى تركه ، فقال : والله لا أقيم بموضع صنع بي فيه هذا ، ولأبيعن أموالى حتى لا يرث منها بعدى شيئاً ، فقال الناس بعضهم لبعض : اغتصموا غضب عمرو واشتروا منه أمواله قبل أن يرصى ، فابتاع الناس منه كل أمواله التي بأرض مأرب ، وفشا بعض حديثه فيما باخه من شأن سيل العرم ، فقام ناس من الأزد فباعوا أموالهم ، فلما أكتثروا البيع استنكر الناس ذلك فأمسكوا أيديهم عن الشراء ، ولما اجتمعت إلى عمرو أمواله أخبر الناس بشأن سيل العرم ، ولما خرج عمرو من اليمن خرج لخروجه منها بشر كثير ، فزلوا أرض عك خاربهم عك ، فارتحلوا عنها ، ثم اصطالحوا وبقوا بها حتى مات عمرو بن عامر ، وتفرقوا على البلاد ، فمنهم من صار إلى الشام ، وهم أولاد جفنة بن عمرو بن عامر ، ومنهم من صار إلى يثرب ، وهم أبنا قبيلة الأوس والخزرج ، وأبوهما حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وصارت أزد الشراة إلى أرض الشراة ، وأزد عمان إلى عمان ، وصار ملك ابن فهم إلى العراق ، ثم خرجت بعد عمرو يدسير من أرض اليمن طيء فزلت جبلى طيء أجاً وسلمى ، ونزلت ريبة ابن حارثة بن عمرو بن عامر تهامة ، وسموا خزاعة لا تخزاعهم من إخوانهم وتمزقوا في البلاد كل ممزق .

[٣] كان السد فيما يذكر قد بناه لقمان الأكبر بن عاد ، وكان رصفه لحجارة السد بالرصاص والحديد ، ويقال إن الذي بناه كان من ملوك خير ، وذلك أن الماء كان يأتي أرض سبأ من الشجر وأودية اليمن ، فردوا ردماً بين جبلين وحبسوا الماء ، وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض ، فكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث ، فأخصبوا وكثرت أموالهم ، فلما كذبوا رسولهم أرسل الله عليهم سيل العرم .

« لَا تَوْمُوا مَكَّةَ حَتَّى أَقُولَ ، وَمَا عَلَّمَنِي مَا أَقُولُ إِلَّا الْحَكِيمُ الْمُحْكَمُ ، رَبُّ جَمِيعِ الْأُمَمِ ، مِنْ عَرَبٍ وَعَجَمٍ » قَالُوا لَهَا : مَا شَأْنُكَ يَا طَرِيفَةُ ؟ قَالَتْ : خَذُوا الْبَعِيرَ الشَّدَقَمَ ^(١) ، نَحْضِبُوهُ بِالْدمِ ، تَكُنْ لَكُمْ أَرْضُ جُرْهُمَ ^(٢) ، جِيرَانِ بَيْتِهِ الْمُحَرَّمِ . (الْأَغْنَى ١٢ : ١٠٥)

* *

وروى الميداني في مجمع الأمثال قال :

« أَلَقْتُ طَرِيفَةَ الْكَاهِنَةِ إِلَى عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ الَّذِي يُقَالُ لَهُ مَزِيْقِيَا بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ ، وَكَانَتْ قَدْ رَأَتْ فِي كَهَانَتِهَا ^(٣) أَنْ سَدَّ مَأْرِبَ سَيِّخَرَبَ ، وَأَنَّهُ سَيَأْتِي سَبِيلَ الْعَرَمِ ، فَيُخَرَّبُ الْجَنَّتَيْنِ ^(٤) ، فَبَاعَ عَمْرِو بْنُ عَامِرٍ أَمْوَالَهُ ، وَسَارَ هُوَ وَقَوْمُهُ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى مَكَّةَ ، فَأَقَامُوا بِمَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا ، فَأَصَابَتْهُمْ الْحُمَّى ، وَكَانُوا يَبْلُدُونَ لَا يَدْرُونَ فِيهِ مَا الْحُمَّى ، فَدَعَا طَرِيفَةُ فَشَكُوا إِلَيْهَا الَّذِي أَصَابَهُمْ ، فَقَالَتْ لَهُمْ : قَدْ أَصَابَنِي الَّذِي تَشْكُونَ ، وَهُوَ مُفَرَّقٌ بَيْنَنَا . قَالُوا : فَا تَأْمُرِينَ ؟ قَالَتْ :

« مَنْ كَانَ مِنْكُمْ ذَا هَمٍّ بَعِيدٍ ، وَجَلَّ شَدِيدٍ ، وَمَزَادٌ ^(٥) جَدِيدٍ ، فَلْيَلْحَقْ بِقَصْرِ عُمَانَ الْمَشِيدِ ^(٦) ، فَكَانَتْ أَرْدُؤُهُمَا ، ثُمَّ قَالَتْ : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ ذَا جَلَدٍ

[١] الواسع الشدق . [٢] وكانوا يسكنون مكة ، فأرسل إليهم عمرو أن أفسحوا لنا في بلادكم حتى نقيم قدر ما نستريح ونرسل رواداً إلى الشام وإلى الشرق ، فحينما بلغنا أنه أمثل لحقنا به ، فأبى ذلك جرم إماء شديداً ، وقالوا : لا والله ما نحب أن ينزلوا فيضيّقوا علينا مرايبتنا وواردنا ، وكانت الحرب بين الفريقين ، وانتهزت جرم فلم يفلت منهم إلا الشريد .

[٣] كهن كهانة بالفتح فهو كاهن ، وحرته الكهانة بالكسر .

[٤] قال تعالى : « لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَيْنَ بَيْمَيْنِ وَشِمَالٍ ، كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ » .

[٥] الزاد والمزاید جمع مزادة وهي الراوية . [٦] المشيد : المرفوع ، قال مسلم بن الوليد في رثاء أبيه : أما هدت لمصرعه نزار ؟ بلى ، وتقوض المجد المشيد .

وَقَسَرَ^(١) ، وَصَبَرَ عَلَى أَزْمَاتِ الدَّهْرِ ، فَعَلِيهِ بِالْأَرَاكِ^(٢) مِنْ بَطْنِ مُرٍّ^(٣) ،
فَبَكَاتِ خُزَاعَةَ ، ثُمَّ قَالَتْ : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرِيدُ الرَّاسِيَّاتِ فِي الْوَحْلِ ، الْمُطْعِمَاتِ
فِي الْمَخْلِ^(٤) ، فَلْيَلْحَقْ بِثَرِبِ ذَاتِ النَّخْلِ ، فَكَانَتِ الْأَوْسُ وَالْخَزَرَجَ ، ثُمَّ
قَالَتْ : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرِيدُ الْخَمَرَ الْخَمِيرَ ، وَالْمُلْكَ وَالتَّامِيرَ ، وَيَلْبَسُ الدِّيَابِجَ
وَالْجَرِيرَ ، فَلْيَلْحَقْ بِبُضْرَى وَغَوِيرَ ، (وَهُمَا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ) ، فَكَانَ الَّذِينَ
سَكَنُوها مِنْ آلِ جَفْنَةَ مِنْ غَسَّانَ ، ثُمَّ قَالَتْ : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرِيدُ الثِّيَابَ الرُّقَاقَ ،
وَالْخَلِيلَ الْعِتَاقَ ، وَكُنُوزَ الْأَرْزَاقِ ، وَالْدَّمَّ الْمُهْرَاقَ ، فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ ،
فَكَانَ الَّذِينَ سَكَنُوها آلَ جَذِيمَةَ الْأَبْرِشِ ، وَمَنْ كَانَ بِالْحَيْرَةِ وَآلَ مُحَرَّقٍ^(٥) .
(مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ : ١ : ١٨٦)

٣٤٠ — حَدِيثُ زَبْرَاءَ الْكَاهِنَةِ مَعَ بَنِي رِثَامٍ مِنْ قُضَاعَةَ

كَانَ ثَلَاثَةُ أَبْطُنٍ مِنْ قُضَاعَةَ مُجْتَوِرِينَ^(٦) بَيْنَ الشَّخْرِ وَخَضِرَ مَوْتٍ :
بَنُو نَاعِبٍ ، وَبَنُو دَاهِنٍ ، وَبَنُو رِثَامٍ ، وَكَانَتْ بَنُو رِثَامٍ أَقْلَهُمْ عَدَدًا ، وَأَشَجَّهُمْ
لِقَاءً . وَكَانَتْ لِبَنِي رِثَامٍ عَجُوزٌ تَسْمَى خُوَيْلَةَ ، وَكَانَتْ لَهَا أُمَةٌ مِنْ مُوَلَّدَاتِ
الْعَرَبِ تَسْمَى زَبْرَاءَ ، وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَى خُوَيْلَةَ أَرْبَعُونَ رَجُلًا ، كُلُّهُمْ لَهَا مُحَرَّمٌ ،
بَنُو إِخْوَةٍ وَبَنُو أَخَوَاتٍ ، وَكَانَتْ خُوَيْلَةُ عَقِيًّا ، وَكَانَ بَنُو نَاعِبٍ ، وَبَنُو دَاهِنٍ
مُتَظَاهِرِينَ عَلَى بَنِي رِثَامٍ ، فَاجْتَمَعَ بَنُو رِثَامِ ذَاتَ يَوْمٍ فِي عُرْسٍ لَهُمْ ، وَهُمْ سَبْعُونَ
رَجُلًا ، كُلُّهُمْ شَجَاعٌ بَيْسٌ^(٧) ، فَطَعَمُوا وَأَقْبَلُوا عَلَى شَرَابِهِمْ ، وَكَانَتْ زَبْرَاءُ كَاهِنَةً
فَقَالَتْ لَخُوَيْلَةَ : إِنِ انْطَلَقِي بِنَا إِلَى قَوْمِكَ أَنْذِرْهُمْ ، فَأَقْبَلَتْ خُوَيْلَةُ تَتَوَكَّأُ عَلَى زَبْرَاءَ

[١] قَسَرَ عَلَى الْأَمْرِ : قَهَرَهُ . [٢] الْأَرَاكِ : الْقِطْعَةُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَمَوْضِعُ بَعْرَفَاتٍ ، وَجِبَلٌ بِهَذِيلٍ .
[٣] مَرِبْنَادُ بْنُ طَابِغَةَ . [٤] الْهَلْ : الشَّدَّةُ وَالْجَدْبُ . [٥] هُوَ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ لِأَنَّهُ حَرَّقَ
مِائَةً مِنْ بَنِي تَيْمٍ . [٦] مُتَجَاوِرِينَ . [٧] الْبَيْسُ : الشَّجَاعُ ، مِنْ بَوَسٍ كَكَرَمٍ بِأَسَا .

فلما أبصرها القوم ، قاموا إجلالاً لها . فقالت : « يَا ثَمَرَ الْأَكْبَادِ ، وَأُنْدَادَ ^(١) الأولاد ، وشَجَا ^(٢) الحُسَادِ ، هذه زَبْرَاءُ ، تخبركم عن أنباء ، قبل انْجِسَارِ الظُّلَمَاءِ ، بِالْمُؤْيِدِ ^(٣) الشَّنْعَاءِ ، فاسمعوا ما تقول » . قالوا : وما تقولين يا زبراء ؟ قالت :
« وَاللُّوحِ ^(٤) الْخَافِقِ ، وَاللَّيْلِ الْفَاسِقِ ^(٥) ، وَالصَّبَاحِ الشَّارِقِ ، وَالنَّجْمِ الطَّارِقِ ^(٦) ، وَالْمُزْنَ الْوَادِقِ ^(٧) ، إِنَّ شَجَرَ الْوَادِي لَيَأْتِي دُوحَتَلًا ^(٨) ، وَيَحْرُقُ أَنْيَابًا عَصَلًا ^(٩) ، وَإِنْ صَخْرَ الطُّودِ لَيُنْذِرُ سُكَلًا ^(١٠) ، لَا تَجْدُونَ عَنْهُ مَعَلًا ^(١١) »
فوافقت قومًا أَشَارَى ^(١٢) سُكَارَى ، فقالوا : « رِيحُ خَجْجُوجٍ ^(١٣) ، بَعِيدَةٌ مَا بَيْنَ الْفُرُوجِ ، أَتَتْ زَبْرَاءُ بِالْأَبْلَقِ الشُّوجِ ^(١٤) » .
فقالت زبراء : « مَهَلًا يَا بَنِي الْأَعَزَّةِ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَشْمُ ذَفَرَ ^(١٥) الرِّجَالِ تَحْتَ الْحَدِيدِ » فقال لها فتى منهم يقال له هُذَيْلُ بْنُ مُنْقِذٍ : « يَا خَذَاقِ ^(١٦) ، وَاللَّهِ

[١] أُنْدَادُ : جمع ند بالكسر وهو المثل والنظير . [٢] الشَّجَا : ما عترض في الخلق من عظم ونحوه .
[٣] المؤيد : الداهية والأمر العظيم . [٤] اللوح بالضم والفتح (والضم أعلى) : الهراء بين السماء والأرض . [٥] غسق الليل بكس : اشتدت ظلمته . [٦] الطارق : في الأصل ، كل من أتى ليلاً ، ثم استعمل في النجوم لطلوعها ليلاً . [٧] المزن : السحاب أو أبيضه أو ذو الماء ، والوادي : من ودق المطر كوهده : قطر . [٨] أدوت له أدو أدوا إذا ختلته وخدعته (ودأيت له ، ودألت له أيضاً) والحتل : الحدع . [٩] حرق أنيابه : إذا حك بعضها ببعض ، والعرب تقول عند المضرب يفضبه الرجل على صاحبه : « هو يحرق على الأرم » والأرم كسكر : الأصراس ، والعصل : المعرجة جمع أعصل . [١٠] الطود : الجبل ، والشكل : الفقد . [١١] المعل : المجدى .
[١٢] الأشرمحركة : المرح . [١٣] الخجوج : السريمة المرت . [١٤] الأبلق : وصف من البلق بحركة وهو ارتفاع البياض في قوائم الفرس إلى الفخذين ، والأبلق لا يكون تتوحاً ، والعرب تضرب هذا مثلاً للشيء الذي لا ينال ، تقول « طلب الأبلق العقوق ، فلما فاته أراد بيض الأنوق » والعقوق كصبور : الحامل ، والأنوق كصبور أيضاً : الذكر من الرخم ولا يبيض له ، هذا قول بعض اللغويين ، فالمعنى أنه طلب ما لا يمكن ، فلما لم يجد طلب أيضاً ما لا يكون ولا يوجد ، وعامتهم يقولون : الأنوق الرخة وهي تبيض في مكان لا يوصل فيه إلى بيضها إلا بعد عناء ، فالمعنى أنه طلب ما لا يقدر عليه ، فلما لم ينله طلب ما يجوز أن يناله .
[١٥] الذفر : حدة الريح ، يكون في الذنن والطيب (والذفر لا يكون إلا في الذنن) .
[١٦] خذاق : كناية عما يخرج من الإنسان ، يقال : خذاق ومزق وزرق .

ما تَشْمَيْنِ إِلَّا ذَفَرَ إِبْطِيكَ » فانصرفت عنهم ، وارتاب قوم من ذوى أسنانهم ،
فانصرف منهم أربعون رجلاً ، وبقي ثلاثون ، فَرَقَدُوا فِي مَشْرَبِهِمْ ، وَطَرَقْتَهُمْ
بنو داهن وبنو ناعب ، فقتلوهم أجمعين ، وأقبلت خُوَيْلَةَ مع الصباح ، فوقفت
على مصارعهم ، ثم عَمَدَتْ إِلَى خَنَاصِرِهِمْ ، فَقَطَعَتْهَا وَانْتَضَمَتْ مِنْهَا قِلَادَةً ، وَأَلْقَتْهَا
فِي عُنْقِهَا ، وَخَرَجَتْ حَتَّى لَحِقَتْ بِمَرْضَاوِي بْنِ سَعْوَةَ الْمَهْرِيِّ ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِهَا
فَأَنَاحَتْ ، بِفَنَائِهِ ، فَاسْتَعْدَّتْهُ عَلَى بَنِي دَاهِنَ وَبَنِي نَاعِبَ ، فَخَرَجَ فِي مَنَسِيرٍ^(١) مِنْ
قَوْمِهِ ، فَطَرَقَهُمْ فَأَوْجَعَ فِيهِمْ . (الأمال ١ : ١٢٦)

٣٤١ — كَاهِنَةُ ذِي الْخَلَصَةِ تَتَكهن بِمَا فِي بَطْنِ رُقِيَّةَ بِنْتِ جُشَمِ
زَعَمُوا أَنَّ رُقِيَّةَ بِنْتَ جُشَمِ بْنِ مَعَاوِيَةَ وَلِدَتْ مُنْمِرًا وَهَلَالًا وَسَوَاءً ، ثُمَّ
اعْتَاطَتْ^(٢) ، فَأَتَتْ كَاهِنَةَ ذِي الْخَلَصَةِ^(٣) ، فَأَرْتَهَا بِطْنِهَا ، وَقَالَتْ : إِنِّي قَدْ
وَلِدْتُ ثُمَّ أُعْطِطْتُ ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهَا وَمَسَّتْ بِطْنِهَا ، وَقَالَتْ :
« رَبُّ قَبَائِلَ فِرْقٍ ، وَجَالِسَ حَلَقٍ ، وَظُعُنٌ^(٤) حُرْقٍ^(٥) ، فِي بَطْنِكَ
زُقٌ^(٦) »

[١] المنسر من الحبل : ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، أو من الأربعين إلى الخمسين ، أو إلى الستين ،
أو المائة إلى المائتين ، وقطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير .
[٢] اعتاطت المرأة : لم تحمل سنين من غير عقر . [٣] ذو الخلصة محرّكة وبضمين : بيت كان
يدعي الكعبة النجمانية لحثم ، كان فيه صنم اسمه الخلصة . [٤] الظمن والظمان جمع ظمينة : وهي المردج
سواء كان فيه امرأة أم لا ، والمرأة مادامت في المردج ، ويقال : الظمينة في الأصل وصف للمرأة في
هودجها ثم سميت بهذا الاسم وإن كانت في بيتها ، لأنها تصير مضمونة (أي يظمن بها زوجها ، فهي فعيلة
بمعنى مفعولة) . [٥] الحرق والحزقة (بكسر الحاء) والحازقة والحريق والحريقة والحزاقة (بالفتح)
الجماع ، والجمع حزائق وحزيق وحزق (بضمين) . [٦] أي وضع وأصل الرق : رمى الطائر
بدرقه ، والمهني : رب جنين تنشعب منه قبائل متفرقة ، ويتناسل منه ذكرا يتحلقون في المجالس والأندية
وجاعات من اللسوة ، قد أودع بطبك .

فاما تَخَضَّتْ ^(١) بريعة بن عامر ^(٢) ، قالت : إني أعرف ضَرِطِي بهلال ،
« أَى هو غلام ، كما أن هلالا كان غلاماً » . (مجمع الأمثال ١ : ٣٢١)

٣٤٢ — رأى سلمى الهمدانية فى حريم المرادى

أغار رجل من « مُرَادٍ » يقال له « حَرِيم » على إبل عمرو بن بَرّاقة
الهمدانيّ وخيل له ، فذهب بها ، فأتى عمرو سلمى الهمدانية ، وكانت بنت
سيّدهم ، وعن رأيها كانوا يصدّرون ، فأخبرها أن حريماً المرادىّ أغار على إبله
وخيله ، فقالت : « والخفّو والوميض ^(٣) ، والشفّق كالإحريض ^(٤) ، والقلّة
والخضيب ^(٥) ، إن حريماً لم ينبع الحيز ^(٦) ، سيّد مزيز ^(٧) ذو معقل حريز ، غير
أنى أرى الحمّة ^(٨) ستظفر منه بعثرة ، بطيئة الجبزة ، فأغر ولا تُنكع ^(٩) »
فأغار عمرو ، فاستاق كلّ شيء له ، فأتى حريم بعد ذلك يطلب إلى عمرو أن
يرد عليه بعض ما أخذ منه ، فامتنع ورَجَعَ حريم . (الأمل ٢ : ١٢٣)

٣٤٣ — تنافر العجفاء بنت علقمة وصواحباتها إلى الكاهنة السعدية
روى أن العجفاء بنت علقمة السعدية ، وثلاث نسوة من قومها ، خرجن
فاتعدن بَرَوْضَةً يتحدثن فيها ، فوافين بها ليلاً فى قر زاهر ، وليلة طَلقة ساكنة ،
وروضة مُعشبة خصبّة ، فلما جلسن قلن : ما رأينا كَالليلة ليلة ، ولا كهذه

-
- [١] تخضت كسع ومنع وعنى : أخذها الطلق .
[٢] هو بريعة بن عامر بن صمصمة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ومن نسله بنو كلاب بن بريعة بن عامر وبنو جعفر بن كلاب بن بريعة .
[٣] الخفو : اللعان الضعيف ، والوميض : أشد من الخفو . [٤] الإحريض : العصف .
[٥] القلة : أعلى الرأس والجبل وكل شيء ، والخضيب : القرار من الأرض عند منقطع الجبل .
[٦] الناحية . [٧] مزيز : فاضل ، من قولهم هذا أمر من هداى أى أفضل منه .
[٨] الحمّة (محرّكة) ، وقبل هى واحد الحمام (بالكسر) .
[٩] نكعه عن الأسر (كنع) رده ودفعه .

الروضة روضةً أطيبَ ريحاً ولا أنضر ، ثم أفَضْنَ في الحديث ، فقلن : أيُّ النساء أفضل ؟ قالت إحداهن : الخُرُود ^(١) الوُدُود الوُلُود . قالت الأخرى : خيرهن ذات الغنَاء ^(٢) ، وطيبِ الثناء ، وشدة الحياء . قالت الثالثة : خيرهن السَّمُوعُ الجَمُوع ، النَّفُوع غير المَنُوع . قالت الرابعة : خيرهن الجامعةُ لأهلها الوادعةُ الرافعة ، لا الواضعة . قلن : فأى الرجال أفضل ؟ قالت إحداهن : خَيْرُهُم الحَظِيّ ^(٣) الرِّضِيّ ، غير الحَظِل ^(٤) البَطِيّ . قالت الثانية : خيرهم السيد الكريم ، ذو الحَسَبِ العميم ، والمجدِ القَدِيم . قالت الثالثة : خيرهم السَّخِيّ ، الوَفَى الرِّضِيّ ، الذى لَا يُغَيِّر ^(٥) الحُرَّة ، ولا يتخذ الضَّرَّة . قالت الرابعة : وأيكن ، إن فى أبى لَنَعْتَكُن ، كَرَم الأخلاق ، والصدقَ عند التَّلَاق ، والفَلَج ^(٦) عند السَّبَاق ، ويحمده أهل الرفاق . قالت المعجفاء عند ذلك : كل فتاة بأبيها مُعْجَبَةٌ .

وفى بعض الروايات أن إحداهن قالت : إن أبى يُكْرَم الجار ، وَيُعْظَم الخِطَار ^(٧) ، وَيَنْجَر العِشَار ^(٨) ، بعد الحَوَار ^(٩) ، وَيَحْمِلُ الأمور الكبار ، ويأْنِف من الصغار ، فقالت الثانية : إن أبى عظيم الخَطَر ، منيع الوزَر ^(١٠) ، عزيز النَّفَر ، يُحْمَدُ منه الوَرْدُ وَالصَّدَر ، فقالت الثالثة : إن أبى صدوق اللسان ، حديد الجَنَان ،

[١] الخرود والحريد والحريدة : الحية الطويلة السكوت الخافضة الصوت المنسترة .

[٢] الكفاية والمنفعة . [٣] الحظي : ذو الخطوة والمكانة عند زوجه ، والحطية كذلك .

[٤] رجل حظل ككتف وشداد وصبور : مقتر محاسب أهله بما ينفق عليهم ، وفى مجمع الأمثال « غير

الحظال ، ولا التبال » والتبال بالتشديد من التبل (بمتع فسكون) وهو الحقد .

[٥] أغار امرأته : تزوج عليها . [٦] الفوز والطمر .

[٧] الخطار جمع خطر كسب وهو البقى يتراهن عليه . [٨] العشار جمع عشراء كفساء وهى من

النوق التى مضى لملها عشرة أشهر أو ثمانية . [٩] الحوار بالضم وقد يكسر : ولد اللاقة ساعة تضعه

أولاً أن يفصل عن أمه . [١٠] الوزر : الملبأ .

رَذُوم^(١) الجِفَان ، كثير الأعوان ، يُزَوِّى السَّنَان ، عند الطَّعْمَان . قالت الرابعة :
 إن أبى كريم النَّزَال ، مُنِيفُ الْمَقَال ، كثير النِّوَال ، قليل السُّوَال ، كريم الفِعال .
 ثم تنافرن إلى كَاهِنَةٍ مَعْمَن فِي الْحَى ، فقلن لَهَا : اسمى ما قلنا ، واحكى
 بيننا واعِدلى ، ثم أَعَدَّنَ عَلَيْهَا قَوْلَهُنَّ ، فقالت لهن : « كل واحدة منكن
 مَارِدَةٌ^(٢) بِأَيِّهَا وَاجِدَةٌ^(٣) ، على الإِحْسَانِ جَاهِدَةٌ ، لِيَصَوِّحِبَاتِهَا حَاسِدَةٌ ، ولكن
 اسمعن قولى : خَيْرُ النِّسَاءِ الْمُبْقِيَةِ عَلَى بَعْلِهَا ، الصَّابِرَةُ عَلَى الضَّرِّاءِ خَافَةٌ أَنْ تَرْجِعَ
 إِلَى أَهْلِهَا مُطْلَقَةً ، فَهِيَ تُؤَثِّرُ حَظَّ زَوْجِهَا عَلَى حَظِّ نَفْسِهَا ، فتلك الْكَرِيمَةُ
 الْكَامِلَةُ ، وخير الرجال الْجَوَادُ الْبَطَل ، القليل الْفَشَل ، إذا سَأَلَهُ الرَّجُلُ ، أَلْفَاهُ
 قَلِيلَ الْعِلَلِ ، كثير النَّفْلِ^(٤) ، ثم قالت : كل واحدة منكن بِأَيِّهَا مُعْجَبَةٌ .
 (مجمع الأمثال ٢ : ٥٤ ، وجهرة الأمثال ٢ : ١٣٣)

٣٤٤ — عفراء الكاهنة تعبر رؤيا مرثد بن عبد كلال

روى أن مَرْتَدَ بْنَ عَبْدِ كَلَالٍ قَفَلَ مِنْ غَزَاةٍ غَزَاهَا بَغْنَامٌ عَظِيمَةٌ ، فَوَفَدَ
 عَلَيْهِ زَعَمَاءُ الْعَرَبِ وَشُعْرَاؤُهَا وَخُطْبَاؤُهَا يَهْتَوْنَهُ ، فَرَفَعَ الْحِجَابَ عَنِ الْوَافِدِينَ .
 وَأَوْسَعَهُمْ عَظَاءً ، واشتد سروره بهم ، فبينما هو كذلك إذ نام يوماً فرأى رُؤْيَا فِي
 الْمَنَامِ أَخَافَتْهُ وَأَذَعَرَتْهُ وَهَالَتْهُ فِي حَالِ مَنَامِهِ ، فَمَا انْتَبَهَ أَنْسِيَهَا حَتَّى لَمْ يَذْكُرْ مِنْهُ
 شَيْئًا ، وَثَبَتَ ارْتِيَاعُهُ فِي نَفْسِهِ بِهَا ، فَانْقَابَ سروره حَزَنًا ، واحتجب عن الوفو
 حَتَّى أَسَاءُوا بِهِ الظَّنَّ ، ثم إنه حَشَرَ الْكُهَّانَ لِيَجْعَلَ يَخْلُو بِكَاهِنٍ كَاهِنٍ ، ثم يقو
 لَهُ : أَخْبِرْنِي عَمَّا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْهُ ، فَيُجِيبُهُ الْكَاهِنُ بِأَنْ لَا عِلْمَ عِنْدِي ، حَتَّى
 يَدْعُ كَاهِنًا عَالِمَهُ إِلَّا كَانَ إِلَيْهِ مِنْهُ ذَلِكَ ، فَتَضَاعَفَ قَلْفُهُ ، وَطَالَ أَرْقُهُ ، وَكَأَنَّ

[١] الرذوم : القصة الممتلئة تنصبب جوانبها . [٢] أى قد بلغت العاية .

[٣] وجد به (بالكسر) أحبه . [٤] النفل : الهبة .

أمه قد تكهنت ، فقالت له : أبيت اللعن أيها الملك ، إن الكواهن أهدى إلى ما تسأل عنه ، لأن أتباع الكواهن من الجان ، أطف وأظرف من أتباع الكهّان ، فأمر بحشر الكواهن إليه ، وسألهم كما سأل الكهّان ، فلم يجد عند واحدة منهم علماً مما أراد علمه ، ولما يئس من طلبته سأل عنها ، ثم إنه بعد ذلك ذهب يتصيد ، فأوغل في طلب الصيد ، وانفرد عن أصحابه ، فرفعت له آيات من ذرّا^(١) جبل ، وكان تدلفحه الهجير ، فمدل إلى الآيات ، وقصد بيتاً منها كان منفرداً عنها ، فبرزت إليه منه عجوز ، فقالت له : أنزل بالرحب والسعة ، والأمن والدعة ، والجفنة المدعّعة^(٢) ، والعلبة المترعة^(٣) ، فنزل عن جواده ، ودخل البيت ، فلما احتجب عن الشمس ، وخفقت عليه الأرواح^(٤) ، نام فلم يستيقظ حتى تصرّم الهجير ، فجلس يمسح عينيه ، فإذا هو بين يديه فتاة لم ير مثلها قواماً ولا جلالاً ، فقالت : « أبيت اللعن أيها الملك الهُمّام ! هل لك في الطعام ؟ » فاشتد إشفاقه وخاف على نفسه لما رأى أنها عرفتُهُ ، وتَصامّ عن كلمتها ، فقالت له : « لا حذر ، فذاك البشر ، فذاك الأكبر ، وحظنا بك الأوفر » . ثم قربت إليه ثريداً وقديداً وحيساً^(٥) ، وقامت تدبُّ عنه ، حتى انتهى أكله ، ثم سقته لبناً صريفاً وضريباً^(٦) ، فشرب ما شاء ، وجعل يتأملها مقبلةً ومُدبرةً ، فلأت عينيه حسناً ، وقلبه هوّى ، فقال لها : ما اسمك يا جارية ؟ قالت : اسمي غفيرة ،

[١] أى فى كسبه وستره . [٢] الجفنة : القصعة ، والمدعّنة : التى ملكت بقوة ثم حركت حتى تراس ما فيها ، ثم ملكت بعد ذلك . [٣] العلبة : قدح ضخم من جلود الابل أو من خشب يحمل فيها ، والمترعة : المملوءة . [٤] الأرواح ، والرياح جمع ربح . [٥] القديد : اللحم المقدد ، أو ما قطع منه طولاً ، والحيس : تمر يخلط بسمن وأقط ، فيعجن شديداً ثم يدر منه نواه (والأقط شئ يتخذ من الخيض النوى) . [٦] الصريف : اللبن ساعة حلب ، والضريب : اللبن يخلب من عدة لفاح فى إناء .

فقال لها : يا عفراء ، من الذى دَعَوْتِهِ بالملك الهمام ؟ قالت : « مَرْتَدَّ العَظِيمُ الشَّانَ ، حَاشِرُ الكَوَاهِنِ وَالْكُهَّانِ ، لِمَعْضِلَةٍ بَعُدَ عَنْهَا الْجَانُّ » ، فقال يا عفراء : أتعلمين تلك المعضلة ؟ قالت : « أَجَلُ أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّهَا رَوْيَا مَنَامٌ ، لَيْسَتْ بِأَضْغَاتٍ ^(١) أَحْلَامٌ » . قال الملك : أَصَبْتَ يَا عَفْرَاءُ ، فَمَا تِلْكَ الرَّوْيَا ؟ قالت : « رَأَيْتَ أَعَاصِيرَ ^(٢) زَوَاجِعَ ، بَعْضُهَا لِبَعْضٍ تَابِعَ ، فِيهَا لَهَبٌ لَامِعٌ ، وَلَهَا دُخَانٌ سَاطِعٌ ، يَقْفُوها نَهْرٌ مُتَدَاوِعٌ ، وَسَمِعْتَ فِيمَا أَنْتَ سَامِعٌ ، دُعَاءَ ذِي جَرَسٍ ^(٣) صَادِعٌ : هَامُّوا إِلَى الْمَشَارِعِ ^(٤) ، فَرَوَى جَارِعٌ ^(٥) ، وَغَرِقَ كَارِعٌ ^(٦) » - فقال الملك : أَجَلٌ ، هَذِهِ رَوْيَايَ ، فَمَا تَأْوِيلُهَا يَا عَفْرَاءُ ؟ قالت : « الْأَعَاصِيرُ الزَّوَاجِعُ ، مَلُوكٌ تَبَايَعَ ^(٧) ، وَالنَّهْرُ عِلْمٌ وَاسِعٌ ، وَالِدَاعَى نَبِيٌّ شَافِعٌ ، وَالْجَارِعُ وَلِيٌّ تَابِعٌ ، وَالْكَارِعُ عَدُوٌّ مُنَازِعٌ » . فقال الملك : يَا عَفْرَاءُ ، أَسَلِمَ هَذَا النَّبِيُّ أَمْ حَرْبٌ ؟ فقالت : « أَقْسَمُ بِرَافِعِ السَّمَاءِ ، وَمُنْزِلِ الْمَاءِ مِنَ الْعَمَاءِ ^(٨) ، إِنَّهُ لَمْ يُطِلْ الدَّمَاءَ ^(٩) ، وَمُنْطَقَ الْعِقَائِلِ نُطْقَ الْإِمَاءِ ^(١٠) » . فقال الملك : إِيْلَامٌ يَدْعُو يَا عَفْرَاءُ ؟ قالت : « إِلَى صَلَاةٍ وَصِيَامٍ ، وَصِلَةٍ أَرْحَامٍ ، وَكُسْرٍ أَصْنَامٍ ، وَتَعْطِيلٍ أَزْلَامٍ ^(١١) ، وَاجْتِنَابِ

[١] أضغاث أحلام : رؤيا لا يصح تأويلها لاختلاطها . [٢] الأعاصير جمع إعصار وهو الرمح الذى تهب من الأرض كالعمود نحو السماء ، أو التى فيها العصار بالكسر وهو الغبار الشديد .
[٣] الجرس : الصوت . [٤] المشارع جمع مشرعة وهى مورد الشاربة . [٥] جارِع فاعل من جرع الماء كسمِع ومنع إذا بلمه . [٦] كارِع فاعل من كرع فى الماء كسمِع ومنع تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بأماه . [٧] التبايع جمع تبع كسكر : ملوك اليمين .
[٨] العماء : السحاب الكثيف . [٩] انظر قوله عليه الصلاة والسلام فى خطبته فى حجة الوداع « وإن دماء الجاهلية موضوعة » . [١٠] العقائل : كرائم النساء جمع عقيلة ، والبطق جمع نطق ككتاب والنطاق والمنطقة : ما تشد به المرأة وسطها للهناء . ونطقها تنطيقا : ألبسها النطاق فتنطق وتنتطق ومنطق النساء أى يسبين فيشدون النطق على أوساطهن للخدمة كالإماء . [١١] الأزلام جمع زلم كذب : قذاح كان العرب يستقسمون بها فى الجاهلية (أى يطلبون معرفة ما قسم لهم) وذلك أنهم كانوا إذا قصدوا فلا من تجارة أو سفر أجلوا ثلاثة قذاح (القذاح جمع قذح بالكسر وهو السهم قبل أن يرش) وكانت عند أصنامهم ، أحدها مكتوب عليه : أمرنى ربى ، والثانى : نهانى ربى ، والثالث : ذفل ، فإن خرج الأول مضوا فى الأمر ، أو الثانى أحجموا عنه ، أو الثالث أجالوها ثانية حتى يخرج أحد الأولين .

آثام » فقال الملك : يا عفراء ، إذا ذبح قومُهُ فمن أعضاده ^(١) ؟ قالت : أعضاده غَطَارِيفُ ^(٢) يَمَآئُونُ ، طَائِرُهُمْ بِهِ مَيِّمُونَ ، يُغْزِيهِمْ فِيغْزُونَ ، وَيُدَمِّتُ ^(٣) بِهِمُ الْحَزُونُ ، وإلى نصره يَتَعَتَّرُونَ . فأطرق الملك يُؤَامِرُ ^(٤) نفسه في خِطْبَتِهَا ، فقالت : « أَيْدِي اللَّعْنِ أَيُّهَا الْمَلِكُ ! إِنْ تَابَعِيَ غَيُورٌ ، وَلَأْمَرِي صَبُورٌ ، وَنَاكْحِي مَثْبُورٌ ، وَالْكَأَفُ بِي ثُبُورٌ ^(٥) » . فنهض الملك وجال في صَهْوَةٍ ^(٦) جَوَادِهِ ، وانطلق ، فبعث إليها بمائة ناقة كَوْمَاءَ ^(٧) . (بلوغ الأرب ٣ : ٢٩٦)

[١] الأعضاد : الأنصار جمع عضد ، والذبح معروف ، والمراد هنا إذا قطعوه وتركوا نصرته .
[٢] الغطاريف جمع غطريف وهو السيد الشريف . [٣] يسهل ، والحزون جمع حزن كشمس وهو ما غلط من الأرض . [٤] يشاور . [٥] الثبور : الهلاك . [٦] الصهوة : مقعد الفارس من ظهر فرسه . [٧] الكوماء : الناقة العظيمة السنام .

اتتهى الجزء الأول

ويليه

الجزء الثانى وأوله : الباب الثالث فى خطب ووصايا

العصر الأموى

فهرس

الخطب الأول

من جمهرة خطب العرب

الباب الأول

الخطب والوصايا في العصر الجاهلي

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
إصلاح مرثد الخير بين سبيع بن الحارث وبين ميثم بن مثوب		١
مقال مرثد الخير	١	٢
مقال سبيع بن الحارث	٢	٢
مقال ميثم بن مثوب	٣	٣
مقال مرثد الخير	٤	٤
طريف بن العاصي والحارث بن ذيخان يتفاخران عند بعض مقال حمير	٥	٥
مناقرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين	٦	٨
أشراف العرب بين يدي كسرى		١١
مقال حذيفة بن بدر الفزاري	٧	١٢
مقال الأشعث الكندي	٨	١٢
مقال بسطام الشيباني	٩	١٣
مقال حاجب بن زرارة	١٠	١٣
مقال قيس بن عاصم السعدي	١١	١٥

وفود العرب على كسرى

١٥.

خطبة النعمان بن المنذر	١٢	١٦
» أكتم بن صيفي التميمي	١٣	٢١
» حاجب بن زرارة التميمي	١٤	٢٢
» خطبة الحارث بن عباد البكري	١٥	٢٣.
» عمرو بن الشريد السلمي	١٦	٢٤
» خالد بن جعفر السكلابي	١٧	٢٥
» علقمة بن علاثة العامري	١٨	٢٥
» قيس بن مسعود الشيباني	١٩	٢٦
» عامر بن الطفيل العامري	٢٠	٢٧
» عمرو بن معديكرت الزبيدي	٢١	٢٨
» الحارث بن ظالم المري	٢٢	٢٨

وفود العرب يعزون سلامة ذا فائش بابنه

٣٠

خطبة الملبب بن عوف	٢٣	٣٠
خطبة جمادة بن أفلح	٢٤	٣٠
تعزية أكتم بن صيفي لعمرو بن هند عن أخيه	٢٥	٣١
خطبة عبد المطلب بن هاشم	٢٦	٣١
خطبة هاشم بن عبد مناف	٢٧	٣٢
خطبة كعب بن لؤي	٢٨	٣٣
تساؤل عامر بن الظرب وحممة بن رافع عند أحد ملوك حمير	٢٩	٣٤
خطبة قس بن ساعدة الأيادي	٣٠	٣٥
خطبة المأمون الحارثي	٣١	٣٦
خطبة هاني بن قبيصة الشيباني	٣٢	٣٧

الخطبة أو الوصية

رقم الصفحة	رقم الخطبة	
٣٧	٣٣	خطبة عمرو بن كلثوم
٣٨	٣٤	خطبة أبي طالب في زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة
٣٨	٣٥	حديث بعض مقاول حمير مع ابنه
٤٣	٣٦	قيس بن خفاف البرجمي وحاتم طي
٤٥	٣٧	وصية أوس بن حارثة لابنه مالك
٤٦	٣٨	» ذى الاصبع العدواني لابنه أسيد
٤٦	٣٩	» أ كثم بن صيفي لبنيه ورهطه
٤٧	٤٠	نصيحة أ كثم بن صيفي لقومه
٤٨	٤١	وصية عمرو بن كلثوم لبنيه
٤٩	٤٢	وصية الحرث بن كعب لبنيه

[تنبيه] بقية خطب العصر الجاهلي ستأتي بعد من صفحة ٢٧٢ إلى الآخر .

الباب الثاني

الخطب والوصايا في عصر صدر الإسلام

خطب النبي صلى الله عليه وسلم

أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه

خطبته يوم فتح مكة

خطبة له عليه الصلاة والسلام

» » » »

» » » »

» » » »

خطبته بالخيف

خطبة له عليه الصلاة والسلام

٥١	٤٣
٥٢	٤٤
٥٢	٤٥
٥٣	٤٦
٥٣	٤٧
٥٤	٤٨
٥٤	٤٩
٥٥	٥٠

الخطبة أو الوصية

الصفحة	رقم الخطبة	
٥٥	٥١	أول خطبة خطبها بالمدينة
٥٦	٥٢	خطبته في أول جمعة جمعها بالمدينة
٥٧	٥٣	خطبته في حجة الوداع
٦٠	٥٤	خطبته في مرض موته
خطب يوم السقيفة		
٦١	٥٥	خطبة سعد بن عباد
٦٢	٥٦	خطبة أبي بكر رضى الله عنه
٦٣	٥٧	نص آخر لخطبة أبي بكر يوم السقيفة
٦٤	٥٨	خطبة الحباب بن المنذر
٦٤	٥٩	» عمر بن الخطاب رضى الله عنه
٦٤	٦٠	» أخرى للحباب بن المنذر
٦٥	٦١	» بشير بن سعد
خطب أبي بكر رضى الله عنه		
٦٦	٦٢	خطبته يوم قبض الرسول صلى الله عليه وسلم
٦٧	٦٣	خطبته بعد البيعة
٦٧	٦٤	خطبة أخرى له بعد البيعة
٦٩	٦٥	» »
٧٠	٦٦	» له
٧١	٦٧	» »
٧٢	٦٨	» . »
٧٣	٦٩	خطبة له في ندب الناس لفتح الشام
٧٣	٧٠	خطبة له في الأنصار

وصايا

وصيته لأسامة بن زيد	٧١	٧٤
وصيته لعمر بن العاص والوليد بن عقبة	٧٢	٧٥
وصيته لخالد بن الوليد	٧٣	٧٥
وصيته ليزيد بن أبي سفيان	٧٤	٧٥
كلامه لعبد الرحمن بن عوف في علمته التي مات فيها	٧٥	٧٧
خطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه		
خطبته حين ولي الخلافة	٧٧	٧٩
خطبة أخرى	٧٨	٧٩
خطبة له	٧٩	٨٠
خطبة له	٨٠	٨٠
خطبة أخرى	٨١	٨١
خطبة له	٨٢	٨٢
خطبة له	٨٣	٨٣
خطبة له	٨٤	٨٥
خطبة له	٨٥	٨٦
خطبة له	٨٦	٨٦
خطبته عام الرمادة	٨٧	٨٧

ندب الناس لقتال فارس

خطبة المثني بن حارثة الشيباني	٨٨	٨٨
عمر رضى الله عنه	٨٩	٨٩

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة له وقد شيع جيش سعد بن أبي وقاص	٩٠	٨٩
خطبته وقد بلغه أن قوماً يفضلونه على الصديق	٩١	٩٠
وصاياه		
وصيته للمجاهدين	٩٢	٩١
» لسعد بن أبي وقاص	٩٣	٩١
» لسعد بن أبي وقاص أيضاً	٩٤	٩٣
» أخرى كتبها لسعد بن أبي وقاص	٩٥	٩٣
» للخليفة من بعده	٩٦	٩٥
خطب يوم الشورى		
خطبة عبد الرحمن بن عوف	٩٧	٩٧
» عثمان بن عفان	٩٨	٩٨
» الزبير بن العوام	٩٩	٩٨
» سعد بن أبي وقاص	١٠٠	٩٩
» علي بن أبي طالب	١٠١	٩٩
خطب عثمان بن عفان رضى الله عنه		
خطبته حين بايعه أهل الشورى	١٠٢	١٠٠
خطبته بعد البيعة	١٠٣	١٠١
خطبة أخرى	١٠٤	١٠١
خطبته حين تقم عليه الناس	١٠٥	١٠٢
خطبته التي نزع فيها وأعطي الناس من نفسه التوبة	١٠٦	١٠٢
خطبته في الرد على الثوار	١٠٧	١٠٣

الخطبة أو الوصية

رقم الصفحة	رقم الخطبة	
١٠٤	١٠٨	خطبته وقد اشتد عليه الحصار
١٠٤	١٠٩	آخر خطبة خطبها عثمان
		خطب الوفود
١٠٥	١١٠	خطبة عطار بن حاجب بن زرارة بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
١٠٦	١١١	خطبة ثابت بن قيس بن الشماس
١٠٦	١١٢	عمرو بن الاهتم والبرقان بن بدر بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم
١٠٧	١١٣	خطبة طهفة بن أبي زهير النهدي
١٠٨	١١٤	ردّه صلى الله عليه وسلم
١٠٩	١١٥	خطبة ظبيان بن حداد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
		خطب الوفود بين يدي عمر بن الخطاب
		رضي الله عنه
١١١	١١٦	خطبة هلال بن بشر
١١١	١١٧	» زيد بن جبلة
١١٢	١١٨	» الأحنف بن قيس
١١٢	١١٩	» الأحنف بن قيس
		خطب رجال من الفاتحين
		بين يدي يزيد جرد ملك الفرس
١١٤	١٢٠	خطبة النعمان بن مقرن
١١٥	١٢١	» المغيرة بن زرارة
١١٦	١٢٢	مقال ربيع بن عامر عند رستم قائد جيش الفرس
١١٧	١٢٣	خطبة المغيرة بن شعبة في حضرة رستم
١١٧	١٢٤	» خالد بن الوليد في وقعة اليرموك

الخطبة أو الوصية

رقم الصفحة	رقم الخطبة	
١١٩	١٢٥	خطبة عتبة بن غزوان بعد فتح الأبله
١٢٠	١٢٦	» سعيد بن العاص حين قدم الكوفة والياً عليها
١٢٠	١٢٧	الخنساء تحرض أولادها على القتال
١٢١	١٢٨	خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح أفريقية
١٢٣	١٢٩	» السيدة عائشة في الانتصار لأبيها
١٢٥	١٣٠	رثاؤها لأبيها
١٢٦	١٣١	خطبتها حين أنبت بقتل عمان

فتنة أصحاب الجمل

١٢٧	١٣٢	خطبة طلحة
١٢٧	١٣٣	» السيدة عائشة بالمربد
١٢٨	١٣٤	» عدى بن حاتم يستنفر قومه لنصرة الإمام علي رضي الله عنه
١٢٩	١٣٥	» زفر بن زيد يستنفر قومه لنصرة الإمام علي رضي الله عنه
١٣٠	١٣٦	» سعيد بن عبيد الطائي
١٣٠	١٣٧	» أبي موسى الأشعري
١٣١	١٣٨	» أخرى له
١٣٢	١٣٩	» زيد بن صوحان
١٣٢	١٤٠	» القعقاع بن عمرو
١٣٣	١٤١	» سيحان بن صوحان
١٣٣	١٤٢	» الحسن بن علي رضي الله عنه
١٣٤	١٤٣	وفادة القعقاع بن عمرو إلى أصحاب الجمل
١٣٦	١٤٤	خطبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه
١٣٦	١٤٥	» السيدة عائشة يوم الجمل
١٣٨	١٤٦	» زفر بن قيس

الخطبة أو الوصية

رقم
الصفحة

رقم
الخطبة

خطبة جرير بن عبد الله البجلي ١٤٧ ١٣٨

» زياد بن كعب ١٤٨ ١٣٩

» الأشعث بن قيس ١٤٩ ١٣٩

فتنة معاوية

استطلاع الإمام عليّ كرم الله وجهه آراء أصحابه

وقد أراد المسير إلى الشام

خطبة الإمام عليّ ١٥٠ ١٤٠

» هاشم بن عتبة ١٥١ ١٤٠

» عمار بن ياسر ١٥٢ ١٤١

» قيس بن سعد بن عبادة ١٥٣ ١٤١

» سهل بن حنيف ١٥٤ ١٤٣

» الإمام عليّ ١٥٥ ١٤٢

» الأشتر النخعي ١٥٦ ١٤٣

مقال من ثبطوه عن المسير ١٥٧ ١٤٤

رد الإمام عليهم ١٥٨ ١٤٤

خطبة عدى بن حاتم الطائي ١٥٩ ١٤٥

» زيد بن حصين الطائي ١٦٠ ١٤٦

» أبي زينب بن عوف ١٦١ ١٤٦

» يزيد بن قيس الأرحبي ١٦٢ ١٤٧

» زياد بن النضر ١٦٣ ١٤٧

» عبد الله بن بديل الخزاعي ١٦٤ ١٤٧

أدب الإمام عليّ كرم الله وجهه ١٦٥ ١٤٩

الخطبة أو الوصية

رقم الصفحة	رقم الخطبة	
١٤٩	١٦٦	مقال عمرو بن الحق
١٥٠	١٦٧	» حجر بن عدى
١٥٠	١٦٨	» هاشم بن عتبة
١٥٢	١٦٩	خطبة الامام على
١٥٣	١٧٠	» الحسن بن على
١٥٣	١٧١	» الحسين بن على

وفد على إلى معاوية

١٥٤	١٧٢	خطبة بشير بن عمرو
١٥٥	١٧٣	» شعث بن ربيع
١٥٥	١٧٤	» معاوية

وفد على الى معاوية أيضا

١٥٦	١٧٥	خطبة عدى بن حاتم
١٥٦	١٧٦	جواب معاوية
١٥٧	١٧٧	خطبة يزيد بن قيس
١٥٧	١٧٨	» معاوية

وفد معاوية الى على

١٦٠	١٧٩	خطبة حبيب بن مسلمة
١٦١	١٨٠	» على بن أبى طالب

التحريض على القتال من قبل معاوية

١٦٢	١٨١	خطبة عمرو بن العاص
١٦٣	١٨٢	» أخرى لعمرو بن العاص
١٦٣	١٨٣	» معاوية بن أبى سفيان يحرض أهل الشام

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة ذى الكلاع الحميرى	١٨٤	١٦٤
» يزيد بن أسد البجلي	١٨٥	١٦٧
التحريض على القتال من قبل الامام علىؑ		
خطبة الامام على	١٨٦	١٦٩
» أخرى له	١٨٧	١٧٠
من كلام له كرم الله وجهه كان يقوله لأصحابه فى بعض أيام صفين	١٨٨	١٧١
خطبة أخرى للامام	١٨٩	١٧٢
» للامام علىؑ	١٩٠	١٧٣
» أخرى له	١٩١	١٧٤
» عبد الله بن عباس	١٩٢	١٧٤
» عبد الله بن بديل الخزاعى	١٩٣	١٧٦
» أبى الهيثم بن التيهان	١٩٤	١٧٦
» للامام على	١٩٥	١٧٧
» سعيد بن قيس	١٩٦	١٧٨
» يزيد بن قيس الأرحبى	١٩٧	١٧٩
» هاشم بن عتبة المرفال	١٩٨	١٨٠
» عمار بن ياسر	١٩٩	١٨١
» الأشتر النخعى	٢٠٠	١٨٢
» الأشتر فى المنهزمين من اليمنة	٢٠١	١٨٣
» أخرى له فيهم	٢٠٢	١٨٤
» على فيهم وقد عادوا إلى مواقفهم	٢٠٣	١٨٥
» خطبة خالد بن معمر	٢٠٤	١٨٦
» عقبة بن حديد النمرى	٢٠٥	١٨٨

الخطبة أو الوصية

الصفحة	رقم الخطبة	
١٨٧	٢٠٦	خطبة خنثر بن عبيدة بن خالد
١٨٨	٢٠٧	تحريض معاوية أيضاً
١٨٩	٢٠٨	ماخاطب به النعمان بن بشير قيس بن سعد في وقعة صفين
١٩٠	٢٠٩	جواب قيس بن سعد
١٩١		خطب الشيعيات في وقعة صفين
١٩١	٢١٠	خطبة عكرشة بنت الأطرش
١٩٣	٢١١	» أم الخير بنت الحريش
١٩٦	٢١٢	» الزرقاء بنت عدى الهمدانية
١٩٨		اختلاف أهل العراق في المواقعة
١٩٨	٢١٣	خطبة الإمام عليّ كرم الله وجهه
١٩٩	٢١٤	» كردوس بن هاني
١٩٩	٢١٥	» سفيان بن ثور
١٩٩	٢١٦	» حريث بن جابر
٢٠٠	٢١٧	» خالد بن معمر
٢٠٠	٢١٨	» الحصين بن المنذر
٢٠٠	٢١٩	» عثمان بن حنيف
٢٠٢	٢٢٠	» عدى بن حاتم
٢٠٣	٢٢١	» عبد الله بن حجل
٢٠٣	٢٢٢	» صعصعة بن صوحان
٢٠٤	٢٢٣	» المنذر بن جارود
٢٠٤	٢٢٤	» مالأحنف بن قيس
٢٠٥	٢٢٥	» عمير بن عطار
٢٠٥	٢٢٦	» عليّ بن أبي طالب

الخطبة أو الوصية

الصفحة	رقم الخطبة	
٢٠٥	٢٢٧	مقال عدى بن حاتم
٢٠٦	٢٢٨	» الأشتر النخعي
٢٠٦	٢٢٩	» عمرو بن الحق
٢٠٦	٢٣٠	» الأشعث بن قيس
٢٠٧	٢٣١	» عبد الرحمن بن الحارث
٢٠٧	٢٣٢	» عمار بن ياسر

التحكيم بين عليّ ومعاوية

٢٠٨	٢٣٣	كلام عبد الله بن عباس لأبي موسى الأشعري
٢٠٩	٢٣٤	وصية شريح بن هاني » » »
٢١٠	٢٣٥	» الأحنف بن قيس » » »
٢١١	٢٣٦	» معاوية لعمر بن العاص
٢١٢	٢٣٧	رد عمرو بن العاص عليه
٢١٢	٢٣٨	مقال شرحبيل بن السمط لعمر
٢١٢	٢٣٩	خطبة أبي موسى الأشعري
٢١٢	٢٤٠	» عمرو بن العاص
٢١٣	٢٤١	» الإمام بعد التحكيم
٢١٤	٢٤٢	» الحسن بن عليّ
٢١٤	٢٤٣	» عبد الله بن عباس
٢١٥	٢٤٤	» عبد الله بن جعفر

فتنة الخوارج

٢١٥	٢٤٥	مناظرة ابن عباس لهم
٢١٧	٢٤٦	» الإمام لهم

الخطبة أو الوصية

رقم الصفحة	رقم الخطبة	
٢١٨	٢٤٧	صورة أخرى
٢٢١	٢٤٨	مناظرة ابن عباس لهم
٢٢٢	٢٤٩	خطبة يزيد بن عاصم المحاربي
٢٢٣	٢٥٠	» عبد الله بن وهب الراسبي
٢٢٤	٢٥١	» حرقوص بن زهير السعدي
٢٢٤	٢٥٢	» حمزة بن سنان الأسدي
٢٢٤	٢٥٣	» شريح بن أوفى العبسي
٢٢٥	٢٥٤	مقال زيد بن حصين الطائي
٢٢٦	٢٥٥	خطبة الإمام في تخويف أهل النهروان
٢٢٨	٢٥٦	صورة أخرى
٢٢٩	٢٥٧	خطبة المستورد بن علفة
خور أصحاب الإمام وتقاعسهم عنه		
٢٣٠	٢٥٨	خطبة ابن عباس في أهل البصرة
٢٣١	٢٥٩	» الامام وقد أراد الانصراف من النهروان
٢٣١	٢٦٠	مقال الأشعث بن قيس
٢٣٢	٢٦١	خطبة الامام يستنفر لقتال معاوية
٢٣٣	٢٦٢	» » » » »
٢٣٤	٢٦٣	صورة أخرى
٢٣٦	٢٦٤	خطبة أبي أيوب الأنصاري
٢٣٦	٢٦٥	» الامام وقد أعار النعمان بن بشير على عين التمر
٢٣٧	٢٦٦	صورة أخرى
	٢٦٧	خطبة الإمام وقد أعار الضحاك على الحيرة
٢٨٩		» » وقد أعار سفيان بن عوف على الانبار

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة للحسن بن عليّ في يوم الجمعة	٢٦٩	٢٤٣
» معاوية وقد بلغه هلاك الأشتر	٢٧٠	٢٤٣
فتنة البصرة		٢٤٤
تسيير معاوية عبد الله بن عامر الحضرمي إليها ومقتله		٢٤٤
خطبة عبد الله بن عامر الحضرمي	٢٧١	٢٤٤
» الضحاك بن عبد الله الهلالي	٢٧٢	٢٤٥
» عبد الرحمن بن عمير القرشي	٢٧٣	٢٤٦
» زياد بن أبيه	٢٧٤	٢٤٧
» شيان الأزدي	٢٧٥	٢٤٧
» صبرة بن شيان	٢٧٦	٢٤٧
» الامام عليّ	٢٧٧	٢٤٨
» أعين بن ضبيعة	٢٧٨	٢٤٩
» جارية بن قدامة	٢٧٩	٢٥٠
» زياد	٢٨٠	٢٥٠
» أبي صبرة شيان	٢٨١	٢٥١
» صبرة بن شيان	٢٨٢	٢٥١
» خنفر الحمانى	٢٨٣	٢٥٢
صعصة بن صوحان ومعاوية	٢٨٤	٢٥٣
خطبة عبد الله بن مسعود	٢٨٥	٢٥٧
وصية دريد بن الصمة	٢٨٦	٢٥٨
» عمير بن حبيب الصحابي لبنيه	٢٨٧	٢٥٩
» قيس بن عاصم المنقرى لبنيه	٢٨٨	٢٥٩
» العباس بن عبد المطالب لابنه عبد الله	٢٨٩	٢٦٠

الخطبة أو الوصية

رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة أكرم بن صيفي يدعو قومه إلى الاسلام	٢٩٠
وصية أبي طالب لوجوه قريش عند موته	٢٩١
خطبة مالك بن نمط بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٩٢
سفانة بنت حاتم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٩٣
خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء	٢٩٤
أبو زيد الطائي يصف الأسد	٢٩٥
تتمة في الحكم	٢٩٦

بقية العصر الجاهلي

خطبة هاشم بن عبد مناف في قريش وخزاعة	٢٩٧	٢٧٢
منافرة عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية	٢٩٨	٢٧٣
مقال قبيصة بن نعيم لامرئ القيس بن حجر	٢٩٩	٢٧٤
رد امرئ القيس عليه	٣٠٠	٢٧٥
بين مهلهل بن ربيعة ، ومرة بن ذهل الشيباني	٣٠١	٢٧٦
مادار من الحديث بين المنذر بن النعمان الأكبر وبين عامر بن جوين الطائي	٣٠٢	٢٧٨
قيس بن رفاعه والحارث بن أبي ثمر الغساني	٣٠٣	٢٨٢
قس بن ساعدة عند قيصر	٣٠٤	٢٨٣
رواد مذحج يصفون ما ارتادوا من المراعي	٣٠٥	٢٨٣
إحدى ملكات اليمن وحاطبوها	٣٠٦	٢٨٥
خطبة عامر بن الظرب العدواني وقد خطبت ابنته	٣٠٧	٢٨٦
وصية عامر بن الظرب العدواني	٣٠٨	٢٨٧
» دويد بن زيد لبنيه	٣٠٩	٢٨٨
» زهير بن جناب الكلبي	٣١٠	٢٨٩
» النعمان بن ثواب العبدي لبنيه	٣١١	٢٩٠

الخطبة أو الوصية

رقم الصفحة	رقم الخطبة	
٢٩١	٣١٢	وصية قيس بن زهير لبني النمر بن قاسط
٢٩٢	٣١٣	نصيحة الجملة بنت قيس بن زهير لجدّها الربيع بن زياد
٢٩٣	٣١٤	وصية حصن بن حذيفة لبنيه
٢٩٤	٣١٥	وصف عصام الكندية أم إياس بنت عوف بن محلم الشيباني
٢٩٦	٣١٦	وصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس
٢٩٧	٣١٧	لبيد بن ربيعة يصف بقلة
٢٩٨	٣١٨	مخالس بن مزاحم ، وفاصر بن سلمة عند النعمان بن المنذر
٣٠٠	٣١٩	ضمرة بن ضمرة عند النعمان بن المنذر
٣٠١	٣٢٠	وصية لأكثم بن صيفي
٣٠٥	٣٢١	» أ كثم بن صيفي لطبي
٣٠٦	٣٢٢	أمثال أكثم بن صيفي وبزر جهر الفارسي
٣١٢	٣٢٣	كلمات هند بنت الحس الايادية

خطب الكهان

٣١٦	٣٢٤	الكاهن الخزاعي ينفر هاشم بن عبد مناف على أمية بن عبد شمس
٣١٧	٣٢٥	عوف بن ربيعة الأسدي يتكهن بمقتل حجر بن الحارث
٣١٨	٣٢٦	كاهن بني الحارث بن كعب يحذرهم غزو بني تميم
٣١٩	٣٢٧	أحد كهان اليمن يفصل في أمر هند بنت عتبة
٣٢٠	٣٢٨	خمسة نفر من طي* يمتحنون سواد بن قارب الدوسي
٣٢٤	٣٢٩	حديث مصاد بن مذعور القيني
٣٢٦	٣٣٠	» خنافر بن التوهم الحميري مع رثيه شصار
٣٢٨	٣٣١	شافع بن كليب الصدفي يتكهن بظهور النبي صلى الله عليه وسلم
٣٢٩	٣٣٢	سطيح الذئبي يعبر رؤيا ربيعة بن نصر اللخمي
٣٣١	٣٣٣	شق أعمار يعبر رؤيا ربيعة بن نصر أيضاً

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
وفود عبد المسيح بن ببيعة على سطيح	٣٣٤	٣٣٢
شق وسطيح ينبئان بأصل ثقيف	٣٣٥	٣٣٥
تنافر عبد المطلب بن هاشم والثقيفين إلى عزي سلمة الكاهن	٣٣٦	٣٣٦
ما أمر به عبد المطلب بن هاشم في منامه من حفر زمزم	٣٣٧	٣٣٨
خطب الكواهر		
الشعناء الكاهنة تصف سبعة إخوة	٣٣٨	٣٣٩
طريقة الخير تتكهن بسيل العرم ، وخراب سد مأرب	٣٣٩	٣٤٢
حديث زبراء الكاهنة مع بى رثام	٣٤٠	٣٤٧
كاهنة ذى الخلصة تتكهن بما فى بطن رقية بنت جشم	٣٤١	٣٤٩
رأى سلمى الهمدانية فى حريم المرادى	٣٤٢	٣٥٠
تنافر العجفاء بنت علقمة وصواجاتها إلى الكاهنة السعدية	٣٤٣	٣٥٠
عفراء الكاهنة تعبر رؤيا مرثد بن عبد كلال	٣٤٤	٣٥٢



فهرس أعلام الخطباء

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إنباع اسم كل خطيب بأرقام الصفحات التي وردت فيها خطبه

<p>امرؤ القيس ٢٧٥ أوس بن حارثة ٤٥ - ب - بسطام الشيباني ١٢ بشير بن سعد ٦٥ بشير بن عمرو ١٥٤</p>	<p>- أ - أبو أيوب الأنصاري ص ٢٣٦ أبو بكر الصديق رضي الله عنه ٦٢ - ٦٣ ٦٦ - ٦٧ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ ٧٤ - ٧٥ - ٧٧ - ٧٨ - ٢٦٩ أبو زيد الطائي ٢٦٦ أبو زينب بن عوف ١٤٦ أبو طالب بن عبد المطلب ٣٨ - ٢٦٢ أبو موسى الأشعري ١٣٠ - ١٣١ - ٢١٢ أبو الهيثم بن التيهان ١٧٦ الأحنف بن قيس ١١٢ - ٢٠٤ - ٢١٠ الأشتر النخعي ١٤٣ - ١٨٢ - ١٨٣ ١٨٤ - ٢٠٦ الأشعث بن قيس الكندي ١٢ - ١٣٩</p>
<p>- ث - ثابت بن قيس بن الشماس ١٠٦ - ج - جارية بن قدامة ٢٥٠ جرير بن عبد الله البجلي ١٣٨ جماعة بن أفلح ٣٠ الجمانة بنت قيس ٢٩٢</p>	<p>٢٠٦ - ٢٣١ أعين بن ضبيعة ٢٤٩ أكثم بن صيفي ٢١ - ٣١ - ٤٦ - ٤٧ ٢٦٠ - ٣٠١ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣١١ أمامة بنت الحارث ٢٩٦ أم الخير بنت الحريش ١٩٣</p>
<p>- ح - حاجب بن زرارة ١٣ - ٢٢ الحارث بن ذبيان ٥ الحارث بن ظالم المزني ٢٨ الحارث بن عباد ٢٣ الحارث بن كعب ٤٩</p>	<p></p>

— ذ —

ذو الأصبع المدواني ٤٦

ذو الكلاع الحيرى ١٦٤

— ر —

ربيع بن عامر ١١٦

— ز —

زبراء الكاهنة ٣٤٧

الزبير بن العوام ٩٨

الزرفاء بنت عدى ١٩٧

زفر بن قيس ١٢٩ - ١٣٨

زهير بن جناب الكلبي ٢٨٩

زياد بن أبيه ٢٤٧ - ٢٥٠

زياد بن كعب ١٣٩

زياد بن النضر ١٤٧

زيد بن جبلة ١١١

زيد بن حصين الطائي ١٤٦ - ٢٢٥

زيد بن صوحان ١٣٢

— س —

سبيع بن الحارث ٢

سطيح الذئبي ٣٢٩ - ٣٣٢ - ٣٣٥

سعد بن أبي وقاص ٩٩

سعد بن عبادة ٦١

سعيد بن العاص ١٢٠

الحباب بن المنذر ٦٤

حبیب بن مسلمة ١٦٠

حجر بن عدى ١٥٠

حذيفة بن بدر الفزارى ١٢

حرقوص بن زهير ٢٢٤

• حويث بن جابر ١٩٩

الحسن بن على ١٣٣ - ١٥٣ - ٢١٤ - ٢٤٣

الحسين بن على ١٥٣

حصن بن حذيفة ٢٩٢

الحصين بن المنذر ٢٠٠

حمزة بن سنان ١٢٤

حمدة بن رافع الدوسى ٣٤

— خ —

خالد بن جعفر الكلابي ٢٥

خالد بن معمر ١٨٦ - ٢٠٠

خالد بن الوليد ١١٧

خنثر بن عبيدة ١٨٧

الخنساء ١٢٠

خنقر الحماي ٢٥٢

د

دريد بن الصمة ٢٥٨

دويد بن زيد ٢٨٨

- ط -

- طريف بن العاصي ٥
طريفة الكاهنة ٣٤٢
طلحة بن عبيد الله ١٢٧
طهفة بن أبي زهير التهدي ١٠٧

- ظ -

- ظبيان بن حداد ١٠٩

- ع -

- عائشة رضى الله عنها ١٢٣ - ١٢٥ -
١٢٦ - ١٢٧ - ١٣٦
عامر بن جوين ٢٧٨
عامر بن الطفيل ٨ - ٢٧
عامر بن الظرب ٢٨٦ - ٢٨٧
عبد الرحمن بن الحارث ٢٠٧
عبد الرحمن بن عمير ٢٤٦
عبد الرحمن بن عوف ٩٧
عبد الله بن بديل بن ورقاء ١٤٨ - ١٧٦
عبد الله بن جعفر ٢١٥
عبد الله بن حجل ٢٠٣
عبد الله بن الزبير ١٢١
عبد الله بن عامر الحضرمي ٢٤٤
عبد الله بن عباس ١٧٤ - ٢٠٨ -
٢١٤ - ٢١٥ - ٢٢١ - ٢٣٠ - ٢٧١

- سعيد بن عبيد الطائي ١٣٠
سفانة بنت حاتم ٢٦٤
سفيان بن ثور ١٩٩
سلمى الهمدانية ٣٥٠
سهل بن حنيف ١٤٢
سواد بن قارب ٣٢١
سيحان بن صوحان ١٣٣

- ش -

- شافع بن كليب الصدفي ٣٢٨
شيث بن ربيعي ١٥٥
شرحبيل بن السمط ٢١٢
شريح بن أوفى ٢٢٤
شريح بن هانيء ٢٠٩
الشعثاء الكاهنة ٣٣٩
شق أنمار ٣٣١ - ٣٣٥
شيان الأزدي ٢٤٧ - ٢٥١

- ص -

- صبرة بن شيان ٢٤٧ - ٢٥١
صعصعة بن صوحان ٢٠٣ - ٢٥٣

- ض -

- الضحاك بن عبد الله الهلالي ٢٤٥
ضمرة بن ضمرة ٣٠٠

٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ -	٢٧٢ - ٢٥٧	عبد الله بن مسعود
٢٣٩ - ٢٤٩	٢٢٣	عبد الله بن وهب
٢٠٧ - ١٨١ - ١٤١	٣٣٨ - ٣١	عبد المطلب بن هاشم
عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٦٤ - ٧٩ -	١١٩	عتبة بن غزوان
٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٥ - ٨٦ -	٢٠٠	عثمان بن حنيف
٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ -	عثمان بن عفان رضى الله عنه ٩٨ - ١٠٠ -	
٩٣ - ٩٥ - ٢٧٠	١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ٢٧١	عجفاء بنت علقمة
عمر بن الأهتم ١٠٦	٣٥٠	عدى بن حاتم
عمر بن الحق ١٤٩ - ٢٠٦	١٢٨ - ١٤٥ - ١٥٦ - ٢٠٢ - ٢٠٥	
عمر بن الشريد ٢٤	عري سلمة ٣٣٦	
عمر بن العاص ١٦٢ - ١٦٣ - ٢١١ - ٢١٢	عصام الكندي ٢٩٤	
عمر بن كلثوم ٣٧ - ٤٨	عطارد بن حاجب بن زرار ١٠٥	
عمر بن معديكرب الزبيدي ٢٨	غفراء الكاهنة ٣٥٢	
عمير بن حبيب ٢٥٩	عقبة بن حديد النمرى ١٨٧	
عمير بن عطارد ٢٠٥	عكرشة بنت الأطرش ١٩١	
عوف بن ربيعة الأسدي ٣١٧	علقمة بن علاثة ٨ - ٢٥	
— ق —	على بن أبى طالب كرم الله وجهه	
فاصر بن مسلمة ٢٩٨	٩٩ - ١٣٦ - ١٤٠ - ١٤٢ - ١٤٤ -	
قبيصة بن نعيم ٢٧٤	١٤٩ - ١٥٢ - ١٦١ - ١٦٩ - ١٧٠ -	
قس بن ساعدة ٣٥ - ٢٨٣	١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٧ -	
القعقاع بن عمرو ١٣٢ - ١٣٤	١٨٥ - ١٩٨ - ٢٠٥ - ٢١٣ - ٢١٧ -	
قيس بن خفاف البرجمي ٤٣	٢١٨ - ٢٢٨ - ٢٣١ - ٢٣٢ -	
قيس بن رفاعة ٢٨٢		

مصاد بن مذعور القيني ٣٢٤
معاوية بن أبي سفيان ١٥٥ - ١٥٦ -
١٥٧ - ١٦٣ - ١٨٨ - ٢١١ - ٢٤٣
المغيرة بن زرارة ١١٥
المغيرة بن شعبة ١١٧
الملبب بن عوف ٣٠
المنذر بن الجارود ٢٠٤
ميثم بن مثوب ٣

— ن —

النعمان بن بشير ١٨٩
النعمان بن ثواب العبدى ٢٩٠
النعمان بن مقرن ١١٤
النعمان بن المنذر ١٦ - ٢٧٨
نقيل بن عبد العزى ٢٧٣

— ه —

هاشم بن عبد مناف ٣٢ - ٢٧٢
هاشم بن عتبة ١٤٠ - ١٥٠ - ١٨٠
هاني بن قبيصة الشيباني ٣٧
هلال بن بشر ١١١
هند بنت الحس الإيادية ٣١٢

— ي —

يزيد بن أسد البجلي ١٦٧
يزيد بن عاصم الحارثي ٢٢٢٠
يزيد بن قيس ١٤٧ - ١٥٧ - ١٧٩

تم فهرس أعلام الخطباء

قيس بن زهير ٢٩١
قيس بن سعد بن عبادة ١٤١ - ١٩٠
قيس بن عاصم السعدى ١٤
قيس بن عاصم المنقرى ٢٥٩
قيس بن مسعود الشيباني ٢٦

— ل —

كاهن بنى الحارث بن كعب ٣١٨
كاهنة ذى الخلفة ٣٤٩
الكاهن الخزاعى ٣١٦
الكاهن النبى ٣١٩
كردوس بن هاني ١٩٩
كعب بن لؤى ٣٣

— ل —

ليبد بن ربيعة ٢٩٧

— م —

المأمون الحارثى ٣٦
مالك بن النبط ٢٦٣
المثنى بن حارثة الشيباني ٨٨
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ -

٥٦ - ٦٧ - ٦٠ - ١٠٨ - ٢٦٥ -

مخالس بن مزاحم ٢٩٨
مرّة بن ذهل ٢٧٦
مرثد الخير ٥٢ - ٥٤
المستورد بن علفة ٢٢٩

جدول الخطأ والصواب

الصواب	الخطأ	سطر	صفحة
الرَّحَاب	الرَّحَاب	٨	٧
نَكَدُ	نَكَدِ	١٢	٩
رَجَالُهَا	رَجَالَهَا	٩	١٢
لَغِيَاث	لَغِيَاث	١٦	١٢
تُنَازِع	تَنَازِع	٦	١٦
أُمَّة	أُمَّة	٨	١٦
وَجَنَّتْهُمْ ، وَعَدَتْهُمْ	وَجَنَّتْهُمْ ، وَعَدَتْهُمْ	١٣	١٦
وَأُصُولُهَا	وَأُصُولُهَا	١٨	١٦
الذَّاقَةُ الْمُسْنَةُ	الذَّاقَةُ : الْمُسْنَةُ	١ ١/٦	١٧
تَخْفَرُ	تَخْفَرُ	٣	١٨
كَلَّ	كَلَّ	١١	٢٠
شَرَّ	شَرَّ	٢	٢٢
وَأَتْرَكَ	وَأَتْرَكَ	٦	٢٤
وَيَسْتَطَابُ	وَيَسْتَطَابُ	١٦	٢٤
يَعْرِضُ	يَعْرِضُ	٥	٢٧
تَفْجَأُ	تَفْجَأُ	١٠	٣٠
الْحَرِيصُ	الْحَرِيصُ	١١	٣٤
الْأَيْرُ	الْأَبْرُ	١	٣٧

صفحة	سطر	الخطأ	المصواب
٣٧	٣	الناثرة	الناثرة
٥٠	٨	الدعة	الرعة (١)
٥٥	٣	الضعيف	الضعف
٦٨	٩	استعطمت	استطعتم
٨٧	٩	اتقصه	اتقصه
٩٤	٩	الطلائع	الطلائع
١٥٠	٨	وأهلها	وأهلها
١٥٠	١٠	وأزمتنا	وأزمتنا
١٥٠	١٢	اكل	اكل
١٨٠	٩	عقبة	عتبة
١٩٧	١	حتم	حتم
١٩٨	٦	أعجب	أعجب
٢٠٤	١	فأسر	فأسر
٢٤٠	٢	على	على
٢٦٧	١٦	الغلل : العطش أوشدته الخ	الغلل : الماء الذي يجرى بين الشجر

[١] يقال : هو حسن الرعة والتورع ، أى حسن الطريقة .

To: www.al-mostafa.com